
في
التيارات الفكرية
تأليف الدكتور
محمد حسيني موسى محمد الغزالي
الطبعة الأولى
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

إهداء

إلى ...

أديب الشعراء وشاعر الأدباء

من يلتمس معه الخير ويتحقق الرجاء

الاستاذ الدكتور

أحمد عمر ابراهيم هاشم

رئيس جامعة الأزهر الشريف

ورئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب

أطال الله في عمره

وبارك في أثره

وجعل الخير يجري على يديه

الدكتور

محمد حسيني موسى محمد الغزالي

٢٨/١٢/١٩٥١م

بســم الله الرحمن الرحيــم

مقدمة الطبعة الخامسة

الحمد لله رب العالمين يرفع أقواما مخلصين ، ويخفض العتاة الظالمين ، ويجعل الخير يعم الصالحين والشر يلف الفاسدين ، قال تعالى :" **قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيد الخير إنك على كل شئ قدير**"(١).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له جعل الإسلام هو الدين القويم ، وغيره ليس بالمستقيم قال تعالى:" ان الدين عند الله الإسلام ، وقال تعالى :" **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الأخرة من الخاسرين**"(٢).

وأشهد أن سيدنا محمدا عبدالله ورسوله . أمر بالتمسك بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة فقال ﷺ :" تركت فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى(٣) وبين ﷺ ان من شر ما يتمسك به المخلوقون عبادة الهوى، فقال ﷺ ، ما عبد اله ابغض إلى الله من الهوى(٤).

اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الأخيار ، وارض اللهم عنى آل بيته الأطهار وأصحابه النجوم اللوامع الأبرار والتابعين ومن تبعهم باحسان إلى دار القرار ، والطف ياالله فيما جرت به الأقدار ، فأنت وحدك العظيم الغفار.

---

(١) سورة آل عمران الآية ٢٦

(٢) سورة آل عمران الآية ٨٥

(٣) العلامة المنذرى – الترغيب والترهيب صـ١٨٥

(٤) العلامة الفشنى – شرح الفشنى على الأربعين النووية صـ١١٧

أمــا بعــد

فمن توفيقات الله تعالى أن هذا الكتاب – فى التيارات الفكرية المعاصرة – لم يكن فى الحسبان لأن ظروفى الصحية لاتسمح – الآن– حتى لمجرد التفكير فضلا عن بذل المجهود المضاعف ، فى تناول بعض الموضوعات العلمية وعرضها بشكل فنى.

وكان فى حسبانى ان من اتوسم فيهم الأخذ باليد ، سيقف المرض لهم واعظا ، او الموت منذرا ، ولكن بعضهم لاينتصح لأن دنياه آخذة به –إلى حيث يرغب هواه. وقد حاولت الابتعاد عن تدريس هذه التيارات فى ذلك الظرف ، لكننى فؤجئت بالقسمة الضيزى ، والاتجاه القوى لتصفية حسابات لم أكن طرفا فيها ولن أكون.

رضيت بما قسم الله لى [1] وذلك شأن المسلم ، والحمد لله أننى على عهد الوفاء قائم فنهضت للأمر على عجل ، وبخاصة أن الدراسة ابتدأت من أسبوعين[2] وقد حاولت تجميع بعض الأوراق ، وإضافة بعض المباحث ،وتنسيق بعض الموضوعات ، حتى يكون الكتاب فى أيدى الطلاب وأسأل الله العون والسداد انه نعم المولى ونعم النصير.

د/ محمد حسينى محمد موسى الغزالى

---

(١) تلك العبارة تعلمتها من عمنا الشيخ عمر والد أ.د/ أحمد عمر هاشم رئيس الجامعة وأخى أ.د/ محمود عمر هاشم عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق ، وكانت عبارته –رحمه الله– رضينا بما قسم الله لنا.

(٢) وكان البعض قد اتفقوا فيما بينهم – سرا على جداولهم فأعدوا أنفسهم لها حتى اذا بدأت الدراسة تم تداول كتب بعضهم بأيدى الطلاب.

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله به تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبدالله ختم الله به النبوات ، وجعل رسالته خاتمة الرسالات ، وارضى اللهم عن آل بيته الكرام ، وأصحابه الأعلام ، والتابعين الكرام ، ومن التزم سنته على الدوام.

أمـــا بعـــد

فإنى أقدم هذا الكتاب فى طبعته الثالثة لطلاب العلم ، مزيدا ببعض التوضيحات ، وربما بعض التعليقات التى تعين على فهم الموضوعات المطلوبة داخل الكتاب ،ونظرا لشدة الإقبال على هذا الكتاب وطلبه المستمر من ذوى التخصص ، فقد تحفظت فى المسألة ، من ثم لم أضف الكثير فى طبعته الثالثة (١).

وأحسب ان القارئ الفاضل ربما التمس لى بعض العذر ، أو تلمس فى حنايا نفسه بعض الأسرار التى مازالت خفيضة الجناح ، ترنوا لمن يرفع عنها القناع ، أو يأخذ بها من أعماق القاع ، بعد أن تواكبت عليها الأفكار الأخرى وتوشك أن تختفى من كثرة ما أحاط بها من ظروف . أو تفرق فى الأعماق فلا تجد من ينتشلها من قاع الجب العميق رغم كثرة نداءاتها ، وشدة توسلاتها.

وليت القارئ الكريم تراوده نفسه فيكشف عن أستارها ، ويطلع على ما فى باطنها من أمور عانيت فى بحثها طويلا ، وترددت بها فى مناطق وعرة ، وكم حاولت استيلاد الأفكار من أرحام أصحابها (٢)، وما أظنها كانت هينة.

---

(١) وسوف أزيد فى الطبعات المقبلات إن أمد الله فى العمر ومكن فى الصحة.

(٢) وهو شأن البحث العلمى الذى يسعى صاحبه للقيام بأعبائه.

كما لايغربن عن ذى بال ان فكرة هذه التيارات وتناولها – من جانبى – كانت فكرة فى ضمير الغيب وطفلا فى رحم الزمان ، وقد نـالت مـن غـيرى مجهـودات ، حتى أقروا بصعوبة البحث وتأبىّ مسائلها علـى المراجعـة والـدرس واستنكافها فـى الوقوع تحت الموضوعات المستمرة للفحص.

فإن اكن قد وفقت إلى تناولهـا وعرضهـا ، والتعريـج علـى مسـائلها أو أبحاثهـا بالشكل الذى يرضى الله ورسوله ، ويكون ذخرا لى عند ربى جل وعلا فذلك شأو ما تمنيت بعده ، ونعمة أحسد عليها (١)، وأشكر لله جل علاه ، ان وفقنى إليها .

وان تكن الخطوات قد تعثرت ، والقلم قد نبا ، والجـواد معـى كبـا ، فيكفينـى شرف المحاولة ، ونبل الغاية ، وسلامة المقصد وارفع أكف الضراعة لله مناجيا.

"ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولاتحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنـا وارحمنـا أنـت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين".

د/ محمد حسينى موسى محمد الغزالى
غزالة الخيس – الزقازيق – شرقية
غرة رمضان المعظم ١٤١٨هـ.
يناير ١٩٨٨م

---

(١) حيث أنى فى نعم الله الكثيرة أتفيأ ظلالها ، وارفـل فـى وارف نعيمهـا ، وأسأل اللـه السـلامة والنجاة.

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله خلق فسوى ، وقدر فهدى ، والصلاة والسلام على نبينا المجتبى ، سيدنا محمد بن عبدالله القرشى الهاشمى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وعلى آله وأصحابه الطاهرين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـــا بعــد

فإنه لمن المصادفات الموفقة – من قبل الله تعالى – ، ان تخرج الطبعة الأولى من هذا الكتاب إلى القارئ فتقع منه موقع القبول ، وكأنه قد استبد به هاجس الانتظار فى طلبها ، فلما خرجت اليه ، غلق عليها الأبواب وصار متفردا بها فقالت له : "هيت لك" .

بيد أن الداعى للدهشة هو المحاولات العديدة التى قامت بها بعض الجهات لإستحواذ هذا الكتاب [1] ، وما أظنه يستحق تلك الجلبة ، أو يحوز كل هذا الإهتمام [2] ، لكنه فضل الله تعالى ولا حرج فيه "ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما".

---

(١) نشرت بعض فصوله فىالعديد من المجلات الأسبوعية والنصف شهرية وبعض الصحف القومية والحزبية داخل البلاد وخارجها من ذلك روزاليوسف ، والشعب المصرية.

(٢) أفردت له اخبار الشرقية تحقيقا كاملا فىاحد أعداد عام ١٩٩٧ وقام بالتحقيق أ/ ناجى عبدالعزيز ، وكانت نفس الجريدة قد نشرت بعض فقرات منه فى عددها السبعين قام به أ/ على مطاوع وكذلك قامت بعض الجهات بترجمة بعض أجزائه إلى لغات مختلفة حسب روايات منه وقفوا على هذه المترجمات فى بلاد الغرب ، وما أظن الإقتباس منها أو النقل عنها قد توقف ، فتلك طبيعتة الأفكار البشرية التى يلقح بعضها الأخر.

والحق أننى كلما رأيت شدة الطلب عليـه ، والإلحـاح علىّ لإعـادة طبعـه مـع تصورى انه يحمل أفكارا بسيطة كل هـذا وغيره دعـانى لإجابـة الداعـى الـذى مـا وجدت للتأبى عليـه سـببا مقبـولا ، فقـررت إعـادة الطبـع ، مـع زيـادة فـى بعـض المواضع، وربما حذف فى بعض آخر ، اقتضتهما مستجدات ما كانت بذهنى تجول، ولابخاطرى يقف طيفها ، فأنا الضعيف العاجز إلى ربه القوى القـادر والله أسـأل أن يجعله مقبولا عنده ، ومحل بحث وتمحيص من الناس ، إنه سميع مجيب ، وأسأله تعـالى الستر فى الدنيا والنجاة فى الأخرة انه أكرم مسؤل وأعظم مأمول.

د/ محمد حسينى محمد موسى الغزالى
غزالة الخيس مركز الزقازيق شرقية
غرة رجب ١٤١٧هـ

مقدمة الطبعة الأولى (1)

الحمد لله جمع على الخير عباده ، وبلغهم من خلال المرسلين مراده ، وكفل لمن أطاعه الخير والسعادة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ خير من شكر فزاده، وأرض اللهم عن آله وصحبه وزوجه والسادة الذين كانوا نجوم هدى وريادة ، واحشرنا - رب العالمين - مع المتقين أهل الزيادة ، وأخلفنا فى أهلنا وبنينا والنجادة، ومتعنا وإياهم بالحسنى وزيادة .

أمـــا بعـــد

فإن البحث فى الفكر الإنسانى - يمثل متعة ومشقة - أما المتعة فحينما يطالع المرء أمشاجا فكرية مختلفة ، نمت فى عقول حبلت بها رؤس أصحابها زمنا ثم ألقتها فى المجاهل تحيط بها صحراء الفكر من كل جانب ، حتى اذا التقطتها سيارة أطعمتها غثا وسقتها حميما ، فماذا ينتظر منها بعد؟(2)

ولو أنها وقعت بين نسور وعقبان أو بوم وغربان ، فربما ، كان الطعام شهيا والماء رويا ، والإنتاج الذهنى صحيا ، وتلك فى حد ذاتها متعة متى استطاع الدارس استبيان المواقف ، والتخلص من النشاذ ايا كان نوعه ، بغض النظر عن هويته(3).

والمطالع للفكر الإنسانى غير المهتدى بشرع الله يراه المشقة بعينها اذ الكثير من الأفكار مفقود الهوية ، لاحظ له من صحيح نسب ، كما أنه لايقف على أدلة

---

(1) كانت الطبعة الأولى قدر صدرت فى مارس ١٩٩٦ ولكنها نفذت فى الشهر التالى ، ولست أدرى لذلك سببا أستطيع الوقوف عليه لكنه فضل من الله.

(2) راجع كتابنا التفكير الانسانى أصوله ومستوياته صـ١٧.

(3) راجع الدعوات الإسلامية ما لها وما عليها صـ١٥.

مقبولة من صريح معقول أو صحيح منقول ، فربما تجد الرأيين يتنازعان شبهة ، مع أنها ليست لأحدهما بوليد ، وربما يتقاذفان حجة مع أنها أمر عنهما بعيد ، بل ربما وقفا على شبهة من غير حل ومع ذلك يطلبان لأمثالها المزيد.

والتيارات الفكرية المعاصرة ذات الاتجاهات المنحرفة هى فى الحقيقة مسلاخ مشوه لحمل غير طبيعى ، ترامت بذرته فى سبخ من الأفكار ، ثم تنامت بين أشواك الضريع ، ومن فلايطعمها إلا الهيم[1] ، لأنها لاتسمن ولاتغنى من جوع.

وربما فتن بها السطحيون ، ولكنها لاتلفت نظر المحققين ، لأن السطحين اذا نظروا اليها أغراهم بريقها الزائف ، وسفورها الدرامى ، فربما انفق احدهم فيها بعض وقت ، ويستهلك بعض قوة وكثير مال .

فإذا ما انكشف له غطاؤها يوما ما وبانت حقيقتها الزائفة ارتد إلى نفسه وانعكس على وجدانه المكلوم يرجو افصاحا ، وكفكفة دمع حزينة يلتمس لها جفافا ، وربما يبكى حزنا ، وليسأل الناس الحافا [2].

وربما وقف يبكى على أطلالها ، ويذرف أمامها دموعا ساخنة على بقايا قبرها، ثم يقلب كفيه على ما أنفق فيها من وقت ، وما أضاع فيها من مال ، وما أستهلك من عافية ، وهل ينفع البكاء أو يجدى الندم وكأن لسان حاله يردد "ياليتنى لم اشرك بربى أحداً".

وحين أقدم هذه النماذج من التيارات فحسبى الوقوف بالقارئ عند شواطئها المنهارة ابحث فى قيمها المحطمة حتى اذا تمكن منها إدراك انها مجرد اشباح ترامت

(١) وهذا مقتبس من قوله تعالى:" فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم" وهى الإبل العطاش التى لاتميز نوع الماء من شدة العطش .

(٢) وذلك شأن كل من يضيع الوقت فى دراسة مالا فائدة فيه.

قيم فى غيهب ليل طويل ، ثم اعتصمت بالخفاء ، من ثم فلا يصل اليها العجول ولايتمكن منها العيّ .

لذا ترانى هرعت اليها موضحا له ما سوف يعانيه ان دفعه خياله يوما إلى مغالبة موجاتها المضطربة أومحاولة ابتلاع جزء من مياهها المرة ، أو الرغبة فى اصلاح مراسيها المنهارة[1].

وسوف أطوف به فى دراسة بعضها حتى يعرف المضامين ، ولايكتفى بالعناوين ، فإذا بلغت منه غاية أنشدها ، وأملا أرجوه ، فحسبه ما بلغ وحسبى أن أجرى وأجره عند رب العالمين ، وان وقفت بى الحيل عن ابلاغى المراد أو عجزت منى القوى عن الوصول إلى الغاية ، فماذا أنا فاعل ؟!

ولاريب أنى مؤمن بقضاء الله وقدره ، عليه وحده توكلت ، وعليه جل علاه أعتمد ، وهو أحكم الحاكمين وخير الناصرين ،ان يبارك فى عملى ، ويرزقنى الخير الذى يرضاه ، ويجعله ذخرا إلى يوم نلقاه فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .

د/ محمد حسينى محمد موسى الغزالى
غزالة الخيس - الزقازيق - شرقية
١٨ شوال ١٤١٦هـ - ٨ مارس ١٩٩٦م

---

(١) وهى صفات التيارات الفكرية التى لاسند لها من أصل مشروع.

الفصل الأول

- التعريف بالفكر المادى
- تاريخـــه
- اتجاهاتــه
- شبهاتـــه

المبحث الأول

التعريف بالفكر المادى وأقسامه

تمهيـــد :

المذهب المادى تيار فكرى يقوم على الاعتقاد فى وجـــود المـــادة وحدهـــا ، والايمان بألها وحدها الموجودة فعلا ، ومن ثم فهى محسوسة ، وذات طبيعة تقبـــل التجريب ، كما تقبل التحليل والتركيب ، وما عداها مما وراء المادة فهم ينكرونـــه ويرفضون التسليم به أو قبوله (١) .

ونظراً لخطورة هذا التيار الفكرى على الدين والإنسانية والأخـــلاق والقيـــم سأتجه للحديث عنه بعد تعريف الفكر على ناحية اللغة والاصطلاح فما هو تعريـــف الفكر أولاً ؟

١- تعريف الفكر :

عرف الفكر فى اللغة : بأنه أعمال العقل فى مسألة أو مسائل وترتيب بعض ما هو معلوم وصولاً إلى ما هو مجهول ، والتفكير : أعمال العقل فى مشكلة بغـــرض التوصل إلى حلها (٢) .

كما عرفوا الفكر الإنسانى "بأنه حركة من حركات الذهن البشرى ، ونشاط من أنشطته بما فيه من تركيب وتحليل ، وبحث وتنسيق ، وعمق وروية ، أو تســـرع وسطحية (٣) ، وهذا الفكر يقوم به كل من الإنسان ، والجن والحيوان على القـــدر الذى أعطاه الله كلا منها (٤) .

ولكننا لانستطيع ضبط فكر كل هذه الأنواع ، لأننا لاندركها ، ولذا ســنهتم بالفكر الإنسانى وحده ، فى جانبه الذى لايعتمد فى أدلته على النقل المترل.

---

(١) الأستاذ/ محمد قطب - مذاهب فكرية معاصرة صـ٣١٤.

(٢) المعجم الوجيز باب الفاء صـ ٤٧٨ .

(٣) راجع كتابنا : النديم فى المنطق القديم ج١ صـ ٣١٧ .

(٤) وهذا مما لا نزاع فيه ، وأن اختلفت درجات هذا التفكير فى الجنس الواحد د/ محمد حســينى موسى الغزالى - التفكير ومستوياته صـ ٣٧ .

فالفكر الإنسانى له موضوعاته ، ومناهجه ، ووسائله ، والغايات التى يـؤدى إليها والنتائج التى ينتظرها ، أو تنتظر منه ، سواء على النحو المشاهد المرئى ، أو عالم المرء الخاص الذى يعيشه هو [1]، ولا يعرفه إلا هو ، كعلاقة بينه وبين الله تعالى .

كما أن الفكر الجنى هو أيضاً مختلف عن الفكر الإنسانى ، فالجن غيب عنـا ، وله ظروفه الخاصه به ، ونحن نؤمن بوجودهم ، وأنهم خلق من خلق الله تعـالى ، وفيهم تكاليف ، وأرسل الله اليهم سيدنا محمد ﷺ نبيا ورسولا وجاء به النقل المنزل قال تعالى : " **إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** "[2] .

وبالتالى فالفكر عنده له موضوعاته ، ومسائله ووسائله وغاياته التى تنطوى فى أعماق الغيب الذى يناسب عالم الجن ، ولا يعلمه إلا الله جل علاه ، ونحن لا نعلـم عنه إلا ما أخبرنا به النقل المنزل فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ونؤمن بمـا جاء به النقل المنزل ، من غير سؤال عن الكيفية ، أو الغاية فذلك ممـا يخـص رب العالمين خالق البرية.

من ثم فلا يكون تفكير الجن هو نفسه تفكير الأنس ، وإنما كل منهما مختلـف عن الآخر فى تفكيره ، ومتفق مع طبيعة صاحبه ، ونمط الفكر الذى يمارسه ويقـوم به، بما يتفق مع امكانيته نفسه ، وذلك مما هو مقدر فى علم الله الأزلى ونحن نؤمن به[3]

ولكل من الأنسان والحيوان والجان نمط حياتى مختلف عن الآخر ، وصورة من الفكر تناسب صاحبه ، ولا يطعن تفكير أحدهما تفكير غيره ، لما سبقت الأشارة إليه من اختلاف كل منهما عن غيره ، وان الفكر يناسب المفكر نفسه . فما هو الفكـر الإنسانى ؟ ثم ما المقصود بالمادى ؟

---

(١) الدكتور/ عادل صادق – الطب النفسى صـ١٧.
(٢) سورة الأعراف
(٣) وهى مسألة لاتقبل الاجتهاد لأن القاعدة الأصولية هى "الاجتهاد مع النص.

والجواب أن الفكر الانسانى عرف بأنه

" ترتيب أمور معلومة للتأدى إلى مجهول " [1] ، أو أنــه حركــة النفــس فى المعقولات [2] وهذا التعريف وأمثاله مما يتمسك به المناطقة ، سواء كان المؤدى إليــه من باب التصورات ، أو من باب التصديقات[3] ، وهــذا الفكــر الإنســانى لــه خصوصياته المتعددة التى لا بد له منها ، ولا يوصف بغيرها وإلا فقد ذاتيتـــه الـــتى خلقها الله له[4].

كذلك عرف التفكير الإنسانى بأنه جمله النشاط الذهنى بما فيه من تحليل ذهــنى وتركيب ، وتنسيق ، على اسمى صدور العمل الذهنى [5] ، وأنه تحليل وتركيب يقوم به العقل به العقل وحده دون شئ آخر [6] .

وهذان التعريفان أقرب ما يكون إلى التعريفات القاموسية ، والمنطقية لكـــــن الذى لابد من القول به هو أن هذا النشاط الذهنى يتعلق بالموضوعـــات المحسوســـة والمعقولة معا[7] لأنها طبيعة الذهن البشرى.

هذا عن تعريف الفكر من الناحية القاموسية غير أن هناك بعض الناس عنــــد تعريفهم له يحصرون الفكر الانسانى فى الجانب المادى فقط ، متصورين أن الفكــر لا يكون إلا مادة وما عداه فهو من قبيل الهرب من التعريف به ، وهؤلاء عرفوا بأصحاب أصحاب الفكر المادى[8] .

---

(١) السيد الشريف الجرجانى – التعريفات صـــ ١٤٧ .
(٢) العلامة الأخضرى – شرح الأخضرى على المسلم صـــ٢١ ط الحلبى.
(٣) راجع كتابنا – النديم فى المنطق القديم صـــ٤٥.
(٤) راجع كتابنا – الوليد المنطق فى علم المنطق صـــ١٧
(٥) المعجم الوجيز باب الفاء صـــ ٢٩٧ .
(٦) المعلم بطرس البستانى – قطر المحيط باب الفاء .
(٧) راجع كتابنا التفكير الإنسانى صـــ٤٥.
(٨) الدكتور/ أحمد عبدالخالق الفكر المنحرف فى الإسلام صـــ١٥.

وهم قد حصروا الفكر فى عدة تعريفات مادية حسية فقط . ورفضوا قبل تعريف يتناول الفكر على ناحية غير مادية ، ولذا فانا نعرض لبعض تلك التعاريف المادية عندهم على النحو التالى :

التعريف الأول :

الفكر هو الصيغ اللفظية ، بما فى ذلك الرموز الرياضية وما إليها ، ولا شئ غير ذلك .

ويؤكدون على أنه " لا ضرورة لافتراض وجود شئ نعلل به عملية الفكر سوى العبارات اللفظية ، أى الكلام مقيداً بشروط خاصة ، فليس ثمة ما يدعو لافتراض كائن غيبى باطنى نسميه بالعقل ، لكى نفسر به عملية الفكر ، مادام فى استطاعتنا أن نعلل ظاهرة التفكير بالألفاظ وحدها " (1) .

وهم يعرفون بأصحاب الوضعية المنطقية ، وكما يعرفون باصحاب الفكر المادىّ وفوق ذلك فقد يوصفون بأنهم أصحاب الوضعية المنطقية والطبيعية كما يشاركهم الرأى أصحاب الوضعية الطبيعية والوضعية الأجتماعية " (2) ونحن لا نتفق معهم ، ولا نرى رأيهم ، وإنما نؤكد أنهم يعتمدون على الجدليات غير المقبولة ، ويعرف باسم الجدل الديالكتيكى ، كما يوصف بأنه الجدل السوفسطائى ، وبالتالى فهم يقعون فى مغالطات ، ويقررون شبهات ، "(3) **ماهم بذلك من علم أن هم إلا يخرصون** " .

---

(1) د/ ذكى نجيب محمود – المنطق ج1 صـ 8 ط 19816 الانجلو المصرية .

(2) ظهرت فى أوربا أبان القرن التاسع عشر ، وظهر على متن كل منها شخصية مثل شيلك ، دور كايم ، أوجست كونت ، أوجست كومت ، وغيرهم لمزيد بيان ينظر د/ عزمى اسلام صـ 217 وما بعدها ، وكذلك التفكير الفسلفى الإسلامى د/ سليمان دنيا ، الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د/ محمد البهى . ففى كل منهما ردود على هذا الفكر المادى ورخصته .

(3) الدكتور/ سليمان دنيا – التفكير الفلسفى الإسلامى صـ137.

التعريف الثانى :

يقوم على الحديث عن عملية التفكير ، لا عن التفكير فيقولون عملية التفكير إن هى إلا رموز نستخدمها كألفاظ اللغة ، أو كرموز الرياضة وتركيبها فى شتى صورها ... حتى التفكير الصامت فإنه كذلك " ألفاظ تجرى فى تركيبات معينة ، وأن تكن الألفاظ فى هذه الحالة غير مسموعة إلا لصاحبها ، لأن الحركات التى تحدثها أضعف من أن تحرك اللسان والشفتين فى صوت مسموع للأخرين " [1].

وطبقاً لهذا فالإنسان عندهم نتاج المادة والفكر نتاج الدماغ ، والدماغ مادة[2] وعلى هذا فالإنسان والفكر ، والعقل ، والنفس والروح ان هى إلا مادة ، أو تقلبات وصور للمادة ذاتها التى يؤكدون انه لاوجود لشئ بعدها[3]

التعريف الثالث :

الفكر هو التركيب اللفظى أو الرمزى للمفردات لا أكثر ولا أقل [4] وهو نفس الاتجاه المادى بل ان صاحب ذات التعويض من الداعين للمادية ، المطالبين بالعلمانية المنكرين لكل المسائل الغيبية[5].

التعريف الرابع :

الفكر هو الصيغ اللفظية أو الرمزية مشروطة بامكان وضع الصيغة فى صيغة أخرى تساويها ، وامكان الاستبدال بصيغة أخرى تلزم عنها ، وما لم تتوافر هذه الشروط من تركيبات اللفظ والرمز يكون صوتا غير دال على شئ أو ترقيما غير

(١) د/ زكى نجيب محمود – المنطق الوضعى ص ٨ .
(٢) الاستاذ / محمد قطب – مذاهب فكرية معاصرة ص٢٦ ط ٨ دار الشروق .
(٣) وهم ينكرون الله تعالى والملائكة والروح والخلود واليوم الأخر.
(٤) الدكتور/ فؤاد زكريا التفكير العلمى صـ٣٥
(٥) الدكتور يوسف القرضاوى – الإسلام والعلمانية وجها لوجه صـ٧.

ذى معنى ، ولا يكون فكر [1] وهم يميلون إلى أن كل نظرية أو فكرة عن وجود لـه وجود فى الحقيقة ، فيما وراء الحس تعتبر نظرية وفكرة مستحيلة [2] .

التعريف الخامس :

الفكر خصائص معينة فى ترتيب الكلمات أو الرموز لهـا وجـود ثـابت أن وجدت فى الكلمات والصيغ والرموز كان الكلام فكرا ، وإلا فهو ليس بـالفكر [3] وهذا الانحصار الذى ذهبوا اليه غير مقبول .

لأن الفكر منه ما هو دينى غيبى ، أو روحانى ، وما هو مادى أو غير محسـوس لكنه غير دينى فالفكر المتعلق بالأمور الغيبية ، سواء منها مما عرفناه نحـن أو مـا لم نعرفه ، فهو من قبيل الغيب الذى وضع الله أسبابه لنا فى الأرض[4] والخيال العلمـى يقودنا إليه اذن فهو فكر روحى فى أمور غيبية ولا يمكن اعتباره فكراً مادياً أبـداً وأن تعلق بالماديات المكتشفة فيما بعد .

كما أن هذا الانحصار الذى ذهب اليه الماديون لا توجد له مبررات قوية ، ولا أدلة يعتمد عليها إلا الوهم الذى يعيشون ، وضيق الفهم ، والقصـد إلى الانكـار والتكذيب ، بوقوع بالمعجزات ، وانكار اليوم الأخر ، وهو ما أعلنه الناقل عنـهم ، أو البوق الذى تحدث فى مصرنا المسلمة نيابة عنهم فى أوربا ، حيث يقول :

"مذهبى الفلسفى هو فرع من فروع المذهب التجريبى ويمكن تسميته بالوضعية المنطقية ، أو التجريبية المنطقية ، أو التجريبية العلمية ، ولابد أن يكون لمن يأخذ بهذا المذهب اتجاه خاص عند نظره إلى مباحث المنطق [5] ثم يواصل قائلاً :

---

(١) المنطق الوصفى جـ١ صـ١٥

(٢) راجع كتابنا : التفكير ومستوياته صـ ٤١ .

(٣) المنطق الوضعى صـ ٩ .

(٤) راجع كتابنا الايمان بالغيب دائرة على الفكر الإسلامى صـ٦١٤

(٥) الدكتور / زكى نجيب محمود المنطق الوضعى صـ ٩ .

" وهذا الاتجاه الخاص هو الذى حاولت أن أنظر به إلى تلك المباحث عندما الفت به المنطق الوضعى . فأطلقت على الكتاب هذا الاسم ، لأدل به على أنه منطق منظور إليه بعين ترى الأمور بمنظار المذهب الوضعى الذى لا يؤمن إلا بالمادة وحدها[1] .

وأن الذى يجب التصديق به هو ما يمكن تحليله ، وإجراء التجارب العلمية عليه وما عداه فإنه يحكم عليه بأنه غير موجود ، ولا يمكن الايمان به ، أو التصديق بأنه موجود على أى نحو كان [2] .

ومن المؤسف له أن أصحاب المذهب الوضعى فى بلادنا المسلمة لا يمكن اعتبارهم من المسلمين لأنهم يعلنون – فى كفر صريح – أن الميتافريقيا كلام فارغ لا يرتفع إلى أن يكون كذبا ، وان هذا الكلام الفارغ عندهم ، هو الذى يتحدث عن الإيمان بوجود غيبيات بعيدا عن الماديات ، وزعمهم قائم على ان ما يوصف بالكذب يتصوره العقل ، ولكن تدحضه التجربة ، أما هذه الميتافزيقا فكلامها كله رموز سوداء تملأ الصفحات بغير مدلول " [3] .

ويكرر فعله مدافعا عن كفريات الأخرين قائلاً : " والحق إلا اسراف ولا تجن من رجال العلوم حين يهاجمون الفلسفة قائلين : أنها حين تبحث فى مشكلات مثل وجود الله ، وخلود الروح ، وحرية الارادة ، فإنما تنسج نظرياتها من رؤس الفلاسفة نسجا ، لا تستند فيه إلى تجربة " [4] وما لم يثبت بالتجربة وجوده لانسلم به.

---

(١) الدكتور/ زكى نجيب محمود – خرافة الميتافيزيقا صـ٧.
(٢) نفس المصدر ص٩ ، المقدمة الثالثة وهو لم يرجع عن هذه الأراء بل ذكرها فى كل من كتبه ، نحو فلسفة علمية ، خرافة الميتافزيقا ، موقف من الميتافيزيقا ، وهو نفسه خرافه الميتافزيقا .
(٣) المصدر السابق صـ ٣ من المقدمة الأولى .
(٤) د/ زكى نجيب محمود موقف من الميتافيزيقا صـ ١٥ مطابع أخرون .

وهذا المذهب لا يعتنقه إلا الملحدون ، ويجمعهم اتجاه واحد هو نفسه الاعتقاد بالوجود المادى وحده ، أما الوجود غير المادى فإنهم لا يؤمنون به بل ولا يعتقـدون وجوده ، وإنما يفسرونه تفسيراً مادياً أليا لأن عقولهم ليست مسـتعدة لتقبلـه ، أو الايمان به ، بل هم يقولون : أن حركة الفكر ليست سوى انعكاس لحركة الواقـع وقد انتقلت إلى ذهن الإنسان [1] من خلال ممارسـات تمـت ، ودورات قـامت وانقطعت.

ولسنا مستعدين للتعاون معهم على أى نحو كان ، لأن كفرياتهم مـا بـاتت تنطلى على أحد ، بل ولا نرتضى وجودهم فى بلادنا الإسلامية وإنما نلتمس من أولى الأمر ، ومن كان فى موقف الراعى ، أن يطلبهم للتوبة ، فإن تابوا وأقاموا الصـلاة وأتوا الزكاة ، فإخلاء السبيل حق لهم ، وأن أبوا قتلوا كفرا ، ودم الكافر لا حرمـة له بل هو مهدر الدم . متى كانت ردته بعد تعقل وإيمان[2] ومطالبة بالتوبة والغفران.

والفكر الانسانى قديم مع الإنسان نفسه ، لكن حصر الفكـر فى الماديـات وحدها هو الذى اتخذ أشكالا عدة ، وكانت له مظاهر متعددة . فمرة يختفى هـذا النشاط الفكرى وتكون السيادة للفكر الدينى القائم على أصول الشرع ، وقواعـده الشريفة مادام قائما مع النبى والعلماء والصالحين .

وأحياناً تكون السيادة للفكر الغير دينى باتجاهاته الفاسدة وقضاياه المنحرفة[3] ولكنها وقتية لا تلبث أن تزول سريعاً دون أن تستغرق وقتا طويلا ، أو تترك أثـارا قوية .

---

(١) جورج بوليتز – أصول الفلسفة الماركسية صـ ١٩٧ تعريب شعبان بركات

(٢) لأن المرتد يعاقب بحد الكفر .

(٣) كلما ابتعد الناس عن شرع الله ، ولجأوا للفكر البشرى وترك رسل الله وشـرعه ، والإيمـان بالشيطان وحده وقعت المشكلات ، وازدادت الصعوبات .

وكلماكان اتجاه القوم للشرع كانت السلامه معهم , والنجاة محققه لهـــم ، والاتجاه نحو الصواب هو قائدهم ، وكلما انحصروا فى الماده غرقـــوا فى التجســم والتشبيه وقد ساق القرآن الكريم صورا عديده لهذه الانحصار المغرق فى الماديه وبـين فساد معتقديه قديما وحديثا من ذلك .

١-طلب اليهود من موسى عليه السلام ان يريهم الله جهره قال تعالى "**يســألك اهل الكتاب ان تنــزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر مــن ذلك فقالوا :أرنا الله جهرة فاخذقم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل مــن بعد ما جاءقم البينات فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبيناً**"[(١)]

٢- تصويرهم الإله العظيم مجسدا ، له يد تغل ، ويصيبه الفقر والبخل تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. قال تعالى :" **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلــت أيديــهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم مــا أنزل إليك من ربك طغيانا وكفروا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يــوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فســادا والله لايحب المفسدين**" [(٢)]

ب- أقسام الفكر الإنسانى[(٣)]

يتنوع الفكر الى أنواع متعددة ، كلها بحسب موضوعاقما والمسائل التى تعالجها والغايات التى قمدف اليها ولكن الأهم من ذلك أن يكون لها فى النهاية قيمة شــرعية تحقق السعادة للبشرية ، وتؤدى الى رضى الله تعالى ومحبة رسول ﷺ ، فمــا هــى أقسام الفكر الإنسانى حسب تلك الدراسة؟

---

(١) سورة النساء الآية ١٥٣

(٢) سورة المائدة الآية ٦٤

(٣) هذا التقسيم مجرد وجهة نظر ربما لم تسلم لى.

وهو الفكر القائم على فهم النقل المنزل ، فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فى شتى فروع المعرفة خدمة للنقل المنزل نفسه وهذا الفكر له ضوابط شرعية جاء بها الحديث الشريف من ذلك قوله ﷺ فيما روى عن ابى ثعلبة الخشنى قال :

قال رسول الله ﷺ : **ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تقربوها ، وترك أشياء من غير نسيان رحمة لكم فلا تبحثوها"**[1] .

ولو حاول العقل وحده بحثها لضل ولما كان فى مأمن من الإنزلاق والوقوع فى الزلل ، وهى فى ذات الوقت أعلى من امكانيات العقل كلها ، والله تعالى لايكلف المخلوقين الا فى حدود ما تطيقه عقولهم[2] التى خلقها الله تعالى لهم.

وقد جاء الحديث الشريف مؤكدا هذا المعنى ، من ذلك ماروى أنه ﷺ قال : ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، ونهى عن أشياء فلا تنتكهوها ، وسكت عن أشياء رخصة لكم ليس بنسيان ، فلا تبحثوا عنها"[3]

وهذه المسكونات من باب الرحمة بنا والرخص التى تتعلق بالمؤمنين فى عقولهم واعمال تلك العقول ، فللمرء المسلم أن يفكر ما وسعه الفكر ، لكن فى حدود لايحاول تجاوزها ، ومن خلال اشارات لايعمل على تخطيها ، فان وقف عندها نجا ، وكان فكره فى حدود النقل المنزل ولخدمة النقل المنزل أمكن أن نسميه فكرا دينيا[4] .

---

(١) الامام أبونعيم – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ٩ صـ١٧ دار الكتب العلمية بيروت

(٢) وفى الحديث الشريف "وسكت عن أشياء من غير نسيان رخصة لكم فلا تسألوا عنها" صحيح مسلم بشرح النووى.

(٣) الامام البيهقى – السنين الكبرى جـ١ صـ١٢ ط أولى مجلس دائرة المعارف العثمانية حيد اباد الدكن بالهند ١٣٥٥ الجوهر النقى.

(٤) راجع كتابنا : أنسام حيية فى الأفكار الصوفية صـ٤٥

اما إذا صرف نفسه عن هذه الرخص وتجاوز تلك الحدود محملا عقله فوق ما بإمكانه ظانا أنه يخدم قضية تتعلق بالدين وأن الدين لايتجاسر فى الوصول اليها ، أو الوقوف عندها ، أو بلوغها المبلغ المنشود ، حينئذ يكون فكره غير دينى ، ولايأمن النجاة ، وانما يوسم بما فيه من موضوع أو نتائج هدف اليها[1].

فعلوم الفقه ، والتفسير ، والعقيدة والحديث ، واللغة ، وأصول الفقه والتصوف الإسلامى ، وسائر العلوم التى تجرى فى هذا الفلك ، وتتقيد بالنقل المنزل فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وتقوم على خدمته ، هى علوم دينية لأنها تخدم الدين ، الإسلامى وفى حدود تعاليمه ونصوصه تدور .

القسم الثانى : الفكر الغير دينى

وهذا الفكر ليس منضبطا بالنقل المنزل ، وليس فى حدود النصوص الدينية ، لكن ما يدعى أصحابه انه يخدم قضية الدين ، ومنه ما يخدم إعمار الأرض ، وامكانية العيش فيها بسلام ، وعملية المواءمة بين النقل المنزل ، وبين المنتج الفكرى فى حدود ما يخدم البشرية ، ويراعى مصالح الكون ، من غير أن يعاند الشرع فهو مقبول على هذه الناحية . وان كنا لانضمن له استمرار السلامة أو الفوز فى الأخرة

وهذا الفكر الغير دينى يتنوع الى أنواع باعتبار الموضوعات التى يعالجها والغايات التى يحاول تحقيقها والوصول اليها فمنه .

١- التفكير العلمى ويعرف بأنه نوع من التفكير المنتظم ، الذى يمكن أن نستخدمه فى شئون حياتنا اليومية ، أو فى النشاط الذى نبذله حين نمارس أعمالنا المهنية المعتادة . أو علاقاتنا مع الناس ومع العالم المحيط بنا [2] وهذا التعريف هو نفسه اتجاه الماديين.

---

(١) ونحكم عليه بأنه فكر غير دينى ، لأنه غرضه الطعن فى الدين وليس خدمته.

(٢) د/ فؤاد زكريا - التفكير العلمى صـ٥ ، ٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦.

٢- التفكير المادى وهو الذى يقوم على انحصار موضوع التفكير فى المادة وحدها دون اعتبار لشئ أخر سواها[١] فما معنى المادة والمادى اذن والجواب انه قد وردت مادة م د د فى اللغة على انحاء شئ منها.

١- الامتداد الحسى والمعنوى

من ذلك قولهم : كل شئ يكون مددا لغيره ، بحيث يكون الأول امتدادا للأخر ، امتدادا حسيا ، أو امتداد معنويا ، وبالتالى فكل منهما - المادى والمعنوى- ملازم للأخر على هذه الناحية[٢].

٢- الجوهر المادى المركب

ومنه قولهم المادى كل جسم ذى امتداد ، ووزن ، ويشغل حيزا من الفراغ بحيث يجرى فيه ، ويعرف به ولذا فهو المادى[٣].

٣- الأصول الأولى للشئ

من ذلك قيل مادة الشئ هى : أصوله الأولى وعناصره الثابتة التى منها يتكون[٤] ولايوجد فى غيرها إلا على سبيل العرض.

٤- الزيادة المتصلة

ومنه قولهم : المادة هى الزيادة المستمرة على امتداد ثابت ، وفيه اتصال مباشر[٥]

---

(١) الدكتور/ زكى نجيب محمود - نحو فلسفة علمية صـ١٥.
(٢) المعجم الوجيز مادة م د د صـ٥٧٥ ط وزارة التربية والتعليم مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٩٢.
(٣) المعلم بطرس السيستانى - قطر المحيط باب الميم.
(٤) معجم مقاييس اللغة صـ٣٠٢
(٥) اساس البلاغة باب الميم جـ٤ صـ٣١٥ ط الشعب.

٥- مادة الشئ

ومنه قول العرب : مادة الشئ هى التى يحصل الشئ بها بالقوة[١] أو بالفعل[٢]

التعريف المقترح

طبقا لما سلف يمكن تعريف المادة فى اللغة بأنها الأصول الثابتة للجسم الممتـــد بصفاته وعوارضه الذاتية ، من طول ، وعرض ، ووزن وعمق ، وسائر الصفات التى لايخلو أمره عنها ، ومنها الصلابة والليونة ، والخشونة والنعومة والـــوزن واللـــون وغيرها من الأعراض التى تلازمه ، والعوارض التى يقف أمرها عنده[٣] وبالتالى فهناك فرق بين المادة والمادى.

ومن ثم فإن المادة يمكن اطلاق الاسم عليها حقيقة أو مجازا ، فإذا جاءت علـى الحقيقة اللغوية ، او المجاز اللغوى على النحو البلاغى الجمالى ، فذلك شأنها ، وليس بمستغرب عليها كما أن مادة م د د جاءت فى القرآن الكريم على الحقيقة والمجاز[٤] ، مما يجعل الباحث ينظر اليها فى هذه الناحية ، ويبصرها من تلك الزاوية.

الناحية الحقيقية :

ويراد بها الأمتداد الحسى من أمثلة ذلك قوله تعالى :" **وإذا الأرض مـــدت**"[٥] فهذا امتداد حسى ، فيه سعة وانبساط على النحو الذى تؤدى به الأرض وظيفتـــها التى خلقها الله سبحانه وتعالى ، وجعلها منوطة بها.

ومن ذلك قوله تعالى:" **وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وانهـــــارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن فى ذلك لآيـــات لقوم يتفكرون**"[٦] .

---

(١) لسان الميزان مادة الميم صـــ٢٤٦.

(٢) السيد الشريف الجرجانى - التوقعات باب الميم صـــ١٧١ ط الحلبى ١٩٣٨م.

(٣) هذا التعريف هو الذى أمكننى اقتباسه من معاجم العربية ولذا فهو تعريف على ناحية لغوية

(٤) احصاها المعجم الفهرسى لألفاظ القرآن الكريم صـــ٦٦٢ فيرجع اليها من شاء المزيد.

(٥) سورة الإنشقاق الآية ٣

(٦) سورة الرعد الآية ٣

قال أبوبكر بن الأصم : المد هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه ، فقوله تعالى : "**وهو الذى مد الأرض** " يشعر بأنه تعالى جعل حجم الأرض حجما عظيما لايقع البصر على منتهاه[1].

ومثل ذلك ورد فى آيات القرآن الكريم كثيرا ، ويراد به الإمتداد والبسط المكانى ، قال تعالى " **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون**"[2] وقال تعالى :" **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج**"[3].

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد هذا الأمر – وورود مادة الكلمة – قد تعدد بجيئه، مقصودا به الإمتداد المكانى ، والبسط فيه ، والإتساع من كافة النواحى ، ومن ثم تكون المادة هى الإمتداد الحسى على سبيل الحقيقة اللغوية.

الناحية المعنوية :

كما وردت مادة م د د على ناحية الإمتداد الحسى ، فقد جاءت كذلك على الناحية المعنوية وجاء ذلك فى الآيات القرآنية الكريمة من ذلك قوله تعالى :"**واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لايقصرون**" [4].

ولاشك أن الغى ليس من الأشياء المادية ، بل هو من المعنويات ، فهو شئ معنوى يقع فيه أصحاب الضلالة حين تستولى عليهم شياطينهم ، ويقودونهم الى المزالق ، ومناطق الزلل حتى تنتهى الأمور معهم الى الضلال والهلاك.

---

(١) الإمام الفخر الرازى – مفاتيح الغيب – المجلد التاسع جـ١٧ صـ١٨٣ ط الغد العربى ١٩٩٢/١٤١٢هـ.
(٢) سورة الحجر الآية ١٩.
(٣) سورة ق الآية ٧.
(٤) سورة الأعراف الآية ٢٠٢

كما ان طالبى الضلالة يقفون من دعاة الإصلاح موقف الناصح الأمين ، وهم لايكفون عن الوقوع فى الضلالة ، ولا يتورعون عن السقوط فى الغى ومع أخوانهم يمدونهم فيه ، ويجرون معهم طريقة ثم لايتوقفون عند نقطة توزن أمامها أعمالهم ، أو يحاسبون فيها أنفسهم.

قال تعالى :" **الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعهمون**"(1) وقال تعالى : "**قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا**"(2).

قال الراغب الأصبهانى : أصل المد الجر ، ومنه المدة للوقت الممتد ، ومن النهر ومده نهر أخر ، ومددت عينى الى كذا ، ومددته فى غيه ، ومددت الإبل سقيتها المديد ، وهو بذر ودقيق يخلطان بماء (3).

على أن أكثر ما جاء الإمداد فى المحبوب ، والمد فى المكروه.

لكن بقيت نقطة مهمة ، وهى ان المادة تستعمل فى الشئ المادى ، الذى له حجم وعمق على ما يفهم من الأبعاد المعروفة لكل ما هو مادى . وما كان من قبيل المادة فهو منسوب اليها .

فيقال هذا الفكر مادى متى انحصر فى المادة وطرائقها وحدها ، أو جعلها همه الأول والأخير ، فلا يؤمن بوجود غيرها ، ولايفكر فى شئ سواها ، هو الذى عرف به الماديون قديما وحديثا ، وفى كل العصور التى جاء فيها الفكر المادى ، او أعلن دعاته عن أنفسهم وأكدوا أنهم الماديون.

---

(1) سورة البقرة الآية ١٥.
(2) سورة مريم الآية ٧٥.
(3) الراغب الأصفهانى - المفردات فى غريب القرآن صـ٤٦٥ تحقيق محمد سيد كيلانى دار المعرفة بيروت.

والذى لاجدال فيه هو أن المذهب المادى قديم من حيث التنـــاول ، والفكـــر المادى له صوره متكررة ومن اليسير متابعتها فى كل مراحلها لكن ذلك ربما جعـــل حجم الكتاب يزداد كثيرا ولذا سأرجى الحديث عن كل من :

١- أصول الفكر المادى قديما وحديثا ، والمناهج التى يعتمد[١]

٢- مبادئه العامة التى حاول أصحابه اقامتها من قديم والتركيز عليها حديثا[٢]

٣- فكره مركزه عن أهم مدارسه القديمة ، كالمدرسة الذريـــة ، والأبيقوريـــه والرواقية ثم الوضعية والبراجماتية والعلمانية(٣).

٤- نظرة عامة على الفكر المادى فى العصر الحديث والذى كانت لـــه صـــور مستجده فى كثير من الحالات أبان عنها الكثيرون من أهل الإسلام وكشفوا زيفها[٤].

٥- دراسة نقدية لمذاهب التطور ، وجوانبه الفلسفية وكذلك المذاهب التى تحيط بها ، كالتشوء ، والإرتقاء والتطور فى العلوم البيولجية ومتابعـــة خطـــوات الهندسة والوراثية[٥].

كما لايمكن التخلص من الأفكار التى طرحتها الوضعية المنطقية ، والوضعيـــة الطبيعية ، والوضعية الإجتماعية باعتبارها امتدادات للفكر المادى ، وصور مـــن ذات الفكر بل هى وليدة أصيلة وربيب له ، مما يجعلنى أقدم لمحة عن مبادئ الفكر المـــادى

---

(١) الدكتور عبدالمعطى بيومى - جذور الفكر المادى صـــ٧

(٢) الدكتور/ أحمد عبدالخالق - الفكر المنحرف صـــ١٣.

(٣) فهى مذاهب وتيارات تقوم كلها على الاتجاه لعبادة المادة وحدها.

(٤) راجع مذاهب فكرية معاصرة للإستاذ/ محمد قطب ، وكذلك التيارات الفكرية للدكتور/ محمـــد طلعت الغنام ، والعلمانية ، والماركسية للدكتور/ محمد رشاد دهمش.

(٥) راجع كتابنا عن تطور الكائنات بين النقل والعقل

عند الوضعية المنطقية ، بإعتبارها أحد التيارات التى تضرب بقوة فى بنـــاء المجتمـــع المسلم وربما انخدع بها بعض الأغرار أو اعتقد صحتها من لايملك اتخاذ القرار.

فماهى اشهر المبادئ عندهم وموقف الاسلام منهم؟ ذلك ما سوف نلتفت اليه مع الأخذ فى الاعتبار ان الفصل التالى يعتبر تجميعا لبعض شبهاتهم ومناقشتها والـــرد عليها بعد تفنيدها واثبات بطلانها . فما هو تاريخ الفكر المادى؟

المبحث الثانى

تاريخ الفكر المـادى

لم يكن الفكر الإنساني البعيد عن الوحى فى بداية عهده منظما كما هو عليه حال اليوم ، وانما كان فكرا فرديا تقوم عناصره على الإنسان ذاته من غير تحديد لموضوع تتم المناقشة حوله علميا كان أو غيره وإنما كانت الأفكار منطلق فى عقول أصحابها من غير موازنة محسوبة ، أو منهج مرسوم ، طبق خطة موضوعة .

ولذا نقلت لنا النقول الكثير من الأساطير التى عاشت فى عقول أصحابها والأكثر من الخرافات التى تناقلها الأجيال على انها ميراث تركة الأقدمون بجانب القليل الذى يمكن الحكم عليه بالصحة (١).

وكانت رسالة أى نبى الى قومه هى تعبيد الناس الإله الخالق العظيم جل علاه وتعريفهم به سبحانه وتعالى وأفعالا ، وما يجب عليهم نحو هذا الإله العظيم ، وكانت الأمور على هذا النحو تتم مع الأنبياء والمرسلين ، وفى الأمم التى بعث الله فيها رسلا ، ووجد فيها أنبياء (٢).

بيد انه كانت هنالك أماكن أخرى - غير ما سلف ذكرها- فلم يرسل الله فيها أنبياء ، لأمر يعلمه الله جل علاه اتسمت بالعديد من السمات التى جعلتها تختلف عن غيرها فهى أما :

١- أماكن فرغ منها نبى بعد قيامه بإداء مهمته معهم ، ومازالت تلك الأمة على عهدها مع ربها طبقا للشئ الذى جاءهم عليه النبى الذى كان مبعوثا من قبل الله تعالى فيهم (٣).

---

(١) راجع ما قبل الفلسفة صـ١١٧

(٢) راجع كتابنا : عبدالكريم الخطيب وأراؤه الكلامية صـ٢٣١

(٣) راجع كتابنا - حبو الوليد فى علم التوحيد صـ١٣٧.

٢- أماكن كان فيها نبى ، ثم تركها لأمر يعلمه الله وهى فى انتظار نبى جديد يصحح لها مسار حياتها ، ويهدى الحائرين من أفرادها ، ويعيد القطيع الضال الى هديه ويرجع الخائف الى مأمنه[١].

٣- أماكن تخلفت عنها رسالة الله ، لأن هذه الأقوام وتلك الأمم رفضوا تعاليم الله ، ونكصوا عن الآنصياع لتعليمه ، بل وكذبوا رسله وأنبياءه فعاقبهم الله تعالى يرفع الأنوار التى تأتى مع النبوة عنهم ثم تركهم فى ظلمات يعمهون ، فهم فى تخبط مستمر واختلاف دائم ، وخروج على الشرع لايرجى بعده عود مقبول[٢] .

٤- أقوام بعدت بهم السبيل عن الشرع الحكيم ، فصنع لهم مفكرون أديانا وضعية يقبلون عليها وتعاليم بشرية يخضعون لها ويتناقدون لسلطانها دون مراجعة لتقرير سابق ، أو محاولة التثبت من قول لاحق أو إعادة نظر فى فكرة معروضة.

وكان مفكروهم يستخدمون امكانياتهم فى الإضافة اليها والحذف منها ، والتبديل والتعديل حسب ما تمليه عليهم ظروفهم الوقتية بحيث تتم الملائمة بين تلك الظروف للنواحى الحياتية ولذا ظهر أفكار حاولت تفسير ظواهر الكون المحيطة بهم تفسيرا يتفق مع امكانياتهم او يختلف ، لكن المهم انه تفكير عقلى فى محالة لتفسير ظواهر كونية على ناحية مادية حسب تلك التصورات لالتى عنى بها أصحابها[٣] .

و لم تقف الوثائق المؤكدة لتعطى فكرة محددة عن أول شعب أو قوم أو جماعة يمكن اطلاق لفظ الفكر المنظم على أعمالهم التى تركوها فى شئ من اليقين والقطع ، ولكن الشائع وجود عدد من الأمم نشأ فيهم التفكير العقلى المنظم فى وقت واحد .

---

(١) راجع كتابنا وميض النصرانية صـ٢٠١
(٢) كالحال مع البوذية والزرادشقية والإغريق وغيرهم .
(٣) عصر ما قبل الفلسفة صـ٣٧.

وها هو ديمقريطس صاحب المذهب الذرى يقرر أن أحدا لم يتفوق عليه فى علم الهندسة ن حتى ولا المهندسون المصريون [1] .

وهى وجهة نظره فى مسألة تتعلق بعلم من العلوم الرياضية اذن وجود فكر محدد عند شعب بعينه أمر غير مسلم اذا أراد تقديم أمر على سبيل اليقين العلمى وانما كان أبرزهم.

١- **المصريون القدماء** ولن أتحدث عن جانب العمارة والفن فالأهرامات هى التى تحدثت عنه وما تزال ، ولكن مسألة البعث والحساب والجزاء دليل قوى على أن هؤلاء القدماء كان لديهم استعداد فطرى لقبول الميتافيزيقا[2] وربما قد يكونوا تعاملوا معها مباشرة وصدقوا بها على ناحية معينة تمكنت منها قدراتهم العقلية وان كنت أرجح أنهم لم ينكروا الميتافيزقيا ، وانما تقوم عندهم على مفهومها لا بلفظها.

٢- **اليونان** ، برز الاتجاه الفكرى عند مفكرى اليونان وفلاسفتهم فى وقت مبكر بالنسبة لغيرهم ، وكان غالبه يبحث عن الميتافيزيقا لكن فى جانب محدد منها وهو محاولة الاجابة عن أصل الكون ، ومن أين جاء وما الغاية من الكون .

وقد شغل فكرهم الجانب المادى ، فبحثوا عنه الله فى المادة بأشكالها ، ومن ثم كان فيهم قوم رفضوا ذلك التسليم بوجود ماليس ماديا فضلا عن الإيمان به أو اعتقاده[3].

٣- **الصينيون**

---

(١) وهى دعوى لانسلم بها ، لأنه تعلم على يد المهندسين المصريين راجع - ربيع الفكر اليونانى د/عبدالرحمن بدوى صـ٤٣.

(٢) راجع الحضارة المصرية القديمة صـ١٨٩

(٣) وهى النبتات الأولى القديمة لوجود المذهب المادى قديما.

٤- الهنـــــود

٥- أمة الفرس

٦- العرب القدامى

٧- الوضعية المنطقية[1]

٨- منكرو الميتافيزيقا فى العصر الحاضر.

وأنا لا أقصد من هذا الذى ذكرت احصاء تعدداهم فى الشرق والغرب ، أوفى الشمال والجنوب فهذا ما لايتمكن منه باحث وحده الآن [2]، وانما يحسن أن تقـــوم به هيئة علمية تخصص فترة زمنية ، ومجموعة من العاملين بها ، مع اتاحة الكثير مـــن الإمكانيات .

وهذا مالا أتحدث فيه الآن انما اتحدث عن منكرى الميتافيزيقا فى مصر باعتبـــار ان قضية انكار الميتافيزيقا هى امتداد الفكر المادى فى العصر الحديث والقديم معا ، لا باعتبار المنكرين أنفسهم[3] .

من ثم سأركز على تقديم نبذة عن الفكر المادى من خلال المنكرين للميتافيزيقا فذلك يجعل الفكرة والمعالجة تتواصلان ، وسيكون فى ثلاثة مباحث متتالية :

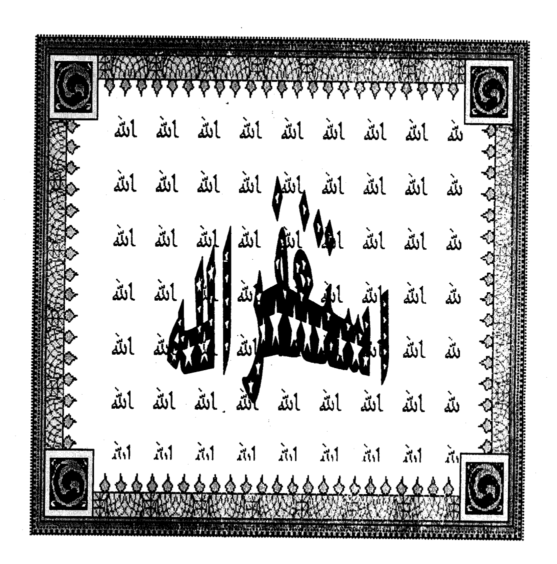
- عرض قضية إنكار وجود غير الماديات.
- الشبه التى اعتمدوا عليها ومناقشتها.
- الطريق الذى أراه لمعالجة المسألة.

---

(١) وهى غير المنطقية الطبيعية ، والوضعية العقلية.

(٢) نظرا لكثرة المطابع والزيادة المستمرة فى انتاج وسائل الإعلام.

(٣) والفرق بين قضية الانكار ، وأشخاص المنكرين كبير لمن تدبره.


استغفر الله

المبحث الثالث

عرض قضية انكار وجود غير الماديات

تمهيد :

للإيمان بالغيب أثره القوى فى تناول مسائل الميتافيزيقا ، ذلك لأنا نحن المؤمنين بالغيب نعتقد فى وجود موجودات غير محسوسة وقد حدثنا عنها النقل المنزل وهذه المسائل الغيبية تدور فيما وراء الطبيعة التى نشعر بها نحن ، أو نتصرف عليها لأن مسائل الغيب كلها فى علم الغيب الذى يعلمه الله تعالى ولا سبيل إلى توقعها من جانبنا .

وعلى أن المفكر الذى يعتنق الإيمان بالغيب لا يمكنه إنكار الميتافيزيقا أبداً [1]، لأن الغيب أعم ، والميتافيزيقا أخص ، وهو قد أمن بالأعم فلا شك أنه مقر بالأخص منه ، ضرورة أن التصديق بالأخص يتبع التصديق بالأعم ، بل الأخص فرع منه ، ومتفرع عنه .

وإذا كنا قد فرغنا من القول بأن موضوع الغيب هو اللا ماديات أمكن القول بأن الميتافيزيقا جزء من الغيب الذى يجب الإيمان به ، حسب ما جاء به الشرع الشريف فى النقل المعصوم [2] ، دون التجاء لشئ آخر ، أو التسليم بما وراء ذلك من قضاء يطرح فيها العقل ذاته ، من غير أن يبلغ تمامه .

ومن المعلوم أن الميتافيزيقا هى مباحث الألوهية والصفات الإلهية وما يتعلق بها على النحو الذى سار فيه علماء الإسلام ، وأشياخنا فى علم القصيدة والتفسير والحديث على وجه الخصوص [3] ،كما أن الفلسفة لها نظريات ثلاثة هى :

١- الوجود .

---

(١) تطلق الميتافيزيقا بمعنى يرادف قضايا الإلهيات عند المتكلمين ، وليس على ما وراء المحسوسات ، على ما هو وارد لدى الفلاسفة المحدثين .

(٢) راجع كتابنا : الأيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى صـ ١١٢ .

(٣) راجع كتابنا : الغزاليات فى الإلهيات صـ ١٧ - مطبعة آل بسيونى .

٢- المعرفة .

٣- القيم .

ويميل البعض على أعتبارها مباحث فلسفية ، بدل أن تسمى نظريات فلسفية ولهم وجهة نظرهم التى تقدرها فيهم ، وإن كانت لا تصادف قبولا عندنا .

ومن هذه المباحث الثلاثة - الوجود والمعرفة والقيم - بمختلف فروعها ، يتألف - عند جمهرة الفلاسفة - الموضوع الرئيسى للفلسفة العامة بشكل خاص[١]

ولذلك سنحاول التعريف بالوجود وأقسامه كمطروح فلسفى ، ومبحث من مباحث الفلسفة المادية ، والعامة على السواء .

الأول : الوجود - الأنطولوجيا .

وهو يشمل " النظر فى طبيعة الوجود على الاطلاق ، مجردا من كل تعيين وتحديد [٢] ونعنى به الوجود المجرد عن الوصف بالقدم أو الحدوث ، الوجود المجرد عن التركيب أو الكثره الوجود كفكرة مجردة ، له وجود فى الذهن فقط ، والذى يسمى عند المناطقة باسم التصور المجرد [٣] .

---

(١) هناك الفلسفة العامة ، والفلسفة التجريبية ، والأخرى النقدية ، والرابعة النظرية ، وغيرها الإسلامية والمعاصرة والحديثة فضلاً عن الاقتصادية والعملية والسياسية فهى كلها تسميات وإطلاقات .

(٢) الدكتور - توفيق الطويل - أسس الفلسفة صـ ٨٧ .

(٣) راجع كتابنا : الوليد المنطق فى علم المنطق صـ ١٣٧ .

أولاً : المذاهب الفلسفية فى تفسير الوجود :

اختلف الفلاسفة فى تفسيرهم لمفهوم وظيفة هذا الوجود لا من حيث ذاته ، وإنما كمبدأ ميتافيزيقى قائم عندهم على أسس يروها مستمرة . وانتهى هذا الاختلاف معهم إلى جعله أقساما بحسب المتناولين له منها :

الأول : أصحاب المذهب الواحد(١) :

وهم يرون أن الوجود له طبيعة واحدة ، وهذه الطبيعة الواحدة ، أما أن تكون المادة وحدها ، أو تكون الروح وحدها ، ولا تخرج طبيعة الوجود عن أحد هذين أبداً مهما حاول القائمون عليه تفسيره ، أو بناء أسس جديدة له.

ومن ثم نشأ عن هذا القسم مذهبان مختلفان فى تفسير طبيعة الوجود وانتهى الأمر معهم إلى أن هذا الوجود لابد أن يكون أحد أمرين :

الأول : أن يكون الوجود مادياً فقط وهم أصحاب المذهب المادى (٢) ، الذين تتناول قضاياهم والمسائل التى تعرضوا لها فى هذه المباحث التى نحن بصدد ذكرها .

الثانى : أن يكون الوجود كله روحياً فقط وهم أصحاب المذهب الروحى دون إتاحة الفرصة لشئ من الماديات أبدا(٣)، ولا شك أن كلا من المذهبين مناقضى الآخر أو يهدمه ، بل لا أبعد عن الحقيقة إذا قلت بأن كلاهما يهدم نفسه ، ويهدم الآخر ، وسوف نفصل القول فى كل منهما على النحو التالى:

---

(١) سواء كان الوجود مادة فقط ، أو روحاً فقط .

(٢) الذين يركزون على أن الموجود هو المحسوس فقط ، راجع كتابنا الإلهيات عند ابن سينا صـ ٤٥ .

(٣) وهذا الاتجاه مخالف للكثير من القضايا العلمية .

١ – أصحاب المذهب المادى :

يرى أصحابه " أن الوجود مادى فى طبيعته ، ولا شئ فى الوجود غير المادة ، والحياة والحركة وغيرها مما يظن أنها تشهد بوجود الروح أو العقل ليست فى الواقع إلا وظيفة من وظائف المادة ، أو صفة من صفاتها ، فإذا انحلت المادة توقفت الحركة، وأنعدمت الحياة . [١] وبالتالى فلو كان هناك شئ آخر غير المادة ما توقفت الحياة بأنعدام المادة .

والحق أنهم لا يشاهدون الوجود إلا فى مادة ولا يؤمنون إلا بالمادة ، ولا يعتقدون أو يقدسون سوى المادة . كل شئ هو المادة ، والمادة أيضاً هى كل شئ ولا شئ عندهم غيرها[٢] .

ولا شك أن هذا المذهب المادى الصرف فى تفسير ظواهر الكون خاطئ على كافة نواحيه ، لأنه ينكر الغيبيات كلها ، كما يجعل المعرفة الإنسانية محصورة فى نطاق المادة فقط ، كذلك يجعل القيم الروحية مادية ، ولا يختلف عنده العقل والروح والنفس والفكر عن الأجسام المادية التى يدركها بحواسه[٣] ، بينما يقر العقلاء ضرورة وجود عالم الغيب وعالم الشهادة ، كما أن النقل المنزل قد جاء بهما قال تعالى: " **عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال**"[٤] .

فالإنسان مثلا يتكون من الجسم والنفس والعقل والحب والبغض ، وبالتالى فإن هناك مادة وروحاً معاً . وهما اللذان يطلق عليها أسم الإنسان ويعرف بأنه

---

(١) الدكتور / توفيق الطويل – أسس الفلسفة صـ ٢٣٩ .
(٢) راجع كتابنا – التطور بين النقل والعقل .
(٣) راجع كتابنا – الإلهيات عند ابن سينا صـ ١٧ .
(٤) سورة الرعد الأية رقم

حيوان ناطق فالحيوانية هى الجسيمة ، والنطقية هى الروحية [1] ، والإنسان بـــدون أى منهما لا يكون إنساناً أبداً ، فثبت أن الإنسان هو مجموع الماديات واللاماديـات معاً .

وهذا المذهب المادى فى تفسير الوجود ليس غريباً على الفكر الإنسانى ، فــإن هناك جذورا قديمة فى التاريخ الفكرى ، عبد أصحابها المادة وآمنوا بأنه مالا وجــود له فى الحس لا يمكن التصديق به أو قبوله [2] وكلها أفكار شاذة رفضها العلمـــاء ، و لم يناصرها إلا غير العلماء والذين لا يعتد بهم ، والمناصرون فى جملتهم ملحدون .

وقد سلك أصحاب هذا المذهب المادى فى إثباته مسالك معوجة ، بدءاً مـــن إطلاق اسمه على ما يميلون إليه حتى المنهج والغاية حيث يطلقون على أنفسهم أنصار المذهب المادى ، وأصحاب الوضعية المنطقية مرة - والوضعيـــة الطبيعيـــة ثانيـــة ، وأخرى اللا أدرية ، وثالثة أصحاب المذهب التحليلى ، ورابعة أنصار المادية العلمانية وخامسة أصحاب الفلسفة العلمية والمنهج التجريبى [3] .

كما أنهم يختلفون فى الموضوعات التى يخصونها بالدراسة . فمرة تراهم يعلنــون أن الحقائق الدينية لا تدخل ضمن أبحاثهم كما فعل ذلك كانت CANT [4] ، ربمـــا خوفاً من سطوة رجال دينهم عليهم ، أو خشية من شرط العامة ضدهم [5] ، ومـرة يصرون على أنهم يبحثون فى المادة وأنها وحدها الموجودة ولا عبرة بغيرها . حـــتى رددوا ومعهم من يتبنى مواقفهم القول بأن :

---

(١) شيخ الإسلام الفولسينى - حاشية القويسنى فى المنطق صـــ ٤٥ .

(٢) ابن سينا - الإشارات والتنبيهات - القسم الثالث . فى الوجود وعلله صـــ ٩٥ .

(٣) هى مجرد تسميات واطلاقات لا أساس لها من الصحة ولا تقوم على أسس مقبولة .

(٤) الدكتور / محمد البهى - الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى صـــ ٢٣٩ مكتبة وهبة الطبعة الحادية عشر عام ١٩٨٥ .

(٥) كالحال مع ديكارت ورجال اللاهوت، راجع كتابا خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة صـــ٢٧٥.

" الحق ألا اسراف ولا تجن من رجال العلوم حين يهاجون الفلسفة قـــائلين : أنها حين تبحث فى مشكلات مثل وجود الله ، وخلود الروح ، وحرية الإدارة ، فإنما تنسج نظرياتها من رؤس الفلاسفة نسجاً لا تستند فيه إلى تجربة [1] .

وهذا المذهب لا يعتنقه إلا الملحدون ، ويجمعهم اتجاه " تفسير الوجود بالمـــادة وحدها والإيمان بأنه لا شئ غير المادة يمكن اعتباره موجودا ، بـــأى حـــال مـــن الأحوال، أو اعتبار من الاعتبارات [2] .

ومن ثم يمكن إطلاق اسم الفلسفة الطبيعية على هذا المذهب . لأن الفلســـفة الطبيعية مهمتها " تفسير الوجود المادى [3] وحده من خلال المادة فقط ، دون اعتبار لشئ آخر وكذلك الموزانة " بين الفروض العلمية العديدة المتضاربة الـــتى يضعـــها العلماء ، مستندين إلى علمهم ببعض الحقائق التجريبية ، وأن تقدر القيمة الفلســـفية لهذه الفروض [4] .

إذن الفلسفة الطبيعية التى يمثلها المذهب المادى تبحث فى عالم المادة وحدهـــا ، دون النظر لشئ آخر وراء الكادة ، ومن جهة نظر عامة ، ومن ثم فهم لا يؤمنون إلا بالمذهب المادى وحده ويكفرون بما وراءه مهما كانت أدلة ودجوده قائمة .

ونظراً لخطورة هذا المذهب على قضايا الميتافيزيقا سنخصه بالدراســـة بعـــد استعراض أشهر المذاهب الفلسفية فى هذا الجانب وموقفها من المسألة .

---

(١) د/ زكى نجيب محمود / موقف من الميتافيزيقا صـــ ١٥ .

(٢) د/ توفيق الطويل أسس الفلسفة صـــ ٢٤٠ .

(٣) أوزفولد كولبه – المدخل إلى الفلسفة ترجمة د/ أبوالعلا عفيفى صـــ ٦٦ .

(٤) المصدر نفسه صـــ ٧٢ ، ٨ .

٢- المذهب الروحى :

ويرى أصحابه "أن الوجود روحى فى طبيعته ، وأنه ليس فيه غير الـــروح أو العقل ، وأن المادة فى كل صورها ليست إلا ظاهرة من ظواهر الروح ، وتحولاً مــن تحولاتها المستمرة والقائلون بهذا هم أصحاب المذهب الروحى [1] على النحو الـــذى ألمحنا إليه .

وهؤلاء لا يقبلون أن يكون فى الوجود ما هو مادى أبداً ، أنهم أشبه ما يكـون بأصحاب المواقف المتناقضة الذين لا هم إلا تبنى مواقف مضادة بغض النظـــر عـــن النتائج المنتظرة ، أو الوقائع الثابتة فهم لا غرض لهم القفز فوق الثوابت ومحاولة طعن المسلمات .

وهذا المذهب فيه من الغموض ما يعوق استمراره ، لأنه ينكر الماديات وهـــى موجودة فعلاً وإنكارها يمثل نوعا من السفه ، والمشهور أن حقائق الأشـــياء ثابتـــة والعلم بها متحقق [2] .

فمثلاً من يصدق أن الحجر فكر ، وأن الحصى روح وعقـــل . بـــل وبـــاقى الجمادات التى لا ينكر عاقل أنها جمادات فكيف يصير القول بعدم وجودها مقبولاً ، مع أنه يتجه إلى رد الظواهر المادية المتحيزة مرغماً إلى ظواهر روحية أو عقليه بنـــاء على الموقف التى ينطبق منها والاتجاهات التى يعتمد عليها .

ولذا فإن هذا المذهب تجمع أصوله مدرستان :

الأولى : مدرسة ترد العالم إلى كثرة من الأفكار ، وأن هذه الأفكار التى تتلاقـــى فتنشأ الكليات والجزئيات .

---

(١) الدكتور/ توفيق الطويل - أسس الفلسفة صـــ ٢٣٩ .

(٢) هذه المقولة تحدث عنها الكثيرون راجع المواقف للإمام الايجى .

الثانية : ترد العالم إلى عقل واحد ، أو نظام عقلى فريد يسمى الروح السيارة ، أو النفس الأعظم ، وهى اتجاهات فاسدة تبنت مواقف متناقضة وطبيعتها تشهد ببطلانها [1] .

القسم الثانى : أصحاب المذهب الثنائى :

وهم الذين يفسرون الوجود على أنه مكون من روح ومادة معاً [2]، وهؤلاء قد جمعوا بين عنصرى المذهب الواحدى ، لكنهم أصروا على وجود ثنائية يرد إليها أصل الوجود عند تفسيرهم له ، والعنصران هما المادة والروح ، لكن أيهما أسبق ، لا نجد إجابة كافية .

غير أن هنالك أمراً لابد من الالتفات إليه هو أن أصحاب المذهب الثنائى وجدت لديهم الرغبة القوية فى فصل المادة من حيث المفهوم ، عن العقل من حيث هو محل التفكير ؟ فالمادة لها امتداد ظاهر ملموس بحكم أنها مادة ، وهى لا شك تخالف العقل الإنسانى باعتبار أنه صاحب التفكير .

وعرف علماء المسلمين العقل بأنه نور روحانى به تدرك العلوم الضرورية والعلوم النظرية وهو متعلق ببدن الإنسان [3] ، وله معه تدبير ، وكلاهما يحدث له من الثانى مظاهر لا توجد عند تفرق كل منهما عن الآخر ، أو الأنفصال .

وهذا المذهب الثنائى قديم ، لكنه كان فى الماضى تظهر فيه التفرقة بين العنصرين المادة التى نشأ عنها الوجود ، والعقل العام ، أو الروح السارية فى الكون ، والتى هى " مبدأ وجوده "؟ ومصدر حركته [4] على رأى القائلين به .

---

(١) الدكتور / توفيق الطويل – أسس الفسفة صـ ٢٤٧ .

(٢) هذا الاتجاه يجمع بين جناحى المذهب الواحد مع الاختلاف فى الكثير من التفاصيل .

(٣) التعريفات صـ ١٣٢ وتحدثوا عن العقل ، وذكروا له أنواعاً عديدة منها العقل بالملكة والعقل بالفعل ، والعقل المستعار والعقل الهيولانى وغيرها .

(٤) راجع الاتجاهات الفكرية المعاصرة صـ ١٤٥ .

غير أن القول بوجود مادة معينة نشأ عنها الوجود ، وعقل عام هـــو مبـــدأ الوجود ، ربما يؤدى إلى تصور وجود نوع من التعارض بين مبدأين كـــل منـــهما يؤكد أحقيته فى تزعم المذهب وليس الأمر كذلك (١) ، متى وضعنـــا فى الاعتبـــار إمكانية الجمع بينهما أو تلاقى الأصول العامة عند كل منهما .

أجل . أن العقيدة الإيمانية تلزم المرء المؤمن بضرورة قبول فكـــرة الثنائيـــة فى الوجود (٢) المخلوق باعتبار أنه مركب من الماديات وعالم الشهادة ، ولكل منـــــها حدوده الفاصلة التى لا يمكن تجاوزها ، بل ولكل منها تصوره الخاص به (٣) .

و لم أجد مذهباً فكراً أو دينا - حسب دراستى - تناول هذه المسألة بدقه إلا دين الإسلام الحنيف ، الذى فرق بين الموجود الخالق رب العالمين وصفاته التى لا تنطبق على أحد سواه ، وبين الموجود المخلوق الذى له من الخصائص ما إذا ذكرت عرف بها .

وقد فرق القرآن الكريم بين هذين المبدأين بدقة لاحد لها ، لأن القرآن الكـــريم وحده هو كلام رب العالمين الباقى إلى يوم الدين ، فلمح ذلك فى حديث القـــــرآن الكريم حول ما يلى :

١- ما يخص الخالق رب العالمين جل علاه قال تعالى "**قـــل هـــو الله أحـــد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد**"(٤). وهو التوحيد الخـــالص ، والتنزيه الكامل .

---

(١) الدكتور / عبدالمعطى محمد بيومى - جذور الفكر المادى صـــ ٥٥ ط دار الطباعة المحمديـــة بالقاهرة ١٩٨٤م .

(٢) قبول الفكرة هنا ليس على إطلاقه ، وإنما قبول لمجرد التسليم وإلا فإن هناك مغاحشات كثـــيرة للمسألة ذاتها

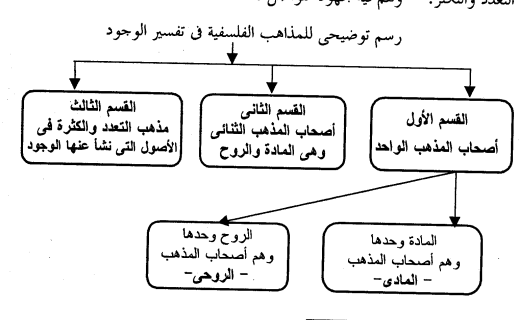
(٣) راجع كتابنا - الغزاليات فى السمعيات ج٦ صـــ ١٥ .

(٤) سورة الأخلاص .

٢- ما يخص المخلوق الإنسان مثلاً قال تعالى : " أيحسب أن لم يره أحد ، ألم نجعل له عينين ، ولساناً وشفتين ، وهديناه النجدين " (١) وهو دليل على وجود الأمرين فى الإنسان ، أمر الهداية والضلال من ناحية ، وأمر الخلق فى مادة ، وتركبه من أجزاء وهى ناحية ثانية .

القسم الثالث : مذهب التعدد والكثرة (٢):

ويرى أصحابه أن الوجود نشأ عن كثرة من الأصول المتعددة ، وهذه الكثرة فيها ماديات كثيرة وروحانيات كذلك ، ويمثل هذا الاتجاه " أصحاب القول بالذرات المادية والروحية أصلاً لهذا الوجود ، الذين يعتبرون من أصحاب مذهب التعدد والتكثر. (٣) ولهم فيه مجهود متواصل .



---

(١) سورة البلد الآيات ٧ - ١٠ .

(٢) ذكرنا القسم الأول : أصحاب المذهب الواحد فى تفسير الوجود ، كما ذكرنا أصحاب القسم الثانى ، وهم أصحاب المذهب الثنائى فى تفسير الوجود ، ولأن نعرض للقسم الثالث وهو مذهب التعدد والكثرة .

(٣) الدكتور/ توفيق الطويل - أسس الفلسفة صـ ٢٣٩ .

غير أننا سنخص المذهب المادى وحده بالنظر فيه الأن على الأقل [1] ، وبخاصة دعاة الوضعية المنطقية منه ، والوضعية الطبيعية فيه ، لأنهم إذا كانوا يقولون بأنـــه لا وجود إلا للمحسوس ، ويؤكدون أن الميتافيزيقا بالمعنى المرفوض عند دعاة الوضعية ، هى تلك المحاولات التى يحاول بها أصحابها حينما يحاولون أن ينبئوا بأحكام إيجابيـــة عن أشياء غير محسوسة [2] " .

فإنهم حتما سيواجهون بأشياء موجودة غير محسوسة وهم مقروف بها ، بـــل ويستخدمونها كالجاذبية والمغناطيسية وغيرها مما يقرون به ولا يستطيعون أن يحسـوه بحاسة ما . كما أنهم من الملحدين الذين كتبوا كثيرا بغرض التأكد علـــى فكرهـــم الهزيل ، فى محاولة للسباحة عكس التيار والتأكيد على سيطرة العلمانيـــة والماديـــة الجدلية ولذا سنركز عليهم وحدهم فى هذه المباحث التى نحن بصددها .

كما أننى لن أخرج بالوضعية عن نقل واحد من أبناء وطننا ، اعتـــبر نفســه صورة للوضعية والمتحدث بإسمها المدافع عن كافة قضاياها كأنها أمه ، أو هو ربيعها الوحيد ، ورغم أننا مسلمون وشعب أغلبه مؤمن مسلم موحد إلا أن هذا الدعـــى جاهر بالالحاد فأصدر كتابه المنطق الوضعى وخرافة الميتافيزيقا [3] ونحو فلسفة علمية وأخيراً موقف من الميتافيزيقا [4] وإن كان الأول هو نفسه الأخير حسب ما ذكـــره بنفسه [5] .

---

(١) باعتبار أنه يفسر الأشياء الموجودة كلها تفسيراً مادياً وبهذا الاعتبار فهم ينكـــرون وجـــود الله تعالى ، والروح ، والخلود ، واليوم الاخر .

(٢) الدكتور / زكى نجيب محمود - موقف من الميتافيزيقا صـــ ٤٢ .

(٣) أصدر سنة ١٩٥٣ وظل يحيل إليه ويؤكد عليه .

(٤) هو نفسه أصدر طبعته الثانية سنة ١٩٨٣ .

(٥) يقر بهذا فيقول : " فقد رأيت أن أستبدل بعنوان الكتاب فى طبعتـــه الأولـــى وكـــان خرافـــة الميتافيزيقا عنوانا آخر هو موقف من الميتافيزيقا لعل هذا العنوان الجديد أن يكون أخف وقعاً على الأسماع إلى الموضوعية والحياد ص ن من مقدمة موقف من الميتافيزيقا .

من ثم سنعتبره ممثلاً وناقلاً للوضعية المنطقية كاتجاه مادى ، بـــل مـــن أبـــرز الاتجاهات المادية الان بالرغم من أنه لا يعرف إلى أى وضعية منـــها – المنطقيـــة أم الطبيعية – ينتسب [1] ، أو عن أى منها ينقل ؟

ثانياً : عرض موقف الوضعية المادية من الميتافيزيقا :

أ– تصوير الموقف :

يرى دعاة هذا المذهب أن هناك نوعين من الميتافيزيقا وكليهما داخل تحـــت جناح الميتافيزيقا الأم ، وهذان النوعان هما : الميتافيزيقا التأملية ، والميتافيزيقا النقديـة ويؤكدون على أن الأولى التأملية هى المرفوضة لأنها تبحث " فى أشياء لا تدخـل فى حدود التجربة الحسية كالمطلق والعدم وما إليها ، وهو ما يطلق عليه عـــادة اســـم الميتافيزيقا [2] .

ويؤكدون على أن هذه الميتافيزيقا لا قيمة لها ، لأنها لا تقـــدم جديـــداً ، ولا يمكن التأكد من صدقها أو كذبها عن طريق التجربة أو التحليل ، بل أنها تمثل عبـارة فارغة من المعنى والمضمون ، ومثلها لا يمكن قبوله ، أو التسليم به ، فضــــلاً عـــن اعتقاده ، ذلك من وجهة نظرهم .

يقول قائلهم : " العبارة الميتافيزيقية التى تخبرنا عن شئ غير محس هى عبـــارة فارغة من المعنى لسبب بسيط . وهو أنها ليست مما يجيز المنطق أن يكون كلاما علـى الاطلاق [3]" إذن أصحاب هذا القول يرفضون الميتافيزيقا التأملية الـــتى لا يمكنـــهم التثبت من صدقها أو خطئها عن طريق التحليل أو التركيب على حد زعمهم ، كما

---

(١) وذلك شأن الناقل دائما ، لا يفكر بشكل موفق وإنما يقلد الآخرين وتلك الكارثة .

(٢) الدكتور/ زكى نجيب محمود – موقف من الميتافيزيقا صـــ ٦٩ .

(٣) الدكتور / زكى نجيب – المنطق الوضعى صـــ ٨ .

فعل كل من شيليك ، وسونكا ، وكوندرسيه [١] ، وأصحاب الوضعية فى أوربـــا على وجه العموم .

وربما تكرر هذا الموقف الرافض للميتافيزيقا التأملية منـــهم حيـــث يقـــول : "المرفوض هو أن يبنى الفيلسوف بناءه الفكرى فى ذهنه ، ثم يزعم أنه تصوير لحقيقــة الكون كما هى قائمة فى الوجود الواقعى خارج ذهن الإنسان صاحب البناء نفسه .

ثم يواصل حديثه قائلاً :

فشأن الفيلسوف الميتافيزيقى وهو يقيم البناء العقلى إبراز نتائج مستمدة مـــن مبادئه نفسه شأن الرياضى حين يقيم بناءه الرياضى مستخرجاً فيـــه النتـــائج مـــن المسلمات . [٢] وسنعود لمناقشة هذه المسألة بعد عرضنا لباقى المواقف إجمالا.

أما الميتافيزيقا المقبولة عنده فهى الميتافيزيقا النقدية التى تخضع للتجربة ، ويتـــم فيها أمر التحليل والتركيب ، وتكون مفرداتها ذات قيمة ميتافيزيقية ، ويعبرون عنـــها بالميتافيزيقا النقدية ، حيث يتم فيها تحليل قضايا العلم الرياضى والطبيعى " وتلـــك هى ما أسميناها بالميتافيزيقا النقدية ، فى مقابل الميتافيزيقا التأملية ، ونحن نقـــر الأولى النقدية ونرفض الثانية التأملية [٣] .

وطبقا لهذا يكون دعاة الوضعية قد أجمعوا أمرهم على رفض الميتافيزيقا التأملية بناء على أنها لاتخضع للحس ولايمكن معها إجراء التجربة ، ولاتصلـــح للتحليـــل المنطقى كالمطلق ، والعدم وسائر الغيبيات ويدخل فيها من وجهة نظرهم العواطـــف والاعتقادات والقيم الروحية ، وتعاليم الدين [٤] ، وبئس ما صنعوا ، فهم ما قالوا إلا كفراً ، وما عبروا إلا فجراً .

---

(١) راجع – كوندرسية صـــ ٩٥ ط دار المعارف .

(٢) الدكتور زكى نجيب محمود – موقف من الميتافيزيقا صـــ هـــ

(٣) المصدر نفسه صـــ ك المقدمة الثانية ط ٢ .

(٤) وهم يستثنون شيئا منها أبدا ، طالما لاتقبل التحليل والتركيب .

اذن ارتكز رفضهم للميتافيزيقا التأملية على جوانب على :

١- المطلق وهو فى نظرهم الله جل علاه [(١)] وهم لا يستحيون لا من الله ولا مـــن خلق الله .

٢- العدم كالموت والفناء

٣- الروح، والحب ، والبغض ، والعواطف ، والانفصالات وغيرها .

٤- سائر الغيبيات التى جاء بها النقل المنزل كالبعث والحشر والخلود وما يتعلـــق بسائر السمعيات [(٢)] .

غير أننا نسأل هؤلاء المنكرين ما هو المعيار الذى وقفتم عنده فى هذا التقســيم للميتافيزيقا باعتبار التأملية والنقدية ؟ والجواب هو ما يقررونه بأنفسهم مـــن :" ان الجملة من حيث الصدق أو الكذب أنواع ثلاثة :

النوع الأول : الجملة الصادقة حتما كقولنا : الكل أكبر من أى جزء من أجزائه ، وهى جملة صادقة لأن جزئيها لا يناقض أحدهما الأخر بل يؤيده عند التحليـل لمضمون الجزء الثانى بعد أن يذكر الأول ، ومثلها أن تقول ٢ + ٢ = ٤[(٣)].

النوع الثانى : الجملة الكاذبة حتما : وهى جملة ينقض جزؤها الثانى جزأهـا الأول " كأن نقول : إن المثلث لاتحيط به ثلاثة أضلاع [(٤)] رغم أن الأضلاع الثلاثـة هى جزء ماهية المثلث : وبالتالى فهى جملة كاذبة ضرورة لأنها تخالف القواعد المعمول بها من أن المثلث هو شكل هندسى محاط بثلاثة خطـوط مسـتقيمة متقاطعة .

---

(١) راجع فكرة المطلق فى مباحث الفلسفة

(٢) راجع كتابنا : الغزاليات فى السمعيات صـــ ١٩ .

(٣) الدكتور زكى نجيب محمود - خرافة الميتافيزيقا صـــ٤، المنطق الوضعى صـــ ٧ .

(٤) موقف الميتافيزيقا صـــ٢

النوع الثالث : الجملة التي تحتمل الصدق والكذب معا ، وهي الجملة التجريبية ، فمثلا إذا قلت أن الحديد يتمدد بالحرارة فهي صادقة . أما إذا قلت أن الحديد لايتمدد بالحرارة فهي جملة كاذبة إذن صدقها أو كذبها خاضع للتجربة بعكس النوعين الأولين [1].

وبالنظر الى ما سبق ذكره من تقسيم لأنواع الجمل عندهم فإن الميتافيزيقا التأملية لاتدخل ضمن واحدة من الجمل الثلاث ولذا فهي ليست صادقة بزعم أنهم لا يتمكنون من معرفة صدقها عن طريق التجربة ولا عن طريق التحليل الى أجزاء يدعم ثانيها أولها. كما أنه لايمكننا الحكم عليها بالكذب ، اذن هذه الجملة ليست لها قيمة ـــ وليست ذات معنى بل هي – في زعمهم – عبادة فارغة تماماً [2] ثم أنهم لا يرفضولها لأنها لم تقم بإعطاء نتائج مثلاً ، وإنما باعتبار أنها هي عبارة فارغة تماما[3] عن أي معنى يمكن إدخاله فيها .

ويضرب لذلك مثالا فيقول "قولنا الخير غاية الوجود" كيف يمكن التحقق من صدق هذه الجملة مثلا ، وما الفرق بين من ينقض هذه الجملة" فيزعم أن الشر هو غاية الوجود ؟ كلا القولين سواء في عدم قابليتهما للتحقق من صدق أيهما أو كذبه"[4] وبالتالي فهم يرون هذا النوع من الميتافيزيقا يجب حذفه لما سبق ذكره .

على أنهم يؤكدون كثيرا أن القضية الميتافيزيقية – من النوع التأملي– لايمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب ، وبالتالي فهي قضية ليست منطقية في ذات الوقت أما لماذا فلأن تعريف القضية المنطقية عندهم " هو أنها ما يمكن الحكم عليه بالصدق

(١) ومدار الصدق والكذب هنا على التجربة والتحليل ليس إلا.
(٢) نحو فلسفة علمية صـــ ٤٣.
(٣) راجع المنطق الوضعي وخرافة الميتافيزيقا
(٤) خرافة الميتافيزيقا من المقدمة الثانية.

أو الكذب"[(١)] ولست أدرى ما حكم الذى لا يمكن الوصول فيه إلى حكم بالصدق أو الكذب ، أليس كان المفرض التوقف فيه ، أم تكون هناك ضرورة إصدار الأحكام برفضة .

وحيث ان الجملة الميتافيزيقية لايمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب فى نفس الوقت فهى خالية من المعنى ، وكذلك سائر جوانب هذا النوع من الميتافيزيقا التأملية.

وقد ترتب على هذا الإنكار للميتافيزيقا أن امتد الى إنكار قضايا الألوهية ، وإنكار اليوم الآخر بكل ما فيه ، ومنكر هذا كافر قطعنا ما دام قد صرح به ، لأن ذلك مما هو معلوم من الذين بالضرورة وجوده على سبيل اليقين والقطع .

والباحث يرى نفسه أمام موقف فكرى -ان صح الوصف- لكن هل له من الشبهات ما يعضده ويجعله يفوز بالنظر فيه؟ أم لا ولاشك ان محاولة التعرف على جوانبه يجب أن يحدوها الأمل ويصاحبها الرجاء فى القبول والتوفيق [(٢)] .

ذلك لأن أصحابها فيهم من الدهاء واللولبية وسرعة التهرب من المواقف ، والرغبة فى التنكر ما يجعل الأمور التى يقولون بها غامضة متقلبة .

بناء على الظرف القائم ، والاتجاه الغالب عندهم ، وينقله عنهم أشباعهم باستمرار [(٣)] .

---

(١) المصدر نفسه صـــ ى ، ك من المقدمة الثانية

(٢) راجع المنطق الوضعى وخرافة الميتافيزيقا .

(٣) أما أحدهما فهو الاستاذ الدكتور/ محمد البهى ونشر نقده فى كتابه الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالإستعمار الغربى وطبع حتى الآن إحدى عشر طبعة كانت الأولى سنة ١٩٥٧ وانتقاداته فى جملتها قوية وثانيهما هو المرحوم الأستاذ الدكتور سليمان دنيا وقد نشر نقده ، مفصلا فى كتابه التفكير الفلسفى الإسلامى سنة ١٩٦٧ ، والملاحظ ان ثلثى الكتاب فى نقد الوضعية بوجه عام ، وخرافة الميتافيزيقا بوجه خاص، وكلاهما خريج الأزهر الشريف ، وعمل فى جامعة الأزهر الشريف .

ودليل ذلك أن صاحب خرافة الميتافيزيقا بعد ان قوبل فكره الهزيل بنقد ديني قوى وبخاصة من علمين من أعلام الأزهر الشريف [1] لم يعد طباعة الكتاب فى حينه و لم يقم بالرد عليهما حفاظا على مركزه العلمى وخوفاً من أن ينكشف بين الناس أمره وكان عليه أن يرد حتى يقاوم الرأى بمثله والحجة بقرينتها أو يعتذر حتى لايتعلم تلاميذه الضلال .

والنصح أمر ضرورى بل هو واجبه وانما سكت حتى تنتهى العاصفة ويمر وقت طويل - ثلاثون سنة- ثم طبع الكتاب مرة أخرى تحت اسم آخر هو " موقف من الميتافيزيقا[2].

وأشار الى أن الكتاب انتقد و لم يتحدث عن منتقديه حتى يكون القارئ على علاقة بالرأى وعكسه . كما لم يقم بابراز هذه الانتقادات والطعن عليها ان كان بامكانه او الرد عليها وكشف وجوه الخطأ فيها ان كانت له وجهة نظر آخرى رغم ادعائه أنه يعرف مواضع بطلانها[3] حيث يقول:"

وجهت إلى الكتاب هجمات نقدية ، كنت يومئذ أدرك مواضع بطلانها [4]

كما ان هذا الموقف المتهرب له قد صاحبه عجز الدفاع عن نفسه موقف متخاذل حين حاول صاحبه معالجة موقفه فى المقدمة التى أعدها "لموقف من الميتافيزيقا وفرق بين العقيدة الدينية والبحث العلمى حيث يقول :

---

(١) الأستاذ الدكتور / محمد البهى وزير الأوقاف الأسبق والأستاذ الدكتور/ سليمان دنيا استاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر.

(٢) صدر فى ١٩٨٣

(٣) وهى دعاوى الكذبة دائما ، اذ كيف يدعى معرفة مواضع بطلانها ، ثم يعجز فى الرد عليها ، رغم أنها تصيبه فى مقتل ، وتنال منه القلب.

(٤) موقف من الميتافيزيقا صـ٧

" انني اقدم رسالة أوحى بها إلى من عند ربى لإبلغها ، وهاهنا لايكون مدار التسليم بالرسالة برهانا عقليا على صدق الفكرة ونتائجها المستدلة منها ، بل يكون مدار التسليم هو تصديق صاحب الرسالة فيما يرويه وحيا من ربه ، أى أن مدار التسليم هو الإيمان (١).

وفى تقديرى انه موقف متخاذل ، لأن صاحبه يصر على ماذكره فى صلب كتابه السابق ، و لم يغير منه حرفا ، وانما كانت هذه التفرقة فى المقدمة الثانية كنوع من ارضاء النزعة الدينية لمن لم ترقهم أفكاره دينيا ، وارضاء لاتجاه عام يعيش فيه فأبقى الأصل على ما هو عليه لإرضاء نزعته الخاصة ، وجعل المقدمة الثانية فيها بعض الإعزاز متصورا انه بهذا يحاول ارضاء أصحاب النزعة الدينية (٢) فكأنه أحد أعضاء فريق هز الوسط.

وهو ليس على صواب فى الأمرين ، لأن أصحاب النزعة الدينية لا يرضيهم حرف أو حرفان أو جملة أو جملتان يحاول صاحب الالحاد أن يغرر عليهم بها "لأن الفارق بين الإيمان والإلحاد كبير ، والمؤمن يقر بالغيب جملة وتفصيلا ، والملحد ينكر الغيب جملة وتفصيلا ،وعبارته لاتتيح تقبل أفكاره أبدا (٣)

وكيف يمكن قبول تلك الأفكار التى يزعم صاحبها أنه أوحى اليه من ربه بما يسميه تلك الرسالة فأى شخص هذا ، بل أى وحى ذلك الذى أتاه ، وزمن الوحى قد انتهى ، ومدعيه بعد الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ كاذب لأن سيدنا محمد ﷺ هو النبى الخاتم ﷺ وقد انقضت النيران به ، وانتهت الرسالات مختومة برسالته (٤)

---

(١) المصدر نفسه المقدمة الثانية صـ و.

(٢) وذلك الاتجاه قائم فى كافة الاتجاهات المادية من غير منازعة.

(٣) راجع كتابنا منهج السلف فى اثبات وجود الله تعالى صـ٦٣.

(٤) والأحاديث النبوية بعد الأيات القرآنية فى هذا الشأن كثيرة

كما أن الأمر قد يكون سهلا ، لو كان يريد صاحبه تتبـــع نفـــس فكرتـــه الإلحادية ومعالجة أوجه القصور فيها حتى يعيد الى الصواب ، وكان بامكانه ذلك فى ثلاثين سنة مرت بين الطبعة الأولى والثانية ، ولكنه لم يفعل سوى التأكيد على مـــا سلف ذكره ، مع التركيز الشديد عليه . ولست أدرى أين هو الإيمان الذى يزعمـــه أو يدعيه ، هل هو الإيمان بالميتافيزيقا النقدية على ما سلف بيانه أم غيره و لم يقل هو به .

إذن الموقف المعتمد عندنا هو صلب الكتاب الذى سبق طبعه ونشره فى حياتـه وتأكيده عليه ، وانه ينكر الميتافيزيقا التى لاتخضع للحس ولا التجربة ولا تدخـــل فى نطاق الحكم عليها بالصدق أو الكذب ومنها المطلق والعدم والخلود والروح على ما هى عبارته.

وربما تسأل ما هى علاقة الاله بالمطلق والجواب أن الفلاسفة يرون المطلق هـــو الله [1] اذن هو على طريقة الفلاسفة ملحد لأنه ينكر وجود الله تعالى ، وعلى طريقة المتكلمين كافر بالله ، لأنه أنكر الغيب ونحن نرى أن الأراء التى يزعمـــها تخـــالف النصوص الشرعية ، ومن ثم فلا تكون مقبولة عندنا. فما هى الشبهة التى اعتمـــدوا عليها؟

---

(١) راجع كتابنا : رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق صـــ٤١.

المبحث الرابع

- الشبه التى اعتمد عليها الماديون
- مناقشتها

حاول داعى الوضعية أن يقدم عددا من الشبهة فى ثانيا سطوره ، سواء كـــان ناقلا لها ، مقتبسا نصوصها ، مبينا لها ، أو متصورا منشئا ولذا سنرتب الشبه حسب ورودها عنده ، ثم نقوم بالرد عليها مع الآخذ فى الإعتبار التركيز على ردود كل من العالمين الجليلين : أ.د/ محمد البهى ، أ.د/ سليمان دنيا [1] لأنهما اللذان ردا عليـــه حسب ما وقفنا عليه- . بالشكل الكافى ، الذى اوقعه فى حيرة ، وكشف زيـــف دعواه وجعل مساعديه وأعوانه يولون مدبرين. فلم تقم لهم قائمة فى ذلك الوقـــت أبدا ، وان كانت معالم المادية بدأت فى التحرك الآن يدا بـــدى ربائبـــهم الذيـــن أرضعوهم البان الشيطان.

عرض الشبهة الأولى : لاوجود إلا للمحسوس :

يقول :" ان الذى نتصدى لانكاره فى هذا الكتاب[2] انكارا قاطعـــا ، هـــو امكان التحدث عن أشياء غير محسة ، وهو موضوع الميتافيزيقـــا بـــالمعنى الـــذى نرفضه"[3] وكثيرا ما يتكرر منه هذا الكلام لا فى الإيمان به فقط ، ولا التحدث عـــن وجوده أيضا وانما عن رفضه جملة وتفضيلا والكفر به ، بل والدعوى إلى مناهضـــة المؤمنين به ، المتمسكين بما فيه.

فنراه يقول :" الميتافيزيقا بالمعنى المرفوض ، هى تلك المحاولات التى يحاول بهـــا أصحابها أن ينبئوا بأحكام ايجابية عن أشياء غير محسوسة [4] اذن هو يرفضها إيمانـــا وعقيدة ويرفضها معرفة كما يرفضها تشريعا وأخلاقا انه لايتسع صدره لمجرد التلفظ بها.

---

(١) وهما من علماء الأزهر الشريف وأساتذة الجامعات ولهما فى هذا الميدان مجهودات كبير.

(٢) خرافة الميتافيزيقا

(٣) الدكتور/ زكى نجيب محمود - موقف من الميتافيزيقا صــــ٣٦.

(٤) خرافة الميتافيزيقا صـــ٤٥

وربما يتصور أتباع المادية الوضعية أن صاحبهم لم يؤكد على رفض فكره وجود الله ، وأنه انما يبحث فى الميتافيزيقا العملية تاركا التأملية لأصحاها[1] ولكنه ههنا يكرر ما سبق القول به ويؤكد ما هو كامن فى اعماقه حين يحدد المرفوض عنده ، وانه :" موضوع البحث الميتافيزيقى بصفة خاصة وأعنى بها:

١- الله

٢- الروح

٣- الخلود

وهل يجوز القول فيها أو لايجوز ..

ثم يذكر رأى Cant فيها حيث يقول :" إن الحديث فى الموضوعات الميتافيزيقية بهذا المعنى الخاص ، وهى الله والروح والخلود ممكن ، لكن امكانه لايكون عن طريق العقل النظرى ، لأن هذا العقل النظرى له حدود لايستطيع مجاوزتها بغير أن يطوح بنفسه فى الظلام والمتناقضات [2].

وهنا لاتختلف الوضعية المنطقية عن رأى كانت Cant ، لأنه فى رأى المذهب الوضعى المنطقى أن الحديث فى هذه الامور وأمثالها غير مشروع بتاتا ، مادمنا نريد بالحديث أن يكون منطقيا .

والوضعية المنطقية ترفض فكره التسليم بوجود الله ، والروح والخلود ، على أساس أن عبارتها ليست من الكلام المفهوم عند المنطق ومعاييره .. كما أنها لاتخضع لأى منهج تجريبى تحليلى أبدا .

---

(١) الفرق بين النقدية والتأملية كبير جدا ، وكذلك الفرق بين العملية والفكرية ، راجع التفكير الفلسفى الإسلامى للدكتور سليمان دنيا.

(٢) راجع كتابنا خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة صـ٥٩

وأصحاب المذهب الوضعي ينون استحالة الميتافيزيقا على أساس أن أقوالهـــا فارغة من المعنى باعتبار ما يذهبون اليه أو تمسكون به وهذا فى حد ذاتـــه مخـــالف لبدهيات العقول ، ونحن نرفض اراءهم [1] .

اذن القضية الأساسية عندهم هى انكار كافة الأمور الغيبية لأنها تقـــع تحـــت الحس ولايمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب بمقياس العـــالم المشـــاهد بـــالعلم التجريبى كضرورة منطقية ومن هذه الأمور – على حد قوله- الله والروح والخلـــود وهى جوهر الغيب التى يفرق بين المؤمن والكافر بها .

علما بأنه يعرف "الميتافيزيقا بأنها البحث فى أشياء لاتقع تحت الحس ، لافعـــلا ولا امكانا لأنها أشياء بحكم تعريفها لايمكن أن تدرك بحاسة من الحواس[2] واذا كـــان ذلك رأيه ، وأنها لاتدرك بالحس ، فلماذا تراجع عن هذا الرأى لمجرد أن التسليم بـــه ينتهى الى الاعتراف بوجود الله ، أليس هذا الأمر منه تقريب.

مناقشة الشبهة الأولى :[3]

هذه الشبهة لاقدم لها ولاساق ، وانما هى نبت شيطان لأنها تقوم على انكـــار غير المحسوس ، وتدعى أنها فلسفة التحليل العلمى ، وعلى لغة العالم تحـــاور فـــهل يمكنها اختبار الكهرباء والجاذبية المغناطيسية والرؤى والأحلام ووضعـــها فى مختـــبر لينتج قضية منطقية قابلة للتحليل أو التجربة؟[4] أو يمكن التأكد من صدقها أو كذبها بناء على ماسلف.

---

(١) موقف من الميتافيزيقا صـــ٥٢

(٢) الدكتور/زكى نجيب محمود – خرافة الميتافيزيقا صـــ١١

(٣) هذه الردود بايجاز شديد حسب الظروف الطارئة.

(٤) مع أنها مدركة بأثارها وفوائدها العلمية لكنها فى ذاتها لاتصلح لاختبارها معمليـــا مـــن هـــذه الناحية.

انهم يؤمنون بها من الناحية النظرية والعملية ومع هذا فهى ليست محسوسة فحتى اليوم يجهل العلم حقيقة الجاذبية كما أن العقل والروح التى ينكرها هؤلاء كقضايا ميتافيزيقية أليست هى سر الحياة فى الكائن الذى يحتاج اليها وموجودة بأثارها ، كما ان انكاره لها ليس سوى مجرد فرض جدلى يعوزه أى سند.

فإذا ردد مقولة أن الروح هى الجسد وحده ، أو أن الجسد هو الروح ، كما نقل الإمام الأشعرى عن الأصم وأنه كان يقول:" النفس هى هذا البدن بعينه لاغير ، وانما هذا الذكر على جهة البيان والتأكيد لحقيقة الشئ لاعلى أنها مغاير للبدن[1] كاشارة مميزة له. وما نقله الأشعرى حكاية غير مقبولة وقد رفضها الأشعرى نفسه ، وعلق عليها.

ونحن نقول ان هناك فوارق بين الروح والجسم لأن الجسم مادى ، والماديات يتوقف عملها عند اعتراض مادى آخر يكون أكثر منها صلابة ، وأقوى فاعلية كالسكين واللحم ، فان اللحم جسم مادى والسكين كذلك جسم مادى لكن السكين أقوى وأكثر صلابة من اللحم ولذلك فإنها تقطع اللحم حتما ، أما الروح فإنها تعمل ولاتعترضها ماديات[2] وذلك يميزها عن الجسم فعلا يقول الأستاذ فريد وجدى.

الذى شأنه ان ينصرف من شئ إلى شئ فيقف على أمر دون آخر ، لا يعقل ان يكون ماديا محضا لأنا قد عهدنا الألات المادية لاتنصرف إلى شئ دون شئ الا اذا حال بينهما حائل مادى ، فالمرآة لايعقل أن تنصرف إلى رسم شخص دون شخص مادام ليس بين أحدهما وبينها حجاب كثيف"[3].

---

(١) الإمام الأشعرى - مقالات الإسلامين جـ٢ صـ٢٧.

(٢) لأن قانون الأقوى أثبت كفاءة الحديد وغلبته للحم وكل ما كان من هذا القبيل فالحكم فيها واحد

(٣) الاستاذ/ محمد فريد وجدى - دائرة معارف القرن العشرين جـ٤ صـ٢٣٢

اذن الروح غير الجسم حتما فيلزمه الاعتقاد بوجود ما هو غير محسوس . ومنه الروح والخلود ، والغيب الذى لايعرفه الا الله ،والعقل الصحيح يشهد به كمـــا ان الفطرة السليمة لاتخرج عنه أو تنكره.

أما حكاه الإمام الأشعرى فكان نقلا له عن أصحابه ونسبة الفكرة إلى القائلين بها وهو ليس برأى الأشعرى واذا ردد المادى مقولة ان الروح هى الدم الصـــاف فى الانسان وان الحياة تقوى باعتداله وتفنى بفنائه. لأن الجسم حينما يموت لم يفقـد إلا الدم وبالتالى تكون الروح هى الدم[1] فذلك أمر مردود ، وتفكير غير مستقيم.

وفى نفس الوقت فانا نقول : ان هذه الفكرة لاترقى إلى محل النظر فيـــها لأن العلم قرر ان خلايا الدم فى الإنسان تتجدد كل خمسين يومـــا تقريبـــا وان نســبة الهيموجلوبين فى الدم تقل وتعتدل طبقا لنظام الغذاء فى الانسان وظروفه الصحيــــة ونوع الأدوية التى يتناولها[2] وبالتالى أمكن افراغ الدم من مرضى الفشل الكلــــوى وادخال دم آخر اليهم عن طريق الغسيل الدموى و لم يمت أحدهم بذلـــك التغيـــير فثبت ان الدم ليس هو الحياة وحده.

كما أن أصحاب مرض سرطان الدم يجدد لهم الدم باستمرار مـــتى سمحـــت الظروف ، كذلك أصحاب الجراحات الكبيرة فى القلب والطحال والكبد وغيرهـــا ممن ينقل اليهم الدم ، كل هؤلاء تظل أرواحهم فيهم ، ومعلوماتهم كما هى ، بل ان رغبتهم فى الحياة تزداد مع انه قد تكون كمية الدم عندهم فى انخفاض مســتمر ، أو تغير غير مقبول.

---

(١) شرح المواقف جـ٧ صـ٢٥٠

(٢) حيث ثبت ان كبسولات الفيرازول مع حقن الأنترفيرون التى يتناولها مريض الكبد الفيروســى تؤثر جدا على صفائح الدم ، ونسبة الهيموجلوبين راجع القاموس الطبى قسم الفيروسات.

اذن الروح غير الجسم ويلزمه الايمان بوجودها غير محسوسة . كما أن الـــدم يؤخذ من انسان فيعطى لأخر ، فهل معناه أن جزء روح الأول حلت فى الغير أيـــا كان ذلك الغير [1]

أما إذا كان بامكانه ترديد مقولة : إن الروح ما هـــى إلا النســيم الداخــل والخارج من الهواء إلى جسم الانسان [2] فلا شك أن هذه محاولة غير موفقة وكذلك القول بأن الروح هى النسيم لايخرج عن احتمال واحد باطل هو ان يكون النســيم هو الهواء الذى تتم به عملية التنفس من شهيق وزفير ، وهو حركة داخــل الرئــة فى الجسم وبالتالى فلا يقع الموت أصلا .

لأن الأوكسجين موجود بكثرة فى الهواء بحيث يزيد عن حاجـــات النـــاس ، ويستنشقه الانسان والحيوان والنبات اذ الهواء اما أوكسجين أو ثانى أكسيد الكربون والأول يستفيد منه الانسان والحيوان ، والثانى يستفيده النبات .

ثم ان عمليتى الشهيق والزفير تمثلان للهواء داخل الانسان الجذب والطـــرد ، والجذب والطرد كلاهما غير خاضع فى مفهومه لقواعد المادى المنطقية من قابليتـــه للتحليل والتركيب [3] رغم وجود العمليتين معـــا وهـــو الاحتمـــال الأول مـــن الإحتمالات الواردة.

الاحتمال الثانى : ان تكون عملية التنفس عرضا للجسم الانسانى :

والمعروف ان العرض لايفارق جوهره ، بل ان الجوهر لايخلو من عرض يصفه ويقوم به وطبقا لهذا فان الانسان لايموت مادامت الروح هـــى النســـبة الداخلـــة

---

(١) هذا الذى يميل اليه دعاة التناسخ الروحى ، وهم لاقيمة لهم ولاوزن لأفكارهم.

(٢) شرح المواقف جـ٧ صـ٢٥٠

(٣) الدكتور - جونز - الجديد فى طب النفس صـ١١٤ ترجمة د/ منى فارس

والخارجة من الانسان ، غير ان الانسان يموت فعلا ، وهو ما نشاهده فى كل حين ، اذن الروح غير الجسد أصلا والتغاير بينهما من الثوابت التى لايمكن انكارها.

كما ان الجسد محسوس والروح غير محسوسة لكنها موجودة ، وعليه فـــهو مضطر لإعلان التسليم بأن هناك موجودات غير محسوسة ولاحيلة له فى اســتمرار الانكار الا أن يكون الكفر هو الاعتقاد فى أعماقه ، وأن تكون عصــارات الفكــر المادى قد تشبع بها من كل أعماقه.

كذلك الوجدان والفكر والعقل فانها كلها موجودات غير محسوسة ، فإذا ردد مقوله : ان الفكر ليس الا وظيفة عضوية للمخ لإنتاج الأفكار ، كمــا أن وظيفــة المعدة هضم الطعام ، ووظيفة الكبد افراز الصفراء ، وكيفية احداث المخ للأفكار هو أن التأثيرات تتوارد إلى المخ فتدخله فى العمل ، كما تنــزل الأغذيــة إلى المعــدة فتهيجها إلى زيادة افراز العصارة المعدية [(١)]

لأنا نقول لهم ما معنى ان التأثيرات تتوارد إلى المخ؟ كما أن عملية انتاج الأفكار هذه كلها أمور معنوية لاسبيل إلى ضبطها من خلال ميزان ثابت وكل من ادعى غــير ذلك كذبته النتائج التى زعم وصوله اليها ، كما هو الحال عند الوضعية المنطقية .

أضف الى ما سبق أن المخ جهاز عصبى به العديد من الأنسجة العصبية حيــث وصل تعداد خلاياه إلى ٩٦ ألف مليون خليــة أو ٩٨ أو عشــرات الألاف مــن الملايين[(٢)] وليس من بينها خلية واحدة تسمى خلية تدار بالتأثيرات أو خلية انتــاج الأفكار كما يدعى اصحاب الفكر المادى .

---

(١) أ ، ب - شيليك - الوضعية فى مفهومى صــ١٣٧ ترجمة د/ناهد مصطفى

(٢) دائرة معارف القرن العشرين جــ٤ صــ٣٣٠ وهذه الأرقام تقريبية وليست على سبيل الحصر الدقيق والا ما وقع ذلك التفاوت .

فضلا عن أن يكون فيه أمر آخر هو انتاج الفكر مثـــلا ، كمـــا ان علمـــاء التشريح [1] لم يخبروا- وهم أصحاب الفن فيه- إن بالمخ خلية يمكن تسميتها بخليـــة توارد الأفكار أو خلافه من تداعى الخواطر ، إلى توالى المشاعر وتكرار العواطـــف ، وكلها موجودة فى الأفهام ويتم التعامل بها وأصحابها لايمكنهم انكارها فثبت وجود غير المحسوس فى المخ أيضا.

كما أن هذا القول بالغاء الميتافيزيقا التأملية يعتبر ترديدا لما سبق فى الفلســـفة المادية والماركسية على السواء وهى مهجورة عند أصحابها ، ومتروكـــة فى نظـــر القائمين عليها ، فهل يتمسك بها من يدعيها.

فيذكر الدكتور أبوربان أن هوبز الفيلسوف الانجليزى يرى أن الوجود لايمكن تفسيره [2] على وجه مقبول ، تعضده الحقيقة المنطقية إلا بالمادة وحدهـــا ، حـــتى العمليات الذهنية العقلية والوجدانية من الحب والبغض فهى كذلك من نفس النـــوع أما لماذا؟

فلأن المعرفة مصدرها الاحساس الذى هو عملية مخية تبدأ بمؤثر خارجى يضغـط على الجسم الانسانى . أما الانفعالات فهى كلها حركات جسمية ، وكذلك التخيـــل فان اساسه احساس متقادم ، والذاكرة ماهى إلا مجموعة احساسات قديمة ذابلة ، وأمـا تداعى المعانى فهو يرجع إلى حركات فى المخ الانسانى ، تؤدى على نحو معين[3].

اذا فما تزعمه الوضعية انما يمثل ترديدا لما ذكره الماديون فى انجلترا ومن ســـار معهم سيرتهم من أمثال هوبز وهيوم ولوك وغيرهم من الفلاسفة الماديين الذين كانت

---

(١) لعلماء التشريح رأى مهم يمكن الرجوع اليه فى مصادره عندهم.

(٢) فيلسوف انجليزى عاش فيما بين الفترة ١٥٨٨ - ١٦٧٩م.

(٣) الدكتور محمد على أبوريان الفلسفة ومباحثها صـــ١٧٥.

لهم خصومات مع الكنيسة وأرادوا الثأر لأنفسهم من خلال الأبحاث التى زعموهـــا علمية وما هى الاخيالات وأوهام متى تعلقت بالقضايا الإيمانية.

وكذلك الماركسية التى تفسر الوجود كله بالمادة وحدها ، بل ويرى دعاها أن الوجود نفسه مظهر من مظاهر المادة ، وأن المادة فى أشـــكالها المتعـــددة فيزيائيـــة وكيميائية ، وبيولوجية واجتماعية ما هى إلا صور متعددة لأصل واحد هو المـــادة التى تتخذ أشكالا متعددة[1] منها.

١- فيزيائية وكيميائية كذرات الماء وجزئياتها.

٢- بيولوجية كخرات الأجسام البروتينية.

٣- اجتماعية كالصراع بين طبقات فى المجتمع الواحد.

غير انى أركز على أن الاتجاه المادى غير مقبول على لغة الماديين أنفسهم ، بـــل انه قول لامعنى له نفسه ولاغاية من ورائه الا الإنكار لأمور الغيب التى جـــاء بهـــا الشرع الشريف ، ولا مناص للعقل الا التسليم بها ، ولاحيلة للملحد الا الاقرار بأنها موجودة[2].

أما انكار الغيبيات فبجانب أنه سذاجة فكرية فهو محاولة غير موفقة لاجـهاض الفكر الانسانى نفسه ، وذبيحة بيد أصحابه على انحاء شتى فالطب النفسى صـــــار عَلَما على رجاله الذين لهم دراساتهم وابحاثهم فيه والطب البدنى له رجاله ، بـــل ان الطب النفسى علاجا ووقاية يتبعه طب روحانى وهو يقوم على معالجة مرضاه بكثير من الفنون وأنواع الموسيقى [3] التى أتقن أغلبها الغرب فيما بعـــد مـــن مفكـــرى

---

(١) أ. ب شتاينبك – العقل فى حماية المادة صـــ١٢٩ ترجمة أ. يوسف صفوت.

(٢) ومنكر هذه الأمور غير طبيعى لأنه ينكر البدهيات ومثله لايستمع أحد اليه.

(٣) راجع دور الطب الروحانى فى علاج الأمراض العصبية صـــ٣٩٥.

المسلمين فى الفترة التى مضت [1].أيام كانت شمس الاشراق تطل عليهم من كـــل ناحية.

وقد سبق الجميع ديننا الحنيف فكان رسول الله ﷺ اذا حزبه أمر قال أرحنا بها يابلال فينادى للصلاة " من ذلك ما قاله ﷺ لسيدنا سعد " اذا أويت إلى فراشـــك فقل : باسم الله اللهم رب السماوات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين وما أقلت ورب الشياطين وما أضلت كن لى جارا من شرار خلقك أجمعين من أن يفرط على أحد منهم أو ان يطغى عز جارك ، وجل ثناؤك ، وتبارك أسمك ، ولا إله إلا نـــت وحدك لاشريك لك [2].

وأكثر من هذا فإن المرء لايعرف ما يخبئه له الغيب ، ومن ثم يقـــع فى الـــتردد وتلفه الحيرة ، ولامناص الا ان يتجه إلى رأى سديد أو مشورة صائبة لانجدها فى أى فن من الفنون ، أو علم من العلوم أو دين من الأديان التى يزعم أصحابها وجودها .

وحينئذ يتلفت فى كل اتجاه سائلا ما الحل ، وحتما يرى الجـــواب قائمـــا فى نصوص الاسلام دين الله الخالد . أما لماذا؟

فلأن الدين الحنيف واضح حيث علمنا رسولنا ﷺ الاستخارة . وقال ليســـأل أحدكم ربه حتى فى شسع نعله [3] وحديث الاستخارة معروف اذن ثبت ضـــرورة الايمان بوجود ما هو غير محسوس ، وإلا وقعوا فى تناقض لايمكن رفعه ، والمعـــروف أن انكار البديهيات يحكم على العقل بالإلغاء وعلى صاحبه بالإهمال.

---

(١) وقد نبهت اليه فى كتابنا قضايا حثيثة فى الفلسفة الحديثة صــ٢٥

(٢) الدكتور / محد سيد طنطاوى - الدعاء فى القران والسنة صــ١٣٩.

(٣) كتاب الأذكار باب الاستخارة

فمثلا هل يقبل دعاة المذهب المادى أن يكونوا ومنازلهم كلها شيئا واحدا ، أم هل يقبلون أن يكونوا والحيونات التى يعيشون عليها أو تعيش لهم صورة واحـــدة ، هل يعقل أن يتحولوا من سادة إلى مسودين ومن راكبين إلى مركوبين[1] ومن بشـــر الى جماد غير مستبين.

هل يتوقعون ان تفرح المادة لهم مرة فإذا هم بشر منتشرون ، أو تغضب أخرى فإذا هم قطارات وسيارات ، ومبان وجراحات تهدم وتبنى ، انهم لايقرون بهـــذا وان أقروا به ، ونسبوه لأنفسهم فليسوا من طائفة العقلاء الذين لسنا بحاجة الى مناقشتهم أو التعامل معهم.

ونحن لانخاطب البله ولانعاقب المجانين على أن ديكارت أثبت الشك المطلـق ، وأثبت أن وجود النفس حقيقة ثابتة . وكلها أمور غير محسوسة وكذلـــك أثبـــت وجود الله وكلها أمور ميتافيزيقية[2] بل انه أثبت صفاته تعالى عندهم ، أو هـــو الله تعالى على مفهومهم و لم ينكر وجود غير الماديات على النحو الذى تردده الوضعيــة المنطقية والمادية الجدلية.

عرض الشبهة الثانية : أن ما لايخضع للتجربة لايمكن قبوله

يقرر أصحاب المذهب المادى ، أن أى فكرة ، تحاول التعرف عليها لابد لهـــا من منهج تقوم عليه ، فإذا لم توجد تلك المناهج ، فإن الأساس الذى قامت عليـــه يعتبر أيضا لاقيمة له . ومعناه أن أية فكرة لاتخضع للتجربة لايمكن قبولها[3]

فيقول :" العبارة الميتافيزيقية هى قضية لاتجريبية ذات منطق أو منهج تجريـــى[4] ويؤكد أوزفولد كولبه هذه الفكرة فيقول : أهم ما يمتاز به المذهب الوضعى رفضـه

---

(١) وهذا الإستنتاج هوالنتيجة الحتمية لكل أرائهم

(٢) راجع كتابنا خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة صـــ٢٩١

(٣) لأن العبرة لقبول الفكرة عندهم هى قابليتها للتجربة والتحليل .

(٤) الدكتور/ زكى نجيب محمود – موقف من الميتافيزيقيا صـــ٩٧.

الميتافيزيقا – ما بعد الطبيعة بحذافيرهاواعتبار التجربة أصل وأساس كل معرفة[1] وأيا كانت المعرفة ، فهى لاتخرج عن ذلك المنهج ن وهو قبولها للتجربة.

بل ان داعيتهم ينظر للنفس الانسانية بهذ المنظار ، فما دامت لاتدخل النفـــس تحت التجربة فلا يمكن قبول أو الحديث عنها يقول : النفس اذا لم أخبرها بـــالحواس فلا سبيل إلى علمى بها وبالتالى فكل حديث عنها هراء [2] لأنه لا معنى لها يمكـــن أن يقدم معرفة جديدة ، كما أن الميتافيزيقا – من وجهة نظرهم- لاتعبر عن تحصيـــل حاصل ، ولاعن حقيقة ، ولا عن فرض تحققه التجربة ، أو يتم التأكد منه عن طريق التحليل المنطقى[3]

ولما كانت تحصيلات الحاصل ، والفروض التجريبية تفيد كافة القضايـــا ذات المعنى[4] فالهم يرون ضرورة حذف الميتافزيقا من دائرة الإيمان والتفكير لأنها أشـــياء لاتقع لهم فى الخبرة الحسية ، مثل الشئ فى ذاته والمطلق والعدم ، والقيم التى نتمسك بها نحن بها ، ونحافظ عليها[5]

ويتكرر منه هذا كثيرا أثناء حديثه عن الميتافيزيقا المرفوضة – من وجهة نظـــره – بزعم أنه تبحث "أشياء لاتدخل فى حدود التجربة الحسية ، كالمطلق والعدم وما اليهما ، وهو ما يطلق عليه عادة اسم الميتافيزيقا وينتهى إلى القول بـــأن فلســـفتنا التحليلية تقضى على الميتافيزيقا بالحذف[6] وهو الذى اليه يهدفون.

---

(١) أوزفولد كولبه – المدخل إلى الفلسفة ترجمة الدكتور أبوالعلا عفيفى صـــ٣١

(٢) الدكتور/ زكى نجيب محمود – نحو فلسفة علمية صـــ٣٢

(٣) والملاحظ أن تركيزهم دائما على رفض الميتافيزيقا التأملية التى تتعلـــق بـــذات الله وصفاتـــه وأفعاله

(٤) الدكتور / عزمى محمد اسلام لدفيج فتجنشتين صـــ٣٦٠

(٥) موقف الميتافيزيقا صـــ٢٢.

(٦) المصدر نفسه صـــ٦٩

ويعقب أستاذنا الدكتور سليمان دنيا على هذه الشبهة قائلا :" ان المشـــاكل التى لاتخضع لمنهج البحث التجريبى لابد لمن ينكرها أن يدرسها أولا حتى يصدر رأيه فيها عن بينه ، أما اهدار حقها فى الدراسة والبحث بحجة أنها لاتخضع لمنهج البحـث التجريبى ، فهو تهرب من مواجهة الحقائق ، اذ لكل مشكلة منهج مـــن البحـــث يناسبها[1] فإذا تم التعامل مع تلك المشكلة من غير ذلك المنهج جاءت النتائج ســلبية وغير مطلوبة.

كما يقول :" المشكلات الميتافيزيقية تدخل فى صميم الوجود الانسانى وانـــه لاغنى للإنسان عن أن يدرسها ويمحصها ، وأن الدعوة إلى أهمالها بحجة أننا عاجزون عن ادراكها دعوة خبيثة ماكرة يقصد بها التمرد على القيم الروحية والمعنوية بطريـق مستور[2]

وهو استنتاج طيب ، ونحن نرى أن شيخنا قد لمس الحقيقة ، أصاب كبدهـا ، وبين ان اتجاهات أصحاب الفكر المادى ساقطة ، ولاتقوم على اساس مقبول.

مناقشة على الشبهة الثانية :

على أنا نقول ان العلماء قد خصوا ما يخضع لتجربة المعمل بالعلوم الطبيعيـــة وهو لون معرفى ، أما التجربة الحسية التى تقع تحت حس الإنسان نفسه كما يدعـى صاحبهم فلا أظنها واحدة ، وانما هى متعددة ، فإذا كان الحاكم عليها هو المنطـق كما يدعون فأى منطق ذلك الذى يريده داعيها حتى تحكم معهم اليه .

يقول أستاذنا الدكتور محمد البهى:" أى منطق له هذه الوظيفة؟ تراه منطـــق الإنسان عامة ؟ وهناك أنواع متعددة من المنطق منها.

---

(١) الدكتور/ سليمان دنيا – التفكير الفلسفى الإسلامى صـ٣٢.

(٢) الأستاذ الدكتور/ سليمان دنيا – التفكير الفلسفى الإسلامى ٣٢.

١- منطق الرياضة

٢- منطقة الصور والقياس

٣- منطق الفلسفة الوضعية

ونحن بدورنا نسأله ما الوجود؟ من أين ابتدأ ؟ الى أين ينتهى؟ ما منشأوه ، ما مصيره ، ما الغاية منه؟ اننا نريد حل هذه المشكلات عن طريق مأمونة من الخطـــأ فهل نجد ذلك فى المذهب المادى [1] الذى يزعم أصحابه قدرته على حل المشكلات، على أن الوضعية المنطقية كثيرا ما تستخدم لفظ الوجود وكائنات الوجود ، والمبادئ والمقدمات ، والاستنباط مع ان هذه المفردات لها معان محددة ومعانيها مقصـــودة فى اللغة والاستعمال ولاشك أن المعانى لاتدخل تحت التجربة الحسية[2] .

كما لايمكن اخضاعها للتحليل أو التركيب ومع هذا يقولون: " نرفض الميتافيزيقا لصعوبة حلها ، بل لأنها زائفة [3] اذن هم ينكرون كل هذه القضايا الميتافيزيقيـــة وفى ذات الوقت يستعملونها ، وهو التناقض بعينه الذى يرفضه العقل السليم.

ثم أين هى الحلول التى قدمتها الوضعية المنطقية كبديل للميتافيزيقا التأملية الـتى يرفضونها أنهم لم تقدموا الا التنكر للقيم الروحية والمعانى النبيلة ، وقبل ذلك كله فان الوضعية لاتقدم سوى الكفر بالله وانكار اليوم الآخر .

وقد جاء صاحبهم بكتابة "خرافة الميتافيزيقا لينتهى الى انكار ما هو معلوم مـن الدين بالضرورة فى عبارة صريحة لاتحتمل لونا من التأويل وقد سبق نقلها عنه مرارا ، فلا داعى لإعادة تكره لنفس ذكره.

(١) الاستاذ الدكتور/ محمد البهى - الجانب الإلهى صـــ٤١٧.

(٢) والإ فما هى الطريقة التى يمكنهم التأكد بها من وجود تلك المعانى مثلا.

(٣) الدكتور/ زكى نجيب محمود - نحو فلسفة علمية صـــ١٧ القاهرة عام ١٩٥٨

يقول الدكتور محمد البهى :" ان منطق الكتاب هو التعمية وعـــدم التفرقــة ومحاولة الخلط فى العديد من المسائل التى يجب الفصل فيها ، واصدار الفوارق بينها ، الا أنهم عمدوا الى الخلط فى الجوانب الآتية:

أولا : خلطوا بين عبارات الأنواع والأجناس من جانب ، وعبـــارات الأعــلام الشخصية والأفراد من جانب آخر وذلك يوحى بأن الأمرين واحد وليـــس الأمر كذلك.

ثانيا : الخلط بين الحقائق الدينية والحقائق الميتافيزيقية .وهكذا يكـــون لفــظ الله عندهم فارغ ، ولامدلول له وهو خرافة[1] عندهم .

وقد تندر قائلهم بكانت Cant حينما اســتبعد البحــث فى المســائل الدينيــة لاستعصائها على العقل النظرى ورأى هو أنه يجب استبعادها لأنها فارغة مــن المعنى ، ولا قيمة لها منطقياً وقد خشى عمانويل كانت خشيته على نفسه مـن البحث فيها لأنها عصية عليه .

أما الثانى – صاحب خرافة الميتافيزيقا فلا يبحث فيها لأنها من وجــه نظــرة الأعمى وعقله الأحمق فارغة عن المعنى ولا قيمة لها ، كما لا يمكن التصديق بها عــن طريق التجربة والتحليل المنطقى التجريبى حسب مزاعمه الكاذبة.

وعباراته تشهد عليه بأنه لا يؤمن بالغيب وأثر الإلحاد يخطو معه سنى عمره فلا هو رجع عنه ولا هو توقف عن السير فى نفس الطريق الذى ابتدأه واستمر السير فيه فترات طويلة ، دون انقطاع أو مراجعة لما سلف القول به .

والدليل أنه نشر كتابه نحو فلسفة علمية حاملاً نفس الفــيروس – أن صــح التعبير – وكذلك المنطق الوضعى الذى يقرر فيه حبه المطلق للوضعية وإيمانه بــالعلم

(١) الدكتور/ محمد البهى – الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالإستعمار الغربى صــ٢٤٣.

الذى يتمشى مع اتجاهه وتفكيره وإهمال كل ما سواه ولو كان ذلك من أمور الغيب حيث يقول :

" أنا مؤمن بالعلم ، كافر بهذا اللغو الذى لا يجدى على أصحابه ، ولا علـــى الناس شيئاً [1] حتى صارت الميتافيزيقا التأملية عنده هى الغيب بذاته ، وبئس ما قـــال كما يقول : " لغة العلم تحكم بعدم وجود شئ ميتافيزيقى [2] " وهو فى كل ما قال مردد فكر غيره وفى نفس الوقت فهو غير أمين وإليك أقدم هذين النصين حتى تحكم عليه من خلالهما :

الأول : قول شيليك : " ان الميتافيزيقا مستحيلة لتناقض أهدافها ، ولأنها أقـــوال فارغة من المعنى [3]

الثانى : قول أير : " العبارة الميتافيزيقية هـــى قضيـــة لا تجريبيـــة ذات مضمـــون وجودى [4] وبالمقارنة بين هذين النقلين وما ذكره هو فى أول الشبهة الثانيـــة يرى القارئ صدق دعوانا وأنه كان بوقا غير صادق إذ نسب لنفســـه هـــو سلبيات غيره وراح يدافع عنها ، كأنها له ، وذلك من الأدلة علـــى التبعيـــة المطلقة ، والتقليد الأعمى للغرب الملحد بغض النظر عن النتائج .

يقول الدكتور البهى : " وكتاب خرافة الميتافيزيقيا فى الجـــانبين : النظـــرى والعلمى يتشبث بدعوى الاسمية ، والوضعية ولكن بالصورة التى عرض هـــو بهـــا

---

(١) د/ زكى نجيب محمود–المنطق الوضعى المقدمة صـــ ى ج١ القاهرة ص١١ سنة ١٩٥١ .

(٢) الدكتور/ زكى نجيب محمود – نحو فلسفة علمية صـــ ٧٢ .

(٣) الدكتور / عزمى إسلام – لدفيج فتجنشتين صـــ ٣٥٩ – ٣٦٠ ط دار المعارف سلسلة نوابـــغ الفكر الغربى صـــ ١٩ .

(٤) المصدر نفسه صـــ ٣٦٠ .

أراءهم ، وليس بالصورة التى أفرغوها هم فى تاريخ مذهبهم والفرق كبير جـــدا.[1] ولو حدث لتغيرت أمور كثيرة .

إذن مسألة الخلود غير مقبولة عنده على مقياس - صاحب خرافة الميتافيزيقـــا لأنها أمر غير وارد عنده ولا يمكن التحقق منه منطقياً ، بل أن أمر البعث لا يقبـــــل النطق به لأنه لا يستوعبه بل ولا يؤمن به ، وهو ذاته الكفر بكل شئ غير مـــادى ، وفى تقديرى أن هذا المذهب لا يصلح للتعامل به فكرياً لتهافته وكثرة أخطائه التى لا يجدى معها ترميم .

ثم ان دعاته ما أنكروا الميتافيزيقا إلا لأنهم غير مؤهلين لها ولأنها تولى القيـــــم الروحية والمعنوية عناية كبيرة وتعتبرها عنصراً أساسياً لإقامة مجتمع سليم يرفرف عليه الإخاء والمحبة والتراحم والمودة والإيثار والتضحية [2] وأصحاب الوضعية المنطقيـة لا يعرفون شيئاً من ذلك ، ولا يقرونه بل ينكرونه ويرفضونه ، ومعهم الوضعية الطبيعية أيضاً . وهو كله من الآثار السلبية للفكر المادى ، وأخطاره المدمـــرة للإنســـانية ، والدين والقيم والأخلاق .

عرض الشبهة الثالثة : أن فلسفة التحليل المنطقى تغنى عن الميتافيزيقا :

يقول داعيهم : "دعوانا فى هذا الكتاب هى أن الفلسفة ينبغى أن تكون تحليلاً صرفاً ، تحليلاً لقضايا العلوم بصفة خاصة " [3] والمقصود بالتحليل الصـــرف هـــو "تحليل العبارات والألفاظ التى نستخدمها فى لغتنا ، ونصـــوغ فيـــها المشـــكلات الفلسفية ، وقضايا العلوم [4] التى نحن بصدد الحديث عنها ، أو نهتم بتناولها.

---

(١) الدكتور/ محمد البهى - الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى صـــ ٢٤٥ .

(٢) الدكتور/ سليمان دنيا - التفكير الفلسفى الإسلامى صـــ ٣٠ .

(٣) الدكتور/ زكى نجيب محمود - نحو فلسفة علمية صـــ ١٦ .

(٤) الدكتور/ عزمى إسلام - لدفيج فتجنشتين صـــ ٣٦ .

بحيث تحذف العبارات الفارغة عن المعنى ، التى لا يمكن الحكم عليـــها بأنهـــا صادقة أو كاذبة ، وتستبعد تلك التى لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكـــذب ، وبالتالى تحل فكرة التحليل المنطقى محل التفكير الميتافيزيقى ، لأنها البديل الـــذى لا يمكن أن يحل غيره محله ونكون حينئذ قد فرغنا من الإحساس بالحاجة الى الميتافيزيقا.

وربما يظن أن المراد بالتحليل عندهم هو ما يعنى به أهل اللغة فيكون التحليـــل بهذا المعنى وهو ما تهدف إليه اللغة بعيداً عن التحليل الذى يقرره الماديون أو يهتم بـه الوضعيون ، ولكن هذا ليس وارداً لأن المقصود بالتحليل عندهم أمر آخـــر حيـــث يقولون : " يراد بالتحليل المنطقى ، إزالة اللبس والابهام عـــن الأفكـــار ، وبيـــان عناصرها واضحة جلية متميزة .

فالتحليل يتناول اللغة التى نستخدمها فى حياتنا اليومية وذلك للتمـــيز بـــين العبارات التى تحمل معنى ، والعبارات الخلو من كل معنى " [1] وهذا الفهم قد تبينـه من قبل كوندرسيه وغيره من أصحاب المدارس الغربية ، يقصد الكيد للدين [2].

فإذا قيل ما المراد بلفظ معنى عندهم ؟ كان الجواب هو ما يمكن وقوعه تحـــت التجربة كقولهم : الجسم ممتد ، والكل أكبر من جزئه بحيث يؤدى انكار هذا المعـــى إلى تناقض سواء كان هذا المعنى ضمن قضايا تحليلية كالتى سلف ذكرها .

أو تركيبية كقولهم الخط المستقيم أقصر بعد بين نقطتين ، بحيث يكون مـــدار الصدق أو التثبت من وجودها هو الطبيعة نفسها عن طريق التجربة الحســـية الـــتى يحكم بها الإنسان نفسه وهى بهذا تخالف مفهوم التحليل الذى كان سائدا فيما يتعلق بفكرة المنطق.

(١) الدكتور/ توفيق الطويل - أسس الفلسفة صــ ٢٧٦ وخرافة الميتافيزيقا صــ ١٥٧ .
(٢) راجع كوندرسيه صــ٩٧.

من ثم فإن كل عبارة أو معنى لا يدخل ضمن القضايا التحليلية عندهم يجب الحكم باستبعادة على أن يكون البديل هو نفسه التحليل المنطقى[1] ، وطبقاً لهذا فقد استبعدوا " قضايا الميتافيزيقا التى قد تعد فى نظر النحويين مثلا عبارات مفيدة تتألف من مبتدأ وخبر مثلا ، كقولنا . "

* النفس خالدة ،

* الله موجود ،

* الزمان هو الصورة المتحركة للأبدية "[2]

إذن ما وراء الطبيعة – عندهم – غير مقبولة مسائلة على الاطلاق ، بل أنهم كثيراً ما يتهمون معتنقيها بأنهم يعيشون مشكلات زائفة حيث يذكر قائلهم دعى المذهب المنطقى . أن ما يقوم به وأتباعه إنما يمثل لونا من الفكر المنتج أما غيرهم فلا فكر بل ولا انتاج[3] يقول :

"جعلت الميتافيزيقا أول ما أنظر إليه بمنظار الوضعية المنطقية لأجدها كلاماً فارغاً لا يرتفع إلى أن يكون كذباً لأن ما يوصف بالكذب كلام يتصوره العقل ولكن تدحضه التجربة ، أما هذه فكلامها كله .. رموز سوداء ، تملأ الصفحات بغير مدلول ، وإنما يحتاج الأمر إلى تحليل منطقى ليكشف عن هذه الحقيقة فيها[4].

إذن الفلسفة عنده هى المنطق والحكم فيها واحد ، بحيث تصير الفلسفة والمنطق بالنسبة له شيئاً واحداً ينحصر فى مجرد " تحليل العبارات والألفاظ من حيث

---

(١) لكن ما هو المقياس الذى يعرف به الأصلى من البديل ، ذلك مما عجز عنه الوضعية المنطقية.

(٢) أسس الفلسفة – صـ ٢٧٤ – ٢٧٥ .

(٣) موقف من الميتافيزيقا صـ ١٥٩ .

(٤) وللأسف فإن هذا الفكر الهزيل تجد بعض المتدفقين إليه ، حبا فيه .

بنائها المنطقى العام "[١] سواء انفقت فيهما القضايا والموضوعات أم لا ، ويتكـــرر هذا الموقف عنده كثيراً حتى يقول :

"أن الفلسفة بالمعنى المحدد الذى نريده لها .. تجعل مهمتـــها تحليـــلاً منطقيـــاً للمدركات العلمية ، والقضايا العلمية ، وبهذا تصبح الفلسفة " فلسفة للعلـــم ، أى تصبح منطقاً للعلم و تحليلاً له "[٢] وليس وراء ذلك شئ آخر.

مناقشة على الشبهة الثالثة :

غير أن هذه الشبهة لم تسلم له لا من جانب الأفكار التى عرضها ، ولا مـــن جانب النتائج التى توصل اليها ، أما لماذا ؟ فلأنه يقرر أن خصومة من العقلـــين لا يقرونه عليه ، ولا يرتضونه منه ، وثانياً أنه يخلط بين ما هو من صميم العلم التجريبى حين يدخله إلى المنطق أو الفلسفة وبين ما هو من القضايا النظرية مثلا .

فنراه يقول: "لدى الآن: خبرة نفسية من نوع معين لكى أجاوز مما لدى الآخريـن لأقول : "أن هذه الخبرة الراهنة هى تذكر لحادث مضى لكنه ترك أثاره فى نفسى"[٣] .

ويناقش أستاذنا الدكتور سليمان دنيا هذا المثال فيقول : " هل موضوع هـذا المثال مما يخضع للعلم التجريبى الذى يعمل بوساطة الحواس والآلات والمختبرات؟ أن المنطق والفلسفة ليس لهما من المشكلة إلا ألفاظها أما جوهرها وموضوعها فهو مـن إختصاص العلم نفسه وذلك مما لايعترف به أصحاب المذهب المادى أنفسهم.

فهل العلم التجريبى يدخل فى معمله ومختبراته كون التذكـــر يســتلزم أو لا يستلزم وقوع ما يصوره التذكر فى العالم الخارجى .. فهذه المشـــكلة ميتافيزيقيـــة صميمة ، وليست مشكلة علمية تجريبية [٤] ولا يمكن أن يحل غيرها محلها .

---

(١) المنطق الوضعى صـــ ٧ .

(٢) الدكتور/ زكى نجيب محمود – نحو فلسفة علمية صـــ ٦٦ .

(٣) خرافة الميتافيزيقا صـــ ٤٥ .

(٤) التفكير الفلسفى الإسلامى صـــ ٨٥ .

فإذا انتهى الأمر إلى هذا الحكم أمكن القول بأن شبهاتهم مجرد ظنون وأوهام ، ما لهم بها من علم ، فوق ذلك فهى اتجاهات لم تقم على أسانيد مقبوله عند أصحابها أنفسهم ، فما بالهم يطلبون من غيرهم التصديق بها ، والتسليم بصحة ما فيها ، ان ذلك الغريب كله ، ودليل على أنهم افلسوا و لم تعد لهم أرصدة أبدا.

على أنى إذا راجعت مقولاتهم لوجدتهم يعتمدون فى ترجيح المعروض عليهم بالخبرة الحسية الماضية ، ونأتى إلى الخبرة الحسية فنراهم يقرون بوجودها وجوداً فعلياً خارج الاحساس الانسانى نفسه[1] .

والسؤال الآن أليست الخبرة الماضية التى تجعلونها فيصلاً فى التجربة الحسية هى نفسها حالات احساس بمواقف متعددة فى الماضى من نوع ما أحسه الآن ؟ أنها ليست وهما كما تزعمون ، ولا يمكن أن يحل غيرها محلها وهى فى ذات الوقت دليل الترجيح ، ومع ذلك كله فهى ليست محسوسة وهى أيضا موجودة ، ولا يمكن أن يحل غيرها محلها ، فثبت أن فلسفة التحليل لا تغنى عن الميتافيزيقا أبداً .

كما أنهم يستخدمون المنطق بمعنى العقل فى الوقت الذى لا يكون فيه وجود للعقل إلا فى صورة مادية ، فهل نجحت كلمة منطق فى أن تحل محل العقل وتغنى عنه فى الوصول الى الأهداف التى أعلن عنها أصحاب المذهب المادى ، أم أنها فشلت فى اثبات شئ من ذلك ، يقول شيخنا الدكتور سليمان دنيا.

" فليس من المنطق فى شئ أن يطلب اليقين حيث لا يقين ثم " يقول: " ماذا يعنى بالمنطق فى هذا المقام ؟ هل يمكن أن يعنى به المنطق الوضعى الذى تنحصر مهمته فى تحليل عبارات العلوم المادية ؟ أن المنطق المادى لاقضاء له فى شئ إلا أن يكون مادياً أيضا ، فهل طلب اليقين فى أمر لا ترقى قوى النظر فيه إلى حد اليقين ، مما

(١) راجع كتابنا - التفكير الانسانى ومستوياته صـ٨١.

يخضع الأمر به أو النهى عنه إلى سلطة العلوم المادية [1] كما يزعم أصحاب المنطق الوضعى ، أم هو اتجاه لطلب الحقائق ، وتزييف الثوابت.

كلا أن المنطق فى هذا المقام لا يصلح تفسيره إلا بالعقل ، فالعقل هو الذى يحكم بأن من العبث أن يطلب المرء مالا يمكن طلبه ، فاحتكام صاحب الفلسفة الوضعية إلى العقل فى أمر لا يخضع للخبرة الحسية خروج من الحجرة الضيقة التى رسمتها الفلسفة الوضعية لأصحابها وحبستهم فيها "[2] ولكن هذا الخروج محسوب عليه ، وليس لصالحه.

إذن فلسفة التحليل لم تحل مشكلات الميتافيزيقا ولا تكفى كبديل عنها كما زعم أنصار المذهب المادى ، بدليل أنهم أنفسهم وجعوا إلى الميتافيزيقا التى رفضوها واستعنوا بها عن غيرها[3] .

عرض الشبهة الرابعة : القول بالميتافيزيقا فيه تناقض ، وهى مستبعدة تجريبيا وتاريخياً وتحليلياً .

ومجملها أن دعاة المنطقية يتصورن العقل الإنسانى وحدوده الممكنة ، ثم يتصورن فى ذات الوقت أشياء فوق إدراك العقل مطلوب منه التسليم بوجودها وعدم التنازع فيها ويرون ان فى الأمر تناقضاً حين يطلب العقل المحدود أن يسلم بوجود ما هو أعلى من امكانياته .

يقول داعيهم : " إنك إذا زعمت للعقل الإنسانى حدا لا يستطيع أن يجاوزه ، ثم زعمت فى الوقت نفسه بأن وراء ذلك الحد أشياء هى فوق إدراكه تناقض نفسك

---

(1) الدكتور سليمان دنيا – التفكير الفلسفى الإسلامى صـ ٨٦ .

(2) المصدر نفسه صـ ٨٨ .

(3) وذلك فى حد ذاته اعلان مستمر عن افلاس المذاهب المادية وعدم وصولها الى الأهداف التى زعموا الوصول اليها.

بنفسك ، لأن اعترافك بوجود تلك الأشياء وراء الحد المزعوم هو فى ذاته دليل على عبورك إلى المنطقة المحرمة [1] .

غير أنى لا أرى فى المسألة تناقضاً كالذى ذكره داعى المادية بل أرى أن هناك مراعاة لإمكانيات العقل ، وهم يقرون بها ، إذ المعروف أنه لا يوجد عقل إنسانى تتمثل فيه صور العلوم والفنون والآداب كلها وبدرجة واحدة ، بل التخصص سمة الإجادة [2].

وكذلك العقل الإنسانى حين يحجب عن البحث فى أمور خارجة عن إمكانياته إنما هو نوع مراعاة لامكانيات العقل وليس بتناقض ، لأن حكم التناقض هو إثبات الشئ الواحد ورفعه فى آن واحد كأن يقول القمر موجود ، والقمر ليس بموجود مثلا[3].

أما أن يقول : " أن هناك أشياء موجودة غير محسوسة وأعلى من إمكانيات العقل البشرى فالأمر لا يعدو أن يكون مراعاة لإمكانياته ليس إلا . ثم انه لم يطلب من العقل وحده معرفتها إنما يطلب الإيمان بها لأن دليلها الوحى وهو الذى يمكن إثباته بالمعجزة وبغيرها ولا يمكن إنكاره لأن صدقه يقينى ولا يطعن على المعجزات لأنها ثابتة بالوحى وهى موجودة ولا يحيل العقل وجودها بل يراها ممكنة .

بقى أن يقال ان دعاة المادية يقولون: " استبعاد الميتافيزيقا وان ذلك يجيء من ثلاث وجهات للنظر هى التجريبية والتاريخية والتحليلية [4] وبناء عليه فإن الميتافيزيقا يجب استبعادها من تلك الجهات التى سلف ذكرها وهم فيما زعموا كذبوا .

---

(١) الدكتور / زكى نجيب محمود – موقف من الميتافيزيقا صـ ٨٤ .
(٢) والتخصص فى العلوم من الأدلة على ما ندعيه ، ويكذب دعواهم.
(٣) راجع كتابنا – دراسات فى المنطق صـ١٧.
(٤) الدكتور / محمود رجب – الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين صـ ٣٢٠ ط ٣ ، دار المعارف ١٩٨٧ .

غير أننا إذا نظرنا إلى الجهات الثلاث بأن خطؤها جميعاً ، وأن القول بهـــا لا يمثل صورة حوار فكرى بقدر ما يمثل صورة جدلية سوفسطائية لا تجدى بل هـــى دليل على خروج أصحابها على العرف السليم والعقل الصحيح[1] ، وذلك لما يلى :

أولاً : الناحية التجريبية :

سلف القول بأن الوضعية المادية ملزمة بقبول وجود مالا يدخل تحت التجربـة كالكهرباء والجاذبية والمغناطيسية وأمثالها ، مما هو موجود فعلاً ، مع عدم قابليتـــه للتجربة ، بل أن مجرد تصور التجربة هو فى حد ذاته لا يدخل تحت التجربة رغم أنـه موجود كحقيقة واقعة يقر بها الميتافيزيقى والوضعى المنطقى معاً ، وبالتالى فلا يمكـن استبعاد الميتافيزيقا من هذه الناحية بل لزم الإيمان بضرورة وجودها طبقاً للإقرار العام بها وغيرها مما هو موجود ولا يدخل تحت الحس ولا تقع له التجربة وبالتالى فالتجربة حاكمة بضرورة الإيمان بالميتافيزيقا على نحو تجريبى أيضا .

ثانياً : الناحية التاريخية :

لا شك أن اتجاه التاريخ يؤيد الإيمان بضرورة وجود المسائل الغيبية ويرى أنهـا ضرورة لحفظ التاريخ نفسه ، لأن التاريخ زمان ومكان وأحداث والزمان متصـــور نظراً لأنه لا توجد فوارق ، بين أجزائه ولا يدخل تحت التجربة كما أنه لا يمكـــن الحكم عليه بالصواب أو الخطأ ، لذلك فإن المواجهة التاريخية بحاجة إلى الميتافيزيقـــا التى صارت وعاء يحفظ للتاريخ ما مر منه[2] .

وبالتالى " فإن الوجهة التاريخية فى رفض الميتافيزيقا لا يؤيدها التاريخ نفســـه لأننا لا نزال نطلب الميتافيزيقا ، وما تزال تلك المباحث الميتافيزيقية تشغل الغالبيـــة

---

(١) راجع كتابنا - الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى صـــ٦٤١.

(٢) راجع ما هو التاريخ ؟ صـــ١٩٩

العظمى من مفكرى العصر الحاضر "[1] أنفسهم ، وذلك شاهد على الحاجة اليها ، وليس على اهمالها.

ثالثاً : الناحية التحليلية :

وهذه الوجهة لا يمكن أن تلاحق الميتافيزيقا ، لأن الناحية التحليلية مردود عليها ، وأنها تخص جانباً واحداً من الميتافيزيقا أن صح القول ألا وهو الجانب النقدى فى الميتافيزيقا وهو جانب قليل جداً فيها ككل فلا ينسحب حكمه على الكل .

وعلى هذا فلا يمكن توجيه هذه الانتقادات إلى الميتافيزيقا التأملية التى نحن بصدد رد الاعتبار إليها ، فليس ثمة إذن اعتراضات نهائية حقيقية يمكن أن تثار ضد الميتافيزيقا بمعناها الواسع .[2]

عرض الشبهة الخامسة : مسائل الميتافيزيقا مشكلات زائفة :

مؤداها : أن ما يظن مشكلات ميتافيزيقية لا وجود له بالمرة ، إنما هى مشكلات زائفة موهومة راجعة إلى غموض عبارات المتناولين لها حتى خيل لأصحابها أنها مشكلات وأنها غامضة بينما هى لا وجود لها أصلاً حتى يقال عليها أنها مشكلات وأنها غامضة[3] .

فمثلاً ، خلود النفس أو فناء النفس ، ووجود العالم المحسوس وامكانية وجود عالم عقلى وراء العالم المحسوس أولا ، والحقائق الكلية موجودة فى أفرادها على سبيل استقلالها ام لا وما كان " من أمثال هذه الأسئلة – فيتناول فيلسوف التحليل هذه

---

(١) المصدر نفسه صـ ٣٢١

(٢) التفكير الفلسفى الإسلامى صـ ٩١ .

(٣) وذلك الاتجاه يتبناه أصحاب المادية الجدلية باستمرار.

العبارات نفسها ، ليفض مغاليقها اللفظية ، وإذا هى فارغة ، لا تنطوى على شئ ، وإزاء هذه المشكلات المزعومة الموهومة تذوب ثم تتبخر فى الهواء وتختفى ، " لذا فإننا نرفض الميتافيزيقا لا لصعوبة حلها ، بل لأنها مشكلات زائفة[1] .

مناقشة الشبهة الخامسة:

غير أنا نقول : " أن للميتافيزيقا مشكلات حقيقية ما يزال البحث حولها لم ينته بعد ، فما وراء الطبيعة عند العقلاء ثابت ، وإنما الخلاف فى فهمه وطريقة التعرف عليه ، والأنكار لها يمثل صورة الحادية فى مسألة دينية ، وقد أقر بهذا قدماء الماديين وأن كل معرفة حسية فهى ظاهرية ، وأن الحقيقية لا توجد إلا فى العقل لأن العقل - عندهم - حدس ومعانيه موضوعات حقه "[2] إذن مشكلات الميتافيزيقا حقيقية وليست زائفة وثبت بطلان قول الماديين . الذين لا هم لهم غلا أفكار الدين والكفر بالله رب العالمين.

كما أن تصور المشكلات ، والحكم عليها بالها زائفة هو أيضاً أمور ميتافيزيقية فكلها من قبيل المعقولات الأولى أو الثانية عند المناطقة ومفاهيم ثابتة عن علماء الكلام والفلاسفة على قدر سواء[3].

والوضعية المنطقية تقر بهذه المشكلات الميتافيزيقية واقعا ، وإن كانت تنكرها دعوى فمثلاً الضرورة العقلية يحتكم إليها دعاة الوضعية فى أبسط أمورهم وأكثرهم دقة على السواء رغم أن الضرورة العقلية عبارة ليست على طريقتهم .

---

(١) زكى نجيب محمود - نحو فلسفية علمية صـ١٩

(٢) الفكر الإسلامى وصلته صـ ١٤٩ .

(٣) نالت تلك المسألة عناية كبيرة فى الفكر الفلسفى فليرجع اليها من شاء.

يقول : داعيهم " ينبغى أن نتذكر أن حكمنا على هذه الظواهر كلها باتجـــاه واحد هو طريق السير[1] " وهذا إقرار منه بقبول الضرورة العقلية كمبدأ يحتكم إليه عندما لا يكون إلا هو .

والسؤال الآن : هل يمكن التثبت من الضرورة العقلية بنفس المقاييس التى دعا اليها الماديون صدقا أو كذباً ، كما أن الضرورة العقلية مبدأ ميتافيزيقى فإذا طبقناها فى ناحية الوجود أنتجت نتائج ضرورية لاغنى لها .

فمن ذلك القول : العالم أما أن يكون موجوداً أو معدوماً ، فإن كان معدوما فتلك مكابرة ، وإلا كنا فى العدم ولا تنطبق علينا أوصافه ، وإن كان موجوداً فاما ان يوجد نفسه أو يوجده غيره ، فان أوجد نفسه لزم - كضرورة عقلية - أن يتقدم على نفسه باعتباره الفاعل ويتاخر عنها باعتباره مفعولاً وهو تناقض لاتقبله الضرورة العقلية[2] .

إذن لم يبق إلا أن تقول : أن له موجدا عظيما ، وهذا الموجد له من صفـــات الجلال والكمال والإكرام ما يحول بين أن يشبهه أحد من خلقه ، وهو الله رب العالمين

كما أن حكم الضرورة قاض بوجود الله تعالى ضرورة عقلية ، وهم بالتـــالى لايرون الضرورة العقلية ولايمكن الحكم عليها من خلال الحس بالصدق أو الكذب . فلزمهم القول بأن للميتافيزيقا مشكلات حقيقية موجودة ، ولا تحل إلا عن طريـــق الإيمان بالغيب جملة وتفصيلاً على ما جاء به النقل المعصوم فى القـــرآن الكـــريم ، والسنة المطهرة الصحية.

---

(١) طريق السير هو اتجاه علماء الأصول ، ويعرف باسم دليل السير والتقسيم ولهم فيه اجتـهادات فاقت غيرهم ممن يحاول استخدمه.

(٢) راجع كتابنا - حبو الوليد فى علم التوحيد صــ٢١٨.

عرض الشبهة السادسة : رفضهم مبدأ السببية :

تقوم هذه الشبهة على أساس أنه لا علاقة بين السبب والمسبب كل ما فى الأمر هو " أن الكون قوامه عناصر مختلفة وأنه بدا حين ظهر كل عنصر متجانس على حدة ، ثم دبت فيها الحركة فأخذت تمتزج بعضها ببعض حتى أصبح الشئ الواحد مكوناً من خليط من عناصر قد يصعب فصلها بعضها عن بعض ، لكن مصير هذه الحركة فى النهاية ، هو أن تعود العناصر المتجانسة إلى تجمعها ، ثم دورة كونية أخرى وهكذا ، وشئ كهذا هو ما يقوله العلم الطبيعى الحديث.[1]

وقد سبق إلى تقرير هذه الفكرة فتجنشتين حيث يقرر أنه " ليست هناك ضرورة فى هذا المبدأ ، سواء كانت ضرورة عقلية أو تجريبية تبرر ارتباط نسميه علاقة السبب بالمسبب ، لمجرد أن احدهما يسبق الآخر أو يتلوه "[2]

إذن رفض السببية عند هؤلاء ليس له ما يبرره على وجه يسلم من النقد حقا لكن لهذا المبدأ أنصار وخصوم منهم من رفض المبدأ باعتبار رفض فكرة الضرورة العقلية فيه مع عدم وجودها بين السبب والمسبب وفرق بين رفض المبدأ ، وبين اعتقاد الضرورة العقلية فيه .

ولماذا لا يعتبر عادة ، حتى يمكن التخلف بين السبب والمسبب بحيث يفتح الباب أمام المعجزة وخوارق العادات التى تقع من الله لعبادة على وجه الإجمالى وهو الذى نعتقده ونصدق به لأن المعجزات خوارق للعادات .

كما أن رفض مفكرى المسلمين للضرورة العقلية فى السببية راجع لمبدأ دينى أعم منه وهو الرجوع بالعلاقة إلى الله وحده ، إذ هو الفاعل الحقيقى للسبب والمسبب معاً . كما أن السببية الطبيعية يمكن الرد عليها .

(١) الدكتور/ زكى نجيب محمود نحو فلسفة علمية صـ ٣٣٩ .

(٢) الدكتور عزمى إسلام - لدميج فتجنشتين صـ ٣٠٦ - ٣٠٧ .

يقول الأمام الغزالى : " الاقتران بين ما يعتقد فى العادة سبباً . وبين ما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا ، بل كل شيئين لا هذا ذاك ولا ذاك هذا ، ولا إثبات أحدهما متضمنا لإثبات الآخر أو نفيه متضمناً لنفى الآخر ، فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ، ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر ، مثل الرى والشرب ، والشبع والأكل.[1] لأن العلاقة بينهما عادية يمكن تخلفها ، وليست حتمية لاتنفصل .

والأمام الغزالى لم ينكر مبدأ السببية ، وإنما أنكر أن تكون العلاقة الضرورة العقلية ، كما هو مذهب الاشاعرة ، لأنهم يرون أن الضرورة العقلية بين السبب والمسبب توحى بالتلازم الذى لا ينفك ، ومن ثم قرروا أن العلاقة عادية حتى يتاح الأمر لهم حيث تتخلف العادة إبقاء على الفعل الإلهى فى حد ذاته . ومن ثم يظهر الفرض للإعلان عن خوارق العادات ، ونحن نؤكد ذلك الاتجاه الأشعرى ونتمسك به.

يقول الإمام الغزالى : " فإن اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه بخلقها على التساوى لا لكونه ضرورياً فى نفسه غير قابل للفوت ، بل فى المقدور - الإلهى - خلق الشبع دون الأكل ، وخلق الموت دون جز الرقبة ، وادامة الحياة مع جز الرقبة"[2] لأن ذلك كله راجع للفعل الإلهى ، والقدرة الخالقة العاجلة.

وهذا باب ضرورى لأنه يفتح باب الابقاء على المعجزة ، التى هى خرق للعادة وأصحاب الضرورة العقلية فى العلاقة بين السبب والمسبب يلزمهم التراجع عنه أمام المعجزة على أقل تقدير أو يلزمهم التكذيب بها أيضا وكلاهما باطل ".

---

(١) الأمام الغزالى تهافت الفلاسفة المسألة ١٧ صـ ٢٣٩ تحقيق د. سليمان دنيا - دار المعارف .
(٢) الدكتور/ سليمان دنيا - التفكير الفلسفى الإسلامى صـ ٢٣٩ .

إذن فالله تعالى وحده هو الخالق لجميع هذه الأمور المتعاقبة ، والتى تحدث فى العالم ، ولا ينقطع عمل الله تعالى مطلقاً فى أى لحظة من اللحظات ، وهو تعالى يقرن متى يشاء بين جميع هذه الحوادث التى تكون واهية حين نعدها أسباباً مستقلة – ومسببات لتلك الأسباب ، وفى قدرته تعالى أن يقطع تكرار ذلك الاقتران ، وأن يحدث ما نعرفه نحن بالمعجزه ."[1] ويفسح المجال لخوارق العادات .

إذن مبدأ السببية أمرثابت والخلاف عندنا فى كونه عاديا أم عقلياً ، ونحن نراها علاقة عادية بينما الوضعية المنطقية تراه مسألة محضة وغيره خيال[2] ومع هذا فأصحاب الوضعية مترددون فى كل شئ ، بل يترددون بين كل أمرين ، فها هو هيوم يقرر ان " مبدأ السببية على أنه عادة عقلية ، تكونت بناء على ما ندركه من اضطراد فى تتابع الظواهر ، وهذه – العادة العقلية هى التى يعتمد عليها فى التعميم الخاص بالعلوم الطبيعية " والتكهن بالمستقبل بناء على الخبرات السابقة" ونحن لانسلم له[3] وإذا كنا قد فرغنا من عرض الشبهة السادسة على النحو الذى سلف فحرى بنا أن نناقشها.

مناقشة الشبهة السادسة :

أولاً : أنهم رفضوا مبدأ السببية العامة حتى لا يسلموا بوجود الله خالق الأكوان حيث يرون أن عناصر الكون عندهم مجموعة مختلفة بدأت حين كان كل عنصر على حدة ، ثم دبت فيها الحركة فأخذت تمتزج بعضها ببعض . والسؤال – الآن – من أين جاء الكون ! ومن الذى خلق هذه المجموعة المختلفة من العناصر أولاً ثم من أين جاءت هذه الحركة ؟ ومن الذى شكلها وبعث فيها الحياة ؟ .

---

(١) المصدر نفسه صـ ٢٣٩ .

(٢) الدكتور / زكى نجيب محمود ، أحمد أمين الفلسفة الحديثة صـ ٢٣٧ .

(٣) الدكتور / عزمى إسلام لدفيج فنجنشتين صـ ٣٠٨ .

فإذا قيل أن الأشاعرة رفضوا مبدأ السببة والوضعية المنطقية كذلــك قلنـــا فى الجواب أن الأشاعرة "إذا كانوا ينفون سببية الأشياء بعضها عن بعض ، فــــإلهم لا ينفون السببية العامة ، فالشيئان المتتابعان لا سببية لأولهما فى ثانيهما ، ولكنهما معــاً يرجعان الى سبب واحد هو الله سبحانه وتعالى[1].

وتتابعهما ايضاً حدث كونى لابد له من سبب ، وسببه هـــو نفـــس الـــذى أوجدهما" .[2] لا على سبيل التلازم العقلى وليس الحال كذلك عند الوضعية الذيــن يرون أن الأشياء هكذا وجدت بلا سبب ، وأنه لا يوجد بينهما إلا مجــرد التتــابع الذى تحكمه الملاحظة فقط ، والفيصل الرجوع بالمسألة إلى الواقع الحسى .

ثانياً : يقولون : دبت فيها الحركة ، اليست الحركة هى السبب ثم يقولــون ، وأنها دبت فوقع النشاط رغم أنهم ينكرونه ، كما أن كل ما قالوه هو مجرد فــرض لم يقع له القبول لأنه فرض ميتافيزيقى غير خاضع للتجربة [3]، لتعلقة بمبــدأ الكــون ونشأته وهو نفس المبدأ الميتافيزيقى وهم ينكرونه .

إذن هم تناقضوا حين رفضوا الميتافيزيقا ، ثم رجعوا إليها يحيلــون عليــها . ويطلبون حلولاً منها لمشاكلهم التى استعصت عليها الحلول الجدلية الـــتى حــاولوا تقديمها وجدوا فى طلبها .

ثالثاً : هذه الفئة تأثروا بخليط من الأفكار الغير مرتبة ، لأن فى إمتزاج بعـــض العناصر واختلاطها ببعضها تبدو صورة الانجذاب الشوقى عند أرسطو ، مع أنه مجرد فرض غير صحيح .

---

(١) الدكتور/ عبدالعزيز سيف النصر – السببية فى الفكر الإسلامى.

(٢) الدكتور / سليمان دنيا – التفكير الفلسفى صـ ١٩٤ .

(٣) راجع كتابنا الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى صـ٦٢١.

كما أنهم فى مسألة المصير الذى ينتظر تلك الحركة وعودة العناصر إلى تجمعها الأول الذى كانت عليه قبل التجانس ، إنما تمثل صورة للفكر الأوسطورى الذى يصنعه الخيال ، لأن معناه أن دورتها أبدية وهذا يصادم قول الله تعالى : " إن يشأ يذهبكم ويأت بخلقٍ جديد " (1) .

يقول الدكتور محمد البهى : " والحق أنهم ينقلون " عيب هؤلاء ، الغربيين المغرضين للإسلام الذين يغضون أبصارهم عن كل قيمة ، ثم يكذبون فيما ينقلون باسم الفكر التجريبى أو الاسمى ، حتى يكون منهم فى تجديدهم فى الفكر انتقاض للإسلام .

وبذلك يتساوون فى الوقوف على قدم واحدة ، وهى توجيه الملام والعيب للدين .(2) الإلهى ، والتمسك بالأديان الوضعية أو هجر الأديان كلها .

وسوف يحفظ الله للمسلمين دينهم ولن تنال منهم هذه الطائفة وأمثالها ولن يتمكنوا بفضل الله من الوصول إلى زعزعة الإيمان من قلوب المسلمين ، والله من ورائهم محيط ، وهو خير حافظاً وهو أرحم الراحمين .

---

(1) سورة فاطر آية ١٧ .

(2) الدكتور / محمد البهى – الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى صـ ٢٤٨ ، مكتبة وهبة .

مصادر الفصل الأول

حسب ورودها أسفل الصفحات

[١] القرآن الكريم

[٢] الترغيب والترهيب

[٣] شرح الفشنى على الأربعين النووية

[٤] الدكتور/ محمد حسينى الغزالى – التفكير الانسانى أصوله ومستوياته.

[٥] الأستاذ/ جمال البنا – الدعوات الإسلامية

[٦] الأستاذ/ محمد قطب – مذاهب فكرية معاصرة

[٧] الدكتور/ محمد حسينى موسى الغزالى – التدبر فى المنطق القديم

[٨] الدكتور/ عادل صادق – الطب النفسى

[٩] الدكتور/ محمد حسينى موسى الغزالى

[١٠] السيد الشريف الجرجانى – التعريفات

[١١] المعجم الوجيز

[١٢] العلامة عبدالرحمن الأخضرى – حاشية الأخضرى على السلم

[١٣] كتابنا – الوليد المنطق فى علم المنطق

[١٤] المعلم بطرس السبستانى – قطر المحيط

[١٥] الدكتور / زكى نجيب محمود – المنطق الوضعى

[١٦] الدكتور/ محمد البهى – الفكر الإسلامى

[١٧] د/ فؤاد زكريا – التفكير العلمى

[١٨] الدكتور/ سليمان دنيا - التفكير الإسلامى
[١٩] الدكتور/ يوسف القرضاوى - الإسلام والعلمانية وجها لوجه.
[٢٠] الدكتور/ زكى نجيب محمود - خرافة الميتافيزيقا
[٢١] كتابنا - الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى
[٢٢] ?ور? بوليتز - أصول الفلسفة الماركسية
[٢٣] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبى نعيم
[٢٤] السنن الكبرى للإمام البيهقى
[٢٥] كتابنا - انسام حيية فى الأفكار الصوفية
[٢٦] د/ زكى نجيب محمود - نحو فلسفة علمية
[٢٧] الإمام الزمخشرى - أساس البلاغة
[٢٨] لسان الميزان
[٢٩] الأستاذ/ محمد فؤاد عبدالباقى - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن
[٣٠] الإمام الرازى - مفاتيح الغيب
[٣١] الإمام الراغب الأصبهانى - المفردات فى غريب القرآن.
[٣٢] كتابنا تطور الكائنات بين النقل والعقل
[٣٣] كتابنا - وميض النصرانية بين غيوم المسيحية
[٣٤] كتابنا حبو الوليد فى علم التوحيد
[٣٥] ما قبل الفلسفة
[٣٦] كتابنا عبدالكريم الخطيب وأراءه الكلامية

[٣٧] كتابنا الغزاليات فى الالهيات

[٣٨] الدكتور/ توفيق الطويل أسس الفلسفة

[٣٩] حاشية العلامة القويسنى فى المنطق

[٤٠] كتابنا - خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة

[٤١] أوزفولد كوليه - المدخل الى الفلسفة

[٤٢] كتابنا - الاتجاهات الفكرية المعاصرة

[٤٣] الدكتور/ عبدالمعطى بيومى - جذور الفكر المادى

[٤٤] كتابنا - الغزاليات فى السمعيات

[٤٥] الامام الأشعرى - مقالات الإسلاميين

[٤٦] الأستاذ/ محمد فريد وجدى - دائرة معارف القرن العشرين

[٤٧] الإمام الأ يجى - المواقف

[٤٨] الدكتور/ جونز - الجديد فى طب النفس

[٤٩] شيليك - الوضعية فى مفهومى

[٥٠] الدكتور / محمد على أبوريان - الفلسفة ومباحثها

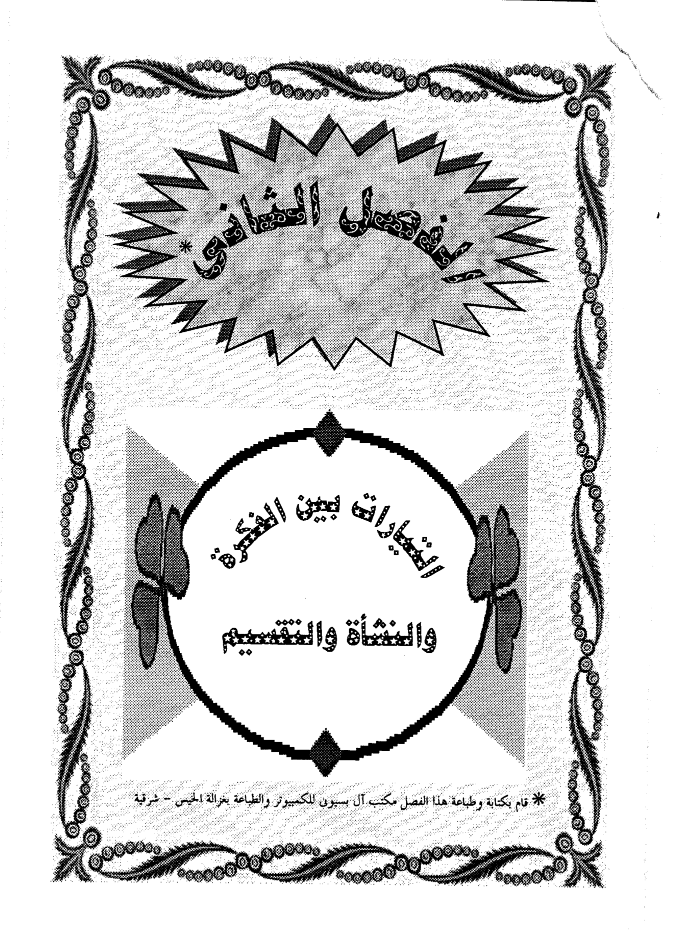
[٥١] الدكتور/ محمد سيد طنطاوى - الدعاء فى القرآن والسنة

[٥٢] الدكتور/ محمد البهى - الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى

[٥٣] الدكتور/ محمود رجب - الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين

[٥٤] الدكتور/ عبدالعزيز سيف النصر - السببية فى الفكر الإسلامى

[٥٥] الأستاذ/ أحمد أمين وآخرون - الفلسفة الحديثة.


الفصل الثاني*
التيارات بين الفكرة
والنشأة والتقسيم
* قام بكتابة وطباعة هذا الفصل مكتب آل بسيونى للكمبيوتر والطباعة بغزالة الخيس - شرقية

أ- ما هى التيارات الفكرية ؟

كل لفظة تخرج من العقل إلى اللسان لابد أن تكون لها معنى تدل عليه، ويمكن فهمه من خلالها، بحيث يكون ذلك اللفظ هو الحامل للمعنى، فإذا لم ينجح اللفظ فى وظيفته – وهى توصيل المعنى المراد، فقد اللفظ قيمته، وصار عديم الجدوى[1].

وطبقا لهذا المفهوم، فان كل المعانى المستعملة تنقلها ألفاظ أيضا مستعملة[2] لا مهملة، لما هو معلوم من أن الألفاظ أثواب للمعانى المرادة لدى السامع والمتكلم.

وقد وردت كلمة تيارات فى اللغة العربية، كما سمح باستخدامها كمصطلح تتنازعه عدة علوم، ذلك لأن كلمة تيار من الأسماء المشتركة[3]، فى اللغة أو هى من المشترك اللفظى، الذى يجمع تحته – كلفظ – العديد من المعانى.

كأن يقال : تيار فكرى عقلى، ويكون المقصود به معنى معين، ثم يقال : تيار كهربائى، ويقصد به مصطلح محدد عند المشتغلين به، كما يقال : تيار من العواطف الإنسانية، ويقصد به أمر ما عند مطلقيه أو مستخدميه.

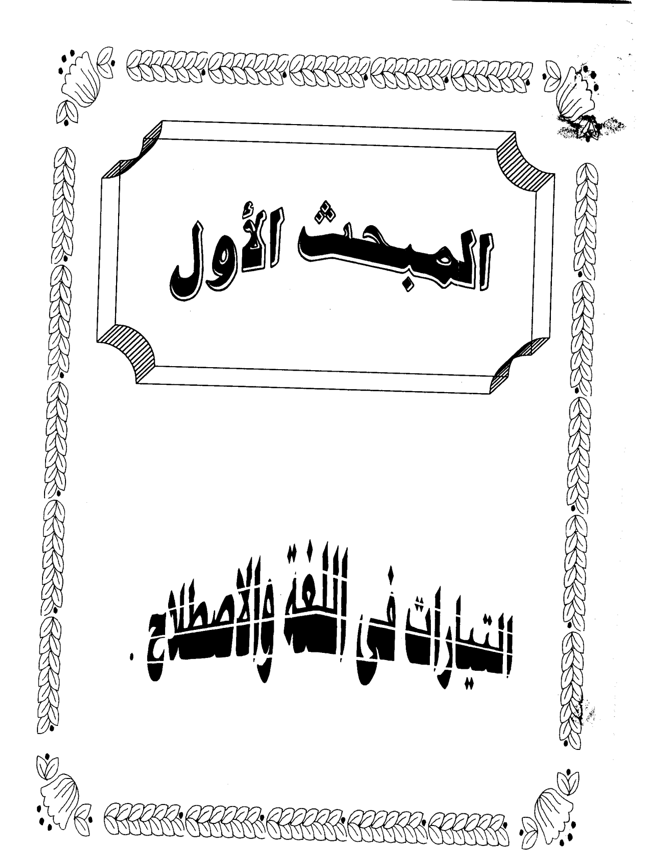
من ثم لزم بيان المراد بلفظ التيارات فى اللغة أولا، ثم فى الاصطلاح ثانيا.

---

(١) والألفاظ التى لا تؤدى معنى تعتبر ألفاظا مهملة لا قيمة لها.

(٢) راجع كتابنا – الندم فى المنطق الحديث جـ١ التصورات ص٢٩٧.

(٣) المراد بالاشتراك الاسمى : اطلاق اللفظ الواحد على كثيرين، بقع لهم الاشتراك فيه مع التمايز فى المشخصات الخاصة بكل منهم كلفظ محمد وأحمد، وهبة الله، فإنها تطلق على كثيرين لكن محمد المصرى غير محمد التركى، وكذلك الوصف الخاص بكل واحد منهم.


المبحث الأول
التيارات في اللغة والاصطلاح .

أولا : فى اللغة

لغة العرب ثرية فى مفرداتها والمضامين ، بحيث جاءت حاوية كل الألفاظ المطلوبة ، جامعة للمعانى المتواردة ، فلم تخل من شاردة ، و لم تهمل واردة من ثم فقد وردت كلمة تيار فى اللغة على العديد من المعانى ، والكثير من النواحى الآتية :-

[1] الناحية المادية

تعرف بأنها حركة سطحية فى مياه الأنهار والبحار تتأثر باتجاهات الريح ، وقد تنقل المياه الدافئة إلى المناطق الباردة ، وبالعكس[1] ، وهذا المعنى يمثل التيار المادى لأنه يمثل الحركة فى حد ذاتها ، كما يمثل المكان الذى تقطعه أثناء حركتها ، ولا شك أن هذه الحركة مادية ، والمكان كذلك والزمان عند القائلين بماديته .

والمشهور أن القائلين بمادية الزمان يقسمونه إلى أجزاء بسيطة فى الذهن والخارج كما أن الموجودات لا تخرج عندهم عن أنواع :-

الأول : موجود فى الذهن والخارج معا ، وهو الأشياء المادية التى تعرف عليها العقل الإنسانى سواء بواسطة الشرع أو بطرق العقل وحده ، أوبه والحس ، وأمكنه الوصول اليه[2] .

الثانى : موجود فى الذهن ، ولا توجد له صورة فى الخارج ، وهو الله سبحانه وتعالى المتره عن الجسم والشبه والشريك والولد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" ، ثم أن وجوده تعالى لا ينكره عاقل ، والإيمان به فطرى والاستدلال عليه

(١) المعجم الوجيز مادة (ت - ى - ر) ص ٨٠ .
(٢) العلامة الأمير - حاشية الأمير ص٢٥ .

فطرى ، وعقلى ونقلى[1] ، وتجريبى ، بل هو ثابت بكل أنواع الاستدلال التى عرفت[2] ، والأخرى التى يبحث عنها العقل ، أو يجد فى طلبها .

❁ **الثالث** : موجود فى الخارج ولا صورة له فى الذهن ، وهو العوالم التى لم نعرفها حتى الآن ، ولكنها موجودة فى الكون يكشف عن بعضها العلم يوما بعد آخر ، بناء على إمكانية تقسيمه إلى أجزاء بسيطة فى الذهن والخارج معا[3] .

كما يعرف التيار المادى بأنه : حركة دائمة فى مكان معين نحو اتجاه له خواص ثابتة[4] يقوم عليها ، ويستمر فيها ، ويتحرك منطلقا من خلالها .

٢ـ الناحية المعنوية :ـ

ونعنى بها مفهوم التيار فى العقل ، لا منطوقه فى اللغة ، حيث يقال :

التيار - " شدة جريان الماء "[5] ، والمعلوم أن الشدة والضعف أمور معنوية تعبر عنها ألفاظ توحى بتقريب المعنى المراد .

كما أن الشدة والضعف من الأمور النسبية التى لا يمكن الحكم فيها بالاضطراد ، وعلى نحو دقيق بالأحكام التجريبية المعملية وحدها ، وإنما لا بد من مصاحبة معنى آخر لتلك الأحكام العملية فى المسألة ، ولذا أراه تعريفا معنويا ، أو تعريفا غير مادى .

(١) د/ محمد حسينى موسى محمد الغزالى - حبو الوليد فى علم التوحيد ص٣٢ وما بعدها ط أولى ١٩٩٥م مطبعة شروق .

(٢) الأستاذ الشيخ / محمد متولى الشعراوى - الأدلة المادية على وجود الله تعالى ص١٧ .

(٣) وهذا الأخير قامت حول إثباته معارك كثيرة ، وأقرب ما يقال أنها معارك لإبراز الملكات العقلية .

(٤) الدكتور / أحمد مستجد - الهندسة الوراثية ص١١٥ .

(٥) المعجم الوجيز ص٨ .

كما ان الماء لا يجرى بنفسه إنما يجريه الله سبحانه وتعالى ، فهو من باب التعابير المجازية التي يستحيل معها إرادة الحقيقة اللغوية ، فينتقل الأمر إلى المجاز ، وهو يجرى فى المعنويات والحسبات ، لكن على باب المجاز لا على سبيل الحقيقة اللغوية[1] .

ولما كانت المعانى لا يمكن التعرف عليها الا بواسطة الألفاظ الحاملة لها ، فإن العقل يحتاج إعادة نظر لكشف العلاقة بين التيار باعتباره لفظا على ناحية الحقيقة اللغوية ، أو الناحية المعنوية ، ولا شك أن العلاقة بينهما تكون قائمة وبشكل جيد .

٢- الناحية الحقيقية[2] :

المعلوم أن الأصل فى الكلام هو الحقيقة اللفظية ، ولا ينتقل الكلام إلى المجاز إلا عند تعذر استعمال اللفظ الحقيقى عند إطلاقه ، وبالتالى فالتيار على الحقيقة اللغوية المنقول من مفردات الألفاظ الحقيقية وحدها هو :

الحركة الصادرة عن متحرك سواء كان التحرك ذاته ، أو من غيره ، وسواء كانت الحركة من الداخل للخارج ، أو العكس ، أو فى اتجاهات مختلفة وسواء كانت على ناحية الاضطراد ، أو ناحية التوارد بحيث تظل فى استمرار دائم .

فاذا قلت : تيار الماء المتدفق ، وتيار الأنهار المنصب ، وتيار المطر المنهمر ، فإن هذا ربما يراد به الحقيقة اللفظية باعتبار أنها حركة ما ، وإذا نظر إلى هذه الأمثلة فى

---

(١) الحقيقة اللغوية هى استعمال اللفظ فيما وضع له حقيقة ، فإذا استحال ارادة الظاهر من اللفظ فى حقيقته اللغوية ، نقل إلى المجاز وهو استعمال اللفظ فى غير ما وضع له حقيقة لعلاقة وقرينة مانعة منن إرادة المعنى المراد - راجع منور الأذهان فى علم البيان ص١٩ .

(٢) الحقيقة الشيء هى الثابت له يقينا ، وحقيقة الشيء خاصته ، وحقيقة الأمر ، يقين شأنه وحقيقة الرجل : ما يلزمه حفظه والدفاع عنه ، وجمعها حقائق " المعجم الوجيز مادة (ح - ق - ف) ص١٦٣ .

عجزها كألفاظ المتدفق ، والمنصب ، والمنهمر ، فلاشك أنه انتقال من الحقيقة اللغوية[1] ، إلى المجاز اللغوى لوجود علاقة وقرينة على ما عنى به أهل الفن نفسه .

٤- الناحية المجازية :-

البلاغيون يقررون أن المجاز اللغوى هو استعمال اللفظ فى غير ما وضع له حقيقة ، مع وجود علاقة وقرينة مانعة من إيراد المعنى الأصلى .

والمعروف أن المعنى الأصلى عندهم ، هو المعنى اللغوى على الحقيقة ، فإذا أدركنا أن الأصوليين يقررون فى أصولهم :" أن الأصل فى الكلام الحقيقة[2] ، بان لنا أن استخدام التيار فى غير ما وضع له لغة ، إنما هو استعمال مجازى ليس إلا ، وحيث خرج من الحقيقة اللغوية إلى الاستعمال المجازى ، فلا شك من قبوله للتنويع ، والانسجام مع المعنى الذى ينقل اليه ، او يستخدم من خلاله .

من ثم وجدناه - التيار - يستعمل فى تيار الغرائز ، وتيار الانفعالات ، وتيار العداوة وغيرها من التيارات التى يكون المقصود منها هو المعنى غير الحقيقى فى كتب اللغة العربية ، ولكنه بعد نقله إلى المعنى المراد على سبيل المجاز صار حقيقة عند المستعملين له ، لأنه بعد النقل لم يعد مهجورا ، أو غريبا[3] ، وإنما صار نوعا من الاستعمال الخاص الذى لا يمكن القول فيه إلا بأنه اصطلاح خاص .

---

(١) الانتقال من الحقيقة اللغوية إلى المجاز اللغوى أمر عادى ، اما الانتقال إلى المجاز الشرعى ، أو المجاز العرفى ، فلابد أن يكون من حقيقته الشرعية أو العرفية ، وليس من الحقيقة اللغوية .

(٢) الإمام ابن رشد - بداية المجتهد ونهاية المقتصد ص٤٥ .

(٣) راجع كتابنا - الوليد المنطق فى علم المنطق جـ١ ص٢٣٧ .

[٥] التعريف المراد :

مما سبق يمكن تعريف للتيارات فى اللغة بأنها جمع تيار ، وأن التيار هو : حركة أو ما ينوب عنها ، مادية أو معنوية ، حقيقية أو مجازا ، تهدف لغاية محددة[1] ، وفى تقديرى أن هذا التعريف ربما كان أعم من غيره وأشمل .

◈ فما هى التيارات فى الاصطلاح ؟

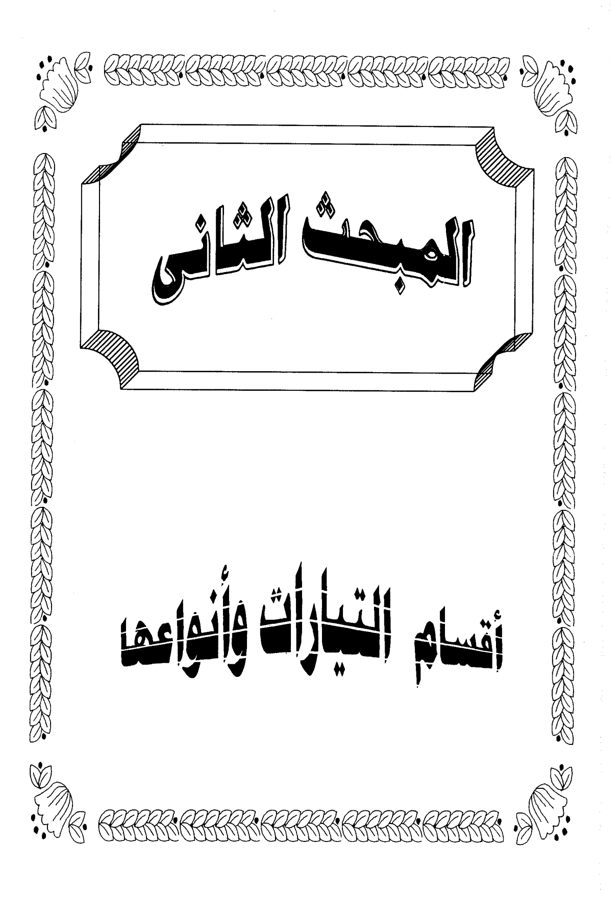
ثانيا : تعريف التيارات فى الاصطلاح

من المعلوم أن أصحاب اى فن يصطلحون على مبادئ يقوى عليها العلم الذى به يشتغلون ، بحيث تضاغ قواعدهم على ما اتفقوا عليه ، ولا مشاحة فى الاصطلاح اذا ما نازعهم غيرهم فيه[2] ، لأن العبرة بالمصطلحين لا بالمخالفين ، ومن ثم سأحاول التركيز على ما يمكن فهمه من تيارات ، وأقدمها كاصطلاحات خاصة بالمتهمين بها ، وذلك أثناء الحديث عن أقسام التيارات تيسيرا على القارئ وربطا للفكرة بعنق أختها حتى تتحقق الفائدة المرجوة ، ويعم النفع .

---

(١) هذا هو الذى يمكن استخلاصه من اللغة حسب ما وقفت عليه .

(٢) لا عبرة بالمنازعة فى الاصطلاح إذا كانت المنازعة من غير أصحاب الفن نفسه ، أما إذا كان الخلاف بينهم والمنازعة فى وجه دلالة اللفظ باعتبار عمومة من الخصوص أو فى إطلاقه من التقييد ، فذلك راجع إليهم والعبرة قائمة ، وهو الأمر الذى نظمته المؤلفات العديدة فى أدب البحث والمناظرة - راجع الرسالة الولدية للإمام الغزالى ، والرشيدية ، وغيرهما مما هو معنى بأدب البحث والمناظرة .



المبحث الثانى

أقسام التيارات وأنواعها

أولا : أقسام التيارات

مما سبق علم أن التيارات جمع مفرده تيار ، كما عرف معنى التيار فى اللغة على النحو الذى سلف بيان طرف منه ، وانتهينا إلى أنه :

حركة ما ، فى اتجاه معين يهدف لتحقيق منفعة مقصودة ، أو دفع مضرة موجهة ، أو تحريك عاطفة ، أو تبديد طاقة ، ماديا كان أو معنويا[1] ، ومن ثم فلابد من الحديث عن أقسام التيارات حتى يتضح الموقف أكثر من ذى قبل .

أ. أقسام التيارات :-

ومما لا شك فيه أن التيارات قسمان وكل منها له ظروفه وملابساته والضوابط نذكر منها ما يلى : -

القسم الأول : التيار المادى :-

ويعرف بأنه حركة مادية تنشأ فى متحرك مادى ، بغض النظر عن محركه[2] ، وهذا التعريف فيه من العموم ما يجعله شاملا لكافة الخصائص والمفردات التى تجمع بين دفيتها التيارات المادية عند القائلين بها كعلماء الطبيعة ، واصحاب المناهج التجريبية ، فى مجالات العلوم التطبيقية .

فمثلا - علم الطبيعة - الفيزياء[3] .

---

(١) وهذا التعريف هو الذى نرتضيه ، ونراه فى نفس الوقت جامعا مانعا ، أو شاملا لأجزاء المعرف .

(٢) راجع الفيزياء والميكروفيزيا ص١٣ .

(٣) الطبيعة علم يبحث عن طبائع الأشياء ، وما اختصت به من القوة " المعجم الوجيز " ص٢٨٦ .

٭ يعرف التيار بأن : سيال كهربائى يجرى فى جسم موصل للكهرباء[1] ، وهـــذا القسم يندرج تحته :-

[١] تيار الكهرباء رغم أنه غير مرئي ، إلا أنه ناشئ عن مصدر مادى ، كالمـــاء والمولدات الأخرى[2] .

[٢] تيار الطاقة ، سواء كانت طاقة حركية ، أو طاقة حرارية ، فإنها مـــن قبيـــل التيارات المادية[3] .

[٣] تيار الماء ، وهو الحركة القائمة فيه ، سواء باعتبار نزوله مـــن الأمطـــار ، أو باعتبار تدفقه فى الأنهار والمحيطات والبحار ، أو خروجه من الآبار .

[٤] تيار الحركة ، سواء كانت قائمة فى ذاتها ، أو يقوم بها شيء مـــن خـــارج عنها[4] .

[٥] تيار المطر .

[٦] تيار الحرارة ، وهو غير تيار الكهرباء باعتبار المصدر ، والسمات الخاصة بكل منهما على حدة .

[٧] التيار الضوئى ، ويعرف بأنه : تموجات فى وسط صلـــب متجـــانس مـــن الأثير[5] .

---

(١) المعجم الوجيز مادة (ت ى ر) ص٨ .

(٢) المهندس/ ناشد يسرى – الكهرباء بين التوليد والتوزيع ص١٤٧ .

(٣) وهناك فرق كبير بين الطاقة الحرارية والأخرى الحركية – راجع أنواع الطاقة المستخدمة ص١٣ .

(٤) والحركة الذاتية غير الحركة الخارجية .

(٥) جيمس جينز – الفيزياء والفلسفة ص٣١ .

وكل من هذه التيارات له وجود فعلى فى عالم الطبيعة يهتم به أصحاب الفن نفسه ، سواء أدركناه نحن من كل جوانبه أم تعرفنا على البعض منه ، وغاب عنا بعضه الآخر ، مما يجعل مهمة البحث فى هذه الناحية غاية الصعوبة أن حاولنا تقديم دراسة وافية ، قائمة على أسس علمية لأنواع التيارات المادية (١) .

وقد عرف ابن سينا الطبيعة بأنها : كل قوة يصدر عنها فعلها بلا أراده ، أو هى التى يصدر عنها فعلها من غير رؤية واختيار(٢) ، والأول من التعاريف هو الخاص بعلم الطبيعة ، بينما ما ذكره ابن سينا هو الثانى فهو الذى يبحث فيه عن طبائع الأشياء وحدها (٣) .

وقد يعبر عن التيار بلفظ أخر فيقال التيار هو التموج المتلاحق بين مجموعة من ذات نوع واحد (٤) ، وبناء عليه تكون التيارات هى التموجات فقط ، وبخاصة إذا تعلق الأمر بنظرية الضوء ، لأن العلماء عندهم حينما حاولوا وصف التيار الضوئى عرفوه بأنه :-

تموجات فى وسط صلب متجانس من الأثير الذى يملأ كل الفضاء والحقيقة المؤكدة الوحيدة فى ذلك الوصف هى فى كلمة تموجات(٥) ، لأن هذه التموجات غير المرئية مادية ، ومنقولة فى وسط صلب به نوع من التجانس الأثيرى الذى

---

(١) كما أنها ليست من أغراضنا ، اذ نحن نبحث عن التيارات الفكرية وحدوها .

(٢) ابن سينا – الشفاء الطبيعات السماع الطبيعى ص٣٠ الهيئة المصرية للكتاب – تحقيق / سعيد زايد .

(٣) والفرق بين الطبيعة وعلم الطبيعة هو نفسه كالفرق مثلا بين النحو وعلم النحو ، من حيث أن أحدهما الموضوع ،والثان هو الفن نفسه .

(٤) معالم الفيزياء فى القرن العشرين ص١٣٥.

(٥) جيمس جينز – الفيزياء والفلسفة ص٣١ .

لا يخلو عنه جزء من الفضاء الموجود ، سواء كان الفضاء معروفا لنا من حيث حدوده وأبعاده أم غير معروف .

بيد أن إذا اضطررنا الى استخدام كلمة تموجات التي يتمسك أصحابها بها ، فلا يعني هذا أننا تنازلنا عن كلمة تيار ، لأن المقصود هو المعنى الذى ينهض بداخل اللفظ سواء فى استخدام أصحاب نظرية الضوء ، أو غيره من نظريات ، وليس اللفظ ذاته هو المقصود .

لما سبق القول به من أن الألفاظ أثواب للمعانى ، فأي ثوب يتضح به المعنى هو المقصود ههنا ، والمشترك اللفظى ربما كان مثالا واضحا إذ ليس المقصود هو اللفظ من حيث هو لفظ ، وإلا كان بحثا فى الإعراب والبناء [1] ، أو تصريف الكلمة على ما يظهر فى دراسة اللغة العربية عند المتناولين لها ، لأن النحاة يهتمون بضبط أواخر الكلمات غالبا [2] ، بينما الصرفيون يقفون عند حد بنيه الكلمة ، والأصل الذى قامت عليه من حيث السلامة أو عدمها ، ومن حيث الحرف فى حالات الإبدال أو الإعلال ، إلى غير ذلك مما هو من خصائص الصرف [3] .

القسم الثانى : التيار المعنوى[4] .

وهذا النوع ليس مادة ، وأن نشأت عنه متغيرات المادة باعتبارها من أثاره الناشئة عنه ،كتيار الحب ، الذى تظهر آثاره انبساطا على الوجه ، وبسمة على الفم

(١) وهو اتجاه علماء النحو الذى يبحثون فى طرق تفهم اللفظ العربى ، ومعرفة كيفية ضبطه .

(٢) ويعلم علم النحو بأنه علم تعرف به أحوال ضبط أواخر الكلمة العربية .

(٣) الشيخ / عبد القوى محمد رضوان – مذكرات فى الصرف ص١٤ – المطبعة الأميرية ١٩٣٤م .

(٤) المعنوى : خلاف المادى ، وخلاف الذاتى – المعجم الوجيز ص٤٣٨ .

، وانفراجا فى الاسارير ، وسعة فى الصدر ، وراحة فى نفس صاحبه يشعر به وحده [1] .

وتيار الحزن الذى تبدو أثاره عبوسا فى الوجه ، وتقطيبا فى الحواجب ، وربما خروج كلمات غير مفهومة ، فيها الشكوى ، وتحمل الكثير من ألوان الشعور باليأس [2] ، التى ربما انتهت بصاحبها إلى الانتحار ، أو البكاء بعد الانهيار .

وتيار العواطف النبيلة ، الذى يبدو فى القناعة ، والرضا بما قسم الله واحترام حقوق الآخرين ، والتزام الواجبات التى أمر الله التزامها ، والقيام بها على النحو الذى يرضى رب العالمين راضيا بأن ما قدره الله سيكون [3] .

وتيار الغرائز المنطلقة ، التى تظهر فى جرائم الجنس ، والسرقة وقطع الطريق ، وعمليات الاختلاس ، وإظهار العرى ، ودغدغة العواطف ، وتحريك الغرائز ، والتفنن فى صنع المكايد ، وبذر العداوة بين الأشقاء حتى يتحولوا الى أعداء بدل أن كانوا أصدقاء ، وغرس بذور الشوك ، والبغضاء فى الصدور التى كانت نقية ، وتسلل الفتن الى النفوس التى كانت سليمة [4] .

بيد أن التيار المعنوى منه ما هو تيار فنى ، وآخر أدبى ، وثالث سيكولوجى ، ورابع متعلق بقدرات العقل ومنتجات الذهن ، ويسمى التيار الفكرى ، وكل تيار منها يجمع تحته العديد من التيارات التى توجد بينها علاقة ما وعلى نحو من الأنحاء

---

(١) الدكتور / سبنسر كولز - أعرف نفسك ص١٧ .

(٢) الدكتور / عادل صادق - الطب لنفسى ص٢١ .

(٣) وفى الحديث الشريف : أرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس .

(٤) وذلك كله منهى عنه شرعا .

التى يهمس بها الدارسون ، ويعرجه اليها حينا بعد آخر الباحثون علاقة التيار المادى بالمعنوى .

ومن المؤكد أنه توجد علاقة تربط بين التيار المادى والمعنوى يمكن أجمالها فى أمرين :-

الأمر الأول :- استعمال لفظ التيار كقاسم مشترك [1] ، ولفظ له معنى يراد به عند علماء اللغة كحقيقة لغوية ، يستخدم فى لغة التخاطب الكلامى ، والتكامل الدلالى .

الأمر الثانى :- وجه الشبه القائم بين المادى والمعنوى ، وهو وجود الأثر الناشئ عن كل منهما ، وأن كان الأثر فى التعريف المادى يتم عن طريق مباشر ، أما فى التيار المعنوى فوجه الشبه غير مباشر .

ثانيا : أنواع التيار المعنوى

التيار المعنوى أنواع ، باعتبار دراسته ، والأصول التى يقوم عليها ، والغايات التى يهدف اليها ، فضلا عن الآثار التى تترتب عليه [2] ، وها نحن نذكر أبرز أنواعه .

١- التيار الفكرى :

وهو عبارة عن حركة داخل العقل لا ترى ، ولا تحس ، لأنها من المعقولات الذهنية ، ثم أن كل حركة منها لا بد أن تعقبها مثلها بحيث تتوارى الأولى من توالى

(١) وهذه العلاقة هى التى يتفق الجميع حولها ، من غير منازعة فيها .

(٢) راجع - مذكرات فى علم النفس العام ص١١٢ .

التالية [1] ، كما الهم عرفوا الفكر بأنه حركة النفس الإنسانية فى المعقولات الذهنية[2] ، من حيث تصورها ، وتفهمها والبحث عن علاقة الوجود الذهنية ، وكيفية التعبير عن هذه كلها ، بحيث تنتقل المعلومات الذهنية إلى اذن السامع ، وعقل المتكلم فتصير كألها واقع ملموس .

٢. التيار الأدبى :

هو عمل متعلق بالعقل المنظم ، فى جانب اللغة والقدرة على تذوقها ، أمتصاصا وتعبيرا ، كالشعر والنثر ، وما كان من هذا القبيل وفى كافة موضوعالها التى تتعلق بها على هذا النحو الذى يهدف اليه علماء الآداب والفنون فى جانبه اللغوى .

وهناك تيار أدبى ، يتعلق بسلوكيات الناس وما يصدر عنهم من معاملات ، أو أفعال وارادات مما تقربه الأعراف السليمة ، والفطر النقية والعقول الذكية ، بحيث لا يمس من الناس الا جانب الخير [3] ، ولا يصدر عنه الا الصالح العام .

وهذا التيار الأدبى إنما يمثل صورة للسلوك الراقى ، والفكر الايجابى ، والعقل المستنير ، لكن ذلك كله من جانب الناظر اليه لا الموصوف به ، ولذا فنحن مثلا نقول عن دمث الخلق :

أنه مهذب ، أو أنه مؤدب ، و هو يعيش مؤدبا ، إلى غير ذلك من النعوت التى نسمه بها ، وكل هذا مما نحكم نحن به ، لا ما يحكم به صاحبه لوجود الفرق بين الأمرين على ما سيظهر فيما بعد [4] .

---

(١) راجع كتابنا – التفكير الإنسانى فى أصوله ومستوياته ص٧٣ .
(٢) شرح القويسنى على السلم ص١٩ .
(٣) راجع كتابنا – غدوة المشتاق فى ربوع الأخلاق ص١٣٧ .
(٤) الدكتورة / ليلى خيرى – علم النفس والسلوك العام ص٣١٢ .

٣ـ تيار الخواطر المتداعية

وهو تيار لا يشعر به الا صاحبه ، حينما يهم بالحديث فى أمر من الأمـــور لم يسبق له القول فيه ، فإذا أبتدأ الحديث من غير استعداد لها ، تداعت الخواطـــــر فى أعماقه ، وجاءت آخذة بعناق بعضها الآخر حتى كأنها سلســـــلة واحـــدة فتقـــدم معلومات كثيرة وتحظى باهتمام كبير (١) .

وهذا قريب من الخواطر الملهمة ،والإلهامات المتوالية ، على ما يقـــــول بـــه أصحاب الفن نفسه (٢) ، كما أن هذا التيار يشبه الى حد ما الحدث الإلهامى ، لكنه يتخذ شكل التعبير عن نفسه بصورة مباشرة(٣) .

٤ـ التيار السلوكى :

وهو اتجاه فى الكائن العاقل المفكر يدفعه الى تعقل المواقف السابقة فيعدل منها ، أو يضيف اليها حسنا بحسب الشرع ، أو قبحا بحسب الهوى بقدر ما هو كـــامن فى أعماقه ، من رغبة فى الخير أو إقبال على الشر (٤) ، ولذا يوصف الأثر الصـــــادر عنه به .

فيقال : سلوك حسن متى قصد صاحبه الحسن والخير ، وفعـــــل المعـــروف والابتعاد عن السوء ، فمن مد يده لمساعدة محتاج وإنهاض مكبـــوب فى حفـــرة ، وتفريج كربة مكروب ، وإدخال السرور لقلب مكلوم ، يقال لـــه وأمثالـــه أنهـــم

---

(١) بنتيون – أربعون سنة فى الأبحاث النفسية ص٣٢ – ترجمة أمل صالح .

(٢) الأستاذ / عبد القوى أنور – علاقة الفكر بالخواطر ص١٣٢ .

(٣) وهو غير الحاسة السادسة التى تعرف عند علماء الأخلاق الحاسة الأخلاقية ، وتعرف عند غيرهم بغيرهـــا – راجع المشكلة الخلقية للدكتور / توفيق الطويل وآخرين مبحث الحاسة السادسة .

(٤) المدارس السلوكية وأثرها على الشواذ ص٧٣ .

أصحاب سلوك حسن ، ويسيرون فى تيـــار القبـــح الســـلوك الخـــير والعكـــس بالعكس [1] .

فمن مد يده ليسرق حق غيره أو يرتشى فتضيع حقوق هو مؤتمن عليـــها ، لا ينال من القول الا القبح والقدح بدل الثناء والمدح ، وكل هذا ممـــا يوصـــف بـــه السلوك الصادر عن المرء نفسه من غير اعتبار لشيء أخر ، وهو تيار معنوى باعتبـــار المحرك ، ومادى من ناحية المظاهر التى تصاحبه [2] .

د- التيار الوجدانى :-

وهو حركة داخل النفس البشرية تقوده الى رغبة ما ، فيها الحب والإنســـانية أو البغض والأنانية ، الأثرة أو الإيثار والمثالية ، وفيها التناقضات الجمع الكبير ، وقد تخرج هذه الحركة الى حيز غير ما قصده صاحبها متى ضعفت سيطرته على ملكاتـــه الذاتية وأنفلت منه قيد التحفظ والكتمان ، فعبر عن حبه الدفين دون مراعاة للعرف ، أو انضباط مع فطرة سليمة ، أو مراقبة لأوامر الشرع [3] الذى يفرق قيودا هـــــى الحصانة للسلوك الإنسانى نفسه .

---

(١) سلوك الشواذ وتأثره بالظروف ص١٧٣ .

(٢) الدكتور / صبحى خليل - دراسات فى السلوك الإنسانى ص١٤٤ .

(٣) كثيرا ما عبر الإنسان عن هذا التيار فى قصيدة غزل عفيف ، أو شكوى قلب زفيف ، أو ترنيمة فؤاد تحـــرك فى صدر صاحبه كالذبيح ، وما قصائد المدح والغزل ، أو الرثاء والحزن ، أو الأصول لهذا التيار الوجدانى .

٦ـ التيار العلمى :ـ

وهو حركة عقلية يقوم بها كل عالم فى ميدان تخصصه ، بحيث تتم فيها معالجة الموضوعات العلمية بالمناهج التى تتفق معها ، وتكون لها السيادة فيها بحيث لا يصلح لها غيرها (١) فى نفس الظرف .

أما الدين الإسلامى فلا يمكن أن نطلق عليه لفظ تيار لأنه شرع الله ودين الإسلام ، وهى تسمية توفيقية (٢) ، وليس فى مقدور العقل البشرى إطلاق شىء على شرع الله ، لم يطلقه الله عليه (٣) ، وإلا كان نوعا من الخروج على ما شرع الله تعالى .

كما أن شرع الله باق فى كتابه الكريم وسنة نبيه المطهرة الصحيحة ولا يمكن أن نقول على أحدهما أو كليهما أنه تيار ، أو تموج ، او خلافه ، وإلا وقع المرء فى دائرة المحظور شرعا ، أنما يقال عليه ما قاله رب العالمين ، شرع الله ، وشريعة الإسلام ، ودين الله الذى ارتضاه الله للمسلمين (٤) .

وربما يقال : أن بعض الناس يطلقون على أنفسهم اسم أصحاب التيار الإسلامى ، أو يطلقه عليهم غيرهم تحت ظرف من الظروف ، أو طبقا لحالة من الحالات .

◈ أفلا يعنى هذا الاعتراف بوجود التيار داخل الإسلام نفسه ؟(٥) .

---

(١) الأستاذه / ناهد أحمد زكى - أخلاقيات البحث العلمى ص١٩٥ .
(٢) جاء ذلك فى قوله تعالى ﴿ " ان الدين عند الله الإسلام " ﴾ .
(٣) والقاعدة أنه لا احتهاد مع النص .
(٤) قال تعالى ﴿ " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا " ﴾ .
(٥) هى مجرد مزاعم فالإسلام دين الله الخالد وليس تيارا أبدا ، والفرق بين دين الله والتيار كبير جدا .

والجواب : أن هذا الإطلاق ليس على بابه الدينى ، بمعنى أن المنتظم فيه ليس هو المسلم وحده [1] ، بحيث يقال على غيره أنه غير مسلم ، أو أنه يخص المسلم وحده ، وإنما معناه أن المنتظم فيه يمكن وصفه بأن ديدنه الالتزام بشريعة الإسلام ، ومحاولة الحفاظ على ذلك السلوك الإيمانى ، كما أمر الله جل علاه .

فمن رأى فى نفسه تقصيرا وأراد الانضمام إلى هذا الفيلق الذى يعتنق الإسلام وينطوى تحت فرق ذلك الجحفل الإسلامى العظيم ، كأفراد يحاولون تطبيق شرع الله على أنفسهم فلا شيء فيه [2] .

إذ تلك طبيعة الدين الإسلامى الذى شرعه رب العالمين ، وسمة المسلمين الذين يحتكمون إلى أكرم الأكرمين شريطة أن يكون فهمهم للإسلام من خلال نصوصه الشرعية التى يجب حفظها أولا ، والالتزام بها ثانيا [3] .

وبالتالى يكون التيار الإسلامى هو حركة تضم الأفراد إلى نصوص الإسلام القرآن الكريم - والسنة النبوية المطهرة الصحيحة - مع ضرورة الالتزام بما نبه الله علماء المسلمين الأوائل الذين تخصصوا فى دراسته وعنوا بأموره .

وقد فطن لذلك علماء العقيدة والتفسير والأصول ، وأهل الحديث واللغة والفقه وغيرهم .

وحينئذ يكون الغرض من الانتساب للإسلام هو الالتزام بتعاليمه والقيام على أوامره ونواهيه ، والتماس رضوان الله رب العالمين ، وشفاعة سيدنا محمد ﷺ دراسة

---

(١) الأستاذ / جمال البنا - الدعوات الإسلامية ص١٩٧ .

(٢) مجلة الدعوة الإسلامية ص١٩ .

(٣) وإلا فما قيمة الزعم بأنهم على شرع الإسلام يقومون ، ما دامت القلوب سوداء والضمائر خربة ، والنفوس فيها الكبر والنفاق والعناد .

وفهما ، وشرحا وتعليما التزاما وسلوكا ، خدمة لدين الله ، ونصحا لأمة المسلمين ، امتثالا لتوجيهات الله رب العالمين الواردة فى النصوص الإسلامية ، مما حفلت به آيات القرآن الكريم ونصوص السنة المطهرة الصحيحة(1) .

كما أن وصف التيار الملتزم بالإسلامى فيه نوع من التخصيص لجماعة معينة بين أقوام متكاثرين ، من حيث أنهم أفراد يحملون أفكارا أصولها شرعية ، ويمكن تطبيق هذا فى البلاد التى توجد فيها كثرة مشركة وقلة مؤمنة بحيث يقع بينهما التمايز(2) .

وحينئذ يباح أن تطلق جماعة المسلمين على أنفسهم ما يميزهم عن غيرهم ، مع الأخذ فى الاعتبار أن يكون هذا الإطلاق شرعيا ، كاستعمال لفظ " أخوة الإسلام " ، أو جماعة المسلمين مثلا ، حتى يتميزوا فى بلد كأمريكا عن غيرهم من أمثال " جماعة الشيطان " وأصحاب الحقيقة السوداء ، وأصحاب الحقيقة الخضراء ، وأصحاب القيامة السريعة(3) .

أو غيرها من الجماعات التى يعج بها المجتمع الأمريكى وغيره من المجتمعات التى تركت الدين الإلهى واصطنع أصحابها لأنفسهم أديانا من عندهم مازالوا يقومون

---

(١) وقد أخبر الله تعالى أن هؤلاء العلماء هم أهل الخشية منه جل علاه ، فقال تعالى ﴿ " إنما يخشى الله من عباده العلماء " ﴾ . سورة فاطر الآية ٢٨ .

(٢) ولا يطالب بذلك التمايز بين جماعة الشيطان الا عدوهم .

(٣) القيامة السريعة فكرة نادى بها كثير من غير المسلمين فى اليابان والصين ، واستراليا وأمريكا والسويد ، وغيرها من البلاد التى يكثر فيها أهل الإلحاد ، وقانت الفكرة عندهم على أن القيامة ستقع بعد يوم أو أثنين حسب التصورات الساذجة التى نادى بها أصحابها حتى أنهم فى أستراليا لم يتركوا أصحاب تلك الفكرة ، وإنما قدموهم للمحاكمة من باب ادعاء معرفة الغيب .

بالدعوة اليها ، والاعلان عنها ، رغم أنها أفكار فاسدة ، واتجاهات منحرفة ، واهمالها أولى من قبولها .

وفى أمريكا وحدها توجد العديد من هذه الجماعات التى تنشر أفكارها بحرية ويتحرك أفرادها بالشكل الذى يحبون تحت ستار علمانية الدولة[1] ، أو حرية المعتقدات .

ومن هذه الجماعات بأمريكا ظهر كل من :—

[١] جماعة : هارى كريشنا[2] .

[٢] جماعة هوسبتاى زيفى[3] .

[٣] جماعة كابالا ، ويقصدون به السحر[4] .

[٤] جماعة الأحمدية[5] .

[٥] جماعة بوابة السماء[6] .

[٦] جماعة الحقيقة السوداء .

[٧] شهود يهوه

[٨] جماعة أعداء الأديان .

[٩] جماعة الرباط المقدس[7] .

---

(١) راجع كتبانا – من وحى البيان فى جماعة الشيطان ص١٥ .

(٢) وهم يعتبرون كريشتا هو الله رغم أنه واحد منهم عاش ومات بينهم .

(٣) وكايدزيفى غير سوى التفكير ، وهو الذى حلق رأسه بطريقة القزع على لغة الكابوريا .

(٤) وهى إحدى جماعات الماسونية العالمية فى فضائل اليهودية السياسية .

(٥) وهى جماعات نتجت عن البهائية وصاحبها يدعى أحمد الأهورى ، ونسبت اليه

(٦) وقد تحدثنا عن هذه الجماعات فى كتابنا : من وحى البيان فى جماعة الشيطان .

(٧) راجع كتابنا أوراق متناثرة فى التيارات المعاصره .

إلى غير ذلك من الجماعات الفاسدة ، والنحل والملل المنحرفة ، بجانب اعتناق بعضهم اليهودية السياسية ، أو المسيحية الشاؤلية ، فإذا ما اختار المسلمون لأنفسهم اسما يجمعهم ، فيجب أن يكون هو الإسلام لا غير ،وأن تكون سماتهم مميزة لهم عن غيرهم ، وأن يتم اختيار أسمائهم بما يناسب الأصل الشرعى الذى يميزهم فيه ، ولا يشترك معهم فيه أحد غيرهم .

ونحن قد علمنا بما لا يدع مجالا للشك أن الدين الإسلامى قد أنتشر فى أوربا ، وفى كل بلدان ، فعلا وقد صار له أنصاره من المسلمين الملتزمين فى تلك البلاد ، وله بعض المتحمسين من المفكرين الذين أعجبتهم النتائج الإيجابية فى الإسلام بغض النظر عن كونهم غير مسلمين[1] ، أدركنا أنه من الثابت توفيق الله تعالى للمسلمين حتى أنه ليؤيدهم فى الدفاع عن الإسلام من ليس مسلما ، كما ينصح لهم المسلمون .

على أن الذى يجب الالتفات اليه ، هو أن التيارات الفكرية فى هذه العصر متعددة الجنسيات متعددة المشارب ، والاتجاهات ، متعددة الوسائل والأهداف والغايات مما يجعل الإلمام بها كلها مهمة صعبة وشاقة ، لكن التعريف ببعضها ، والتنبيه على المخاطر التى تأتى منها ، وكيفية علاجها يعتبر ضرورة شرعية حتى يحذر الأغرار من السم الذى يوضع لهم فى العسل ، والداء الذى يصدر لهم على أنه ثقافة ودواء[٢] .

---

(١) كالحال مع المفكر الفرنسى جارودى ، وغيره ممن أعلن بعضهم تدنية بالإسلام ، وهجرة لغيره ، أو أعلن تعاطفه مع الإسلام لسلامة نتائجه .

(٢) كحلقات ماربجر التى ألفها وأخرجها ، وقام بالدعاية لها والتسويق يهود من الرأس للقدم ، والرحل الوطواط وغيرها ، مما يتهافت عليه أبناء المسلمين ظانين أنها ثقافة ، وما هى الا الداء الذى يسرى فى الأعماق حيث يحفظ الصغار أسماء تلك المعارك الوهمية بحيث يقع لهم نسيان غزوات الرسول ﷺ وانتصارات المسلمين ، ومن ثم لا يعرف الحق وينقطع الناشئة عن كل قيم نبيلة إسلامية أصيلة .

بل أن بعض من أبناء المسلمين ربما قعد عن أداء الصلاة ، أو تـــأخر فى أداء الواجب المنوط به ، وأهمل شرع الله الذى أمرنا الوفاء به ، والتواصل فيه بغية متابعة هذا السم الاعلامى التجريبى الطفوح الذى تبثه القنوات التلفزيونية بأنواعها المختلفة على مدار ساعات اليوم والليلة[1] .

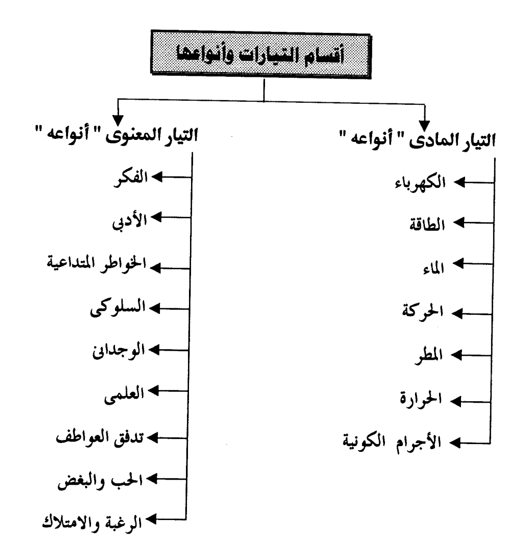
وبعضها – وهو الغالب فيها – يصدر عن القنوات التجارية الخاصة ، ينشـــر الجنس ، ويدعو للرذيلة ، ويذبح القيم النبيلة ، ويستهين بالفضيلة ، ويدعو للقفـــز فوقها ، بل أنه ليستهجن كل عمل مشروع من خـــلال أعمـــال هـــى العبـــث أو اللامعقول بعينه ، لكنه يقدم للمشاهد الشرقى بنوع من المعالجة الدرامية ، حـــتى تنطلى عليه الحيل الشيطانية[2] ، ويسقط من أعلى الجبل فيصير بلا هوية .

ولا شك أن ذلك يسهل للملاحدة نزع المسلم عن نصوص دينه ، وإبعـــاده عنه ، وصرفه عن الالتزام به ، بل أنهم ربما حاولوا جعله وحتى يتحول إلى عدو له ، وعين لأعدائه عليه .

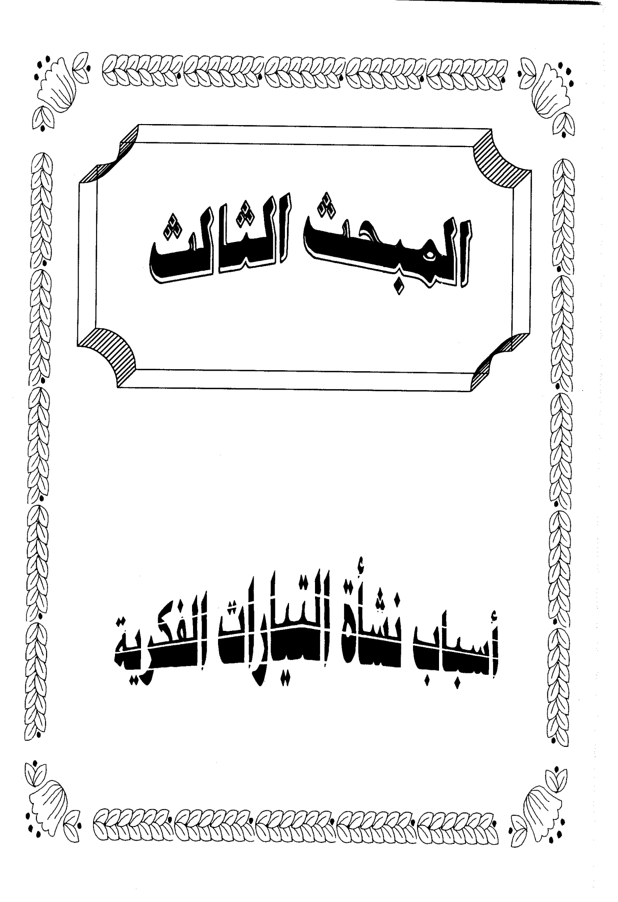
---

(١) يفاخر السيد وزير الأعلام بأن البث الأعلامى مستمر على مدار اليوم والليلة حتى نساير العصر ، وكم أتمنى أن يصدر سيادته قرار بضرورة التزام هذا الاعلام المباشر أوامر الشرع الاسلامى الحنيف ، لأننا مســـلمون ، وفى بلد مسلم .

(٢) والدراما من أخطر الفنون متى استخدمت فى الجانب التدميرى ، ولكنها لو عولجت على نحو شرعى ربمـــا أفادت .



ولكل قسم منها أنواع ، ولكل نوع منها طرق للتعريف به ، وتنمية ما فيـــه ، ومراجعة النتائج التى تمت ، مع عمليات المراجعة للأســـباب ، والمعالجـــة لأوجــه القصور ، وذلك مما هو مدون فى العلوم والمباحث المعنية بها ، فليطلب كل ذلك من مصادره الخاصة ، فى العلوم المتعلقة به .



المبحث الثالث

أسباب نشأة التيارات الفكرية

تمهيد

ما أقر العقل السليم إبراز معدوم إلى الوجود فجأة من غير أسباب تباشر اللهم إلا ما جاء به النقل المعصوم فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة ، وأقره العقل السليم على هذا الجانب الشرعى باعتباره من أمور الغيب التى لا يعلمها الا الله جل علاه ، وهو وحده الذى أخبر بها جل علاه .

فإذا ما حدث عنها النقل المنزل استقبلها العقل المسلم بالرضا والقبول ، يتساوى فى ذلك عنده ، أمر خلق الكائنات كلها ، ومنها ذلك الذى يتعلق بالمعجزات[1] ، أو غيرها من خوارق العادات ، أو ثوابتها ، لأن النقل المنزل هو الصادق والقول الفصل ، والحكم المعصوم .

كما يتساوى عنده انعدام الكائنات كلها فجأة ، ومن غير أسباب تباشر طالما جاء الحديث عنها فى النقل المنزل ، فالمرء العاقل المسلم يؤمن بالغيب الذى ذكره النقل المنزل ، بل هو صفة من صفاته التى أمتدحه الله بها .

قال تعالى :﴿ " الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون " ﴾[2] .

و لم يدر بخلد العقل المسلم يوما أن يأتى حدث ما يأتى فجأة من غير أسباب ، أو يظهر إلى الوجود دون مقدمات ، وطبقا لهذا السائد حكم العقل على ما يبدو فجأة – من غير إسناد إلى المعجزة وخوارق العادات بشروطها عند

(١) راجع كتابنا " الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى " ص٢٩٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ٣ .

المسلمين – بأنه نبت شيطان ، أو ألاعيب جان ، تختفى تحت ثوب شفيق حتى إذا ما أتيح له الظهور جاء صوته نذير شؤم من أعماق القبور[1] .

أجل العقل غير المسلم مبتور الإيمان ، لا يصدق بخوارق العادات ، ولا يعترف بالغيبيات ، ولا يؤمن بالمعجزات ، ولا يقبل الإيمان إلا بما يشاهده أو يحكم عليه حسه ، أو يقع له موقع المشاهدة[2] ، والتجربة ، وهم أهل الطبيعة وعبدة المال ، والملحدون على السواء.

والتيارات الفكرية ليست كهذا ، وإنما هى نتائج لمقدمات كثيرة انسابت فى ثنايا الزمان ، وترامت فى أغوار عقول ، وتراقصت على وجدانات مضطربة ، ولعبت بأوتار رقيقة نالت منها كل منال ، وبالتالى فلا يمكن اعتبار التيارات الفكرية الا نتيجة منتظرة ، وعواقب سوابق أنطوت على مشاعر متضاربة وسلبيات ما قبلت التقويم ، ولا رضيت بالإصلاح .

ونحن هنا سنحاول تقديم أسباب نشأة التيارات الفكرية ، مع ملاحظة أن هذه الأسباب التى سأذكرها على سبيل العد ليست موفية بالغرض ، وإنما هى أسباب ترجحت عندى على غيرها ، وبرزت مظتهر بحيث صارت متميزة فوق الجميع تلك ملاحظة .

الثانية : هى أن القليل من التيارات كان يقدم بعض معالجة لموقف معين ، ولكنه لم يفلح فى الوصول إلى غرضه بالقدر الذى كان ينتظر منه[3] ، ولذلك لن أخص هذا الجانب بالدراسة ، وأن كنت أشير اليه فى لمحات قليلة حسب ظروف

---

(١) لأنه تطاول على الشرع والعقل وخروج عن المألوف .

(٢) شيخ الإسلام مصطفى صبرى – موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين جـ٣ ص١٢٨ .

(٣) وهذا النوع كثير وتراه فى حياتنا اليومية ، ولكن ضبطه ليس ممكنا بشكل دقيق .

العمل المتواضع ، فما هى أسباب نشأة التيارات الفكرية علـــى وجــه العمـــوم ، والمعاصر على وجه الخصوص ؟

السبب الأول : تخلف الوازع الدينى :-

أنبأتنا حوادث الأيام حاضرها والغابر ، أن الوازع الدينى فى قلـــب صاحبـــه يقوده إلى الخير ، فيدفعه إلى العمل الصالح والخير العام ، ويباعد بينه وبـــين أفعـــال السوء ، ولا يرضى له أن يفقد عقيدته الدينية[1] ، أو يهجر شريعته الإسلامية .

اذ الدين إنما شرعه الله للعباد فتحقق لهم به مصالح - دنيوية وأخروية - تعجز عقولهم وحدها عن تحقيق هذه المصالح ، ودفع تلك المضار ، وكلما ازداد الـــوازع الدينى لدى فرد ، برز بوضوح فى سلوكه الفكرى والذهنى ، والعلمى ، والأدبى[2] .

وتاريخ المسلمين الأوائل خير شاهد ، وما ينقله الثقات من أهل العلم فى هـذا الجانب موثق ، فالمسلم مؤمن بما ورد به الشرع الشريف مـــن ذلـــك قولـــه ﷺ : " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خـــيره وشره "[3] .

بل أنه إذا امتحن بما يقضيه الله على عباده ، أو يقدره لهـــم حكمـــا مـــن أحكامه ، ترى الوازع الدينى وقد غمر صاحبه أيمانا يفوق الثريا فى العلو والارتفـــاع عن سفاسف القول ، وسواقط الأخلاق ، فلا يرفع لغير الله شكوى من الزمـــان ،

---

(١) راجع كتابنا - حفيف الأفنان بين الملل والنحل والأديان ص٢٩ .

(٢) الأستاذ / وحيد الدين خان - الدين فى مواجهة العلم ص١١٢ .

(٣) صحيح الإمام مسلم - باب الإيمان ، والحديث متفق عليه ، وهو من طريق عمر بن الخطاب - رضـــى الله عنه - ، ويعرف بحديث جبريل الأمين .

ولا يعرض حاجته على غير الرحيم الرحمن ، ليس عجزا منه ، أو ضعفا فى ثقته الإيمانية ، أو حياء عن رفع أكف الضراعة ، وإنما إيمانا خالصا ، وعقيدة سليمة مع تسليم لله رب العالمين .

وليس فى هذا التسليم ارتداء ثوب المذلة ، وإنما يقوم الأمر كله عند أعتاب القبول والانقياد لله ، مؤمنا بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك[1] .

غير أنك تراه فى نعيم من الرضوان ، وهدأة حال واطمئنان بالله رب العالمين ، يزول الناس ، وهو على أمر اليقين قائم ، ولو سألته لأخبرك لسان مقاله ، بما ينطوى عليه صدق إيمانه ، ولو كشف لك حجابه لعبر لك لسان حاله بأنه يعيش فى عصمة الإيمان ، وراحة فى قضاء الله ، وسعة فى الرضا بقدره ، وصدق يقين فيما عنده جل علاه ، وما ذلك إلا لأن الوازع الدينى عنده قوى ، وإيمانه بربه صحيح ، وعقيدته فى الله رب العالمين تعلو فوق غيرها .

اذا الوازع الدينى كلما كان قويا ونشيطا قاد صاحبه إلى الخير ، وسلك به طريق النجاة ، بل أن الحياة لتبدو عنده رخيصة فى مقابل الآخرة ، ولذات الدنيا الفانية لا تساوى عنده نظرة رضى من رب العالمين[2] .

---

(١) الحديث مشهور ، وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال : رسول الله ﷺ " ألا أعلمك كلمات : أحفظ الله يحفظك ، أحفظ الله تجده تجاهك ، إذ سألت فأسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، وأعلم أن الأمة لو احتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وحفت الصحف .

(٢) وقديما قيل : يا رب قطرة من فيض جودك تملأ الأرض ريا على المرء ذاته ، ونظرة من سبحات نورك تجعل الكافر وليا .

فاذا تخلف الوازع الدينى أنحط المرء ، وبدأت موجات الشك تتقاذفه ، ورياح القلق تعصف به ، فتغالبه شكوى الأيام حتى يفتح له سجلات القـــانطين ، وهـــو حينئذ يلاقيها متصورا أنها العاقبة المنشودة ، والخير الجزيل ، وبالتالى يعتبر من نفســه صورة مثلى يحاول ضبط الخلائق عليها ، ودفعهم لتقليدها ، والاعتماد عليها ، مــع أنه من الخاسرين أعمالا ، فقد شك فى أمور يجب فيها التسليم[1] ، وطعن فى أصول لا يصلح الإيمان الا بها .

بيد أن الناس ما انقادوا لواحد مثلهم ما لم يكن لديه أمر على من إمكانيــاقم أو أكبر من تصوراقم ، أو تعينه مكتوبات ليست بوسعهم ، ومن هنا تـــرى مـــن تخلف عنده الوازع الدينى ، وقد نصب شباك الأمل حول نفسه فيزعم أمورا كلـــها باطلة منها :-

☆ أن روح الله حلت فيه .

☆ أو أن روح النبى قد استقلت به .

☆ أو أن الوحى على عجل قد أتاه .

☆ أو أنه مبعوث العناية الإلهية ∴ وما هو فى ذلك على سند صحيح[2]

وربما زعم ذلك حتى منح نفسه أوصافا ، ولقب ذاته ألقابا ، هى منه بـــراء ، ومثل هذه الادعاءات ربما يخشى أن ينساها صاحبها ، ومن ثم فإنه يلجأ إلى تدوينـها

(١) وهى مرحلة خطيرة ونتائجها سلبية وأثارها مدمرة على المرء ذاته .

(٢) راجع كتابنا – التفكير الإنسان أصوله ومستوياته – ص ١٣٧ .

واذاعتها على الناس بكل وسيلة يتمكن منها ، أملا أن تردد الجماهير اسمه ، وتغنى به أكسيرا للحياة ، ومنقذا للبشرية[1] .

وربما ساهم بما لديه من مال ، أو جاه ، أو بذل مجهود لمثل هذا الموقف أخفاه ، فإذا اتباعه وقد ساروا دربه ، ورددوا ما أملاه ، أو أهملوا كل شرع ونفشوا على الزرع وأجهدوا الضرع ، حتى لو كان الأمر متعلقا بالأهل والذرية ، أو النسب والعصبية[2] .

وهم فى كل حال خطر على البشرية ، ووباء لا يضمن أحد تفادى أثره على الإنسانية ، فإذا دالت الأيام ، وشب عن الطوق الفطام ، ظنوا ما أملاه الجاحد فكرا ، وما رسمه المنحل شرعا ، بل ربما غالوا فى الأمر فاعتقدوا فيه الضرر والنفع ونسبوا اليه الأحياء والأمانة والخير والشر بل وتدويل كل من الليل والنهار[3] .

حتى إذا بلغ الاتباع ، وتلاحى فيما أعلنته الجياع ، اطل عليهم بريق فجر كاذب ، يدعوهم إلى التجرد من الدين ، والتحلل من الشرع ، والتجرؤ على القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة زاعما لهم أن التمسك بالدين مصادم للطباع البشرية ، ومخالف للنواميس الطبيعية[4] ، وهو فى كل ما يزعم كاذب .

---

(١) راجع البابية والبهائية ص١٧٥ .

(٢) كالحال مع التكفير والهجرة ، وجماعة الشيطان ، والأخوان الجمهوريين بالسودان ، وجماعة هارى كريشنا ، ورشاد خليفة وغيرهم .

(٣) الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – عقيدتنا رفع عيسى ونزوله بين الإسلام والنصرانية ص٣١٣ .

(٤) محمود محمد طه – الحجاب ليس فريضة ص١٥ .

بل إنك ربما سمعت عن متكلم له تعقيدات ، أو فيلسوف مسلم له مباحث غامضات ، أو متصوف عاش فى شطحات ، لكنهم جميعا لم يجرؤ واحد منهم على مخالفة الشرع ، أو ركوب موجة الشك ، أو التحليق فى سماء الأوهام ، أما لماذا ؟

فلأن القواعد الإيمانية عندهم قويمة ، والطريق إلى اكتسابها قريبة ، واليقين فيها غالب ، والوازع الدينى فيها حى يقظ ، ولو تخلف لانحرف ، وذلك الانحراف هو أحد أسباب نشأة التيارات الفكرية وتطوراتها المستمرة ، وأخطارها الدائمة .

اذن تخلف الوازع الدينى فى نفس صاحبه يقوده إلى الزعم بأن التمسك بالدين تخلف ، والالتزام به جناية ، والاعتداد بما فيه ارتداد للخلف لا تقدم للأمام ، وحينئذ يكون له أتباع ، ومريدون ينادون بفكره ويعلنون موقفه ويتمسكون به ، وهم خطر على المجتمع والدين والعقيدة[1] .

الثانى : تفشى ظاهرة الانحراف[2] :

الانحراف مرض خطير يصيب المرء فى دينه وعقله وقيمة ، وأدبه واجتماعياته والمنحرف مريض يحتاج العلاج ، لكن هذا الانحراف له مقياس ثابتة ومعايير قبل أن توجد فى غيره ، لأنها صارت مرهونة به ، ثم أن الانحراف أنواع منها :-

أنواع الانحراف

[١] عقدى : يتعلق بالعقيدة الإيمانية :-

(١) الأستاذ / محمد قطب - مذاهب فكرية معاصرة ص٤١٧ .

(٢) الانحراف هو : الانفعال ، وهو الميل وعدم اعتدال فى المزاج ، وبالتالى فالمنحرف منفعل ، فمائل عن الخط الصحيح ، والمزاج السليم ، ومنصرف عن الشيء إلى غيره - المعجم الوجيز مادة (ح ر ف) ص ١٤٥ - ط وزارة التربية والتعليم ١٩٩٢م .

كالانحراف بالعقيدة والتوحيد إلى الرغبة فى التجسيد وعبادة الأصنام البشرية والأوثان والأفكار الشاذة والقوى الخارجية كالشيطان والجان والشمس والقمر والزلازل والبراكين والرياح والأمطار بل وكافة هذه الانحرافات التى لا يمكن الا أن تكون صورة منكرة لعقائد هزيلة وفكر لا يستحق النظر اليه[1] بعين الاعتبار ، أو القبول والإكبار .

كالكرامية ، والمشبهة واليهود الذين جعلوه تعالى جسما ويحل فى مكان كالأجسام حتى قالوا : أنه مماس للصفحة العليا من العرش ويجوز عليه الحركة والانتقال ، وتبدل الجهات ، حتى قالوا العرش يئط من تحته أطيط الرحل الجديد تحت الرحل الثقيل ، وأنه يفضل على العرش من كل جهة أربعة أصابع[2] .

والانحراف برمزيه التوحيد ، والإفراط فى الرمزية إلى الحد الذى يباعد العقيدة التى فى أعماق صاحبها عن الصواب ، فيبعد عن الله تعالى كل صفاته ، حتى لكأنه غير موجود أصلا ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا[3] ، وكلها تمثل انحرافات عقدية والمثال يغنى عن الحصر .

[٢] انحراف شرعي :-

كمخالفة أصحاب المذاهب التى صارت اجتهاداتهم قواعد شبه ثابتة لهم ، والزعم الكاذب بأن اجتهاداتهم قد غابت ، وأن الزمن الذى وجدوا فيه قد أختفى ، وأن ضرب كل مذهب منها بالأخر ، بغرض إفقاد الثقة فيه ، وإهمال القيام بواجباته .

---

(١) فعل ذلك المشبهة والمجسمة واضرابها – الموقف الخامس أعرض الثانى ص٢٧١ من المواقف – مكتبة المتنبى .

(٢) راجع كتابنا – منهج السلف الصالح فى إثبات وجود الله تعالى ص٤٤ .

(٣) راجع كتابنا – البهائية وموقف الإسلام منها – ص١٧ .

والغلو فى الدين أو التطرف فيه ، وإلزام النفس ما لم يلزمها به الشرع حتى وصل بهم الأمر حد لا يمكن السكوت عليه ، فحكم العقلاء على سلوكياتهم بما لا يتفق مع الشرع ، وهم فى ذات الأمر خرجوا عن الآداب والقيم بل أن بعضهم يحرم الحلال ، ويحل الحرام ، ويصدر فيه فتاوى لا علاقة لها بالشرع(1) ، يزعم الاجتهاد مع انه لا يعرف شيئا عن الاجتهاد ، وإذا عرف فما هو إلا اجتهاد طلب المصلحة ، والمقابلة بغرض الحصول على المنفعة .

[٣] انحرف أخلاقي :-

كانحراف الناس عن الشرع ، ومنه الكذب والنفاق والخداع ، واحتراف الرقص من الأبناء واستعمال أدوات الصباغة والتجميل كنوع من الرغبة فى تضليل زوج مخدوع ، أو خاطب ينتظر ، أو عروس لم تنل من ظروف الحياة قسطا ، وفى نفس الوقت فان هذه الانحرافات لم تقع فى مسألة من الأخلاق إلا دمرته ، فضرب الأخلاق ، والعدوان عليها انحراف على الأخلاق الصحيحة ، والفطر السليمة ، وتضليل لا يقبل ، وسلوك غير سوى وهو أثر من الآثار التى قامت عليها التيارات الفكرية المنحرفة أيضا (٢) .

[٤] انحراف عقلي :-

كاللجوء إلى المغالطات اللفظية ، واستخدام ألوان الجدل ، أو التهام مواد كيمائية تقوم بتدمير مادة الآندروفين فى المخ ، التى خلقها الله تعالى فى مخ الإنسان لتقوم بدور هائل فى تنشيط الجسم واستمرار تحكم المخ فى عمليات الجسم ،

(١) د/ محمد حسينى موسى محمد الغزالى - غدوة المشتاق فى ربوع الأخلاق ص٣١ .
(٢) المصر السابق ص٢٧١ .

وتحصيل قدر من الراحة بعد بذل الكثير من التعب والعناء[1] ، فهذا انحـــراف عـــن حكم العقل الذى يطلب من صاحبه حمايته ، فاذا قائم عليه يحاول تدميره .

والمعروف أن استخدام المواد المخدرة يقضى على هذه المادة الفعالة ، وهـــى من الصنعة الإلهية التى خلقها الله فى المخ الغدى ، ويطلق عليها المتخصصون اســم " أفيونة المخ[2] ، " كما أن التدخين يضعف هذه المادة – الآندروفين – عن القيـــام بواجبها على الوجه الأمثل ، والمستخدم للمواد المخدرة يدمـــر جـــهازه العصـــى بنفسه[3] ، ويهزم عقله الذى كان المفروض فيه أن ينتصر له ويستعين به .

اذن فالمواد المخدرة طبيعية كانت ، أو متخلفة منها ، والتدخين وسائر أنـواع الكحوليات فإنها من أهم أسباب أمراض الجهاز العصبى المركزى فى المخ[4] ، وتؤدى لهاية المرء الصحية[5] ، وقد تجعله طريح الفراش حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

وبالتالى فالانحراف العقلى فيه اتجاه بإمكانيات العقل إلى غير فائدة وإنفاقــها مع الإسراف فيما لا وجه للمصلحة فيه ، أو تدمير العقل نفسه بتدمير خلايا المـــخ الإنسانى على ما سلف بيانه .

---

(١) دائرة المعارف الطبية ص١٩٥ – كتاب الجمهورية .

(٢) الدكتور أ.ب – برنز – المخدرات وخطرها على المخ ص١٧٥ – ترجمة أمل خالد .

(٣) الدكتور – سنبسر كولز – أعرف نفسك – ص٧٥ .

(٤) الدكتور / جمال ماضى أبو العزائم – المخدرات ص٦٧ .

(٥) هناك فرق بين العمر الزمنى ، الذى يبدأ مع صاحبه من لحظة التكوين حتى الموت والعمر الصحى ، وهـــو الفترة التى يقضيها المرء سليما صحيحا يتمتع بقدر من الهدوء والقدرة على القيام بالأعباء الـــتى لا بـــد لـــه منها – راجع الصحة العامة ص٢١٣ .

٥- انحراف عاطفي :-

كتوجيه العواطف النبيلة إلى المحرمات تحت أسماء وهمية منها الحب العـاطفى ، والرغبة الجسدية ، والتعلق الروحى ، والميل القلبى لكل ما هو محرم ، ولو صاحبـه انهيار الأخلاق والوقوع فى الزنا ما دام تحت اسم العاطفة ، وقد جاءت نتائج هـذا النوع على القيم والعقيدة والأخلاق الإسلامية سلبية للغاية .

من ذلك ما نشرته إحدى الصحف القومية[1] تحت عنـوان " فضيحـة فى دكاكين الصحافة " جاء فيه ما يلى :

" اتهمت طالبة كلية الآداب – وتعمل سكرتيرة تحرير بـإحدى الصحـف الأسبوعية تحت التمرين – زميلها ٥٠ سنه بالاعتداء عليها داخـل شـقته بشـبرا الخيمة .

قال الفتاة ٢١سنه أمام رئيس النيابة أن زميلها دعاها لتناول طعام الإفطار مـع أسرته ولبت تلك الدعوة العاطفية لكنها فوجئت به مفردا من غير أفراد الأسـرة[٢] ، داخل الشقة التى دعاها لتناول الإفطار معه .

وعقب تناول طعام الإفطار العاطفة مع سيادة الزميل الأعزب فقدت الوعى ، فلما أفاقت بعده أكتشف المجنى عليها سرقة ٣٥٠جنيه من حقيبة يدها ، وهـى لا تطالبه بشيء سوى استرداد المبلغ الذى أخذه من حقيبة يدها ، أما ما تم فى جسدها فهى غير معترضة عليه .

(١) فى مصر الأزهر الشريف ، بلد الإسلام الحنيف .

(٢) رغم علمها أنه غير متزوج ، وأنه لا أسرة له من أب حرام أو غيرهما .

ثم ضبط المتهم فأعترف بممارسة البغاء معها عدت مرات قبل هذه المرة ، وأنها كانت دائمة التردد على مسكنه لذات الغرض ، وهو اشباع رغباتها الجسدية ، دون مقابل ، بعيدا عن الزواج والعفة والطهارة[1] .

وقال أنها كانت على علاقة جنسية برئيس تحرير نفس الجريدة ، وليست لــه وحده ، وأنكر سرقة مالها[2] ، وقرر أنها ظلت تتردد عليه فى مسكنه كثيرا وبصفــة شبه دائمة ، وإنها بئر رذيلة وأنها سوف لا تبتعد عنه ، وهو يعرف أنه قادر علـــى التلويح لها بنفس دفء المخادع المحرمة فتعود اليه مسرعة .

إذن لو لم يسرق منها المبلغ ما بلغت ، فالانحراف هو الذى قادها إلى هــــذا الطريق .

وفى ذات الوقت تقف هذه العواطف جامدة أمام ضغط الحيـــاة ومشـــاكل الإنفاق ، ومتطلبات الأسرة بين بعض الزواج .

حتى بات الزوج عبوسا فى مترله ، مقطبا مع الزوجة ، ضائقـــا بـــأولاده ، وكذلك الزوجة – وبخاصة العاملة – غير الملتزمة – فإذا ذهب كــــل منـــهما إلى عمله – وبخاصة الأعمال التى تتطلب جلوسا طويلا واختلاطا متزايدا – تجد كـــلا منهما مصغى لأناة الانحراف ، ويستجيب لنداءات الرذيلة بحيث يوجه عواطفـــه إلى زميله بثراء ، ويسرف فى العلاقات ، ويكثر كل منهما فى التنازلات التى لو تحققـت

---

(١) صار الزواج فى أعراف الفسقة قيدا يجب تحطيمه ، اما الزنا وفعل المحرم فقد صار فى أعراف هؤلاء تقدمـــا وحضارة ، وبئس ما تصوروا

(٢) جريدة الحوادث ص٧ عمود ٨ .

مع كل منها للآخر – كزوجين فى المترل ، وعلاقات الأسرة ، لما بدت مشـــاكل تحت السطح أو فوقه الا فى حالات نادرة[1] جدا .

ومن المعروف أن الاختلاط المحرم شرعا من أسباب التفســخ الأخلاقــى ، والتحلل الآسرى ، والهدم للقيم النبيلة ، وفقدان الأبناء والبنات ، بل صاحب ذلـك الاختلاط المحرم كثرة اللقطاء ، وممارسة البغاء ، تحت أسماء وهمية كزمالة العمــل ، وصداقة المكتب ، والعائلة الواحدة[2] ، والتكيف الاجتماعى .

بل وباتت المرأة العاملة غير الملتزمة ممزقة العواطــف بــين زوج شــرعى ، يطاردها فى طلبه الراتب الشهرى ونظافة المترل ، وضغط الأنفاق ، وكثرة الاهتمـام به والأولاد والقيام بأعباء المترل ، وعدم الانفلات ، وزوج المكتب[3] ، وأنى لهـا أن تستجيب لكل منهما أو توفق بين رغبالها ، فهى حتما واقعة فى المخالفة ، إلا مـن عصم الله .

و لم يخل الرجل من هذا الانحراف أيضا بل أنه طالما تحسس فى جسمه مواطـن الجاذبية للجنس الآخر ، وراح يفرط فى عرضها ، بل والحديث عنها أحيانـا مـتى وجد إلى ذلك سبيلا[4] .

---

(١) وسجل محاكم الأسرة – المحاكم الشرعية – فيه الكثير من هذه المشكلات الناتجة عن الانحرافات .

(٢) الأستاذ / حامد منصور – الاختلاط بين القبول والتردد ص٣٧ .

(٣) علاقات موظفى المكتب لا ينكرها الا من لا يفهم ، وبخاصة فى الأعمال التى تصاحب أختلاطات متواليـة وانفلاتات مستمرة .

(٤) والخيانات الزوجية ، والفرش المدنسة ، والأعراض الملتاثة من أبرز المظاهر على ذلك الانحراف .

كما تبذل المرأة ما تبذل فى حدود ما تملك وما لا تملك حتى تبرز من مملكتها الجسدية ما تدغدغ به عواطف الآخرين ، وهى فى ذات الوقت على زوجها عصية ، إلا اذا كانت لله تقية فلن تفعل من ذلك شيئا .

وهذا كله تظهر أثاره على المستوى الآسرى والاجتماعى والقومى بل والعقلى والنفسى ، بحيث يمكن القول بأنه انحراف عاطفى ودينى وشرعى بأكمل معانيه[1] .

بيد أن ظاهرة الانحراف العاطفى تشتعل نيرالها وتتأجج مما يعرض فى التلفاز ، ويصور العلاقات الزوجية غدرا وخيانه ، وخسة وندالة ، وصداقات وأخدان ، وجنس رخيص ونفاق مفضوح وكذب طفوح ، حتى بدت المعايير الإسلامية – عندهم – نوعا من التخلف[2] ، ولونا من الرجعية والتخلف ، بينما الإباحية والتحلل صورة التقدم والمثالية ، ومظهر عصر التكنولوجيا .

والنتائج المؤكدة هى وقوع الخراب والدمار على من يمارس تلك الانحرافات والمجتمع الذى يعيش فيه ، سواء تنبه الناس اليه أم أغمضوا عيوهم عنه[3] ، فذلك ما تكشف عنه الوقائع آنا بعد أخر .

ويجدر بى أن أنقل دليلا على ما ادعيه من اعترافات لبعض من كتبوا روايات ، تم تحويل بعضها إلى أعمال سينمائية ، ثم عرضها فى كل من الشاشة الكبيرة – السينما والمسرح – أو الصغيرة – التلفزيون – ، أو سجلته وإذاعته فأستمع الناس

(١) جريدة الجمهورية الثلاثاء ٢٧ يناير ١٩٩٨م ص٨ عمود ٨ من أسفـ .

(٢) الدكتورة / منى الأمير – الأعلام فوائده وأخطاره ص٣٤ .

(٣) الأستاذ / صبرى حسن – انتبهوا قبل فوات الأوان – جريدة السياسة ص٨ .

اليها على موجات طويلة وقصيرة ومتوسطة ، سئل أحدهم[1] فأجـــاب ، وهـــاك بعضا من الحوار :-

◈ ما رأيك فى الحياة الفنية فى مصر الآن ...؟

أجاب : أنها معرضة لغزو جيش من الغوازى والمعلمين المحترفين والراقصات ، وأشباه الرجال ، مع قطيع من الأفكار التى لا تمثل سوى صور الانحراف .

◈ هل تعتقد أن هؤلاء الذين أشرت اليهم – من الغـــوازى والمعلمـــين المحـــترفين والراقصات ، وأشباه الرجال – يمثلون ظاهرة خطيرة ؟ أم هى مجرد ظاهرة كلــها طبيعية .

أجاب :- لقد نجحوا فى خنق الإنسان المصرى والمثقف بوجه عام ، أنه غـزو باسم الفن ، وهو أكثر خطورة من الغزو العسكرى الذى تعرف أين يوجد العـدو ، بل وكيف نرده وننتصر عليه .

◈ ما الحل من وجهة نظرك للمسألة ؟

أجاب : إيقاظ الضمير ، ووجود قيم متفق عليها[2] ... ولو أحسن لقـال : تنمية الضمير بالوازع الدينى القائم فى الشرع والرجوع إلى القرآن الكريم والســـنة النبوية الصحيحة ، وما انتهى اليه أهل الإسلام من العلماء فى حدود فـــهم النقـــل المنزل .

---

(١) هو الدكتور / يوسف أدريس الذى أمتهن الطب فترة ، ثم هجره إلى الكتابة فى الأدب الروائى ، وكانت لـه بعض اتجاهات لا نوافقه عليها ، وهو شرقاوى الأصل ، ودفن بالشرقية أيضا .

(٢) وكأن القيم لا يأتى بها الشرع انما يتفق عليها الناس .

◈ كيف ؟ سؤال مندوب مجلة الإذاعة والتلفزيون وكأنه الأخر قد غابت عنه الأصول فسألة الطريق !

أجاب : هذه مسئوليتنا جميعا .

◈ واذا لم يحدث ؟

أجاب : ستتحول باسم هذا الفن الرخيص إلى قبيلة من الغجر[1] ، والمؤسف له أن أصحاب ذلك الفن هم قبائل الغجر تحت أى مسمى .

ولعل الحوادث اليومية التى نطالعها يوما بعد أخر ، والتى ما خلت عنها صفحات الصحف السيارة يوما بعد يوم ، من أبرز الشواهد على أننا فعلا نعيش فى قبيلة من الغجر تقذف البيوت بعبارات هابطة ومشاهد رخيصة ، ينطق بها بعض من سمحت لهم الأجهزة ذاتها بالظهور على مرأى ومسمع من الجميع[2] .

حتى صوروا الهابطات بطلات والساقطات راهبات ، والعاهرات شريفات ، ورجال الدين والعلم أراجوزات ، والقيم الراقية صوروا أصحابها شيطان بلا أرصدة من حافظ عليها هلك[3] ، ومن عرضها للبيع فى سوق النخاسة والعبيد ، أو دفع بها إلى تجار العواطف الرخيصة والرقيق الأبيض واللحم الحرام بلغ الدرجات وسلك .

---

(١) مجلة الإذاعة والتلفزيون المصرية العدد الصادر فى ١٩٧١/٢/١٣م والحوار أجراه مندوب المجلة مع الدكتور يوسف أدريس .

(٢) والقنوات الحكومية تبث ذلك كله رغم أن هناك رقيبا فنيا يسمح بها ، ولست أدرى أين ضمير ذلك الرقيب .

(٣) راجع ما تنشره شاشتى ، والصياد ، وروزاليوسف ، والشبكة ، وأخر ساعة ، فهى تعرض صورا جسدية فيها كافة أنواع أبراز المفاتن الجسدية والتعريض لأجزاء الجسم الجنسية .

أمتلك العمارات ، وقاد السيارات ، ونعم بالوثير من الفراش ، وعاث فسادا فى العديد من المحرمات وصار أصدقاؤه فوق الهامات وارتفعت معهم القامات .

اللهم نجنا بفضلك من هذا التيار ، واقبضنا إلى رحابك ، ,ابعدنا عن النار ، واجعلنا يا مولانا من الناجين الأبرار ، وارزقنا شفاعة النبى الخاتم المختار .

[٦] انحراف فكرى :-

وهذا اللون من الانحراف تتمثل خطورته فى أنه لا تبدو أثاره بسهولة ، أنه حركة داخل النفس الإنسانية ذاتها لا تخرج عنها الا اذا استوى عودها وبات من المؤكد عدم قدرة صاحبه على الاحتفاظ به سرا مطويا ، بل عجز عن ترويض ذلك الفكر فى الأعماق .

فاذا علمنا أن الفكر هو حركة النفس فى المعقولات ، أدركنا أن أثاره أكثر تدميرا من غيره متى كانت على الناحية السلبية ، أنه انحراف مقنن على لغة معينة ، بحيث يمكن القول بأن الانحراف الفكرى أصل لأنواع الانحراف الأخرى[(١)] ، وفى الغالبية العظمى منها هو الأصل لها .

على أن الفكر المنحرف يمثل قلقا لدى صاحبه ، يبعث فيه رغبة التخلص من قيود الشرع التى تمسكه عن الإنطلاق فى الغرائز ، وترده إلى الصواب ، وتبعده عن الوقوع فى المعاصى ، فتصون عقله ودينه وعرضه ، وهو لا يريد هذا الحصن ولا ذلك العفاف .

---

(١) راجع كتابنا - التفكير الانسانى - ص١٣٧ .

من ثم تراه يحاول إنكارها أو القفز إلى معانيها التى لا تمكنه ملكاته من تفهمها ، أو بلوغ مقاصدها ، والحكم المودعة فيها ، حتى يصير إلى تفسيرها على النحو الذى غلبه اليه هواه ، وأعتنقه وفى داخله نماه[1] .

وهذا الفكر المنحرف يوجد لدى الكثيرين من طوائف البشر ، حتى أن بعض المتحدثين باسم الدين ربما وجدنا فيهم من لا يملك فهم الدين متنا ، أو معنى ، ولكن شاء الله له أن يبتلى به قرناءه ، بحيث يجدون فى تصويب أغاليطه ، أو تصحيح مفاهيمه ، أو كشف انتسابه إلى الدين زورا وانضمامه إلى القافلة المباركة سلطانا[2] .

وربما كان ممن يجدون لذة فى مخالفة الجميع ، لمرض فى عقله ، أو علة كبر فى نفسه ، أو اعتلال فى مزاجه يدعوه إلى الفخر ادعاء والمباهات افتخارا وادعاءه ، والعزة بالإثم إقامة وعنوانا .

وقد جاء الكثير من نصوص القرآن الكريم كاشفا أمثال هؤلاء المنحرفين فكريا ، مبينا أن انحرافهم جاء على أنحاء شتى ، والنهاية قائمة على أنهم فى خسران بالدنيا والآخرة .

ﷻ قال تعالى : ﴿ " قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا وأتخذوا آياتى ورسلى هزوا " ﴾ [3] .

---

(١) قال تعالى ﴿ " أرأيت من أتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا " ﴾ .

(٢) راجع كتابنا - من وحى البيان فى جماعة الشيطان ص٣٣٤ .

(٣) سورة الكهف الآيات ١٠٣/١٠٦ .

فهم فى داخلهم يمارسون أفعالا فاضحة[1] ، وهم فى علنهم يحاولون إقنـــاع الآخرين بصحة ممارساتهم التى يقومون بها ، متناسين أن هذا النوع من الانحـــراف يقوم على تصور إمكانية إخفاء شيء ما عن الله سبحانه وتعالى وهم فى الحـــالين فى ضلال مبين .

لأن الله لا يخفى عليه شيء أبدا ، ولأن الله لن يهمل بغير عقاب أحـــدا[2] ، وأمثال هؤلاء موقفهم فى جهنم لا محالة ، لأنهم كاذبون ، وفى الضلال ســـاقطون ، وفى جهنم خالدون .

قال تعالى : ﴿ " ولا يحسبن الذين يبخلون بما أتاهم الله من فضله هو خيرا لهـــم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ، ولله مـــيراث الســـماوات والأرض والله بما تعلمون خبير " ﴾ [3] .

اذن دعواهم الإنفاق مع انهم فى حقيقة الأمر يمارسون رذيلة البخل ، وزعمهم الورع ، وهم فى داخلهم شياطين مردة ، ودعاواهم تقليد الصالحين بينما هم نمـــاذج للفاسقين فذلك كله يمثل نوعا من الانحراف الفكرى فى مسائل تتعلق بمدى فهمـــهم لعلم الله تعالى ومخالفتهم العقيدة الإسلامية ، أنهم يرون أن ما يمارسونه نوعـــا مـــن قضاء المصالح ، شعارهم تمشية الأحوال ، واعتقادهم الرزق – يحب الخفية – بينمـــا هو خداع ظاهر ، وكفر بواح ، وخروج على شرع الله تعالى .

---

(١) ترى فيهم الكذب ، وهم يزعمون ادعاء الصدق ، وترى فيهم الخيانة ، وهم يزعمون ادعاء الأمانة ، وفيـهم غير الفقه ، والفرش الملطخة وهم يدعون العفاف والطهر .

(٢) قال تعالى ﴿ " فلا تحسبن الله غافلا عما يفعل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار " ﴾ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٨٠ .

ﷺ قال تعالى : ﴿ " أفمن أبتع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جـــهنم وبئس المصير " ﴾ (1) ، وقطعا الموازنة بين الجانبين واضحة ، ولكن التمايز فيـــها لأهل الرضوان ، لا أصحاب الفجور والكفران .

ولعل الآية الكريمة كشفت جانبين هامين ، ووزنت فكرين مختلفـــين وهـــى موازنة تقوم على صحة الإيمان ، وصدق الفكر ، وسلامة الاعتقـــاد أو فســـادها جميعا ، إذ الأول سار فى رحاب النقل المنزل ، فأتبع رضوان الله فى قرآنـــه الكـــريم وكان جزاؤه الخير الجزيل والأجر العظيم ، وسنة رسوله الآمين .

بينما الثانى مال إلى هواه ، وانحرف بفكره عن منهج الله ، فباء بسخط مـــن الله ، والموازنة ما تزال قائمة(2) ، وستظل دليلا قويا على أن الفكر المنحرف تجـــب مجاهته بالوسائل التى يتمكن منها ، وفى حدود مقتضيات العصر ، والظرف الملائـــم مع الأخذ بالاعتبار أن مقاومة هؤلاء واجب شرعى لا محالة ، وأن السكوت عليـهم يمثل نوعا من الرضى بما يقومون به ، وهو مردود عليهم ، مرفوض منهم ، وهـــاك بعض الأمثلة .

[1] أصحاب الرقم ١٩ :-

يقوم أصحاب هذا الانحراف على تقديس الرقم ١٩ بزعم أن حروف البسملة هى تسعة عشر حرفا ، وأن هذا الرقم هو القاسم المشترك بين الآيات القرآنية(3) .

ولا ينبئنك عن أمثال هذا الانحراف الفكرى الا قول أصحابـــه فاســـتمع إلى أحدهم يقرر " أن التسعة عشر ملكا الذين ورد ذكرهم فى سورة المدثر باعتبار أنهـم

(1) سورة آل عمران الآية ١٦٢ .

(2) الإمام الطاهر بن عاشور – التحريد والتنوير جـ٦ ص٤٧٥ .

(3) الأستاذ / محسن خيرى – فن الرقم ١٩ ص٣٤ .

الواقفون على أبواب جهنم لا يمكن أن يكونوا ملائكة الله ، وينكر أن يكون اللفظ القرآني مقصودا به عدد من الملائكة ، ويرى أن المقصود هو حروف البسملة ، ويدعى أن علم الأرقام يؤيده ، وأن هذه التسعة عشر هى حروف يمكن للمرء أن يبتلعها ابتلاعا ، فلا يكون للنار من حزنة أو حراس[1] .

وقام بإعداد أمثال هذه الانحرافات ، ودونها فى أوراق ثم قام بطبعها مرارا ، بل كان يوزعها مجانا بعد أن حولها إلى كتيب يحمل عنوان " دلالات جديدة فى أعجاز القرآن حسب المقتضى العلمى ، والتقدم التكنولوجى " [2] .

يقول الكتيب مما يقول :" نجد أن القرآن الكريم – بالرغم من أنه نزل على أناس لا يعرفون بالتنسيق والتنظيم ، و لم يدرسوا علم المكتبات ، و لم يتعمقوا بالبحث العلمى – جاءنا متكاملا منسقا محسوبا بالأعداد ، وغير منقوص – فماذا يعنى بقوله تسعة عشر[3] ، التى وردت فى عبارة من عباراته ، أن ذلك يحتاج إلى أن نقول :-

هل يعنى هذا أن عذاب الله للإنسان الذى يعتقد أن القرآن من قول البشر سيعذب ، وسيكون عذابه تحت إشراف تسعة عشر ملكا ، وهو التفسير المتفق عليه

---

(١) المستشار / حسين ناجى – التسعة عشر ملكا ص١٧ .

(٢) صاحب هذا الكتاب هو : محمد رشاد خليفة ولد عام ١٩٣٥م بمدينة كفر الزيات بجمهورية مصر العربية ، وحصل على بكالوريوس الزراعة جامعة عين شمس ص١٩٥٧م ، والدكتوراه فى الكيمياء الحيوية من جامعة كاليفورنيا ١٩٦٤م ، ثم عمل مدرسا بجامعات هذه الولاية – ولاية اريزونا – ثم عاد إلى مصر فعمل بوزارة الاصلاح الزراعى ، ثم أختير خبيرا للتنمية الصناعية فى الأمم المتحدة – ترجم هو لنفسه عند تقديمه الكتاب ، كون لنفسه جماعة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وأستمر فى هذا النشاط الغير طبيعى حتى وصل إلى دعواه النبوة ، وأخيرا وجد مقتولا فى شقته بأمريكا ، وتلك عقبى الظالمين ، ونهاية المفترين .

(٣) قال تعالى : ﴿ " سأصليه صقر وما أدراك ما صقر لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا " ﴾ سورة المدثر الآيات ٣١/٢٦ .

من قبل العلماء القدماء فى الأزمان التى لم تعرف التقدم العلمى ، بل وكان التخلف والجهل هو السمة البارزة لها .

ثم ينهض فى وجه هذا التفسير المتفق عليه من العلماء القدماء – حسب قوله – ليقرر رأيا أخر يقول فيه " لكن اذا تابعنا قراءة الآيات التالية نرى فى الآية الكريمة السابقة ، وفى ضوء المعلومات الجديدة التى سنراها أن هناك تفسيرا جديدا لمعنى تسعة عشر ، وهو عدد حروف الآية القرآنية المفتتح بها القرآن ، وهى البسملة " [1] ، وليس معناه وجود ملائكة للنار ، محصورين فى عدد تسعة عشر ملكا .

أنظر إلى هذا الانحراف الغريب ، أنه يجعل التسعة عشر من الملائكة مجرد أرقام هى نفس حروف " بسم الله الرحمن الرحيم " ، وليس عدد من الملائكة على وجه مخصوص ، ومعنى هذا تحول الملائكة إلى حروف قرآنية ، وتحول الحروف القرآنية إلى روح وجسد نورانى[2] .

أنه التناسخ الغريب والرمزية المهلكة والمظاهر المسرفة التى يقوم بها أصحابها فى محاولتهم إفقاد القرآن الكريم أحد أوجه الأعجاز القائمة فيه ، بل كافة وجوه الأعجاز التى انطوى عليها النظم القرآنى المحكم البديع[3] .

بل أنظر اليه يتغنى بالتفسير الذى زعمه فيقول : " أن هذا التفسير وحده هو الذى يقدم الدليل الرائع على أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون من قول البشر[4] ، الذين لا يعرفون هذا التفسير العلمى العددى من وجهة نظره .

---

(١) محمد رشاد خليفة – الاعجاز العددى فى القرآن ص٧ .
(٢) وذلك كله مخالف لنقل المنزل ، ولا دليل عند الكاذب على ما تدعيه .
(٣) راجع كتابنا – الغزاليات فى السمعيات ص٦١٧ ، وهى محاولة مقضى عليها بالفشل .
(٤) آلا بئس للظالمين بدلا ، وهل حكم المجهول يرد صحيح المنقول .

ثم يستشهد بآيات السورة ذاتها ، ويحاول تفسيرها طبقا لهذا المنحنى الغريب الذى مال اليه ، والاتجاه المنحرف الذى تفرد به ، أو ستلقى اليه ثم ينتهى إلى القول بأن هذا ما يظهر فى القرآن الكريم من تفسير لرقم ١٩ ، ومن الدلائل التى تؤيد هذا التفسير بأن التسعة عشر فى هذا الرقم الذى ذكر فى القرآن الكريم ، يقصد به الله عدد حروف البسملة وحدها (١) .

ولا شك أن مظاهر الانحراف وصوره بادية فيما ذهب اليه وتغنى به ، أنه يريد أن يعطى نفسه سلطة البحث عن القصد الالهى ، حتى يحكم بأن هذا هو مقصود الله من كلامه ، وليست غيره ، وطبقا لما فهمه هو ، وليس الأمر على زعمه الكاذب .

والذى لا جدال فيه هو أن رقم ١٩ الذى حفل به شعار من شعائر البابية مما يؤكد : " وحدة المنهج بين البابية بخصوص رقم ١٩ وبين النشرة الخبيثة(٢) ، فضلا عن وحدة الغرض التى تبدو واضحة فى سلوكنا كل منهما .

وقد كانت نهايته المأساوية من أبرز العلامات التى وقف عندها المحللون للأخبار ، والمتابعون لتسلسل الأحداث التى صاحبته والحوادث التاريخية التى صنعت منه ذلك الخيال ، حتى أنتهوا إلى أنه كان محطة الماسونية باسم الإسلام ، ترسل ما تدعيه تنويرا ، وهو داء قابع ، وسم ناقع تهدف من ورائه هدم الدين .

---

(١) نوقش هذا الفكر المنحرف فى كتب عنت بأمر الرجل ، وفكره منه على سبيل المثال كتاب مسيلمة فى مسجد توسيان للدكتور طه الدسوقى حبيش ، والتسعة عشر ملكا للمستشار حسين ناجى وفتنة الرقم ١٩ للأستاذ طارق سرحان ، والأستاذ محسن خيرى ، وكثيرون غيرهم .

(٢) التسعة عشر ملكا ص٩٧ .

فلما بأن أن ورقتهم أنكشفت قرروا التخلص منه على طريقتهم التي يجيدها الموساد اليهودى ، ومن خلفه عصابات الإلحاد فى كل مكان ، وخصوم الإسلام فى كل حال ، والله غالب على أمره .

[٢] الأخوان الجمهوريون فى السودان[١] .

راحوا يصدرون كتبا كثيرة تحمل هموم فكرهم منها : " الضحية غير واجبة لا على الفقراء ولا على الأغنياء[٢] ، يقولون فيه : " الضحية ساقطة فى حق هذه الأمة ، وسقوطها اليوم فى حقها أكثر وجوبا من أى وقت مضى ، أما لماذا هذا الموقف الغريب من شعيرة إسلامية جاء ذكرها فى النقل المترل ، ومارسها الرسول الكريم ﷺ ، وفعلها القادرون من أصحابه وهى سنة نبوية ، وشعيرة إسلامية ، بل أن المسلمين كانوا يقومون بها على نحو ما فعل أبو دجانة وغيره من صحابة رسول الله ﷺ، وما فعل بلال ومن كان فى حكمه ؟ وما شرعها الرسول الكريم ، والصحابة والتابعون ، وما تزال فينا قائمة وستظل إلى يوم الدين .

الجواب عنده :" أن الضحايا والهدايا كانت عادة اجتماعية سائدة قبل الإسلام ، ولكنها كانت قرابين للإلهة ؟ يذكرون عليها أسماءها ، ولا يأكلون لحومها ، فلما جاء الإسلام أبقى على هذه العادة لارتباطها التاريخى بالتطور التاريخى لذلك المجتمع[٣] ، وأنتهى أمر شعيرة التضحية عندهم إلى أنها سنة فعلا ، لكن من سنن

---

(١) كان لهم زعيم يعتبر لسان مقالهم وداعيهم المميز ورئيس الحزب ، وأسمه محمود محمد طه ، وظل يمارس عمله فى الإفساد العقدى والشرعى حتى حكم عليه العلماء فى السودان بالاعدام ، ونفذ فيه أثناء تولية الرئيس جعفر محمد نميرى .

(٢) أصدر ذلك المذكور بالعديد من المؤلفات يعرض فيها أراءه الشاذة وأفكاره الفاسدة .

(٣) الفرق بين التطور التاريخى والتطور البيولوجى كبير ، وسوف نعرض له أثناء حديثنا عن التطور بين النقل والعقل .

العادة التى تخضع لتغير ظروف المجتمعات القائمة ، كما تخضع للملابسات المعينة[1] ، التى تحيط بالظروف نفسها .

والبادى أن هذا الفكر الجمهورى يتفق مع النظرة الكافرة ، ولا يتفق مع قواعد الشرع الحنيف مما يؤكد أنه فكر غير مستقيم ويدفع للحكم عليه بأنه نتاج العلمانية الجاحدة ، والمادية الكافرة ، هذا عن الأضحية .

ومثله فى السوء بل أكثر منه سوء حديثه عن الحجاب ، حيث يقول : " الحجاب ليس أصلا فى الإسلام ، والأصل فى الإسلام السفور ، لأن مراد الإسلام العفة ، وهو يريدها عفة تقوم فى صدور النساء والرجال لا عفة مضروبة بالباب المقفول ، والثوب المسدول[2] ، يريد أن يعيش الناس عرايا كالحيوانات ، ولست أدرى هل يرتضى ذلك نفسه ، حتى يطلبه من غيره [3] .

وكأن آيات الحجاب لم يعرفها الأخوان الجمهوريون ، بل لكأن الشرع الشريف الذى فرض الحجاب ، ونطقت الآيات القرآنية به ، وصدرت الأحكام الفقهية فيه ، أمرا مخالفا للشرع رغم أن الحجاب ورد فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وباشره الرسول الكريم سيدنا محمد  ، فى النشر والتبشير والإبلاغ ، وألتزمه الصحابة الإجلاء[4] ، وما يزال إلى اليوم أنشودة عفة تعرف به أمهات المسلمين ، وزوجاتنا الملتزمات ، على شرع الله قائمات ، واليه داعيات[5] .

---

(١) محمود طه – الضحية غير واجبة – ص٤ ط أولى سبتمبر ١٩٧٩م ذو القعدة ١٣٩٩هـ .

(٢) المصدر نفسه ص١٠ والرسالة الثانية من الإسلام ص١٣١ .

(٣) راجع كتابنا – عقيدتنا رفع عيسى ونزوله بين الإسلام والنصرانية ص٣١١ .

(٤) راجع كتابنا – الأخوان الجمهوريون فى السودان ص٣٤ .

(٥) الأستاذة نعمت صدقى – الحجاب – ص٣٥ .

ﷺ قال تعالى : ﴿ " يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليـهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيمـا " ﴾ [1] ، و لم يقف الأمر معهم عند الحجاب ، والأضحية ، بـل تعداهـا إلى العقيـدة والشريعة ، والأحكام ، مما لا يتفق مع شريعة الإسلام [2] .

وسنعود لمناقشة هذه الفرقة ، ونتعرف على ذلك التيار فى حينه أن شـاء الله تعالى على أنا سنعقد فصلا مستقلا نتناول فيه أنواعه ومظاهره فى كل جزئية منـها ، ونكتفى بما قدمناه هنا من أمثلة خشية الإطالة .

الثالث : من أسباب نشأة التيارات[3] :

الضغط الفكرى :-

الإنسان من أكثر الخلائق المكلفة قدره على القيام بأعباء التكليف الالهـى ، والقدرة على التفكير فى التركيز من خلال مناحى مختلفة ، مع استخدام الطاقـات المختزنة فى هذا العقل الإنسانى[4] ، ومتى سمح لتلك الطاقات بالإفصاح عن نفسها ، فإن صاحبها يبدع ، ويتقن ، ويجيد فى كل خير يسلكه .

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٥٦ .

(٢) راجع كتابنا – أوراق متناثرة فى التيارات المعاصرة ص٨٨ ط أولى ١٩٩٦م .

(٣) ذكرنا من أسباب نشأة التيارات الفكرية سببين :- الأول : تخلف الوازع الدينى ، والثانى : تفشى ظـاهرة الانحراف ، أما الثالث : فهو الضغط الفكرى ، وهو الذى نحن بصدد الحديث حوله .

(٤) ثبت أن العقل الإنسانى نور من أنوار الله تعالى ، ومتى كان فى الخير أفاد .

ولو أنه ربما أطلق العنان ، لهذا الفكر لطاف به خيالات المستقبل ، وحلقت فى داخله أطياف تمثل نبوات فكرية ، أو توقعات حدسية ، ان لم تكن فيها الهامات ذاتية ، وكل هذا فى داخل الإنسان نفسه ، وفى نفس حدود إمكانياته الذاتية[1] .

ومسألة الإبداع الفكرى ، هذه نسبية تختلف من شخص لأخر عمقا أو سطحية ، ضيقا أو أتساعا ، كما أنها تختلف فى ناحية الإبداع ذاتها من حيث الجودة والإتقان ، حتى استدل الحذاق من أهل العلم بأن اختلاف هذه الإبداعات مع الحاجة اليها جميعا بالنسبة للحياة ، إنما يمثل دليلا على وجود الله تبارك وتعالى[2] ، بل هو من اقوى تلك الأدلة .

وتناوله المتكلمون تحت صيغ عديدة منها المعاوضة والمعارضة[3] ، حتى بات فى الناس الإبداع أخطبوطا كبيرا الكل يقبع تحته ، وكل واحد يحضى من الإبداع بنصيب[4] ، قد يفوق فيه غيره ، أو يتفوق غيره عليه .

ولكن هذا الابداع له أنواع عديدة ، ومناهج متخالفة ، وموضوعات قد تتكامل فيما بينها ، وقد تغترف كل منها بما تتمكن منها ، فما هى تلك الأنواع .

أنواع الإبداعات :

النوع الأول : الإبداع الفكرى :-

وهو يقع فى العديد من الابداعات ، وهى فى ذات الوقت مظاهر له : منها ::-

(١) وهو الذى عليه يعول فى القول والرد ، والايمان والكفر .

(٢) الأستاذ / وحيد الدين خان - الدين فى مواجهة العلم - ص١٣٥ .

(٣) الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى - الغزاليات فى السمعيات ص٤٦٠ .

(٤) وذلك من أقسام الله تعالى ، وأنعمه التى لا يحصيها الا هو جل علاه .

[١] إبداع التكامل العقلى ، كما كان يمارسه الحنفاء ، ومن على شاكلتهم قديما حيث كانوا يحاولون القيام به ، واستخدامه فى التعريف على الله تعالى[١] .

[٢] إبداع إجادة تلاوة القرآن الكريم ، وتجويده ، مع صوت رخيم يزيد فى النفوس للقرآن الكريم المهابة والجلال[٢] ، ويسوق آيات العقاب فتزجر النفوس وتهدأ العقول ، وتستقر القلوب .

[٣] إبداع الشعر .

[٤] إبداع النثر .

[٥] إبداع النحت .

[٦] إبداع السياسة .

[٧] إبداع الأخلاق .

وعلى العموم فهذا الإبداع يدخل فى كل علم من العلوم النظرية ، والمناهج التى تتعلق بها أو بنمط معين فى الحياة سواء تعلق بالعلم ، أو تداخل فى السياسة ، أو أمسك بزمام الأخلاق[٣] ، فأنه فى كل تلك الحالات إبداع نظرى خالص[٤] .

وربما كان له جانب عملى ونظرى معا كالحال فى إبداع السلوك الإنسانى غير النظرى ، ويمكن اعتباره من الإبداع المزدوج فى كل حالاته ، وكافة مظاهره[٥] .

---

(١) فعل ذلك قس بن ساعده الايادى وغيره من حكماء العرب قبل الإسلام .
(٢) راجع – مشاهير القراء ص١١٧ – كتاب الجمهورية .
(٣) وذلك كله من خلال الإبداع الفكرى .
(٤) وذلك النوع مقبول طالما كان فى حدود تعاليم الشرع الالهى ، ولكنه مرفوض اذا جاء مخالفا لها .
(٥) الأستاذ / يوسف القطم – الاعلام وخطره ص٣٥ .

النوع الثانى : الإبداع العلمى :-

وهو يبدو فى كثير من الصناعات والتقنية والتقدم التكنولوجى ، بل أن التقدم العلمى ما هو إلا إبداع فى ناحية العلم والعمل التجريبى التطبيقى ، مستخدما العلوم التجريبية والمناهج العملية[1] .

العلوم الفيزيائية بنظرياتها المختلفة التى أفادت البشرية منها الكثير ، ان هى إلا إبداع فى جانب فيزيائى يتعلق بأحد جوانب دراسة الطبيعة ، ويستخدم منهج العـوم الطبيعية[2] .

العلوم الرياضية بقواعدها ودلالاتها الرياضية ، والتى جاءت كنتائج لرحلـــة طويلة من البحث والدرس بدءا من العلوم التجريبية حـــتى وصلـــت إلى مرحلـــة التجريد ، وقد جاءت نتائجها وما تزال تقدم ملاحقات فى العلـــوم الطبيعيـــة[3] ، وتهيئ للعلوم الفلكية ، ولو وقفت إبداعاتها لماتت فى نفوس أصحابهـــا ، وصـــارت قواعدها مستهلكة لا قيمة لها .

العلوم البيولوجية : التى أكلت على جدران الخلية Cil ، وشربت من رحيـــق كروموسوماتها والجينات Cins حتى هدت الإنسان إلى كيفية المحافظة على خلايـــاه بأنواعها[4] ، وكيف يصونها عن الهلاك ، كل هذه إبداعات فى جوانـــــب العلـــم المختلفة ، ولا يتاح لها أن تبدو خارج عقول أصحابها ، إلا اذا كانت هذه العقـــول

---

(١) راجع - الفيزياء والفلسفة ص٧٤ .

(٢) راجع فى هذا كتابنا عن التطور بين النقل والعقل - المبحث الثالث منه .

(٣) برتراندراسل - أصول الرياضيات ص٧٣ .

(٤) فى الإنسان نوعان من الخلايا ، احداهما الخلية الاحادية ، وهى ثلاثة ، وثانيهما هى الخلية الثنائيـــة ، وهـــى باقى الجسم .

طليقة تمارس عملا من غير ضغط فكرى ، وتراقب نتائج عملها من غير أحكام مسبقة تفرض عليها[1] .

غير أن البعض يحاول تقييد هذا الفكر المبدع[2] ، حتى لكآن المفكر فى نظرهم آلة تعمل بنظام الريموت كنترول[3] ، بالتالى يجبر المفكر على القول بما لم يعتقد ، والإدعاء بما لم تصدقه التجربة ، والإدلاء بشهادة لم يعرف بعد هى لصالح من تدون ، أو ضد من تعال ، وفى هذه الحال يقع تحت ضغط فكرى بحكم السياسة[4] ، أو الدين[5] ، أو تحت سلطان سيف الحياء .

كما أن بعض المفكرين - فى ظل الثورات العسكرية - ينظر اليهم على أنهم نبض الأمة وقلبها القوى ، وحضنها الدافئ ومعسكرها العتيد ، وهم فى نفس الوقت

---

(١) لا تعتبر نصوص الدين الإسلام قيدا على عقل بل هى التى تدعو إلى حرية التفكير .

(٢) الأمثلة كثيرة منها : ما فعل بالعالم الروسى الذى أعتقل حتى أفرج عنه حورباتشوف أثناء حكمه روسيا الشيوعية التى انهارت ، ونأمل له المزيد من الانهيار ، حتى يتمكن من استرداد حقه إخواننا فى بلاد الإسلام .

(٣) وقد مارست الثورات العسكرية هذا الأسلوب مع المبدعين ، وكذلك مع الذين استقطبوا حتى كانت بعض خطب الجمعة تملى عليهم من قبل السلطة الحاكمة ، ويكلفون بها فعل ذلك الشيوعيون فى مصر ، وحزب البعث فى كل من العراق وسوريا وكثير غيرهم .

(٤) كما حدث للمصريين فى حرب اليمن حينما أعلنوا أن اليمن بوابة مصر الشرقية ، وأن حكم الأئمة فى اليمن يؤدى إلى الاستعمار ، وانطلقت القوات المصرية إلى هناك تزيل حكم الأئمة وتنشئ نظام الجمهورية حتى تولى عبدالله السلال حكم اليمن ثم أزيل عنه ، وما تزال معالم عدم الاستقرار فى اليمن السعيد قائمة .

(٥) حاولت أنديرا غاندى أنتزاع حكم من رجال الدين الإسلامى فى الهند بأن تعقيم الرجال ضرورة ، حتى لا يحدث الانفجار السكانى فلم تفلح مع انهم فى مصر تغنوا به ، ولو أن الأموال التى بذلت وتبذل فى هذا الشأن - تعقيم الرجال والنساء - رشدت إلى استصلاح الصحراء وتزويدها بالماء الصالح للزراعة لتحققت مصالح عديدة منها توفير الغذاء وتوفير العمل حتى ، وعدم الخوف من الانفجار السكانى ، وأبعاد الأرض الناتجة عن وسائل منع الحمل المختلفة ، وهذا نفسه ترشيد نرجوه ، ولكن هل ينظر اليه القائمون نظرة تقدير أم غايتهم الرد عليه بردود نظريه .

ومعقل آمالها ، ولا تروق للقيادة العسكرية إبداعاتهم التى يعكفون عليها وحينئذ يلجأون إلى تقديم أعمال أخرى ، يولونهم من الأعمال ما لا يتفق مع ملكاتهم ونواحى إبداعهم ، وربما يملون عليهم قضايا وأحكاما ، ويكون المطلوب منهم نسبتها إليهم ، وإلا فسوف تعرض حياتهم وأموالهم وذرياتهم وأعراضهم لما لا تحمد عقباه[1] ، وقد حدث فى مصرنا الحبيبة ، وغيرها من البلدان الإسلامية[2] ، فى أيام مضت .

حينئذ يلجأ المفكر أما إلى إهمال إبداعاته ويقتل ملكاته ، حتى يساير الحكم الثورى ، ويستريح من مطاردة العسكر له ، وأمنا يختلف - زورا - إبداعات يكون محلها ذهنه ، وفى الجانب الخيالى منه فقط ، وليس لها وجود فى الواقع الخارجى ، ويصور هذه الإبداعات بما تمليه عليه ثورة العسكر[3] .

وربما استمر على هذا الحال بعض الوقت ، حتى اذا نازعه شيطان الإبداع ، استدار فداعبه وكلما حاول الكشف عن مواهبه خشى بطش الجاهلين ، ومن ثم تراه يميل إلى تكوين جماعات سرية تعمل فى الخفاء بعيدا عن وساوس الرقباء[4] .

على أن هذه الجماعات ما هى الا تيار فكرى ، يبدأ همجيا ثم تنتظم قواعده ، وفرديا ، ثم تضبط كوادره ، حتى اذا استوثق من قدرته على بث إبداعاته ألقاها

---

(١) الدكتور/ شامل أباظه - حلف الأفاعى ص١٣٥ .

(٢) كان ذلك أيام حكم العسكر فى تركيا المسلمة ، وأفغانستان أيام الحكم الشيوعى ، وغيرها من البلدان الإسلامية التى أرجو لها العودة للحق والثبات عليه .

(٣) والويل للعقل أن كان هؤلاء العسكر ممن تدفعهم نزواتهم لتصفية الحسابات مع رجال الدين كالذى حدث فى تركيا المسلمة على يد أتاتورك ، وغيره ، وفى مصرنا بجدوا الأشتراكية ، وتغنوا بالشيوعية حتى ذهب بعض الشواذ إلى الحديث عن اشتراكية الرسول ﷺ ، وهم فى كل ما ذهبوا اليه كاذبون .

(٤) أو يلجأ إلى الأدب الرمزى كما فعل مالارميه - راجع أدباء الرمانتيكية ص١٧ .

عرض الطريق غير أبه بمن ينظر اليها ، أو خائف لما يترتب عليها من نتائج أضعفها الهامه بمقاومة السلطات[1] ، ولكن ماذا هو فاعل ؟

أنه يعاني ضغطين ، ويعالج مشكلتين في وقت واحد ، ضغطا خارجيا ممثلا في الاضطهاد الفكري الذي يمارسه عليهم من بأيديهم عصا الحكم ، وصولجان السياسة ، وسوط الجلاد ، ويخشى قضاء عمره خلف الأسوار .

وضغطا داخليا متمثلا في قدرته الإبداعية وملكاته الفنية ، التي تشعل في صدره رغبة قوية في المغالبة ، ونزعة شديدة إلى تكوين تيار يكون عونا له عند منازلة الحكام ، وسندا يقف خلفه عند مطاردته المخالفين .

اذن الضغط الفكري من أسباب نشأة التيارات الفكرية على ما سلف ذكر طرف منه ، وهو الضغط الفكري الذي لا بد من الكشف عنه .

العلاقة بين ضغط الدم وضغط الفكر :-

وهناك فرق بين ضغط الدم[2] ، وضغط الفكر ، وضغط المشاعر ، وضغط الاستدانة ، وضغط العواطف الفياضة ، والإبداعات النبيلة ، كما توجد فوارق بين نوعي الضغط الواحد ارتفاعا أو انخفاضا ، ثباتا واهتزازا ، مما لا سبيل إلى التعرض لها جميعا في هذه الوريقات[3] ، وإنما نشير إلى ضغط مادي ملحوظ هو ضغط الدم الذي يمثل حالة مرضية لأصحابه سواء المرتفع منه أو المنخفض .

---

(١) راجع كتابنا – خواطر حثيثة في الفلسفة الحديثة – ص١٩٧ ز

(٢) راجع – الطب والممارس العام ص٤٥ ، الصحة العامة ص٣٧ ، دائرة المعارف الطبية ص٧٢ .

(٣) لأن ذلك يحتاج وقتا أوسع ، وإضافة مصادر تكفي لما نريد التعرض له .

والمعروف علميا – أن ضغط الدم المنخفض له مظاهر عديدة كالدوخة ، والزغللة ، والدوار ، والإعياء ، وعدم القدرة على التركيز أو القيام بأى مجهود أو الصعود للأماكن المرتفعة الهبوط والإغماء[1] .

بل أن بعض الفتاوى أباحت لمرضى ضغط الدم المنخفض الإفطار لتناول العلاج مباشرة أو أخذ المحاليل الوريدية .. ومعظم مرضى ضغط الدم المنخفض يمكنهم الصيام دون مشاكل ، ولكن بعدة شروط منها :

[١] الالتزام بتناول الدواء والأطعمة التى بها نسبة معينة من الملح ويمكنه تناول المخللات أو السكريات متى لا يشعر بالرغبة فى القيء ، أو الهبوط الشديد .

[٢] تناول كمية كبيرة من السوائل فى فترة بين مدفعى الإفطار والإمساك .

[٣] تجنب الوقوف لمدة طويلة أو بذل مجهود خلال فترة الصيام .. وعند حدوث دوار خفيف عليه أن يتوقف عن بذل أى مجهود والاستلقاء على الظهر مع رفع الأرجل لأعلى حتى تنتهى الأزمة الطارئة[2] ، ولأنه يؤدى إلى الموت المفاجئ[3] .

وقال الدكتور شريف حلمى أنه يجب التفرقة بين الضغط المنخفض المرضى الذى يوجب علاجه استخدام علاجات معينة لضبطه عند المستوى الطبيعى وبين الضغط المنخفض العرضى الذى يكون راجعا إلى حالات طارئة مثل حالات

---

(١) راجع – أمراض ضغط الدم وعلاجه ص٧٤ .

(٢) راجع – ضغط الدم وأخطاره ص٢٩ .

(٣) الطب والممارس العام ص١٧ .

الصدمات النفسية والعصبية أو بعد الشعور بألم شديد ، أو بعد حدوث نزيف حاد ، أو بعد الشفاء من نزلات البرد والأنفلونزا[١] .

أما الضغط المرتفع فإنه يؤدى إلى الشلل بأنواعه المختلفة وإصابات المخ والجهاز العصبى ، وقد يؤدى إلى توقف المخ عن العمل ، وبخاصة حين يحدث انفجار فى المخ[٢] ، أو نزيف يستمر فترة فى تجويفه ، أو جذعه ، أو أحد جدارنة ، فضلا عن أوعيته وخزاناته وخلاياه .

الرابع : تداخل الثقافات[٣] :-

من اليسير فى العصر الحاضر تداخل الثقافات ، طبقا لمعطيات العلم نفسه الذى لم تعدله حرمة ترعى أو سر يصان ، فالبث المباشر ، والتقاط الموجات الذى أعقب اكتشاف سرعة الصوت حاملة الثقافات بسرعة تصل إلى ١٨٦ ألف ميل فى الثانية الواحدة[٤] ، حتى أن مفتاح المذياع الصغير يحمل عددا من محطات الإرسال الاذاعى توشك أن تستوعب الكرة الأرضية كلها ، وتغطى كافة الأجزاء الموجودة فيها .

بل ظهرت الموجات الطويلة والقصيرة والمتوسطة حتى صارت الكرة الأرضية الكبيرة مدينة صغيرة ، أو قرية صغيرة كل أطرافها محصورة ومدركة عن طريق

---

(١) جريدة الجمهورية ١٩٩٨/١/٢١م ص٥ .

(٢) راجع – الأعصاب مرض العصر ص١٢١ .

(٣) ذكرنا من أسباب نشأة التيارات الفكرية : – [١] تخلف الوازع الدينى ، [٢] تفشى ظاهرة الانحراف ، [٣] الضغط الفكرى ، أما الرابع : فهو تداخل الثقافات على النحو الذى سنعرض له .

(٤) سرعة الصوت ، سرعة الضوء يتدخل عنهما العلماء فى معطيات الزمن – راجع الزمن وقياساته ص١٣٧ .

الإرسال الاذاعى وحده ، ومن ثم فقد حدث تداخل فى الثقافات المختلفة(١) ، من كافة النواحى .

بل أن البث التلفزيونى الذى ينقل الصوت والصورة بكل ما تعنيه من حركة معبرة عن شيء ما أو موحية به ناقلة كل الأسرار فى كافة الديار ليعد وسيلة من وسائل تداخل الثقافات السريع .

وقد أستحدث العديد من الأنظمة لخدمة هذا الجهاز – التلفزيون – منها :-

[١] أجهزة تطويره ، كجهاز(٢) .

[٢] أجهزة تنمية كإمكانيات(٣) .

[٣] أجهزة تحكم فى ضبط القنوات مع تدعيمها(٤) ، وإضافة إمكانيات جديدة اليها ، بحيث يتمكن من استخدامها الصغير والكبير ، والمريض والصحيح ، من خلال الريموت كنترول والكمبيوتر وغيرها .

وقد ظهر الريموت كنترول ، والدش ، والشبح ، والقنوات الفضائية ، والأقمار الصناعية ، وشبكات الأنترنت ، وغيرها مما لا يزال يرتضع أبان العلم ، و لم يبلغ بعد سن الفطام حتى يدخل ميدان الخدمة العاملة فى هذا المجال الغريب .

---

(١) ونعنى بالتداخل هنا سرعة نقل المعلومة من غير نسبة إلى مصدرها .

(٢) راجع كيف يعمل جهاز التلفزيون – المهندس / محمد مصطفى ص٣٤

(٣) وقد نجحت التكنولوجيا الهندسية فى تقديم أنواع عديدة من تلك الوسائل التى لو استخدمت لصالح البشرية لتغيرت أحوالها من الفقر للرفاهية ، ومن التدمير إلى التعمير .

(٤) حتى أن الأجهزة التى تعمل فى بلادنا صارت تستقبل – حسب الاعلان الدعائى لها – ما يزيد على تسع وتسعين قناة .

والله أعلم بما سوف يقوم به العالم فى المستقبل ، وكل هذا ناقل للثقافات مما يجعلها تتداخل سريعا ، وبشكل مؤثر فعال ، بحيث ترتسم بعض الملامح السلبية على الحياة عامة متى وقف القائمون بالأمر عند مجرد المشاهدة والاستمتاع بها[1] .

فالكمبيوتر ، والناسخ الآلى ، والقارئ والطابع الالكترونى والانترنت ، وغيرهما من مستجدات العصر الذى تكشف عنه المعامل يوما بعد يوم ومما هو مخبأ فى حقيبة الأسرار العلمية فى هذا الجانب ، وله تأثيره الثقافى ، بل صار من الممكن نقل محتوى كتاب علمى أو نظرى من أبعد بلاد الدنيا إلى الطرف الآخر فى عديد من الدقائق ، وبنفس سرعة الصوت ذاتها .

وجهاز الفاكسيملى من الأدلة على ذلك ، حيث ينقل رسائل خطية فى ذات اللحظة متى ضبط موجات الارسال والاستقبال حتى تؤدى مهمتها بجدارة[2] .

اذن الاعلام المرئى والمسموع ، والمقروء ، والمنقول من أسباب تداخل الثقافات .

وقد أعترف السيد وزير الأعلام المصرى بأن جهاز التلفزيون – طبقا لما هو قائم الآن – عليه عبء كبير فى تصحيح المفاهيم الفاسدة التى ينقلها الأعلام الأخر ، ويدخل بيوتنا عبر القنوات المختلفة ، والتلفزيون المستخدم لشبكة الأقمار الصناعية التى تجعل على الأجهزة إمكانية استمرار البث التلفزيونى لمدة الأربع والعشرين ساعة من كافة أنحاء الكرة الأرضية .

---

(١) ولو اكتفينا بالمشاهدة دون نظر لما تتركه من أثار سوف يقع التدمير حتما .

(٢) وصار استخدام الفاكس أمرا عاديا الآن يقوم به أصحاب الأعمال العادية .

وهى تنقل عبر قنواتها المتعددة ، أفلاما ومناظر لا ترقى للنظر فيها ، فضلا عن كونها عناصر هدم فعالة فى المجتمع الإنسانى ككل ، والمسلم بشكل أكبر على وجه الخصوص[1] ، كما أنها اذا استمرت على ذلك الحال فسوف تدمر المجتمعات ككل حيث ينتشر الفساد ، وتعم الدعوى اليه .

وقد ألتقط المقيمون بالسواحل القريبة من فلسطين المسلمة المغتصبة التلفزيون الاسرائيلى يبث على بعض قنواته – التى تنقل بثها لخارج إسرائيل وتلتقطه الموجات العامة فى البلاد العربية القريبة من إسرائيل – أفلاما كلها جنس رخيص ، وعلاقات مشبوهة ، ووسائل تدمير العلاقات الأسرية ، و التفسخ الاجتماعى ، إلى غير ذلك من أوجه الدمار الفكرى[2] ، بل وتدعو نفس القنوات للرذيلة ، وتعلن عن أماكن الوصول اليها ، كنوع من التنشيط للسياحة الصهيونية .

ومن الغريب أن هذه القناة لا يتلقطها التلفزيون الإسرائيلى بحيث تظهر على الشاشة الصغيرة عندهم ، إنما هم يريدون تدمير الآخرين من حولهم ، ولذلك يبثون لهم مالا يرتضونه لأنفسهم ، بل أنها لو ظهرت عندهم ما كانت بعيدة عن طبيعتهم الفاسدة التى قد ألفوها ، وصارت جزءا من سلوكياتهم العادية[3] ، التى على الدوام أعلنوها ، وكم مرة تمنعت عليهم فانطلقوا اليها ومارسوها .

بل أن أحدى القنوات التلفزيونية التجارية فى لبنان كانت تقوم بنفس المهمة – إذاعة أفلام الجنس الرخيص ، والخلاعة والتخنث ، وكان الناس الذين تلقطت تلفزيوناتهم هذه القناة يقعون فى حيرة من أمرهم ، لكن ماذا هم

---

(١) الدكتور ناصر خيرى – أخطار الأعلام على المجتمع ص١٧٥ .

(٢) الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – من وحى البيان فى جماعة الشيطان ص١٢٩ .

(٣) راجع – فضائح اليهود ص٢٩٧ .

صانعون[1] ؟ ، وهم فى مخادعهم الآمنة يحاربون ، وعلى أسرارهم الخاصـــة يقـــع الآخرون .

وقد أعلنت إحدى القنوات التجارية فى قبرص عن نفس المهمة ، فإذا هـــى تذيع وتنقل على الشاشة الصغيرة العرى والخلاعة والجنون ، والجنـــس الفـــاضح ، والمخدرات ، وتدعو للدعارة تحت اسم السياحة[2] ، وترشد عن أماكنـــها ، دون حياء أو خجل ، بل ودون شعور بأن ما تقوم به يخالف الشرع ، والفطر السليمة .

كما تعلن فى غير حياء عن رحلات يتم فيها التمتع بهذه الانحرافات وبأسـعار رخيصة تحت اسم الترحال ، أو الاستجمام ، او النقاهة ، إلى غير ذلك ممـــا هـــو معروف لدى المهتمين بهذه المسائل وقد كتبوا عنـــها فى رحلاتهـــم السياســـية أو السياحية[3] .

لكن الذى يعنينا هو أن هذا كله يخلط الثقافات ، وفيه تختلـــط العـــادات ، ويجعل تداخلا فى الثقافات ، فلا يعرف الحق من الباطل ، كما لا يتميز الصحيح من الفاسد ، ومن ثم يمثل نوعا من القسوة على عقيدة المؤمن الملتزم وتحريضا على الفسق من الجماعة الإسلامية فى ثقافتها ، ودعوة للانحلال يقوم بها المعنيون .

وبخاصة أن الذين يستجيبون لها ، أغلبهم أما ممن يسمون أنفسهم أهل الفن ، أو أصحاب الأجسام الرخيصة ، واللحم النتن ، والأعراض المنتهكة ، أو محترفـــات

---

(١) الأستاذ / يوسف العظيم - الأعلام العربى والنكسة ص٢٤٧ .

(٢) الأستاذ / نبوى أحمد - تجربتى المريرة ص١٣٧ .

(٣) راجع ما كتبه الدكتور / محمد عبد اللاه - الكاتب المصرى المعروف ، ورئيـــس إحـــدى لجـــان مجلـــس الشعب .

الرقص ، وتاجرات العواطف الرخيصة[1] ، أو تجار الشنطة والكيف ، وأصحـــــاب فكرة التجارة شطارة .

وأما ممن يطلقون على أنفسهم رجال الأعمال الذين لهم مجالاتهم فى تجـارة فى الأغذية الفاسدة ، أو ثبت تورطهم فى التعامل مع جهات أجنبية بغرض الإضـــــرار بأمن المجتمع وسلامته[2] ، أو تجار الانفتاح والحروب الذين يعبدون المال ، ويقيمـون فى كهف الجنس ، من غير اعتبار لشيء أخر .

حتى أن بعضهم تحول من صناعة الأسلحة إلى صناعة السينما ، ومن تجـــارة الأغذية إلى تجارة المخدرات بأنواعها ، وكله تجارة وفى أعرافهم التجارة شـــطارة ، رغم أنها تجارة فى الحرام ،ولأغراض غير مشروعة ، وهى على أصحابها وبال ، وفيها ندامة .

إزاء هذا كله نشأ تيار فكرى غير منتظم قادت اليه حمية عاطفيـــة ، ورغبـــة دينية حاول أن يقاوم أمثال هذه الانحرافات المفضوحة ، وأتخذ فى سبيل ذلك مظاهر عديدة ،منها:-

١- مهاجمة الفنانين والفنانات بالقول :

ذكرت إحدى التائبات قالت فى حديث لإحدى المجلات المصرية المصـــــورة قائلة : انى أعرف عن الفنانات والفنانين الذين يسافرون إلى قبرص تحت اسم تصوير

---

(١) الأستاذ / يوسف العظم - الأعلام العربى ص٢٥٨ .

(٢) وقد نشرت هذه الحوادث على صفحات الجرايد اليومية ، واتخذت نيابة أمن الدولـــة بعـــض الأجـــراءات نحوها .

فيلم ما لا يعرفونه عن أنفسهم ؟ ، وأعرف متى يسافرون ، ويعودون ، وما هي الأغراض الغير معلنة من تلك الرحلات إلى قبرص بالذات[1] ، ثم استطردت قائلة :

إن فلانة تعرف نفسها جيدا واسألوها من أين جمعت ٢ مليون دولار فى ثلاث سنوات فقط من عمرها فى تلك الرحلات التى تتم تحت ستار غريب ؟ وتحدت أن تتناولها إحداهن ، وأكدت أنها على استعداد لفتح النار عليهن ، وذلك بفضح أسرارهن ، إذا حاولت واحدة منهن فتح فمها بشأن الفنانات التائبات مرة أخرى[2] .

حتى قالت أن فلانة كانت ترسل أخاها قبلها إلى قبرص ليحجز لها فى أماكن اللهو والمتعة الحرام ويتم ذلك مقابل الزهيد من المال ، و لم تجرؤ واحدة أو واحد منهن أو منهم على الرد عليها أو حتى فتح حوارات معها[3] ، وأكتفى الجميع بالصمت الرهيب .

وتكررت هذه المهاجمات لمن يسمون أنفسهم بالفنانين ، لأنهم يمثلون فى عرف الشرع طبيعة محددة فلا تقبل لأحدهم شهادة[4] ، وهم فى نفس الوقت يعتبرون أنفسهم أصحاب المال والسلطان ، وذلك كله يجعل مقاومة سلوكياتهم نوعا

(١) جريدة روزاليوسف ص١٧ .

(٢) كانت إحدى الهابطات المشهورة بأفلام الجنس الرخيص ، قد أفضت بأن الفنانات التائبات غارقات فى أموال تأتيهن من جهات أجنبية .

(٣) وكأن الأمر لا يخصهم اذا وصلت الأمور إلى مرحلة التبلد الأخلاقى والانهيار الدينى ، مقابل ارتفاع الأسهم فى سوق المال .

(٤) وكان الفقهاء يفتون بأن المشخصاتى لا تقبل له شهادة ، باعتبار أنه ساقط المروءة .

من الاتجاه المضاد ، تقوم به الجماعات المناهضة لهم[1] ، سواء كانوا على صـواب فى تلك المناهضة أو على غير صواب .

٢- مهاجمتهم بالفعل :

أعلنت بعض أجهزة الأعلام المرئية عن وصول خطابات إلى بعض الفنـــانين والفنانات تحمل التهديد الواضح لا فى الأنفس فقط ، بل وفى الأموال والممتلكـــات الخاصة التهديد بالتصفية الجسدية ، وكانت أخبار الحوادث قد نشـــرت أن قســـم الشرطة بمدينة ... أمكنه القبض على ... الذى كان يحمل سلاحا أبيض يريد بـــه مهاجمة ... ، ولما قبض رجال المباحث عليه أدعى أنه يحبها ، وأنه مجرد مجنون بهـــا ولا يقصد إيذاءها أو الاعتداء عليها ، فلما تم تفتيشه عثر بداخل ملابسه على هـــذا السلاح الذى يخفيه[2] ، وما خفى كان أعظم .

<u>إحباط محاولة ثرى لبنانى الانتقام من مطلقته</u>

ذكرت الصحف أن مباحث القاهرة قد أحبطت محاولة رجل أعمال لبنـــانى الانتقام من مطلقته الفنانة حيث حرض بتشويه وجهها بماء النار ... تم ضبط المتـــهم أثناء قيامه بتنفيذ جريمته بمصر الجديدة ، وقد أعترف المتهم[3] ، وهاك ما ذكر :

أفادت التحريات السرية بإشراف مدير الإدارة العامة لمباحث القاهرة ونائبـــه بأن الثرى اللبنانى ... انفصل منذ مدة بعد زواجه بالفنانة ... لخلافات بينـــهما ...

---

(١) راجع التكفير والهجرة وجها لوجه ص٢٢٧ .

(٢) مما ذكرته الصحف اليومية محاولة الاعتداء على ليلى علوى ، وأخبار يسرا أو الروس ، حتى ألان لمتنقطـع فى المحاكم والنيابات ، وكذلك معالى زايد ، والهام شاهين ، وفاروق الفيشاوى ، ,احمد زكى وغيرهم .

(٣) نشرت تلك الأنباء فى الصحف ، ومن خلال عدة تحقيقات .

وأتفق مع سائق لبناني على تشويه وجه الفنانة (بمادة كاوية) مقـــابل ٧٥ ألــف دولار ... [1] .

تم وضع السائق تحت أعين رجال المباحث حيث راح يتفق مع شخص أخـــر على تنفيذ الجريمة مقابل عشرة آلاف جنيه ، والباقي سمسرة ... بتسجيل اللقاءات ، وتصويرها وبمسرح الجريمة المتفق على تنفيذها ... تم ضبط السائق اللبنــــاني أثنـــاء تسليمه زجاجه ماء النار للمعهود له بتنفيذ الجريمة بجوار مســـكن الممثلـــة بمصــــر الجديدة[2] ، وتولت النيابة التحقيق قبل أن تقع الجريمة ذاتها .

وكشفت تحقيقات النيابة عن وقائع جديدة ومثيرة في القضية حيث تبـــين أن الثرى اللبناني (المطلق) حضر مع المتهم من لبنان إلى القـــاهرة[3] ، لإرشـــاده إلى مسكن الفنانة بمصر الجديدة لتنفيذ الجريمة حتى لا تفلت منه قبل القضاء عليها .

قررت نيابة الظاهر حبس المتهم أربعة أيام احتياطيا على ذمة التحقيقــــات ، ووجهت له تهمتي الاتفاق الجنائي على تشويه وجه الممثلة (بمـــــادة كاويـــة) ... والشروع في قتلها[4] ، وهو الأمر الذى أعترف به نفسه .

وأمرت النيابة بضبط وإحضار مطلقها رجل الأعمال اللبناني ، والمقيم بلبنان ، واستدعاء المبلغ عن واقعة الاتفاق الذى حضر مع المتهم اللبنــــاني لتنفيـــذ الجريمـــة وإرسال شرائط الكاسيت وشريط فيديو المسجل عليه الوقائع لإثبات الاتفاق الجنائي في تنفيذ الجريمة إلى خبير الأصوات حتى يتم تكييف الأمر على الشكل القانوني .

(١) يبحث عن مرتكب لجريمة ويعطيه مقابلها ما يشبع مئات الأسر فهل هذا صواب ؟!

(٢) جريدة الجمهورية ١٩٩٨/١/٨م ص٩ .

(٣) كم تكلفت تلك الرحلات المكوكية ، وإخواننا في البوسنة والهرسك ، والشيشان يموت بعضهم جوعا .

(٤) جريدة الجمهورية ٩ يناير ١٩٩٨م ص١ عمود ٣،٤ من أسفل .

وقد استمعت نيابة الظاهر بإشراف مدير النيابة ووكيل النيابة على مدى ٨ ساعات إلى أقوال السائق (٢٣) سنة حيث أعترف بأنه حضر من لبنان إلى القاهرة أربع مرات وفى إحداهما أصطحبه طليق الفنانة للتخطيط معه حول تنفيذ الجريمة ... ولإرشاده إلى عنوان الفنانة مطلقته ... وقاما بمعاينة موقع مسكنها بمصر الجديدة ومداخل ومخارج المسكن حتى يتسنى للسائق النجاح فى تنفيذ الجريمة .

وأضاف المتهم أنه ذات مرة - حلال فترة مراقبة ورصد تحركات الفنانة ... أنتظرها حتى مطلع الفجر بعدما عقد النية على تنفيذ الجريمة فى تلك الليلة منذ حوالى شهر ، لكن الضحية غابت عن بيتها فى تلك الليلة ، و لم تحضر فضاع الأمر الذى عقد العزم عليه ، وأنه كان فى حالة انفعال بعدما عاد إلى محل إقامته بأحد الفنادق القريبة من مسكن الممثلة .

ولذا فقد قام بالتخلص من زجاجة ماء النار - التى كانت بحوزته - فى تلك المرة عن طريق إلقائها بحمام المسكن ... وانه عاد إلى لبنان بعدما فشل فى تنفيذ الاتفاق[١] ، وإنهاء المهمة مع الفنانة المطلقة .

وأستطرد قائلا فى اعترافاته أمام النيابة بأنه بعد عودته إلى لبنان فوجئ برجل الأعمال يهدده بطرده من عمله كسائق لدى شقيقه ... وأنهال عليه بالضرب المبرح لتقاعسه فى تنفيذ الجريمة المتفق عليها ... بل وتمادى رجل الأعمال فى تهديده بإيذاء أفراد أسرته ، وقطع أرزاقهم ، وتلفيق الاتهامات لهم[٢] .

---

(١) الجمهورية ١٩٩٨/١/٩م ص١١ .

(٢) فى الوقت الذى تدك فيه إسرائيل الجنوب اللبنان ، وتعيث فيه فسادا .

وأضاف بأنه أمام تلك الضغوط والتهديدات اضطر إلى العودة للمرة الرابعة إلى القاهرة ومعه زجاجة (ماء نار) لتنفيذ الجريمة ، رغم أنه لم يتقاض حتى حضوره دولارا واحدا من المبلغ المتفق عليه[1] مع الثرى اللبنانى .

بالرغم أيضا من اتفاقه على الحصول على مبلغ ٧٥ ألف دولار وأنه أخفى زجاجة ماء النار بجوار سور عمارة مواجهة لمسكن الممثلة ، وأتفق مع شخص وسيط لمعاونته فى إحضار شخص أخر لتنفيذ الجريمة بدلا منه مقابل عشرة آلاف جنيه ، ولكنه فوجئ بالوسيط يبلغ الشرطة فأصيب بصدمة[2] ، وقد خاب مسعاه ، ونجت الفنانة المطلقة من آذاه .

وإذا كان ما مضى يمثل محاولة للعدوان على الفنانين والفنانات ، ومهاجمتهم بالفعل بعد القول ، فإن هذه المحاولة الجديدة تمت لسرقة ممتلكاتهم التى بها يتباهون ، وعلى الخلائق يتفاخرون .

نشرت إحدى الصحف القومية خبرا تحت عنوان " إعادة مجوهرات قيمتها ٢٥ مليون جنيه للفنانة ... " سرقها ٣ لصوص بمساعدة الخادمة من داخل شقتها بالجيزة ، و لم تكن قد عرفت صاحبة المال بالسرقة [3] .

---

(١) هذه المبالغ يبذرها اللبنانى ، وأهله فى لبنان تحت نيران الاحتلال لا يجدون لقمة العيش ، وهو يسرف فى علاقاته النسائية من غير مراقبة لشيء أصلا .

(٢) الجمهورية ٩ يناير ١٩٩٨م ص٨ ص١ عمود ٣،٤ من أسف ص١١.

(٣) من أين لها بهذه الأموال التى سرقت ، وهى تمثل دخلا للعديد من الملايين ، ثم اذا كانت هذه الأموال هى التى عثر عليها داخل مسكنها فما هى أرصدتها الأخرى على وجه العموم ؟!!

جاء فيه : تمكنت مباحث القاهرة من إعادة مجوهرات الفنانة ... ، والتى تقدر قيمتها بحوالى ٢٥ مليون جنيه اليها سرقها ثلاثة لصوص بمساعدة الخادمة من داخل شقتها بالجيزة(١) ، فى الوقت الذى كانت بعيدة عن منزلها ، فى رحلة مكوكية .

وكان مساعد الوزير لمباحث القاهرة قد وردت اليه معلومات بوجود أحد الأشخاص بمنطقة الصاغة يعرض بعض المشغولات الذهبية المرصعة بالماس والأحجار الكريمة لبيعها لأحد التجار ، وكان يتحرك بحذر شديد حاملا حقيبة سمسونايت وتردد على أكثر من محل بالمنطقة(٢) ، بغرض بيع ما معه من مجوهرات .

فأمر اللواء نائب مدير الإدارة العامة لمباحث القاهرة بتشكيل فريق بحث لمعرفة هوية هذا الشخص ، وتحديد شخصيته ومعرفة مصدر حصوله على هذه المشغولات الذهبية القيمة التى ربما لا تناسب إمكانياته الذاتية ، وتفضى لشىء مجهول .

وبعد أجراء المراقبات والتحريات تبين أن هذا الشخص سائق سبق له العمل مع الفنانة ... وبعد تضيق الخناق عليه ومراقبته ، تم ضبطه بمنطقة الصاغة أثناء عرضه مجموعة أخرى من الساعات المرصعة بالأحجار الكريمة على أحد التجار ، وأعترف بسرقة المشغولات الذهبية والمجوهرات من شقة الفنانة بمنطقة الجيزة بمساعدة الشغالة الخاصة بالفنانة وشخصين آخرين(٣) ، كانا يترددان عليها لخدمتها وإنهاء بعض أعمالها .

---

(١) لو أن هذه الأموال جمعتها من حلال وأخرجت زكاتها لحفظها الله لها .

(٢) وهى طبيعة اللصوص فى استكشاف أماكن توزيع وبيع المسروقات حتى يمكن تصريفها .

(٣) رغم أن تلك الفنانة قد نشرت الصحف اليومية تهربها من تسديد ضرائب الدولة المقررة عليها .

وتمكن رئيس مباحث الجمالية من القبض على الشغالة والمتهمين الآخرين واعترفوا باشتراكهم فى سرقة مجوهرات الفنانة والتى تقدر قيمتها بأكثر من ٢٥ مليون جنيه من داخل شقتها بالجيزة ، وتم التعرف على مكان المسروقات وأبلغت النيابة لمباشرة التحقيق ، وتم الاتصال بالفنانة لتسليم المجوهرات الخاصة بها[١] ، و لم تكن قد عرفت بموضوع السرقة .

وبطبيعة الحال فقد تعددت محاولات سرقتهم ، أو تجريدهم من ممتلكاتهم تماماً ، ولو كان ذلك عن طريق استخدام سائقيهم والخدم أو الأصدقاء الذين يثقون فيهم ، أو تحت إلحاح الجسد المندفع للجنس الحرام .

نشرت صحيفة سيارة أنه تمكنت مباحث القاهرة من أعادت مجوهرات الفنانة ... ، والتى تقدر بحوالى ١٣ مليون جنيه سرقها لصوص من غرفة مسكنها ، بعد عودتها مجهدة من ليلة عمل خارج مترلها ... [٢] .

وكانت الفنانة تضع هذا المبلغ فى مترلها للظروف الطارئة ، وتمت سرقته عن طريق مشمعة العواطف ، فى ليلة ضعف شيطانى تمكن الخدن من تقليد مفتاح الشقة ثم أرسل اللصوص اليها .

---

(١) والغريب ألها تزوجت من ثرى عربى يملك أموالا كثيرة ، وما تزال العلاقة بينهما قائمة ، ويخضع لابتزازها مرة ، وتخضع هى لتصرفاته معها مرة أخرى .

(٢) الأهرام ١٤سبتمر ١٩٩٧م ص٢٧ عمود (١،٢،٣) من أسف .

٣- مهاجمتهم عن طريق القانون[1] .

أقيمت دعاوى كثيرة على أفلام بعينها كما حصل لفيلم المهاجر وخلافه ، ولئن كان القاضى قد أصدر حكما بوقف عرضه مؤقتا ، فإنه لم يصدر قرارا بسحب ترخيصه أو تصديره فضلا عن تصنيعه ، وتلك ثغرة أخرى تعطى المخرج والمنتج فرصة تصديره على أنه مضطهد فى بلاده فينال من التعاطف معه الكثير[2] ، من مجهودات الأغبياء وسلوكيات الشواذ .

بل أن بعض دعاوى الحسبة كانت ترفض لأنها أقيمت من غير ذى شأن ، ولو أنصف القاضى لقال أن كل صاحب دعوى هو ذو شأن لأنه مسلم والمسلمون تكافأ دماؤهم والذى يفعل فى دور اللهو باسم الفن مخالف تماما تعاليم الإسلام[3] .

كما أن هذه الأفلام بما فيها إنما يمثل مظهر من مظاهر تدمير العلاقات ، وتحطيما لأصول القيم النبيلة التى تحكم الشريحة العظمى من المجتمع المصرى ، ومن ثم تكون الدعاوى مرفوعة من ذى شأن ، وليس العكس[4] ، ولو كنت مكان القاضى لوجدت من نصوص القانون ما يعين على كبح ثورة الغزو الثقافى .

على أنا نقول : أن أمثال هذه الألوان من المقاومة لتداخل الثقافات ، إنما يمثل مظهرا بسيطا ، وقشرة خفيفة ، بينما التأثير الأكبر والقشرة العميقة تأتى من الكتاب الذى يتعامل به ، وما أدراك ما الكتاب ، أنه وسيلة ثقافية ، وسيلة تدوين المعلومات

---

(١) لجا الغيورون لرفع دعاوى قضائية يطالبون فيها وقف عرض الأفلام أو المسلسلات ، وما خلا عام من دعاوى ترفع من خلال الغيورين .

(٢) كالذى حدث مع سليمان رشدى الفارسى الذى ارتد عن الإسلام بكتابه اللعين آيات شيطانية .

(٣) وما يعرض على الشاشتين دليل واضح أكيد على أن بعضه مما يخرج عن حدود اللياقة والقبول .

(٤) أرجو أن يعاد النظر من الناحية القانونية ، ويسمح مرة أخرى بالحسبة .

، والمحافظة عليها وسيلة إنارة الذهن بالمعارف ، حتى قيل : الكتاب خير صديق ، وأى صديق لكن أى كتاب ؟

هل الكتاب الذى يحمل الفسق والإفك ، ولو كان مؤلفه من المسلمين المصريين ، كما تفعل طبيبة لم توفق فى حياتها الزوجية والمهنية ، فراحت تنشر أفكارها بشكل مستمر رغم تقدمها السنى وبشكل مثير للدهشة[1] .

أم الكتاب الذى ألفه ملحد يساير ظروف بلاده بما فيها من الاباحية والسفور ، وما تعتبره بمقاييس الإسلام شذوذا[2] ، ثم يترجمه مصرى أو مفكر مسلم ، ثم تلقيه المطابع على أنه إنتاج مصرى ، أو لمفكر مسلم من بلد الأزهر الشريف ، مع أنه ليس فيه الا الترجمة العمياء ؟ التى التزمت الحرف ، وصحته ، وبعدت عن المعنى[3] .

لقد بات جزء من الكتاب فى الشرق آفة تداخل الثقافات من قديم ، وكان تأثيرها ضئيلا ، أما الآن فى عصر التقدم المذهل فى المطابع فقد بات الكتاب مشكلة ، أنه لا يتم تقييمه من خلال المتخصصين ، كما لا يتم النظر فيه بعين الرقيب الذى يقف على الواردات يفحصها بدقة كما كان الحال فى الماضى ، وهل يتمكن الرقيب اليوم من ضبط هذه الكتب التى تحمل السم تحت العسل[4] ، وتصدرت بكميات تفوق إمكانيات الرقيب نفسه .

---

(١) راجع مذكرات طبية ، وقد نشر عدة مرات ، وهى تساهم فى كل احتفاليه تقام ضد الفكر الإسلامى ، رغم أنها مسلمة الاسم .

(٢) كالحال مع المازح سلمان رشدى الذى أفترى على الإسلام ونبيه وأمته – قاتله الله وأمثاله .

(٣) وهذا الشأن يشاركهم فيه بعض ا لمجلات الأسبوعية .

(٤) لا أقصد الرقيب العسكرى ، وانما الرقيب الثقافى المسلم .

أن معرض الكتاب الدولى ، الذى يقام كل عام ، وتشارك فيه دول عديـــدة تلقى فى أحضانه بما أخرجته مطابعها فى عام كامل حتى بلغ عدد الكتب فى معـرض لعام واحد ما يزيد على الملايين ، فهل يتمكن الرقيب من ضبط هذه الكتب كـلا ، وآلف كلا فلما وضعت المطبعات أثقالها ، وفتش طالبوا الكتب فى أعماقها بان لهـم فسادها ، وربما ظن الغر أن الدولة قد وافقت عليـــها ، أو فحصـــت أفكارهـــا ، والعكس صحيح .

لذلك كله وجدنا ثقافات متباينة تقفز إلى حياتنا الفكرية فأنتجت أفرادا يمثلون اتجاهات فكرية برزت فى :-

١- مهاجمة الدين باسم مخالفته العلم[(١)] .

وهى مزاعم كاذبة ، ودعوى باطلة ، لأن العلم الصحيح لا يخـــالف النقـــل الصريح ، بل أن الدين يحض على العلم ، ويساعد عليه ، ويدعو اليــــه فى حـــدود الشرع الشريف ، ومن يخالف تعاليم الدين الحنيف فلا يصح أن يوصف بأنه مســـلم أبدا .

٢- مهاجمة الكتاب الكريم والسنة المطهرة :

فمثلا ظهرت جماعة اتخذوا لأنفسهم مقرا بشارع مصر والسودان - حدائـق القبة ، يطعنون على القرآن الكريم بأن فيه آيات يدعى عدم نســـخها ، وهـــى لم تنسخ ، وأخرى يدعى عدم نسخها ، وهى منسوخة ، ومالهم بذلك من علم أن هم إلا يظنون[(٢)] .

(١) من ذلك الهجمة الشرسة التى قام بها العلمانيون حول حديث الذبابة .

(٢) فهذه المسائل الفنية الدقيقة لا يعرفها إلا علماء العقيدة والتفسير والحديث من أهل الإسلام ، لأنها داخلـه فى تخصص علوم القرآن - راجع الاتقان فى علوم القرآن جـ١ .

بل أن هذه الجماعة أعطت نفسها الحق فى الحديث باسم الدين ، وهـــى لا تعرف من الدين شيئا ، حتى طالبت بتصحيح البخارى ومسلم ، وهما أصح كتـــب السنة المطهرة لدى المسلم السنى بعد كتاب الله تعالى ، وطالبوا بحذف كافة التفاسير التى تنسب لأهل السنة والجماعة حتى سموا أهل الحديث والسنة والجماعة أصحـــاب التيار المنحرف ، وأعلنوا عن مواجهتهم لهذا التيار[1] ، حسب إطلاقهم الساذج .

وربما يقال : كيف كان تداخل الثقافات هنا من أسباب نشأة هذا التيار ؟

والجواب : أن هذا التيار ارتضع بعض ألبان الفكر الشيعى فى جانبه المتطـرف حينما كان قادته فى أفغانستان يحاربون معها معركتها ضد الشيوعية ، وقد وقعـــوا على مؤلفات شيعية تنسب إلى القرآن الكريم سورا بأكملها وتدعى أنها محذوفـة[2] ، فأزالت هذه الكتب – الشيعية – من أنفسهم هيبة احترام القرآن الكريم .

وكذلك فيما يتعلق بالسنة فقد ذكر الدكتور " التيجانى الســـماوى "[3] ، أن صحيح البخارى ومسلم عليهما من الانتقادات ما لا يتمكن المسلمون السنيون مـــن دفعها أو الرد عليها ، فضلا عن توضيحها ، وهو فى كل ما قال مدع غير صـــادق ولا أمين ، ولا أظن أنه يكتب عن غير وعى ، بل أدعى أنه يكتب مـــا يعتقـــده ، وتلك كارثة ما بعدها كارثة .

---

(١) ألفت هذه الفئة كتبا كثيرة منها مواجهة الفكر المنحرف فى الإسلام ، وقائد هذه الفئة طبيب أسنان ، ربمـــا لم يقدر له النجاح والتفوق فى مهنته ، لكنه يحاول والفشل يلاحقه وأى فشل .

(٢) تدعى إحدى طوائف الشيعة وجود سورة الولاية فى القرآن ، وأنها تنص على ولاية الإمام علـــى كـــرم الله وجهه ، وأنها حذفت من القرآن، الذى فى ايدى المسلمين ، وهو إدعـــاء كـــاذب ، ,أمـــر مفضـــوح ، اذ لو كانت هناك سورة محذوفة ما سكت عنها أعداء الإسلام واليهود .

(٣) وهو أحد كتاب الشيعة البارزين ومن كتبه لأكون مع الصادقين ، وهو يهاجم القرآن والســـنة ، ويدعـــى وجود سنة أخرى ، وهو كاذب فى مزاعمه .

اذن كان من نتائج تداخل الثقافات ظهور تيار فكرى منحرف ينسب زورا إلى الدين ، وهو عن الدين بعيد تماما ، بل هو خطر على الدين وعدو له مبين ، ومظاهر تأثيره بادية فى هذه وتلك مما سبق ذكره فى الصفحات التى خلت .

وكذلك تيار الأخوان الجمهورين فى السودان الذى قادته بالفكر المسيحى الوارد اليهم من جنوب أفريقيا حاملا أسماء مؤلفين وهميين ، كالعربى والهاشمى ، وغيرها مع انه فكر مسيحى متطرف[1] هجره رجال اللاهوت المسيحى أنفسهم ، وأعلنوا أنه مخالف للنصوص التى يحتكمون اليها .

بل لا أغالى اذا قلت بأن هذا التيار فى السودان هو امتداد الفكر المادى المتطرف ، والعلمانى الذى لا يعترف بالدين أبدا ، وإنما هو قائم على تقديس الطبيعة ، والقتال فى سبيل البقاء ، والتحدث باسم الدين بغرض هدم الدين ذاته .

ون أبرز الأدلة قول الجمهوريين : " عندما استعان النور الالهى بمحمد الأمى من جبال مكة فى القرن السابع الميلادى ، أشرقت شمس مدنية جديدة[2] ، فأنظر إلى لفظ استعان النور الالهى ، لترى بنفسك " مدى تأثر هذا التيار بأفكار المسيحية المفلسفة عن استعانة الإله الآب ، بالمسيح الابن فى تكفير خطايا البشر ؟

ولو لم تدخل الثقافة العلمانية إليهم ، ربما سلموا مما وقعوا فيه ، لكنهم لم يسلموا منها ، وإنما انقسموا فيها حتى الرؤس التى وقعت فى الأوحال ، وهو ما سنلتفت اليه أثناء الحديث عن الأخوان الجمهورين فى السودان[3] .

---

(١) راجع أدلة اليقين فى الرد على المبشرين المسيحين ص٢١١ .

(٢) محمود محمد طه – الثورة الثقافية ص٤١ ، وهم لا ينظرون للدينعلى أنه رسالة الهية ، إنما يعتبرونه صورة للمدنية ، والنبى عندهم بمجرد مصلح أجتماعى فقط .

(٣) راجع كتابنا – الأخوان الجمهوريون فى السودان .

الخامس : الاستغراب[1] :

يعتبر أمر تقليد الآخرين من أكبر المصائب ، متى تعلق الأمر بتقليد أصحاب الجهالة ، ذلك أن بعض الشرقيين ذهبوا للدراسة فى الغرب[2] ، فبهرهم التقدم العلمى فى جانبه المادى ، حتى غلب عليهم بريقه وتصوروا أن كل الغرب محاسن ، سواء فى ذلك العلم المادى ، أو العلم النظرى .

بل أنهم سحبوا هذه الحكام على كل ما فى الغرب من قيم ، وأخلاق ، تداعى بعضها ، وتساقط الأخر أو انهار بينما الذين رصدوه أول الأمر ، أقاموا له تماثيل فى عقولهم ، وهيبة فى نفوسهم ، حتى أنهم لم يفكروا فى الخروج عليه ولو مرة واحدة ، بحيث يقع لهم عليه تأمل ، يتيح لهم الحكم عليه من خلال التعقل والرؤية[3] ، أو التزام الفكر الصحيح والمناهج العلمية .

بل ربما تجد من يدافع عن الغرب باعتباره عقلية قفزت إلى السماء ، وجلبت من المعمورة الأرجاء ، ويدافع عنهم كعلماء اجتماع ورجال اقتصاد ، ومفكرين وأدباء ، بل قاده هذا الاندفاع إلى تقديس أفعالهم وإتيانها تشبها بهم عن طواعية ، بحيث يتحول ذلك المستغرب من دفاع سلبى إلى دفاع ايجابى مسموع ، أو مشاهد ، أو مقروء[4] .

---

(١) هو السبب الخامس من أسباب نشأة التيارات الفكرية .

(٢) ويقال على كل واحد منهم أنه مستغرب الثقافة .

(٣) راجع مؤلفات – شيليك ، وأير ، شيلينج سترى صاحب الوضعية المنطقية قد ترجمها عنهم ثم نسبها إلى نفسه .

(٤) ذلكما نشاهده على الشاشة ، ونسمعه فى المذياع ، ونقرأ منه على الإنترنت .

فمثلا الوضعية المنطقية ، والاتجاه المادى ، وأصحاب النقد العصرى فى أوربا قام فريق منها بمهاجمة الدين فى شكله الكنسى من خلال رموزه القائمة[1] ، بينما قام فريق أخر بمهاجمة نصوص الدين الكنسى باعتبارها لا تخضع للمناقشة ، ولا تقف أمام النقد العلمى صامدة ، وكان هذا الوضع فى أوربا المسيحية .

على حين بدأ فريق أخر يهاجم الدين فى رموزه الشخصية ، ويحاول إنزال هذه الرموز إلى دائرة البحث النقدى - كرسل المسيحية بولس ، ومن معه[2] ، ومريمات الكتاب المقدس[3] ، ويوسف الكتاب المقدس[4] - إلى دائرة البحث العلمى والتأكيد على أنهم مجرد رموز لا وجود لها فى الحقيقة[5] .

ومع أن ذلك كان فى أوربا المسيحية ، وكان هذا بهدف إزالة سلطان الدين المسيحي من النفوس ، وإسقاط هيبة رجال الدين الكنسى من القلوب التى تتعلق به وتصدق فيه .

إلا أن بعض من ذهبوا للدراسة فى أوربا أخذوا كل هذا فأخذ التسليم وجاؤا إلى مصر المسلمة بغرض تطبيقه كواقع علمى معاش ، وحقائق ثابتة ثبوت الحقائق العلمية فى جانبها المادى[6] ، مع أن ذلك غير صحيح ، ولا يقوم عند أصحابه على دليل مقبول .

---

(١) الدكتوره / نازلى إسماعيل - مقدمتها لكتاب كانت " مقدمة نقدية " ص١٤ .

(٢) الدكتور / محمد أبو الغيط - بولس والمسيحية ص١٢ .

(٣) راجع مريمات الكتاب المقدس - ففيه ظلام طويل عنهن .

(٤) أيضا يوسفات الكتاب ا لمقدس كثيرة منها - الرامى ، التاجر ، الراعى ، الأمين ، وغيرهم .

(٥) راجع كتابنا- قضايا حثيثة فى الفلسفة الحديثة ص١٧ .

(٦) مع أن ذلك الاستنتاج منهم غير قائم على أصول مقبولة .

فوجدنا منهم :-

[١] مطالبا بوضع نصوص الدين الإسلامى موضع النقد والموازنة فى الإسلام ، كالحال التى يطالب بها أصحاب النقد العصرى فيما يتعلق بالفكر المسيحى والنصوص المسيحية ، وما درى الفرق بين النصوص التى يراد وضعها موضع النقد ، والموازنة ، وفيها الضعف والعلة القادحة ، والتحريف بجانب أنها من وضع البشر[1] .

والأخرى الإلهية التى سلمت من كل عبث ، أو تحريف ، والفرق كبير جدا ، لكن لمن تدبر ، ومن الذى يتدبر وقد ارتضع ألبان الكفر ، أو أغمض عينيه حتى لا يرى ضوء الشمس فى وضح النهار .

اذ النصوص الكنسية ما تزال محل جدل بين المسيحيين أنفسهم ، ثم أنها مفقودة النسبة ، كما لم يصح فيها السند ، و لم يسلم معها المتن[2] ، وفوق ذلك فلم يكتبها عيسى عليه السلام ، و لم يملها ، وإنما هى مجرد أفكار شخصية كتبت باسمه ونسبت كذبا اليه

والنصوص الإسلامية ، ليست كذلك أبدا ، لأن النصوص الإسلامية ، صحيحة النسبة إلى الله تعالى ، متصلة السند قطعية المتن ، فالمقايسة بينهما غير مقبولة .

بل أن المسيحيين ينادون بأن هذه الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل تقع بين هذه الأحكام وتطبق فيها :-

---

(١) الشيخ / رحمت الله الهندى - اظهار الحق جـ٣ ص١٧ .

(٢) الشيخ / عبدالرحمن الجزيرى - أدلة اليقين ص٣١٢ .

[أ] لم يملها السيد المسيح على تلاميذه أبدا ، و لم يراجعها مع أحد منهم .

[ب] لم يكتبها تلاميذ المسيح أنفسهم ، ولا من أتى بعدهم مباشرة .

[جـ] لم تقرأ على المسيح حتى يعرف صحيحها من باطلها(١) .

[د] أنها مجرد تصورات لأتباع أصحاب المسيح وحوارييه ، وهى تمثل سيرة ذاتية له ، وليست وحيا سماويا(٢) ، ولا نقلا مقبولا ، وهذه التصورات خضعت لثقافة كل كاتب لإنجيل بعينه ، وهو الذى وصف به ، فهناك إنجيل متى ، وإنجيل مرقص ، وإنجيل يوحنا ، وإنجيل لوقا ، وليس منها إنجيل يسوع المسيح .

أما النصوص الإسلامية – القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة – فقد أنزله الله تعالى على قلب سيدنا محمد ﷺ مدة ثلاث وعشرين سنة كل عام ينزل قدر من القرآن الكريم موزعا على حوادثه ومستجداته شاملا أيامه ولياليه يسمعه النبى محمد ﷺ ويحفظه ، ثم يمليه على أصحابه – كتاب الوحى – ثم يسمعه منهم آحادا ومجتمعين(٣) ، وهم أحرص على تسجيله والاستماع اليه ومراجعته باستمرار .

ثم يأتى جبريل الأمين بعد ذلك فى كل عام ليراجع رسول الله ﷺ القدر الذى أنزله الله عليه من القرآن الكريم ، وكان جبريل يتعهد ذلك مع النبى الكريم فى رمضان من كل عام(٤) ، وبه جاءت الآيات القرآنية من مثل قوله تعالى ﴿ " لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه " ﴾(٥) .

---

(١) سيرة المسيح – كنيسة قطر الدوبارة ص١٤ .

(٢) القس/ صموئيل مشرقى – عصمة الكتاب المقدس ص٢١٠ .

(٣) راجع كتابنا – أخطاء الطاعنين على القرآن الكريم والرد عليها ص٧٥ .

(٤) راجع – مناهل العرفان فى علوم القرآن ، والبرهان ، والاتقان .

(٥) سورة القيامة

كما أن الرسول ﷺ لم يلحق بالرفيق الأعلى إلا والقرآن الكريم كان قد نـزل كله ، وحفظه الرسول ﷺ كله ، وأملاه على الصحابة الكرام كلــه ، وحفــظ فى صحف فى بيت النبوة كله ، **اذن القرآن الكريم :-**

[١] كلام الله رب العالمين بلفظه ومعناه .

[٢] ثابت التنزيل متصل السند والمتن .

[٣] ثابت النقل عن جبريل الأمين على الرسول ﷺ .

[٤] ثابت الحفظ عن رسول الله خير الخلق أجمعين .

[٥] ثابت التدوين عن كتاب الوحى الصحابة الأكرمين وكانوا جموعا كثيرة .

[٦] ثابت المراجعة مع رسول الوحى جبريل[١] لسيدنا محمد ﷺ .

[٧] ثابت الحفظ فى الصدور لدى الصحابة والتابعين .

[٨] ثابت الحفظ بعد التدوين فى صحف الأولين[٢] .

[٩] ثابت صحة النقل - سندا ومتنا إلى يوم الدين .

ﷻ قال الله تعالى : ﴿ " أنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " ﴾ [٣] .

اذن وضع الأمرين فى نصاب واحد ، هو تصرف غــير صحيــح وموازنــة فاسدة ، وسلوك غير مستقيم ، واتباعه على غير هدى أبدا ، ولذلك نتج عن هــذا الاستغراب ما يلى :-

---

(١) قال تعالى : ﴿ " ان علينا جمعه وقرآنه " ﴾ .

(٢) راجع العلامة الزركشى - البرهان فى علوم القرآن ص٩٥ .

(٣) سورة الحجر الآية ٩ .

[١] **كفر بالله** : لأن الوضعية فى أوربا كفرت بالمسيحية ، فجاء المستغربون فى بلادنا فكفروا بدين الإسلام بل انتسبوا للوضعية ، وتركوا الإسلام[١] ، الذى هو دين رب البرية جل علاه .

[٢] **كفر بالأنبياء** : لأن الوضعية فى أوربا لم تصدق بأنبياء العهد الجديد نظرا لعدم كفايتهم فى التبليغ ، فجاء المستغربون فكفروا بأنبياء الله جميعا تقليدا لفكر سطحى ، وتأثرا بأفكار أن صحت فى المسيحية فلا تصح فى الإسلام بحال من الأحوال [٢] .

[٣] **كفر باليوم الأخر** : فقد رأت الوضعية المنطقية اليوم الآخر فى الكتاب المقدس عندهم مطموس المعالم ، كما أنه غير محدد ، وفى نفس الوقت سيجلس فيه المسيح عن يمين أبيه الرب حتى يميز بين الخراف والجداء[٣] ، ولما حاولت اعتباره قاعدة فقد كفروا به .

وبالتالى فقد أنكرت الوضعية المنطقية اليوم الآخر كما أنكرت غيره من الأمور الغير مادية ، وعلى أثر أقدامهم سار المستغربون رغم أن الفرق كبير والبون بينهما شاسع ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

بل أن بعض مفكرى كتاب أوربا أقروا بأن اليوم الآخر ضرورة لا بد منها ، وهو كما يصوره الإسلام أولى بالقبول وأدعى للاحترام حتى أن عما نوئيل كانت بقرار صراحة : أن اليوم الآخر فى الإسلام أعطى الفرصة للمظلوم الذى ملت ، و لم

---

(١) بل أنك لتستغرب حين تسمع الواحد منهم يتفاخر بأنه وضعى .

(٢) لأن المسيحية دين الآباء الرسوليين ، ولا علاقة له برسالة عيسى U .

(٣) القس فايز فرج – عتبات الأبدية ص٣٥ .

يحصل على حقه فى الدنيا أن يناله فى الآخرة[1] ، وهذا فى حد ذاته أمر يجب الإقـرار به .

لكن دعاة المنطقية وكل الماديين فى مصر لم يتصوروا أنهم خرجوا مـن ملـة الإسلام بأفكارهم هذه ، لأن المسيحية فى أوربا لم تجعل أصحاب النقد العصرى ممن نظروا فى الكتاب المقدس كفرة ، و لم تنظر إلى الوضعية المنطقية موضع الكفر ، فهى قد اعتبرت الأمر مجرد وجهة نظر[2] ، والفرق لا يمكن تجاوزه .

◈ أما لماذا ؟

فلأن المسيحية عقائد متعددة يمكن للمسيحى أن يؤمن بواحدة منها ، ويـترك الأخريات ، ولا شيء عليه عندهم ، كما لا يمكن اعتباره كافرا بالمسـيحية ، وأن اعتبر ملحدا ومجدفا فى الدين ، أو هرطيقا من وجهة نظرهم[3] ، علـى مـا هـى الإطلالات التى يحبون أن يقولوا بها .

أما الإسلام فعقيدة واحدة ذات أجزاء محددة ، فإذا لم تجتمع كلها لا يعتـبر المعتقد لبعضها مؤمنا ، لأنها جميعا تتكامل مع بعضها وتتوافق ، ولا تتخالف ، يـدل على ذلك الحديث الشريف ، المشهور بحديث جبريل " الإيمان أن تؤمن " :-

[١] بالله .

[٢] وملائكته .

[٣] وكتبه .

---

(١) راجع كتابنا - خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة - ص٢٧٠ .

(٢) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص٤٧ .

(٣) الأستاذ / جرجس فهى - المسيحية كما أعرفها ص٤٣ .

[٤] ورسله .

[٥] واليوم الأخر .

[٦] وتؤمن بالقدر خيره وشره[١] .

اذن الفرق بين الإيمان فى المسيحية والإيمان فى الإسلام كبير جدا ، لم يدركه المستغربون الذين ناموا فى أحضان الغرب فترة ، ثم عادوا بكفره يرددونه على الناس فى مصر ، باعتبار أنه تقدم علمى وتكنولوجيا معاصر[٢] ، وما هو إلآ الكفر الصريح ، والإلحاد البواح مع أنهم لم يدركون الفارق فى الغرب بين العلوم المعملية التى يبدو فيها التقدم على الناحية المادية ، وبين العلوم النظرية التى ما يزال الغرب فيها يتخبط ، و لم يجتمع أمره على قيادة مقبولة فيها حتى الآن .

وآية ذلك أن داروين فى نظريته تطور الأحياء – النشؤ والاتقاء ، فرغم أن بحثه فى الأحياء ، إلا أنه لم ينل قبولا لدى الدارسين لعلم الأحياء ، بل وبعضهم اعتبرها بمجرد وجهة نظر لداروين خالفه فيها التوفيق ، و لم يحالفه فيها الحق .

حتى جد الباحثون عندهم لإثبات باطلها ، باعتبار أنه ميدان عملى لكن فى جانب نظرى لم يقبل ، سواء فى الحفريات والأثريات التى تصور دارون أنها تنهض معه ، ومع ذلك لم تفلح فى إقامة دليل قوى على تطور الأحياء بالشكل الذى ذهب اليه[٣] ، ورج له الماديون فى كل مكان .

---

(١) من حديث جبريل حيث راح يسأل والرسول يجيب ، حتى إذا فرغ قال الرسول ﷺ أتدرون من هذا انه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم ، وينسب إلى سيدنا عمر ابن الخطاب باعتباره راويه الأعلى .

(٢) الأستاذ / جمال البنا – ثلاث عقبات فى الطريق إلى المجد ص٩٥ .

(٣) راجع كتابنا : تطور الكائنات بين الدين والعقل ص٧ .

كما ان نظريات فرويد لم تحقق فى بلاده شـــهرتها الـــتى نالهـــا عندنـــا فى الشرق[1] ، فقد أهمله أهل بلاده ، كما أسقطوا أفكاره معه إلى الحضيـــض . أمـــا لماذا ؟

فلأن المستغربين حملوها على أنها قواعد مسلمة ، ثم أذاعوها فى الناس بشـكل واسع ، فلم تجد صدى لدى جماعتنا المسلمة ، وإنما قابلها المســـــتغربون وحدهـــم بالقبول ، وقد حرصوا على إذاعتها فى كل مكان وصلوا إليه .

بينما نظر اليها المسلمون المخلصون بالإنكار ، فقام الأولون بالدفاع عنـــها ، وكان المسلمون يناهضونها ويثبتون بطلانها ، ومن الأخذ والرد انتشرت كالنـــار فى الحطيم رغم أنها فى بلاده سقطت ، ولم تقم[2] .

كما أن الماركسية فى روسيا الشيوعية باتت أفكارا منسية غير مأسوف عليـها ألا أن الذين ذهبوا لروسيا البلشفية لتلقى العلم هناك أثناء رغبة القائمين فى مصـــــر انتشار الشيوعية وذيوعها فى مصر من خلال أبناء لها تلقوا دراساتهم فيها – ثم عادوا إلى أوطانهم حاملين مؤهلات علمية بها يتولون المناصب القيادية ، فى بلدنا المســــلم راحوا ينشرون الماركسية ، ويطالبون بتعميمها فى كل مراكز الدولة ، حتى صار لهـا أنصار يدافعون عنها أشد من الماركسيين أنفسهم ، ويتفاخرون بأنهم ماركســـيون الفكر والمعتقدات[3] .

---

(١) راجع مناقشات الدكتور / أحمد طلعت الغنام له ففيها خير كثير .

(٢) بل أنتهى الكثيرون إلى أنه كان يهوديا يدعوا للماسونية وبعش الجنس ويتغنى به .

(٣) وظهرت فى مصر صحف تمثل هذا التيار الإلحادى ، فقد دعو له ، وتعقد الندوات باسمه ، وينتصب أفرادهـا للدفاع عنه – راجع " حوار مع الشيوعيين فى أقبية السجون .

ومع أن الشيوعية ماتت فى ديارها ، أيام حكم الجنرالات العسكرين حتى ليونيد برجنيف ، ثم أعدت أكفالها ، وراحت تحتضر على يد خليفة جورباتشوف الذى أودعها أحضان التراب من غير أن يذرف عليها دمعة عين ساخنة[1] ، أو لوعة مكلوم ، إلا أنها فى الشرق المسلم ما تزال حية ، فى بعض الأذهان التى تطمع يوما ما فى إعادتها للحياة كصورة للتقدم العلمى التى يجب الأخذ بها[2] ، ولا ينبئك من أحوال هؤلاء مثل خبير بهم .

والغريب أن بعضهم يمثل مراكز حساسة فى الجامعات المصرية ، وكان يشغل غيرها من دور القيادة فى مصرنا الحبيبة ، وربما يعدون صنائع لهم تكون استمرارا للطريق الذى فيه يسلكون ، وعليه يعتمدون ، وما هم عنه منصرفون[3] .

بيد أن هؤلاء المستغربين الذين ارتضعوا ألبان الغرب ، وتغنوا بأمجاده ، لم يلاقوا فى بلادهم القبول المنشود ، وانما ظهر لهم تيار فكرى قوى الشكيمة ، راح يناهض أفكارهم ، ويقاوم آراءهم ، ويهدم نظرياتهم ، وسوف يجهض كل محاولاتهم ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

حقا كان هناك بعض التعاون من جانب القيادة العليا فى وقت مضى ، وبين هؤلاء اليساريين والشيوعيين الذين سموا أنفسهم الاشتراكيين ، أو الناصريين ، حتى كانوا يحبسون من يناهض أراءهم ، ويقاتلون من يقف لهم ، أما فى رزقه ، وأما فى تلفيق الاتهامات له ، أو غير ذلك من وجوه الكيد ، والحمد لله أنها جميعا انتهت

---

(١) راجع أوهام الماركسية ص٧ وما بعدها .

(٢) يحاول الكثيرون من المستفيدين منها إعادتها من جديد .

(٣) راجع الإسلام والشيوعية ص٤٣ .

بشكل كبير[1] قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣م العاشر من رمضان التي نسميها حـــرب التحرير .

وهذا التيار الذى نشأ مناهضا كان لها متنوعا بين النظرية والتطبيق من ناحيـة ، كما كان متنوعا فى التعامل مع هؤلاء المستغربين حيث قاوم الاستغراب فى مجـــال العقيدة ، وقاومه فى مجال الشريعة ، كما قاومه فى مجال المحافظة على الأخـــلاق ، وكذلك قاومه فى بيان فساد دعائم الاقتصاد الغربى ، وسلامه ركائز الاقتصـــاد فى الإسلام .

كما كان هناك فريق يقاوم فى مجال السياسة ، وأبان أن السياسة فى الغـــرب خداع ودهاء ، بينما فى الإسلام نظام حكم ، وشورى ، وتمـــام رأى ، واحـــترام فكر[2] ، اذن الاستغراب من أسباب نشأه التيارات الفكرية المعاصرة التى أخطارهـــا المدمرة على العقيدة والشريعة والأخلاق .

بجانب ما ذكر فهناك بعض الأسباب الأخرى فى نشأة التيارات ونظرا لضيـــق الوقت سألجأ إلى تسجيل بعضها على سبيل الإجمال أملا أن يتـــاح وقـــت مقبـــل لمناقشتها ، وعرض محتوياتها ، وإبانة الظروف التى أحاطت بها ، وكيف كـــانت فى بدايتها أمرا عاديا ، ثم ترتب عليه وجود تيار فكرى معاصر فيما بعد ، وهى مـــن وجهة نظرى تكمن فى :

[١] ضيق أفق بعض رجال الدين[3] ، عن مناقشة الآراء التى يتبناها أصحابها .

[٢] التقدم العلمى فى مجال البيولوجيا والهندسة الوراثية وغيرها .

---

(١) وكان ذلك فى بداية ثورة التصحيح التى تمت فى عام ١٩٧١م .

(٢) راجع الإسلام السياسى ص٤٥

(٣) وهذا الحكم لا نراه من أهل الإسلام ولا ينطبق عليهم .

[٣] الجهل بنصوص الدين الإسلامى وقواعده الثابتة[١] ، والتعلق بظاهرة تقليد الآخرين .

[٤] الظروف الاجتماعية ، والسياسية والاقتصادية التى سادت البلاد أبان تلك الفترة .

[٥] تداخل الثروات ، وتعدد مصادر الطاقة ، وتهميش البحث العلمى بحيث صار قاصرا على النتائج المعملية داخل المعمل دون مجادلة التطبيق .

[٦] تحييد الدين الإسلامى والضغط على رجاله ، أو تعيين القيادات غير المطلوبة ، وتنصيبها مع المخالفة لرغبة الجميع ، بفرض التأكيد على سياسة استمرار فرض الأمر الواقع ، تحت اسماء وهمية وادعاءات كاذبة ، من أمثال " لا صوت يعلو على صوت المعركة " .

[٧] السخرية من الرموز الدينية ، ومحاولة إلصاق الشائنات بهم[٢] .

[٨] انتشار التعبئة الشعورية بالعداء ، والأفكار السوداء لكل ما هو دينى حقا .

[٩] الاستشراق وأثره الفكرى ، وردود الفعل عليه[٣] .

ما مر كان مجمل الأسباب التى تنشأ عنها التيارات الفكرية ، وقد بان فسادها على المجتمع ككل وعلى الفكر الإسلامى خصوصا والفكر الإنسانى أيضا ، مما يجعلنا نلتفت إلى غيره سائلين الله تعالى التوفيق والسداد ، انه نعم المولى ونعم النصير .

---

(١) والمثل السائر " من جهل شيئا عاداه "

(٢) راجع كتابنا - من وحى البيان فى جماعة الشيطان ص١٥ حيث بان لنا أن السخرية من الرموز الدينية هو سلوك ماركسى ، واتجاه شيوعى ، وتخطيط علمانى .

(٣) الدكتور / عبد الودود شلبى - صور استشراقية ص٣٧ .


أسباب فشل نشأة التيارات
تخلف الوازع الديني في النفوس
تفشي ظاهرة الانحراف بأنواع
الضغط الفكري
تداخل الثقافات الفاسدة
الاستغراب الفكري والعقدي
أنواع الانحراف
انحراف في العقيدة
انحراف في الشريعة
انحراف في الأخلاق
انحراف عقلي
انحراف عاطفي
انحراف فكري

مصادر الفصل الثانى

[١] القرآن الكريم

[٢] الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – الندم فى المنطق الحديث .

[٣] المعجم الوجيز .

[٤] العلامة الشيخ محمد الأمير – حاشية الأمير فى التوحيد .

[٥] الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – حبو الوليد فى علم التوحيد .

[٦] الأستاذ الشيخ / محمد متولى الشعراوى – الأدلة المادية على وجود الله .

[٧] د/ أحمد مستجير – الهندسة الوراثية .

[٨] منور الأذهان فى علم البيان .

[٩] الإمام بن رشد – بداية المجتهد ونهاية المقتصد .

[١٠] الفيزياء والميكروفيزياء .

[١١] المهندس ناشد يسرى – الكهرباء بين التوليد والتوزيع .

[١٢] أنواع الطاقة المستخدمة .

[١٣] ابن سينا – الشفاء – السماع الطبيعى .

[١٤] جيمس جتر – الفيزياء والفلسفة .

[١٥] معالم الفيزياء فى القرن العشرين .

[١٦] د/ اسنسر كولز – أعرف نفسك .

[١٧] د/ عادل صادق – الطب النفسى .

[١٨] الشيخ عبدالقوى محمد رضوان – مذكرات فى علم الصرف .

[١٩] العلامة القويسنى – شرح القويسنى على السلم .

[٢٠] مذكرات فى علم النفس العام .
[٢١] دكتور / محمد حسينى موسى الغزالى – التفكير الإنسانى – أصوله ومستوياته .
[٢٢] د/ توفيق الطويل – المشكلة الخلقية .
[٢٣] المدارس السلوكية وأثرها فى تقويم الشواذ .
[٢٤] الأستاذ / عبد القوى أنور – علاقة الفكر بالخواطر .
[٢٥] دكتور / محمد حسينى موسى الغزالى – غدوة المشتاق فى ربوع الأخلاق .
[٢٦] د/ ليلى خيرى – علم النفس والسلوك العام .
[٢٧] أستاذ / بانيكون – أربعون سنة فى الأبحاث النفسية .
[٢٨] سلوك الشواذ وتأثره بالظروف .
[٢٩] صبحى خليل – دراسات فى السلوك الإنسانى .
[٣٠] أ/ ناهد أحمد ذكى – أخلاقيات البحث العلمى .
[٣١] أ/ جمال البنا – الدعوات الإسلامية .
[٣٢] مجلة الدعوة الإسلامية .
[٣٣] د/ محمد حسينى موسى الغزالى – الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى .
[٣٤] شيخ الإسلام مصطفى صبرى – موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين .
[٣٥] أ/ وحيد الدين خان – الدين فى مواجهة العلم .
[٣٦] د/ محمد حسينى موسى الغزالى – حفيف الأفنان بين الملل والنحل والأديان .
[٣٧] صحيح الإمام مسلم بشرح النووى .
[٣٨] البابية والبهائية .
[٣٩] د/ محمد حسينى موسى الغزالى – عقيدتنا رفع عيسى ونزوله بين الإسلام والنصرانية .
[٤٠] محمود محمد طه – الحجاب ليس فريضة إسلامية

[٤١] أ/ محمد قطب – مذاهب فكرية معاصره .
[٤٢] د/ محمد حسيني موسى الغزالي– منهج السلف الصالح فى إثبات وجود الله تعالى
[٤٣] دائرة المعارف الطبية – كتاب الجمهورية .
[٤٤] د–أ–ب برنر – المخدرات وخطرها على المخ .
[٤٥] د/ جمال أبو الغزايم – المعجزات .
[٤٦] الصحة العامة للمرأة والرجل .
[٤٧] أ/ حامد منصور – الاختلاط بين القبول والتردد .
[٤٨] د/ منى الأمير – الأعلام فوائده وأخطاره .
[٤٩] مجلة الإذاعة والتلفزيون .
[٥٠] د/ محمد حسيني موسى الغزالي – من وحى البيان فى جماعة الشيطان .
[٥١] الشيخ الطاهر بن عاشور – التحوير والتنوير .
[٥٢] المستشار / حسين ناجى – التسعة عشرة ملكا .
[٥٣] د/ محمد حسيني موسى الغزالي – الغزاليات فى السمعيات .
[٥٤] محمود طه – الضحية غير واجبه .
[٥٥] الرسالة الثانية من الإسلام .
[٥٦] د/ محمد حسيني موسى الغزالي – اخوان الجمهوريون فى السودان .
[٥٧] أ/ نعمت صدقى – الحجاب .
[٥٨] د/ محمد حسيني موسى الغزالي – أوراق متناثرة فى التيارات المعاصرة .
[٥٩] مشاهير القراء – كتاب الجمهورية .
[٦٠] أ/ يوسف العظم – الأعلام وخطره .
[٦١] د/ شامل أباظه – حلف الأفاعى .

[٦٢] د/ محمد حسيني موسى الغزالي – خواطر حثيثه فى الفلسفة الحديثة .
[٦٣] الطب والممارس العام – مجموعة من الأطباء .
[٦٤] د/ شارلز – ضغط الدم وأخطاره .
[٦٥] أمراض ضغط الدم وعلاجه .
[٦٦] د/ رفقى زاهر – أوهام الماركسية .
[٦٧] أ. يوسف العظم – الأعلام العربى والنكسة .
[٦٨] د /نوال العدادى – مذكرات طبية .
[٦٩] الإتقان فى علوم القرآن .
[٧٠] محمود محمد طه – الثورة الثقافية .
[٧١] الشيخ رحمة الله الهندى – اظهار الحق .
[٧٢] سيرة المسيح – كنيسة قصر اليوباره .
[٧٣] القس صموئيل مشرقى – عصمت الكتاب وأستحالة تحريفه .
[٧٤] الشيخ عبدالرحمن الجزيرى – أدلة اليقين فى الرد على المبشرين المسيحيين .
[٧٥] القس فايز فرج – عتبات الأبدية .
[٧٦] جرجس فهمى – المسيحية كما نعرفها .
[٧٧] أ/ جمال البنا – ثلاث عقبات فى الطريق إلى المجد .
[٧٨] د/ عبدالحليم محمود – الإسلام والشيوعية .
[٧٩] د/ مصطفى فهمى – الإسلام السياسى .
[٨٠] د/ عبدالودد شلبى – صور استشراقية .

الفصل الثالث

- علاقة الفكر المادى بالعصر الحديث

أ- تعريف الفكر المادى :

يقرر الماديون أن المادة هى كل شئ ، وإليها يرجع كل شئ ، هـــى الفاعلــة والخالقة هى مصدر الوجود والحياة ، هى المديرة والمهيمنة ، هى المصـــدر الوحيــد للعلم والمعرفة ، وأن العقل والنفس والروح والشعور والوجدان ، وكافــة مظـــاهر الحياة فى الكائنات الحية كلها إن هى إلا مجرد نتائج لتفاعلات كيماويـــة لخـــواص العناصر المادية التى تتركب منها تلك الكائنات .

وأن الموت والفناء ما كان من هذه الأمور غير المحسوسة ليس سوى نتيجـــة خلل أو عطب يلحق بتلك العناصر المادية فيبطل خواصها ، وينهى تفاعلاتها علـــى النحو الذى ينتهى بها إلى الخلل والفساد وهكذا من غير وجود لشئ آخر .

ومادامت المادة أو الطبيعة هى كل شئ فى الوجود فلا مجال للاعتراف بوجـود حقائق غيبية ، بل ولا سبيل إلى القول بقوة إلهيه خالقة مديرة [1] .

وطبقاً لهذا المفهوم عن المادة بالنسبة للماديين أمكن تعريف الفكر المادى بأنــه "الإيمان المطلق بالمادة وعالم الحس والمشاهدة وحده والإنكار المطلق لما وراء المـــادة من غيبيات وروحانيات[2] ، وبناء عليه فليس فى الوجود سوى هذا العالم المحســوس المشاهد ، وليس وراء هذا العالم قوة خلاقة مبدعة ، بيدها الخلق والأمر والتدبر[3].

وهذا الفكر المادى قديم من حيث العرض والتناول ، وليس وليد أفكار العصـر الذى نعيشه نحن أو القرن الذى سبق مثلا ، كما ان هذه النظرة المادية فى تفســـير

(1) الدكتور / أحمد عبدالخالق - الإسلام والفكر المنحرف صـــ ٦٨ الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـــ - ١٩٨٣م دار الهدى .

(2) كارل ماركس - بؤس الفلسفة صــ٢٣ ترجمة اندريه يازجى ط دار اليقظة العربية بسوريا.

(3) الدكتور/ عبدالمعطى محمد بيومى ، د/ أحمد الشاعر الإسلام والتيارات المعاصرة صـــ ٥٨ - الطبعة الثانية ١٩٨٠ .

نشأة الكون لها نفس الخواص التي تعبر عن اتجاه مادى صرف يحاول أصحابه إلغاء الغيبيات الدينية من عقولها .

فقد مر الفكر المادى بمراحل عديدة بدأ من الإغريق ، ومروراً بالهنود والصين كما عرفه بعض المصريين فى الزمان القديم، وكانت جذوره تمتد إلى ازمان بعيدة ثم تصاب بالكثير من المعالجة ومحاولة تصحيح الأوضاع (١) .

غير أن هذا الاتجاه المادى فى تفسير ظواهر الكون ، والإيمان المطلق بالمشاهدات المحسوسة فقط (٢) قد نال بعض العناية من الدراسين(٣) سواء من ناحية عرضه أو تناول مسائله ومعالجة قضاياه ، حتى ظهرت فيه الدراسات الكثيرة والاتجاهات المتعددة ، بين مؤيد له أو معارض (٤) .

أما الذى نحاول بحثه ههنا ، فهو علاقته كاتجاه مادى بالفكر المعاصر ، ثم التعرف على مراحل الفكر الإنسانى على وجه العموم والمعاصرة بشكل خاص ، فما هى المعاصرة إذن .

ب- علاقة الفكر المادى بالمراحل الإنسانية

قد يقف الدارسون للفكر الإنسانى مواقف متباينة ، بعضها راجع اما تعصباً لجنس بينما يرجع بعضها الآخر إلى التعصب للغة وموروث الأفكار ، وثالث يرجع

---

(١) راجع - جذور الفكر المادى للدكتور/ عبدالمعطى محمد بيومى .

(٢) أ. سينورت - ما قبل الفلسفة صـ ٤٥ .

(٣) منها الوجودية والاحتلال لمارسيل ، مدخل إلى الوجودية ، لمونييه ، الوجودية لبول فولكيه ، معنى الوجودية لعبدالمنعم حفنى ، الوجودية المؤمنة والملحدة للدكتور غلاب ، الوجودية وحكمة الأمم لسيمون دى بوفوار.

(٤) الدكتور/ عبدالرحمن بدوى - دراسات فى الوجودية ، المذاهب الوجودية ، وجودية ووجوديون لرمضان لاوند.

إلى ما يعتقد من أساطير وأوهام ، أو يردد من خرافات ولا سند لها[1] لا دليل عليها وربما لم يقف لها على سند أصلا ، أو يمتد اليها بنسب أبدا.

وعادة يتسم الفكر الإنسانى لدى الدارسين له بتقسيمه إلى حقـــب زمانيــة ويعرف بالتقسيم التاريخى للفكر الإنسانى ، أو نسبته إلى أصول يعتقد فى سماويتــهما ومجيئها عن طريق الوحى سواء صحت هذه النسبة أم لم تصح .

اذ ربما لا تكون لها به علاقة ما فى واقع كالحال مع المسيحية المحرفة مســيحية بولس شاؤل [2] الذى أقامها على انقاض الدعوى العيسوية أو نسبها اليـــه وهـــى ملتصقة بشاؤل ، لا عيسى الرسول صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم .

حيث يعتقد عامة المنتسبين إليها أنها من السماء نازلة ، بينما يقر اللاهوتيــون منهم أنها ديانة وضعها بولس شاؤل [3] بعد أن تركهم عيسى الرسول وتنازعــــهم حوله ، ومحاولاتهم الاعتداء عليه ، والتخلص منه .

بل أن كتابهم يعتقدون ان هذه الأناجيل لم يكتبها المسيح ، و لم يملــها علــى تلاميذه ، وإنما هى مجرد سيرة للمسيح تصورها الأتباع ، فدونوها كل حسب ثقافته والمعطيات التى توفرت لديه [4] .

كما يؤكدون أنه لم يكتب المسيح انجيله و لم يمله على احد وإنما دون من أتــوا بعده مكتوبات سميت أناجيل عرفت باسم مؤلفيها[5] بدعوى أنهم مبـــاركون مـــن

---

(١) الدكتور / عبدالمحسن صالح – الإنسان الحائر بين العلم والخرافة ص٤٥ – ط عالم المعرفة.
(٢) راجع كتابنا : وميض النصرانية بين غيوم المسيحية صـــ ١٧٥ .
(٣) الدكتور/ محمد أبوالغيط الفرث – بولس والمسيحية صـــ ٣٧ .
(٤) راجع كتابنا : حفيف الأفنان فى الملل والنحل والأديان صـــ ٣٥ .
(٥) كنيسة قصر الدوبار سيرة المسيح – صـــ ١٥ ط أولى.

الرب ، يعبأون من الروح القدس ، وهم على ذات الحال يسيرون دون محاولة التفكير فى الأمر أو مراجعة النتائج التى توصلوا اليها .

وليست اليهودية بأحسن حال من المسيحية فقد دخل اليهودية التحريف بكافة أشكاله و لم يفلت من هذا التحريف شئ، حيث عرف التحريف الدارسون عندهم وذكروا له ألوانا منها .

١. تحريف بالحذف من النص الأصلى .

٢. تحريف بالزيادة على النص الأصلى .

٣. تحريف بالتبديل (١) .

وقد شمل هذا التحريف التوراه الموسوية من كافة نواحيها ، حتى لم يبق لديهم إلا بعض من اسفار قليلة يتخبطون فى نسبتها إلى أصحابها ، كما لا يتفقون على عدد فقراتها أو الإصحاحات التى تحتويها ، ولا يعرفون غير تلاوات الأحبار ورجال الدين اللاهوتى الذين هم خليط من الفكر السياسى المسمى بالفكر اليهودى(٢) ، وديانة موسى عليه السلام منهم ومن هذا الفكر الفاسد ، والتحريف المقصود براء .

على أنه ما يمكن الالتفات إليه هو جريان الدارسين للفكر الإنسانى على قاعدة تقسيمه إلى مراحل فكرية بدل التقسيمات الزمانية ، أو العقدية ، وكل من تلك المراحل لها سمات معينة ، وظروف محددة (٣) يحسن بنا أن نلفت إليها فى عجالة سريعة على النحو التالى :

---

(١) راجع إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندى .

(٢) لسنا نعتبره ديانه ، لأن الدين المعتبر عند الله تعالى واحد هو الإسلام قال تعالى:" ان الدين عند الله الإسلام".

(٣) راجع كتابنا – التفكير الإنسانى ومستوياته صـ ٣٥ .

المرحلة الأولى : الفكر البدائى :[1]

وهو يمثل مرحلة الطفولة العقلية للإنسانية ، حين كان الإنسان الأول مـــزوداً بثقافة محدودة تتناسب مع إمكانياته ربما لا تجاوز حواسه حدودها حيث لم يكـــن معنياً بغيرها وليس لديه التفات لشئ سواها ، إذ كانت هى همه الأول ، وثقافتـــه الواضحة ، طبقا لإمكانياته القائمة ، وذلك من رحمة الله به .

وهذه المرحلة لا يعرف بالضبط متى انتهت على وجه اليقـــين ، وإن كـــانت الظواهر تعلن أن نهايتها آخت بداية نشأة الحضارة الإنسانية القديمة على ضفـــاف النيل عند المصرين القدماء قبل الدولة المصرية القديمة التى استمرت حتى ٢٦٣١ قبـل الميلاد[2] وربما امتدت بعدها ، اوصاحبتها فترة غير معلومة .

وتميل بعض الدراسات الحديثة إلى أن مرحلة البدائية العقلية اســتمرت حـــتى ظهرت الحضارة التى نشأت لدى الصينيين والهنود ، والجزيرة العربية [3] ، لما هـــو معروف من أن الحضارة تقوم على جانبين هما :

١- الثقافة وهو الجانب العقلى الفكرى من الحضارة ، ويعتمد على المنتج العقلـــى والمحصلة الفكرية ، وهو معنى بالتهذيب الوجدانى[4].

٢- المدنية وهو الجانب المادى من الحضارة ، الذى تظهر فيه الثقافة ، فهو مظـــهر الثقافة وصورتها الواضحة[5].

---

(١) البدائية هنا هى البعيدة عن هدى السماء ، القائمة على نتاج أهل الأرض .

(٢) دكتور/ محمود عبدالرزاق شفشق ، منير عطاالله سليمان – تاريخ التربية صـــ ١ .

(٣) الدكتور / خالد نصر الله – الحضارات القديمة صـــ ٣٤ .

(٤) راجع كتابنا قضايا حثيثة فى الفلسفة الحديثة صـــ١١

(٥) الأستاذ توفيق محمد سبع – قيم حضارية فى القرآن الكريم عالم ما قبل القرآن جـــ١ ص٢٢ – ط دار المنار بالقاهرة .

وكل حضارة انسانية راقية ظهرت وامتدت لا تقف إلا على هذين الجـــانبين بحيث ، يعتبران الاجنحة التى تعتمد عليها وفى نفس الوقت تطير بهمـــا ، وتنصـــب عليها .

والثقافة فى أى حضارة تمثل الجانب العقلى النظرى من الحضارة ذاتها ، بينمـــا تمثل المدينة الجزء المادى من تلك الحضارة[1] ، وطبقاً لذلك فإن الحضارة هى المعـــبر عن القمة العالية للتقدم الإنسانى وأنها غاية العمران ونهاية عمره [2] الذى يقدر له فى ظل تلك الحضارة.

ولا تكون تلك الحضارة الراقية من سمات الفكر البدائى الواقع فى حدود ضيقة لا يمكنه تجاوزها أبدا وحيث أن فاقد الشئ لايعطيه كما أن ملكاته لا تقو على هـذا التجاوز أو تعين عليه والا كانت ضرباً من المستحيل[3] ، أو حركة فى الفـــراغ ، لا يضمن صاحبها بعدها السلامة فلا يعقل أن تكون الحضارة الماثلة نتاجـــا للفكـــر البدائى الذى نعرف بداياته ومطالعه ، بل وندرك ملامحه ومعالمه.

وهذا الفكر البدائى ، أو الطفولى فى المعرفة لا يعرف بالضبط أين وجد ، هـل كان لدى المصرين القدماء قبل عصر الأسر ، أو كان مصاحباً للإغريق قبل عصـــر الفلسفة[4] ، أو صديقاً للهنود والصينين قبل تعاطيهم المذاهب الفكرية ، واختلاطهم بالوحى ، وأمم الأرض المتدينين أم لا ....؟

إن هذا السؤال – وأن كان لا مفر منه – إلا أن الإجابة عليه غير ممكنة بطريق موثق مأمون ، والأقرب أن يقال : أن الفكر البدائى مرحلة تلت نبوة أبى البشـر آدم

---

(١) راجع كتابنا خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة صــ٤١

(٢) قسم حضارية فى القرآن الكريم صــ٢٣.

(٣) راجع كتابنا – خواطر حثيته فى الفلسفة الحديثة .

(٤) راجع ما قبل الفلسفة صــ٢٣

عليه السلام بعد أن قبضة ربه إليه وتخلفت التعاليم الإلهية عن نبيه فانعكست أمورهم على ما هو مطوى فى النفوس ، وانزاحت هيمنتها من العقول فعادت البشـــرية إلى طبيعتها الأولى همجية زاحفة ومادية متحكمة متسلطة ، وعكفت علـــى الحـــواس تستلهمها ، ومن ثم عادت ترتضع ألبان البدائية المتخلفة الذى لاينفـــك عنـــها ، والجهل والتخلف كما كانت أمورها من قبل(١) .

وأن لم تكن النصوص كافية لتقديم صورة متكاملة عن الحياة البدائية فإنها على الأقل رسمت بعض الملامح التى يمكن النظر إليها ببعض العناية وشئ من الثقة المتزايدة كما أننا لا نستطيع التأكيد على أن القوم تمسكوا برسالات السماء وإلا ما وقعوا فى الضلال أبدا(٢).

كما لا نستطيع إصدار أحكام تقوم على ما إذا كانت رســـالات الســـماء تعهدتها أم تخلفت عنها(٣) وفوق ذلك ، فإن العقل الواعـــى الـــذى تثـــيره هـــذه التساؤلات ، ربما قنع بمثل شئ من هذه الإجابات لوقت ما ، حتى يجد بين يديه من الوثائق ما يجعلها مقبولة عنده فيؤكدها أو يعدل فيها ويضيف إليها ، لكنها علـــى أقل تقدير ، أطروحة عقلية ، تحتاج إجابة لا بديل عنها الآن كفرض احتمالى مـــن الفروض القائمة .

المرحلة الثانية : مرحلة النضج المبكر :

وهى مرحلة بدأت فيها الحضارة الإنسانية ، واتخذت لنفسها ميدانا فى الحياة ، ونمطاً معيناً فى فهم ملامحها ومحاولة التعرف على مشاكلها ، فبدأت عند المصريـــين

---

(١) قيم حضارية – عالم ما قبل القرآن جـ١ صـ٢٥

(٢) لأن شرع الله من تمسك به نجا ، ومن تركه ضل وخاب وغوى.

(٣) الشيخ / عبدالوهاب النجار – قصص الأنبياء صـ٤٧.

القدماء حضارة عرفت باسم الحضارة المصرية القديمة ، وامتازت بالمبـــانى الفخمـــة وحفر الترع ، وشق الترع والبحار وتشييد المعابد والقصور وما كان من هذا القبيل فى الجانب المادى(١) .

كما اصطبغت تلك الحضارة المصرية بالنظرة الدينية فعرفت الحياة بعد المـــوت والحساب واليوم الآخر ، وأن كانت تلك المفاهيم قد استقامت على ميزان العقــل ، وكان لها أثرها البارز فى حضارة اليونان وغيرهم من الأمم التى احتكت بهم .

لأن الحضارة الإنسانية حلقات متواصلة بعضها يؤكد الآخر أو يعدل فيـــه(٢) كما أن الفكر الإنسانى يلقح بعضه البعض الآخر .

فإذا وجدت الحضارة فى منطقة ما ، فمن المؤكد أنها سوف تنتقل إلى كافـــة المتعاطين لها ، الطالبين لأنوارها ، القاصدين معارفها وإلهاماتها(٣).

يقول جورج سارطون من سذاجة الأطفال أن نفترض أن العلم قد بدأ فى بلاد الأغريق ، فقد سبقت اليونان آلاف الجهود العلمية فى مصر ، وبلاد ما بين النـــهرين وغيرهما من الأقاليم التى ظهرت فيها الحضارة مبكرا والعلم اليونانى كان إحياء لتلك الحضارة أكثر من أن يكون – اختراعاً(٤) جديدا لها.

إن علم اليونان مقتبس من علوم المصريين والجهود العلمية التى بذلوها والعلــم اليونانى هو الذى دافعت عنه الكنيسة التى تمسكت بأرسطو وروحـــــه ، وقــادت المفكرين فى العصور الوسطى إلى المقاصل بسببه (٥) ، وساحات الإعدام ومحـــــاكم

---

(١) الدكتور / فايق صبرى – الحضارة المصرية القديمة صـــ١٣٧.
(٢) الأستاذ/ عباس محمود العقاد – الله كتاب فى نشأة العقيدة الإلهية صـــ٢١٢.
(٣) راجع معالم الحضارة الإسلامية فى الأندلس صـــ٣١٢.
(٤) جورج سارطون – تاريخ العلم جـــ٥ صـــ١٣٧
(٥) المستشار أنور الجندى – الإسلام والفلسفات القديمة صـــ ٦٣

التفتيش لمجرد مخالفة هذه الآراء تعاليم أرسطو ، مع أنه لم يكن ارسطو مسيحيا بـــل كان يونانياً ، اقتبس علمه من علوم المصريين .

ونفس المعنى ذكره ممن أكدوا أن حضارة المصريين القدماء بما فيها من دقـة فى كافة مناحى الحياة ثقافة ومدنية ، ومظاهرها قد سبقت غيرهم وكان فيها اثر واضح ومظهر نضج فكرى مبكر(1) .

كما أنهم عرفوا الحضارة ثم نفخوا من روح الأمل فى البلاد التى جـــاورتهم أو تعاملت معهم واستفادت من حضارتهم ، وأن ما ورثه اليونان من الحضارات أكـــثر مما أبدعوه ، فكانوا الوارث المدلل المغترف لذخيرة غيره من الفن والعلم مضى عليها أكثر من ثلاثة آلاف من السنين ، وجاءت إلى مدائنهم مع مغانم التجارة والحرب(2) إذن فقد أسلم المصريون القدماء الحضارة الإنسانية التى أقاموهـــا لليونـــان وليـــس العكس وكانت تلك مع بدايات مرحلة النضج الفكرى المبكر .

وفى بلاد الإغريق حيث بدأت الدراسات الفلسفية بالطبيعيين الأولين ، وأن لم تكن مناهجهم منضبطة ، إلا أنها قد انتشرت فى تقدم ورقى مستمرين حتى جاء دور طاليس المليطى ، وفيثاغورث الإغريقى ومن بعدهم جمهرة المفكرين فى فروع العلـــم التى راحت تغذى العقلية اليونانية(3) .

وفى نفس الوقت فان هذه الحضارة المصرية القديمة راحت تغزوا بلاد الإغريـــق التى انتجت فيما بعد سقراط ، أفلاطون ثم أرسطو ومن جاء بعدهم(4) وهكذا بدأت

---

(1) الحضارة المصرية القديمة وأثرها فى اليونان صـــ212.

(2) المستشار - أنور الجندى - الإسلام والفلسفات القديمة صـــ 67 .

(3) الدكتور/ عبدالرحمن بدوى خريف الفكر صـــ53.

(4) المستشار - أنور الجندى - الإسلام والفلسفات القديمة صـــ 67 .

الحضارة اليونانية تمتص غيرها ، ثم تصدرها للآخرين حاملة صفة فيها شئ من الخبرة والكثير من ملامح الاقتباس[1].

و لم تكن بلاد الهند أو الصين بمعزل عن هذه الحضارة ، وإنما قاسمت اليونان والمصريين القدماء ، إذ من المعروف أن الحضارة أول ما تبدأ فإن الشعله الأولى لها تبدأ من ضفاف الأنهار وعلى هذه الناحية جاء تعريف الحضارة بأنها الإقامة فى الحضر مع مظاهر الرقى العلمى والفنى والاجتماعى فى الحضر نفسه حول مجرى الأنهار ، ومنابع المياه[2] .

وحيث أن بلاد الرافدين – العراق وما حولها – تعيش نفس الحضارة المصرية الفرعونية على ضفاف نهر النيل ، فمما لا شك فيه أن الحضارة التى ذاعت عنهما لم تكن وليدة مصادفة أو نبت أفكار شيطان ، وإنما كانت لها أسس ممتدة فى بلاد الرافدين أيضاً[3] .

ونظراً لارتباط تجار الهند بكل من وداى النيل الفرات ، والهار سيحون وجيجون ، وتمركز التجارة لدى كل من الصينيين والهنود كسلعة ضرورية وما تمتع به التجار الهنود من مرونة وسعة مدارك ، كل هذا جعل الحضارة التى ولدت فى الأغريق ومصر والرافدين ، تولد توأمتها فى كل من الهند وبلاد الصين[4] ، حتى ظهر فى كل من الهند والصين حكماء فى ذات الوقت الذى ظهر فيه أساطين الفكر الإنسانى فى كل من مصر والأغريق ومن شاركهم نفس الاتجاه الفكرى[5] .

---

(١) الاسلام والفلسفات القديمة صـ٦٤

(٢) المعجم الوجيز صـ ١٥٧ مادة ح ض ر ط وزارة التربية والتعليم بمصر سنة ١٩٩٢ م .

(٣) معالم الحضارة الإنسانية فى بابل صـ٢٣٧.

(٤) وهذا مما يعرف باسم حوار الحضارات ، حيث تنقل كل حضارة لغيرها ما هو فائض عنها ، وتقتبس منها ما هى بحاجة اليه.

(٥) الحضارة المصرية القديمة صـ١٤٥.

وربما يقال : أن الحضارة الإغريقية تميزت – بجانب العلوم الفلسفية – بدراسات واسعة فى القانون ، حيث من المشهور هو أن الإمبراطور جوستنيان ٥٢٩ قبل الميلاد أغلق المدارس الفلسفية ، و لم يبق إلا مدرسة واحدة – على طوال البلاد وعرضها – مهمتها تخريج رجال قانون[1] فهل كان فى الشرق قانونيون كما كان فى بلاد اليونان ؟

والجواب : – أن مدرسة الاسكندرية كانت جامعة سبقت وجود المدارس اليونانية بكل ما تعنيه كلمة جامعة من علم ونظام ، وظلت تعمل حتى أن اقليدس وغيره كانوا تلاميذ بها تلقوا العلم فى مدرسة الاسكندرية قبل الميلاد حيث كانت تدرس فيها كافة العلوم ومنها القانون[2] .

بل أن زعماء المدارس التى تخصصت فى دراسة تاريخ القانون مازالوا يذكرون المدارس القانونية المصرية القديمة ، وأثر مدرسة الاسكندرية عليها سواء فى تخريج العلماء ، أم تدوين تاريخ القانون نفسه .

وأما مجموعة جوستنيان القانونية فلا تعدو أن تكون تجميعاً لنظريات قانونية سبق القول بها واستعمالها ، وتجميعاً لقواعد قانونية كانت مستخدمة فعلا ، وتجميعاً لأراء علماء فى القانون وليست إنتاجاً أو يونانيا مستقلا[3] أو فكر اغريقيا على سبيل الابتكار .

على أن الذى يجب الالتفاف إليه هو أن وجود مرحلة النضج المبكر للحضارة فى المواقع التى سلف ذكرها ليس معناه أن غيرها كان أمواتاً وإنما معناه أن بعض

---

(١) الدكتور/ محمد غلاب – الفلسفة الإغريقية صـ١٣٧.

(٢) تاريخ مدرسة الإسكندرية ومكتبتها صـ٢١٥.

(٣) معالم الحضارة المصرية القديمة صـ١٦٥.

البلدان استغنت برسالة الوحى عن حضارة العقل ، واستعانت برسل الله ، فاستغنت عن رسل الفكرة[1] ، لأنه قد سبق القول بأن مفهوم الحضارة ههنا ، إنما هو فـــهم خاص بعيد كل البعد عن روح النقل المعصوم[2] .

ولذا كانت تلك الحضارة تكبو أحياناً ، وتعتدل قليلاً ، وهـــى فى كبوتهــا يلحق بها الفناء والتدمير وفى إعتدالها يسقط الضحايا الكثيرة ، وتكثر الحوادث المؤلمة التى لايمكن ترميم جراحاتها أو وقف نزيفها ، ولو استنارت بالشرائع السماوية لمـــا كانت مواقفها بهذا الشكل من السوء .

بيد أن هذا لايعنى وجود عداء بين النقل والعقل ، أو سريان عوامل الفرقـــة والاختلاف فى أوصال كل مودة بينهما ، وإنما معناه أن النقل الإلهى معصوم ، وفيـه التوجيه الكامل فى مسائل الدنيا والآخرة ، ومتى سلك المتدينون مسلك الدين فـإنهم لا محالة سابقو الأمم فى كل فن علمى رفيع جاء إليهم الوحى آخذا بيدهم فيه[3] .

جـ- معالم الحضارة مع رسل الله

كثيراً ما حدثنا القرآن الكريم عن أقوام وجدوا فى الماضى السحيق ، والتـاريخ الغابر وقد ، أرسل الله إليهم رسله ، وكان مع كل رسول صناعة يتقدم بها قومـــه على غيره من الأمم الموجودة وليس فيها نبى ، وتسرى روحه الفتية فيهم[4] ، وإن لم تسر رسالته الشرعية فيهم بقدر ما انتشرت روحه الفتية فمثلاً .

---

(١) فرسل العقل حتما يقودون إلى الهلاك ، أما رسل الله فعملهم تعبيد الناس لله واصلاح أمورهـم فى الدنيا والأخرة.

(٢) معالم الحضارة الإسلامية فى الأندلس صـ٣١٢.

(٣) راجع معالم الحضارة الإسلامية فى القرنين العاشر والحادى عشر صـ٣٧٥.

(٤) حيث كان أعداء الأنبياء يكفرون بهم اعتقادا ويقلدونهم مدنية وحضارة.

١- نبى الله نوح عليه السلام :

تعلم النجارة ، وهى مهنة شريفة ، ووسيلة التحضر والعمران ، ألها صنعة لا تتعلق باتقان صناعة الخشب فيما يتعلق بالأبواب والنوافذ فقط ، كما لا تتعلق بالاسقف والمعابر وحدها ولكنها ، تتجاوز هذا كله لتحقق تقدماً فى مجالات الحيلة المختلفة ، وانماط الحضارة ومنها صناعة السفن وصيانتها ، وكيفية الاجادة فيها[١] ، وهى التى تقدم فيها نوح عليه السلام .

فقال تعالى له : "**واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إلهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون**"[٢]

وما من نبى من أنبياء الله تعالى إلا وكان داعيا لمعرفة الخالق العظيم جل علاه بما يجب له من جلال وكمال وجمال وإكرام ومهابة ، معرفا الناس إياه ، آخذاً بأيديهم إلى أفضل طريق وأقومه سالكا بهم رضوان الله تعالى موضحاً لهم سبل الحضارة التى يرضى عنها الله ، مرغباً فى العمران [٣].

وكم قص القرآن الكريم علينا من هذه الأنباء ما يعجز المرء عن الوقوف عليه جميعه لأن ذلك يحتاج جهودا متكاملة ، وعلماء فيهم رغبة الوصول للحق ، والتمسك به ، والدفاع عنه ، وحسبى منه ما سلف من اشارات .

٢- نبى الله داود عليه السلام :

مع أن الله آتاه الحكم والعلم والنبوة ، فإنه سبحانه وتعالى سخر له الجبال والطير ، وفوق ذلك فقد علمه الله صنعه تأخذ بيد قومه إلى عالم الحضارة الإنسانية

---

(١) الامام الصاوى - حاشية الصاوى على تفسير الجلالين جـ٣ صـ٣١١

(٢) سورة هود الأيتان ٣٧ ، ٣٨ .

(٣) معالم الحضارة فى القرآن الكريم صـ١٦٥.

قال تعالى : " **وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فـــاعلين وعلمنـــاه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون** "(١) .

من ثم ، فإن الحضارة الإنسانية كانت لها مسالك سارت فيها ، بينما الـــترقى الديني كانت له توجيهات إلهية فيها الحضارة الإنسانية وزيادة (٢)، ولكن بقدر مـــا يتمكن منه المدعوون إلى الله ، وتطيقه عقولهم ، وتستوعبه أفهامهم ، وتتمكن مـــن معالجة المواقف معه إمكانياتهم والملكات التي خلقها الله لهم حتى لا يكون تكليفاً بمـا لا يطاق وتحميلاً للعقل بما هو أعلى من إمكانياته .

والقرآن الكريم تفيض آياته بالحديث عن عمارة الكون ، والتمكين فى الأرض والاستخلاف فيها(٣) ، والأمر بأعمارها على النحو الذى ينصلح به حال القـــائمين فيها ، المستفيدين منها ، الذين تتعلق حياتهم بما هو كائن فيها ، مما هو من خـــيرات تحتاج خبرات ونعم تستوجب المزيد من الشكر ، للخالق العظيم رب العالمين جـــل علاه .

المرحلة الثالثة : مرحلة المتقدمة الحضارى :

وهى المرحلة التي ازدهرت فيها العلوم الإسلامية ، وهى حضارة مكتسبة مـــن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة(٤) ، حضارة عمادها الدين والقواعـد

---

(١) سورة الأنبياء الأيتان ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) لأن الحضارة التى يصنعها البشر خاصة بالدنيا وأحوالها ، أما التوجيهات الإلهية ففيـــها مـــا يحقق السعادة فى الدنيا ، والفوز الأكيد فى الأخرة.

(٣) مسألة الاستخلاف فى الأرض نالت عناية من المفكرين المسلمين - راجع كتب التفســير فـــى قوله تعالى:" انى جاعل فى الأرض خليفة" سترى خيرا كثيرا.

(٤) قيم حضارية فى القرآن الكريم جــ١ صــ٧٥.

الحافظة لها هى النقل المنزل[1] ، والمبلغ لها هو الرسول الكريم سـيدنا محمـد ﷺ والدعوان اليها هم من بعده صحابته الغر الميامين ،والاتباع المخلصـون[2] ، ومـن كانوا على هدى الله قائمين وشرعة متمسكين .

وتلك الحضارة القائمة على اسس اسلامية كان من أهم سماتها :

١- التعمير لا التدمير فذلك شأن خليفة الله فى أرضه[3] .

٢- الضرب فى فيافى الكون بغرض الخلوص إلى معرفة هذه الأطـراف المتراميـة وكيفية الاستفادة منها ، ومعالجة الطرائق المتعددة وصولا بها إلى أعلى ما فيها من امكانيات وكيفية الاستدلال بها على وجود الله تعالى[4] .

٣- النظر فى الأفاق الكونية المتعددة ومحاولة استغلالها على النحو الأمثل بما يناسب كل أفق على سبيل الأستقلال . أو أضيفت إليه أفاق أخرى ومن ثم ظـهرت البحوث العديدة فى الآفاق المتعددة .

ففى عالم الإنسان ظهرت العلوم التى تحافظ عليه تصريف شئون حياته وتعمـل على استبقاء خلاياه ، فى حالة من النشاط المستمر ، وكان الجديد من علم الطـب " وقاية وعلاجاً " - الطب الوقائى والطب العلاجى - وكتاب القانون لابن سينا[5] ،

---

(١) فالنقل المنزل هو البرهان والحجة الثالثة لرفعة تلك الحضارة وازدهارها.

(٢) معالم الحضارة الإسلامية فى الأندلس صـ١٩٥.

(٣) والآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى هذا الشأن كثيرة.

(٤) من ذلك قوله تعالى قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قـوم لايؤمنون.

(٥) لم يقتصر ابن سينا على كتابة القانون فى مجال العلوم الطبية ، وانما كان فيه ما يزيد علـى سبع عشرة رسالة طبية أيضا ، راجع كتابنا - أوراق منسية فى النصوص الفلسفية صـ١٩٥.

والكليات فى الطب لابن رشد[1] ، وغيرهما من أبرز الشواهد على سبق الحضـــارة الإسلامية لغيرها فى مجالات الثقافة .

وكذلك ظهرت الحضارة الإسلامية فى جانبها المادى حيث شيدت العمـارات وبنيت السدود واقيمت الفنون والعمارات الإسلامية وظهرت علوم عديدة لخدمـة هذا الجانب كالهندسة ، وعلم الساحة وغيرهما من العلوم التى كـــانت النصــوص الإسلامية هى الدافع لها ، والمسلمون هم الذين أخرجوها من العدم إلى حيز الوجود بعد البحث الطويل والجهود الجبارة[2] .

٤- الخيال العلمى الطموح الذى لا يقف عند حد انطلاقاً من الآيـــات القرآنيـة الكريمة والأحاديث النبوية الصحيحة من ذلك قوله تعالى : " سنريهم آياتنـا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شـئ شهيد"[3] وهى دعوة عقلية للبحث العلمى فى مجالات الفلسفة النقدية والتأمليـة معا.

وقوله تعالى : " **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** [4] وفيه حث على بذل المجهود من العلم حتى يتم تحصيل الأكثر منـه وقوله تعالى : " **ويخلق مالا تعلمون** " [5]

---

(١) لابن رشد غير الكليات أرجوزات عديدة فى طب الأطفال وطب العيون ، والجراحات العامـة راجع كتابنا أوراق منسية فى النصوص الفلسفية صـ٢١٧.

(٢) معالم الحضارة الإسلامية فى الأندلس جـ٢ صـ٩٥.

(٣) سورة فصلت لآية ٥٣ .

(٤) سورة الأسراء لآية ٨٥ .

(٥) سورة النحل الآية ٨ .

كل هذه الآيات وأمثالها دفعت العقل المسلم لبحث الحضارة بكافة مناحيها ، والأخذ بأرقى ما فيها من أسباب على النحو الذى يحقق السعادة للبشرية ، ويتم به الاستخلاف المنشود.

إنها حضارة تقوم على الفضيلة وتدعو إليها ، ولكن أى فضيلة ؟ إنها فضيلة القيم الأخلاقية الرفيعة ، ومنها الحب فى الله لقوله ﷺ : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١) .

وقوله ﷺ : "حب لأخيك ما تحب لنفسك"(٢) فاذا تحقق حب الخير للآخرين على الناحية التى نحب منها الخير لأنفسنا ، فلن يكون هناك صراع مادى أبدا.

وقوله الله تعالى :"ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " (٣) حيث أفرزت الآية الكريمة نوعا من أهل الفضل ، وكشفت عن معدن أصيل يتجلى فى صفاء بعض النفوس ، وإيثارها غيرها على ذاتها وهو شئ لايوجد الا فى الحضارة الإسلامية وحدها.

ولا شك أن الحب في الله تعالى يجعل المسلمين في وفاق تام واتفاق مستمر حيث أن كل واحد منهم يحب لأخيه مثل ما يحب لنفسه .وهو النموذج المثالى الذى تفتقده الحضارات الأخرى الغير إسلامية .

وهى حضارة حضارة جعلت العلم ميدانا تنفذ من خلاله لكافة اوجه الإصلاح(٤) إنها حضارة اسلامية شاملة لكافة نواحي المجتمع وفي كافة مناحي الحياة

---

(١) مختصر الزبيدى ، وشرح الفشنى صـ١٢٥ .

(٢) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين صـ٢٩٥ .

(٣) سورة الحشر الاية ٩ .

(٤) لمزيد بيان يمكن الرجوع لكتابنا لماذا انتشر الإسلام

لم تهمل جانبا منها و لم تجعل جانبا يغتصب حقا لغيره بل العدل الأمثـــل والقيـــم الإسلامية الراقية[1] .

إنها حضارة أفهمت الإنسان الكائن العاقل دوره في الحياه ، بعد أن حررته من كل القيود التي تغله ، وجعلته يتجه إلى الله وحده من غير قلق علي مســـتقبل[2] أو خوف علي ولد[3] ، أو مهابة انقطاع الرزق [4] من أوجه القلق أو مصادر الخوف .

وكان ذلك في نصوص قطعية الثبوت والدلالة وهو مـــن أفضـــل الأمثلـــة للحضارة الإسلامية التي لم توجد في حضارة غيرها ، بل لا توجد حضارة فيها مـــن الشمول القدر الذي هو سمة من سمات الحضارة الإسلامية [5]

وإذا كانت بأضدادها تتمايز الأضداد، فها هو "لويس دي بروليـــة يطلـــق صيحة في واد قائلا : " أننا لا نبتكر إلا إذا تحررت عقولنا واستراحت ضمائرنـــا ، فاذا لم يتوافر لنا هذان الشرطان نتيجة لشكوك لا غبار عليها أعاق ذلك رجل العلم كليا وجزئيا في عملة" [6] . وجعله لا يؤديه علي الوجه المقبول، كما يقوم به علـــي النحو الذي ينتظر منه .

---

(١) معالم الحضارة الإسلامية صـــ١٩٥.

(٢) قال تعالى "الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقـــدار " سورة الرعد الآية ٨.

(٣) قال تعالى " وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولـــوا قولا سديدا" سور النساء الآية ٩.

(٤) قال تعالى " ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين"

(٥) معالم الحضارة الإسلامية صـــ٢٢١.

(٦) لويس دي بروليه – الفيزياء والميكروفيزياء ص ٢٩٧ ترجمه د/ رمسيس شـــحاته مؤسســـه سجل العرب ١٩٦٧م.

حضارة إسلامية من طابعها تحقيق الخير ودفع الشر ولذلك لم نسمع أن عالمـا مسلما اشترك في صنع آلات التدمير الجهنمية كالتي باتت ترقب نهاية العالم كامنة فى أعماق مصانع امتلأت بوسائل التدمير ، وهى تنتظر حتى تعمل فيه معول الدمـــــار الشامل ، والخراب المبيت .

الها كما لم يشترك عالم مسلم في القيام بهذه الأعمال الأجرامية، التي تتخذ من دعاوى حقوق الإنسان وسيلة لضرب الهادئين ، وترويـــع الآمنـــين ، وزعزعـــة المستقرين(١) والاعتداء علي العزل الغير مسلمين(٢)، وامتهان غير المحـــاربين(٣) نعـــم قامت الحضارة الإسلامية فوجدت أشباح قيم تهدم ، وملامح أخري تغيب ، فأعلت من شأن القيم النبيلة ، والإنسانية الرفيعة ، ودفعت الإنسان العاقل إلى احترام :

١- خالقه العظيم جل علاه ٠

٢- دينه القويم قال تعالى " ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبـــل منـــه وهـــو فى الآخرة من الخاسرين قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكـــم ذنوبكم والله غفور رحيم".

---

(١) كالحال الذي تمارسه امريكا بالامم المتحدة فتسمح بضرب المسلمين في البوســـنة والهرسـك وتقف مع سفاح الصرب فتبارك قراراته ، وهو يأمر رجالـــة بذبـــح المســـلمين ، وبقربطـــون الأمهات المسلمات ، بل وصل بهم الامر الي محاولة وضع حيوانات منوية للكلاب والخنـــازير في أرحام السيدات المسلمات في البوسنة والهرسك بقصد ايجاد مشاكل لاحصر لها في نفـــوس المؤمنات ٠

(٢) وقد نهى الإسلام عن هذه الأفعال فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية – راجع كتابنا لمـــاذا انتشر الإسلام صـــ٢٧٥.

(٣) فعل ذلك العلمانيون والمسيحيون مع مسلمي الفلبيين وضع اليهود ذلك مع كل مخالفيـــهم دون تفرقة بين محارب ومستأمن ، ونفس الشئ يفعله الروس الملاعين الأن مع اخواننا المسلمين فى الشيشيان ، واسأل الله للمسلمين الغلبة والإنتصار.

٣- نبيه المصطفي وسنته الكريمة .

٤- الآخرين من كافة المؤمنين .

٥- الإيمان بالله وملائكته وكتبة ورسله واليوم الآخر والقدر خيرة وشره[١]

من ثم أمكن القول بأن الحضارة الإسلامية عميقة ممتدة ضاربـــة بجذورهـــا في أعماق الزمان باسطة ظلالها علي الكثير من عوامل الكون الرحبة ، كمـــا يمكـــن القول: بأن الحضارة الإسلامية جعلت الإنسان يرفل فى نعيم لم يطف بخيال أصحاب الحضارات الأخرى التى ادعت لنفسها التقدم ، وزعمت السبق[٢] .

و لم تقف الحضارة الإسلامية عند مجرد النظر فى مظاهر الكون بل أنها دخلـــت إلى وجدان المسلم فاستسلم لها حتى جعلته يتأمل الآخرة فى صورة حياته الناعمـــة وظلها الوريف والجهاد الذى فرضه الله عليه وفى حدود الالتزام بتعاليم الشرع.

وهى بلا شك حضارة قائمة ممتدة مادامت الأفكار ذاتها مستمدة وجودها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أما إذا تخلت عنهما ، وركنت لغيرها فقـــل عليـــها السلامة[٣] لقوله ﷺ"تركت فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا كتـــاب الله وسنتى".

إذن الحضارة الإسلامية تمثل فيها ارقى الحضارة المتقدمة المنضبطة وربط الثقافة المتميزة فى أرقى صورها بالمدنية فى أعلى بناء لها ، والفضيلة فى أبهى صورها حـــتى صارت بحق قمة عالية فوق الحضارات الإنسانية كلها[٤] .

---

(١) وكان ذلك كله فى نصوص واضحة الدلالة.

(٢) والدعاوى اذا لم تكن معها أدلة تقوم عليها فهى دعاوى كاذبة.

(٣) وفى الحديث الشريف تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا أبدا

(٤) معالم الحضارة الإسلامية صـ١٩٥.

المرحلة الرابعة : المرحلة المعاصرة :

وهنا سؤال هو ما المقصود بالمعاصرة : هل هى التى تؤتى ثمارهـــا أو تـــؤدى دورها فى القرن العشرين، العصر الذى فجرت فيه التكنولوجيا وصـــارت تبـــاهى بالعلم المادى ولغته كما تفاخر بسلطانه . وترهب الآخرين ببأسه الشديد وتعلـــن على الإشهاد إمكانية الحكم على العوالم بالزوال[1] .

وبالتالي فالقرن الحالي العشرون هو المرحلة المعاصرة بما فيها من قلق وترقب ، ونعيم وعذاب ، وصراع واكتئاب ، إنها البرق والرعد في ليلة ظلمـــاء حنـــدس[2] يعصف فيها الريح بآمال الحالمين ، إلا من كان علي دين الله قائم ، وبشرعة ملتزم

ان المرحلة المعاصرة ذات سمات يعتبر إغفالها أو تجاهلها أمر صعبا جـــدا ولا يمكن التقليل من الآثار المترتبة علية أو القائمة فوق أرجائه ، ام للمعاصرة مفـــهوم أخر غير ما سلف ذكره؟

لقد ظهرت في هذه المرحلة الهندسية الوراثية في جانب البيولوجيا فـــاحدثت شروخا كبيرة فى جوانب الحياة الإجتماعية ، بل الها توشك أن تمزقها تماما ، وتجعـل العلاقات الأسرية نوعا من العقاب[3] المستمر بدل المودة والرحمة.

كما ظهرت الأرحام المستأجرة والمستولدة ، والعديد من النظريات العلميـــة التي باتت رهينة القرن العشرين ولها أخطارها على الدين والعقيدة والقيم الإنســانية بما لايمكن تجاهله أو تناسيه ، بل ومن المؤكد أنها سوف تنتقل إلى القـــرن الحـــادي

(١) يدعى الماديون قدرتهم على إزالة الحياة من وجه الأرض ، وقد رددنا تلك المزاعم كلـــها – راجع كتابنا الغزاليات فى الإلهيات صـ٢٣٩.

(٢) شديدة الظلمة لايرى المرء فيها شيئا أبدا بحواسه.

(٣) راجع كتابنا الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى صـ٣٥.

والعشرين بنفس القوة حتى إذا بلغت شأوا في التعمير والتدمير فلابد أنهـــا ســـوف تصرح بأن النهاية محكومة والنتائج في الغالب مؤكدة[1]

حيث ظهرت مما ظهر : "فيزياء حديثة " ، ينصب اهتمامها علي الظواهر الـتي تقع علي مستوى الذرات وما دون الذرات ، وأتت معهما بنوع جديد من التنبـــؤ بظواهر الطبيعة الجامدة[2] وبعد أن كان الاهتمام بها بعيدا عن ميدان تلك الـــذرات فان المسألة في الفيزياء الحديثة آخذة في الاتجاه نحو المزيد ، من دراسة هذه المســـائل الصعبة ، وانتاج الوسائل التدميرية الشديدة حتى ربما ينتهى الأمر إلى ذبح الفضيلة في محرابها ،على أيدى القائمين عليها ، أو الداعين لها[3]

إن أبرز سماتها الصراع العلمى فى جانبه المادى حتى قال : هنرى برجســـون : أن الإنسانية تئن ، وتكاد تسحقها أثقال التقدم الذى صنعته ، وهى لا تعلم حـــق العلم أن مستقبلها يتوقف عليها نفسها وأنه منوط بها قبل كل شئ أن تحزم أمرها إذا كانت تريد أن تواصل الحياة[4] فى مأمن من التقلبات القاسية التى تنتظرها.

أنها عصر الذرة : " وعصر الطاقة الذرية وعليه فيجب أن يكون عصر إزدهـار رائع تسهل فيه الحياة وتزداد جمالاً ، كما يمكن أن يكون كذلك عصر صراع مريـــع يفوق فى ضراوته وقلقه ورعبه كل الحروب الماضية ، إن الإنسانية تتعـــرض لخطـــر مروع وسوف تدمر نفسها تدميراً تاما إذا استخدمت وسائل التدمير المرعبة هذه التى

(١) راجع الفيزيا والميكروفيزيا صـــ٩٥.
(٢) جيمس جينز الفيزياء والفلسفة ص ١٧٣ .
(٣) جيمس باكونانت – مواقف حاسمة فى تاريخ العلم صـــ٢١٧ ترجمة أحمد زكى
(٤) لويس دى بروليه – الفيزياء والميكروفيزياء صـــ ٢٤٩ .

تنتجها المصانع ذاتها [١] ، وليت وسائل التفوق العلمى تكون فى جانب التعمير بدل التدمير ، وفى جلب الخير ودفع الشر[٢] .

أنها عصر المتناقضات فى كل ناحية ، عصر تنفق فيه الملايين للتقدم العلمـــى ، وإنقاذ البشرية فى جانب الطب مثلاً والعلوم المتعلقة به كالوسائل العملية والأجـــزاء التعويضية والعلوم التى تخدم الإنسانية فى جانب الطب الوقائى والعلاجـــى معـــاً[٣] ومعامل البحوث خير شاهد .

فمصانع الأدوية ما تزال تخرج من حقيبتها كل يوم الجديد فى علاج العديـــد من الأمراض التى لم تكن معروفة من قبل كعلاج أمـــراض الايبـــولا والفاشـــيولا والأيدز، " والسوبر إيدز "[٤] وغيرها من الأمراض التى ما تزال تمثل الرعب للبشـرية وتنشر القلق والحيرة والترقب فى نفوس كان أصحابها يتمتعون بشئ من الهدوء والسكينة.

وفى نفس الوقت تنفق الملايين الأكبر لإيجاد وسائل تدمير أقوى عنفاً وأوســـع انتشارا وتدميراً وأسرع خراباً ، كالقنبلة الذرية ، والهيدروجينية ، والبكتريولوجيـــة والجرثومية والعنقودية والانشطارية ، وغيرها من وسائل التدمير القتالية [٥]

وهى فى ذات الوقت تحتل قوائم مصانع الخراب وتتكلف الأنفس والأمـــوال كما تمتلك صدور طلبات التسليح التى يتسابق فيها الجار حتى ينتصر على جـــاره ، والغنى على يقتل الفقير والقوى حتى يمحو من خريطة الوجود الضعيف [٦]

---

(١) المصدر السابق صـــ ٢٩٤ .

(٢) فلو تحقق ذلك لصاحت البشرية بأعلى صوتها هيا للحضارة وأنعم بهذا التقدم.

(٣) التكنولوجيا ما لها وما عليها صـــ١٢٧.

(٤) دائرة المعارف الطبية كتاب الجمهورية صـــ٩٥ ، ١٠٤ ، ١٧٨.

(٥) ما تزال المصانع الحربية فى البلاد غير الإسلامية تفاخر بإنتاجها التدميرى ، وتعلن عنه فـــى كل مناسبة متاحة نظريا أو علميا.

(٦) الدكتور/ لطفى نصر الله – الأنا الذاتى وتأثيره بالوجودية صـــ١٢٩.

أليس هذا العصر فعلا عصر القلق ؟ ومع ذلك يقولون علية عصر الحضـــــارة المعاصرة فى أى شئ هى معاصرة ، سوى فى الخراب ، والدمار.

من أخطاره الهندسة الوراثية :

إنها مرحلة الشذوذ فى جانبه الأخلاقى حيث توجد الهندسة الوراثية ومراكـــز الأعضاء البشريه بل وبنوك الأجنه وأمهات الأرحام المستأجره(١) وكل هذا يعطى فى النهاية أبناء غير شرعيين ، وفراشا لا حصانة له ، وأمهات لا أزواج لهن (٢) وهـــذا عين التدمير والخراب فى جانبه الأخلاقى ومع ذلك يمارس باسم الحضارة والتقـــدم العلمى.

أ- حمل الرجل بدل المرأة

إنها مرحلة هى الجنون بعينه الذى يصعب علاجه حيث يظهر فيــها الجنــون بأنواعه بل إنها مهدت لوجود رجل يكون أما بدل أن كان أباً (٣)، كما نبــهت إلى إمكانية أن يكون الرجل أما وأباً فى وقت واحد .

فتحت عنوان " تخاريف علمية " نشرت إحدى الصحف خبراً نقلتـــه عـــن مستشفى نورث ويسترن ، وطارت به الصحف وتحدثت عنه الجهات الطبية العالميـة - حسب رواية الخبر نفسه -

يقول الخبر : أعلنت الدوائر الأمريكية عن إمكانية زرع جنين فى تجويف بطـن الرجل وتوليده بعملية قيصرية وقد ذكر البروفيسور " أدموند كونفينو " أن العلـــم

---

(١) الهندسة الوراثية صــ١٧٥.

(٢) اخطار العبث بالهندسة الوراثية صــ١١٣.

(٣) حيث يزعم أصحاب الهندسة الوراثية امكانية حمل الرجل من نفسه ثم وضعه لمولود متكامل.

يستطيع الآن تحقيق رغبة الرجل فى الحمل والولادة ، وأن ذلك أصبح ممكنا ، بعـــد نجاح التجارب التى تمت على الحيوانات ، أما كيف ذلك .

فالجواب : أن يتم حقن الرجل بهرمون يمنع جسمه من إنتاج هرمون الذكورة ثم يحقن بهرمون البروجسترون والاستروجين لإيجاد مناخ مناسب لنمو الطفـــل ، ثم يزرع له جنين فى تجويف البطن ، ويمكن توليده بعد سبعة شهور ، على أن يكـــون ذلك بعملية قيصرية [(١)] .

وذكر أ.د/ محمد فريد أستاذ التناسلية والعقم بطب عين شمـــس أن الجـــدار الداخلى لبطن الرجل يشبه تماماً الجدار الداخلى لبطن الأنثى من الناحية التشـريحية ، فالأمعاء هى الأمعاء ، وكثيراً ما يحدث حمل للمرأة خارج الرحم عند الأنثـــى[(٢)] ، فعندما تخرج البويضة المخصبة من الجهاز التناسلى للأم إلى خـــارج الرحـــم ، وإلى تجويف البطن ، فإن المشيمة المتكونة حول الجنين ستلتصق بالأمعاء ، وتمتص الـــدم للجنين حتى تبدو عليه بعض علامات النضج.

ومن الجائز أن يستمر ذلك الجنين حتى المخاض ، ويظل الجنين حياً والرحـــم فارغاً ، لأن هرمونات الأمومة فى دم الأم تحافظ على استمرار الحمل هذا فى الأنثـى بحيث تحافظ عليه فترة طويلة.

لكن إذا حولنا الرجل إلى المرأة البيولوجية ، بمعنى أنه من الناحية الجنينة رجـــل يحتوى جسمه على مورثات Xy ، وشكله الخارجى ، وجنسه التشريحى رجـــل ،

---

(١) الأهرام المصرية ١٩٩٦/٦/١٤ الصفحة الثالثة باب التحقيقات نخاريف علمية جنـــون الطـــب بعد جنون البقر الرجل يحمل ويلد بعد ٧ شهور عمود ١ ، ٢ .

(٢) والحمل خارج الرحم فى الإنثى تحدثت عنه المصادر العلمية وأفاضت فـــى ذكـــر أخطـــاره ونتائجه.

وجنسه السلوكى رجل ، إذا حولنا هذا الإنسان إلى أنثى بإيقاف هرمونات الذكورة عنده ، وحقنه بهرمونات الأنوثة ، وزرعنا فى تجويف بطنه بويضة مخصبة(١) وقعت أخطار تدميرية عليه.

لأن هذا الحقن من الممكن أن يؤدى إلى ما يوازى فى الرجل حمل خارج الرحم فى الأنثى على أن تستمر مظلة الهرمونات الأنثوية مستمرة طوال مدة الحمل ، ثم ينجب هذا الذكر بطريقة الولادة القيصرية عند المخاض(٢) ولكن لن يقدر لهذا الحمل الاستمرار ، كما أن حياة هذا الرجل سوف تدمر.

وبهذا اللون الجنون المدمر اتسمت المرحلة المعاصرة(٣)، التى تركت شرع الله وراء ظهرها ، وتمسكت بالقوانين الطبيعية ، وسيطرة المادة على كافة النواحى الحياتية للإنسان نفسه وانفجرت أرحام الهندسة الوراثية عن أمور أشبه ما تكون بالخرافات والأساطير حتى يوشك العلم أن يكتب نهايته بنفسه متى استمر فى هذا الطريق دون العودة إلى النقل المنزل والتزام شرع الله تعالى الذى جعل لك من الرجل والمرأة خواص ذاتية وامكانيات خلقية لاتجعل أحدهما يتجاوز ما خلق له إلى غيره وإلا وقع الهلاك(٤).

لكن من أين تأتى البويضة الأنثوية للرجل ؟

يجب أصحاب الجنون العلمى ، أو التخاريف العلمية بأنه قد أجرى الكثير من العلماء العديد من هذه التجارب فى المملكة الحيوانية مستخدمين الهندسة الوراثية

---

(١) المصدر السابق عمود ١ ، ٢ .

(٢) المصدر نفسه عمود ٢ .

(٣) راجع كتابنا أوراق متناثرة فى التيارات المعاصرة صـ٣١٢

(٤) لان كلا منهما صنعة الخالق جلا علاه ، وهو أعلم بها فمحاولة تجاوز ما خلق الله ينتهى إلى افسادها تماما.

الحديثة ، وقد أمكن عمل الأنسجة التي يتكون منها الحيوان المنوى فى جسم الأنثى كما أمكن تنشيطه ، وبذلك أمكن إيجاد حمل فى الحيوانات بدون أن يلتقى الحيوان الذكر مع الأنثى[1] .

اذن فليس هناك ما يمنع نظرياً من افتراض عمل بويضة انثوية فى جسم الذكر كما حدث فى الأنثى تكوين أنسجة الحيوان المنوى الذكرى وتنشيطها لتقابل حيوانه المنوى ذاته لكى تصبح بويضة مخصبة قابلة للتعامل بيولوجيا[2] .

ويرى غيرهم أن " التجويف الداخلى للبطن والغشاء البريتونى فى الرجل والمرأة متماثلان وبناء عليه فإنه من الناحية النظرية يمكن نقل بويضات ملقحة داخل التجويف البريتونى للرجل ، وتثبيتها بعد إعطاء هذا الشخص الحامل لها الهرمونات المناسبة لتثبيت هذا الجنين[3] .

وبالطبع فقد أجريت هذه التجربة بالفعل على العديد من الحيوانات ، وأمكن تثبيت الجنين فى الغشاء البرتونى ، ومن هذه الناحية النظرية ممكن أجراؤها فى الرجل ولكن يتحتم إعطاؤه جرعات كبيرة من هرمونات الأنوثة[4] حتى يتمكن جسمه من أداء الوظائف المزدوجة التى يقوم بها جميعاً فى وقت واحد ، من حيث أنه رجل ذكر يولد له ، ومن حيث أنه أنثى يحمل فى غشائه البريتونى جنيناً يتم ولادته منه وفى نفس الوقت يحاولون تركيب رحم له يحمل فيه ويلد به .

---

(١) الدكتور/ محسن حسنى – الجديد فى الهندسة الوراثية صـ٥٧.

(٢) المصدر السابق مقال د/ محسن حسنى أستاذ أمراض النساء والولادة بطب الأزهر .

(٣) هم يجرون تجارب بغرض أن يتحول إلى إنثى ، ثم يجرون تجارب أخرى بغرض تحويل الأنثى إلى رجل ، ولذلك كله مخالف لنواميس الطبيعية الإلهية ، ومفسد لها ، فهل استكملوا تجاربهم فى اتقان كل من الذكر والأنثى للدور الذى خلق له موافقا للطبيعة ذاتها أم عجزوا.

(٤) أ. د/ محمد أبوالفار أستاذ النساء والولادة والعقم طب القصر العينى مقال بنفس المصدر .

لكن هذا التصور الخاطئ المعاكس للطبيعة التى خلق الله الناس عليها ، ينتـــهى إلى تدمير الرجل نفسه والمرأة أيضاً ويحولهما إلى بؤرة من الآلام ومستنقع لـــلأورام ، ومحصن لكافة الأمراض الخبيثة التى تدمر كلاً من :

* خلايا جسمه (١) .

* خلايا مخه (٢) .

* سلوكياته (٣) .

* رجولته الذاتية والإضافية وكذلك أنوثتها.

* دوره فى الحياة .

وبالطبع فان هذا الجنون هو أحد سمات الفكر المعاصر فى جانبه البيولوجـــــى الذى لم يتمسك أصحابه بالشرع الشريف، وإنما انطلق فى شهواته يفعل ما يشـــــاء وينصرف عن مالا يريد دون قيود إلى أبعد حد ، يقول أحد العلمـــــاء : أن هـــذه التجارب سوف يدفع ثمنها الرجل نفسه ، وسوف ينتهى بها عمره ، أما لماذا ؟ فلأن الله تعالى خلق رحم الأنثى ليكون مؤهلاً لاستقبال الجنين ورعايته فى القرار المكين ، حيث أن جدار الرحم فى الأنثى مهيأ للقيام بهذا الدور على النحو الذى خلقــــه الله تعالى له(٤) .

---

(١) سواء كانت الخلايا أحادية التركيب أو ثنائية التركيب - راجع علم الخلايا

(٢) والمعروف أن خلايا المخ تخرج منها أنسجة عصبية كشبكة فى الجسم كله ، وهى فى امتدادها بالجسم كله مرتبطة بالمخ وكل نسيج عصبى منها يغذى جزء الجسم المرتبط به.

(٣) لأن إضافة الهرمونات الأنثوية للذكر تغير من تصرفاته وتدفعه للقيام بالعديد من الســــلوكيات المتناقضة، بل ربما وصلت به إلى الوقوع فى الأمراض النفســـية والعصبيــة كالشــيزوفيرينا والشلل الرعاش وغيرها مما يعتبر أحد الآثار القوية للهندسة الوراثية .

(٤) قال تعالى :" هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه"

٢- محاولة زرع جنين فى تجويف الرجل تدمير لهما معا

أما الرجل فإنه لو تم زرع جدار الرحم فى بطنه ، بحيث يكون مستعدا للحمل والولادة ، فإنه يجب أن يعطى هذا الرجل كما رهيباً من الهرمونات الأنثوية التى تغير من تركيب هذا الجدار حتى تمد الطفل باحتياجاته الغذائية فى الشهور الأولى من الحمل ، بحيث يستطيع تكوين الحبل السرى الذى يتصل به فيما بعد لتغذية الجنين(١)

وبالطبع فإن هذه الهرمونات سوف تؤثر على الغدة النخامية للرجل ، وسوف تقلب موازين الكيمياء الحيوية ، والتداخلات الهرمونية فى جسمه وسوف تؤثر بالضرورة على تكوين الجنين ولكنها فى النهاية سوف تفشل ويقع بعدها القضاء على الأب الحامل له وتحويله إلى أنقاض رجل(٢) .

كما أن من درس علم التشريح Al anatomy يعلم أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الرحم الأنثوى بميل معين ، وثبته بأكثر من رباط عضلى فى عظام الحوض حتى يثبت فى مكانه ، وذلك حماية للجنين الذى سوف يحمله ، ولا يمكن أن يكون إلا كذلك ، وهذا لا يتوفر فى الرجل الذى تجرى التجارب فى حقل الهندسة الوراثية عليه بقصد تحويله إلى رجل حامل كما يفعل بالأنثى(٣) .

---

(١) سيرنورمث بفكت - أمراض النساء والعقم جـ١ صـ٥٤٠ مطبعة لندن.

(٢) بحيث لا يكون الرجل رجلاً وإنما يصير شكل رجل وأمرأة معاً ، فيكون له شارب وثديان ممتلأن ، وصوت غليظ وأرداف ذات حجم معين بل انه سيتحول إلى شكل هولامى لامعنى له.

(٣) لم يثبت النجاح الكامل لهذه التجارب ، وإنما انتهى أمرها للفشل ، والكلام النظرى لا يقبل فى القضايا العلمية المعملية ولكنه علامة على أن العصر الذى نعيشه هو عصر الجنون العلمى فى جانبه البيولوجى فعلا.

وعندما ننظر إلى التغيرات الهرمونية التى تحدث فى المرأة منذ بداية حدوث الحمل فيها ، فإنا نجد أنها تبدأ من الهيبوثلاموس[1] بالمخ الذى يأمر الغدة النخامية ، أو الغدة المايسترو - بمجرد التقاء الحيوان المنوى بالبويضة وتكوين النطفة - بأن تفرز الهرمونات التى تنشط المبيض لكى يفرز بدوره هرمون البروجستيرون الذى يؤهل جدار الرحم لاستقبال النطفة ، ويمده بالجلايكوجين اللازم الذى تتغذى عليه النطفة قبل تكوين الحبل السرى[2] .

ثم يساعد هذا الهرمون على تكوين شدادة من المخاط فى عنق الرحم ، حتى لا تسقط النطفة من الرحم ، وتحمل هذه الشدادة المخاطية جيشاً من الخلايا المناعية لكى تحمى الجنين من دخول أى ميكروب إليه فى سكنه ، وكذلك يؤهل هذا الهرمون - مع بعض الهرمونات الأخرى مثل البرولاكتين - قنوات الثدى كى تكَوِّن اللبن بعد الولادة مع هرمون أوكيستوسين[3] .

كما أن هناك هرمون الاستروجين وغيره من الهرمونات الأخرى التى لها تداخلات وتأثيرات على كل هرمونات الجسم وأولها بالطبع هرمونات الذكورة واللعب فيها يؤدى إلى تدميرها ثم أن تكوين الجنين نفسه ، وتحديد نوعه يأتى غالباً فى الأسبوع السابع من الحمل بناء على أوامر من الهيبوثلاموس حسب نسبة وجود الكروموسوم الذكرى من عدمه[4] .

---

(١) الهيبوثلاموس هو الغدة الملكة أو الأمير كما يسمونها وقد تعرف باسم رئيس الغدد - راجع حديث فى الغدد الصماء صـ٤٣ أ.ب. هيبانون - ترجمة يسرى مصطفى.

(٢) هو الذى يضل الجنين بالمشيمة حتى يمكن له التغذى على النحو الطبيعى .

(٣) الدكتور/ محسن صالح - الثورة البيولوجية وأخطارها صـ٧٣.

(٤) راجع البيولوجيا ومصير الإنسان صـ١٩٧.

فهل يمكن أن يحدث هذا كله فى ظل ذلك الاضطراب الهرمونى بين هرمونات الذكورة فى الأنثى والأنوثة فى الذكر الذى يحتمل أن يؤثر على التركيب الجينى للجنين ، فيلد الرجل نسخة جسدية لا هى بنت ولا هى ولد ، ومع هذا يكون الرجل نفسه قد دمر جسدياً ونفسياً معاً ، ويصير مجرد صورة هزيلة لمعمل تفريخ بيولوجى ليس مؤهلا له[1] ، و لم يخلقه الله تعالى للقيام به .

ثم إن عملية الحمل والولادة ليست مجرد مكان يؤجر كى ينمو فيه الجنين ولكنها عملية متكاملة أهل الله تعالى لها المرأة ، وبث مظاهرها فى الأنثى منذ ولادتها أى وهى جنين ، فمبيض الجنين - الأنثى - يحمل كل البويضات التى تضعها هذه الأنثى عند سن البلوغ وحتى وصولها إلى سن اليأس ، وهى تبلغ حوالى ربع مليون بويضة تقريبا [2] .

وأنه تفرز أربع منها كل شهر أثناء الدورة الشهرية ، تذوب ثلاث منها وتبقى واحدة فى انتظار الحيوان المنوى كى يخصبها ويحدث الحمل بها [3] . متى كانت الظروف مواتية والأسباب قائمة ، وأراد الله تعالى ذلك .

وكل هذه الأعضاء تعمل تحت قيادة الغدة النخامية التى تعمل بأمر الهيبوثلاموس فى المخ ، فلماذا يحاولون العبث بكل هذا ، ولمصلحة من يتم [4] بحث هذه الأمور ، وتجرى التجارب فيه لتدمير الرجل والمرأة معاً .

---

(١) أخطار الهندسة الوراثية فى مجال البيولوجيا صـ٩٣.

(٢) ذكر سيرنورمن جفكت فى كتابه أمراض النساء والولادة والعقم أن بويضات المرأة منذ طفولتها حتى يأسها يقارب خمسمائة بويضة تقريباً ، ويبدو أنه قصد البويضات التى تعضد الحيوان المنوى حيث ذكر غيره لها أرقاما أكثر من هذا بكثير راجع - البيولوجيا الحيوية صـ١٦٧.

(٣) الدكتورة/ نهاد صفوت - عالم البيولوجيا والهندسة الوراثية صـ١٩٧.

(٤) مقال الأستاذ الدكتور / عبدالهادى أستاذ المناعة والميكروبيولوجى طب القاهرة القصر العينى تحت عنوان - محاولة زرع جنين فى تجويف بطن الرجل إنما هو تدمير للرجل صـ ٣ .

أن هذا الحمل محكوم عليه بالإعدام قبل اكتمال نموه ، حيث أن نمو المشيمة فى هذه الحالات يكون غير طبيعى ، كما أن الظروف تكون غير ملائمة للنمو الطبيعى للجنين ، لأنه على الرغم من نمو هذا الجنين واستمراره إلى عدة شهور ، فإنه يكون غير طبيعى ، ونسبة التشوهات ترتفع فيه للغاية[1] .

ويكون احتمال وفاته داخل تجويف البطن كبيراً ، وفى جميع الحالات التى حدثت بالرغم من ندرتها فلم ينتج عنها طفل سليم أبداً ومن ثم لا يتم أمر حمله ، ولا تتم ولادته ، ولا يمكن أن يعيش أبداً[2] .

إذا كانت التخالفات العلمية من سمات الحضارة المعاصرة التى لم تسترشد بالشرع الشريف وقد نتج عنها انحراف أخلاقى وتصرفات لا حدود لها فى الخروج على الشرع والبعد عن منهاج الشرع الشريف فهل يمكن الأخذ بها والسير خلفها[3].

ولو إلتزمت الأمم تعليمات الله رب العالمين لهدأت الضجة التى لم تقف ، والقلق الذى لم يهدأ واستراحت القلوب المفزعة وسكنت إلى الأمن والأمان النفوس القلقة المضطربة ، التى تبحث عن لقمة العيش فترد بها جوعها.

والحق أن هذه القضايا البيولوجية لا تجد سندا لها من الواقع ، أو التجربة العملية ، أنها مجرد فروض وتخمينات لم تثبت أبداً حتى الآن ، ثم أن العلم يقرر عدم الاعتداد بالتجربة إلا إذا تكررت وجاءت معها نفس النتائج وإلا كانت مجرد خيال علمى لا تؤيده التجربة ، أو اعتبر مغالطة بحثية تحتاج لمراجعة ، ومن ثم يكون إهمالها

---

(١) لأنه لن يكون جنينا بقدر ما هو كتلة دموية تنمو فى اتجاهات مختلفة.
(٢) وهذه الأحكام استقرت فى أعراف أصحابها بناء على التجارب والمشاهدات التى قاموا بها.
(٣) لايفعل ذلك إلا من فقد القدرة على إدراك ما حوله ، ومثله لايكون عاقلا.

هو الأمر الطبيعى ، وعدم الاعتداد بها هو الأمر العلمى ثم ان الغدة النخامية الغـــدة الأم لجميع الغدد فى الجسم ، ولها تأثيرها على باقى الغدد طالما كانت سليمة ، فـإذا حدث فيها أى خلل نتج عنه اضطراب خلوى يعبر عنه بعضه باسم الأورام الغديـــة وأورام الغدة النخامية لها تأثيراتها المختلفة فمنها مايزيد هرمون البرولاكتين ، فيـؤدى إلى عدم التبويض فى الإناث[1] ، فما هى الآثار السلبية التى تترتب على هذا الخيـــال الذى لا يقبل التطبيق .

٣- الآثار السلبية للهندسة الوراثية فى الجانب البيولوجى :

لقد كشفت الدراسات التى تمت عن أضرار كثيرة تلحق بالرجل والمرأة معـــا من جراء العبث فى الجينات ومحاولة اللعب فى البيولوجيا ، من هذه الأضـــرار الـــتى انتهت إليها الدراسات فى هذا الوقت ما يلى .

١- تحويل الرجل عن دوره الطبيعى إلى أن يكون مجرد بوتقة للحمل ، أو أنبوبـــة اختبار ، ولو تقدم العلم فى هذا المضمار فربما أمكن زرع بويضة ملقحة داخــل أحشاء خنزير مثلا كما يمكن وضعها فى أحشاء الرجل ، وهنا يتساوى الرجــل مع الخنزير فى هذا المضمار ، ويحدث الخلل البيولوجى ، وتقع الاضطرابــات فى عالم الجينات التى يتم اللعب فيها مباشرة[2] وكذلك الحال لو انعكس الأمر مـــع المرأة[3].

---

(١) الدكتور / حسام الحسينى - استاذ المخ والأعصاب - عين شمس - أورام الغـــدة النخاميـــة صـــ٢٣.

(٢) الدكتور/ خيرى صبرى - أخطار الهندسة فى البيولوجيا صـــ١٧٩.

(٣) حين يراد تحويلها إلى ذكر مثلا ، وقد ثبت أن الحالات الذكرية التى تحولت إلى اناث قد ثبت فشلها تماما ، لأنها كانت ذكرا فلما انتزعت اعضاؤه التناسلية الذكرية وأجريت له فتحـــة مـــن أسفل لم يتمكن أصحابها من زرع رحم فيها ، وبالتالى صارت خنثى وليست أنثى.

٢- فقدان الرجل دوره فى الأسرة من كونه قائداً لها ، ثم ينقلب معملا للتفريخ ، حينئذ - لو أمكن أن يحمل ويلد - يفقد هذا الدور وتصير المرأة فى مركز مساو له أن لم تتفوق عليه ، باعتبار أن حملها لا يكلف ميزانية الأسرة مبالغ إضافية[1] . ثم أنها تقوم بعملية الإرضاع بطريقة مباشرة طبيعية ولا يتم ذلك للرجل أبداً ، ولو حاول فستكون النتائج غاية السوء على الرجل وجسده وعقله ومخه وتفكيره، وربما انتهى الأمر إلى تدميره مبكراً [2].

٣- سيفتح الباب على حرمان الأبناء من نسبتهم إلى أبائهم ، حيث يكون الأب هو الأم والأب معا ، بل سيكون الأب هو الأم ، ولا يوجد لأبن أب ، حيث لايعرف الطفل أمه من أبيه ، وذلك مخالف للأعراف الطبيعية[3] وهنا يحاول الطفل البحث عن أب ينسب إليه ، ويقوم على شئون حياته .

٤- انعدام عملية اللقاء البيولوجى ، والرواد العاطفى والإشباع الجسدى ، وتنمية المشاعر الدافئة [4] بين الرجل والمرأة ، وانفصال هذا الترابط الأسرى الذى هو ضرورة فطرية وتصرف غريزى لنمو الأبناء بين جدران تلك الأسرة ، وفى أحضان ذلك الترابط القوى ، فإذا انعدم هذا انتهت الأسرة كلها[5] .

٥- يتم التخلى نهائياً عن دور الأب ودور الأم ، فى تكوين أسرة واذ ستكون هناك مصانع لتصنيع أطفال ورجال يؤجرون لذلك الفرض ، ونساء يؤجرن لاحتواء

---

(١) أخطار الهندسة البيولوجية على النواحى الإجتماعية صـ٤٧.
(٢) أخطار الهندسة الوراثية على الخلايا صـ١٢٥.
(٣) الدكتوره/ فردوس فخرى - الباحث الإجتماعى والدفئ الأسرى صـ٥٩.
(٤) الدكتور/ مصطفى الديوانى - حديث فى الطب صـ٢٤٥
(٥) الدكتورة/ فاطمة مصطفى صابر - المجتمع ومشكلاته صـ١٢٣.

الطفل[١] ، وإذا لم يتوافر لهذا العمل رجال ونساء سيبحث العلم إمكانية زرع الأجنة فى أحشاء الخنازير أو داخل أجهزة معينة ، وهذا مخالف للسنن الكونية[٢] ، وما أظنه يتم أبداً .

٦- أن هذا مخالف للفطرة التى خلق الله الناس عليها ، ومخالف للاحتياجات النفسية والروحية للرجل والمرأة معاً ، وستضيع الحدود الفاصلة بين الرجل والمرأة ، لتصبح العلاقة قائمة على الشهوة الجنسية فقط كالعلاقة بين الحيوانات فى أخس أدوارها [٣].

٧- هذه التجارب -فى مجال تحويل الرجل إلى أنثى والعكس- تجعل الإنسان يرتد إلى المستوى الحيوانى فى علاقة الرجل بالمرأة وعلاقة الرجل بالأسرة ، وعلاقة أفراد المجتمع بعضهم البعض الآخر ، مع تراجع الملامح الذكرية المميزة للرجل ، والملامح الأنثوية المميزة للمرأة على المستوى النفسى والفسيولوجى ، والسلوكى والفكرى ، ويؤدى ذلك إلى انقراض البشرية[٤] .

وهذا لن يحدث أبدا لأننا لا نملك لسنة الله تبديلاً ، كما لا يملك أحد لسنة الله تحويلاً ، وقد جرت سنته تعالى فى خلقه أن تكون المرأة ذات رحم ، تحمل فيه ويولد منها متى أراد ذلك كما اقتضت سنته تعالى فى خلقه أن يكون الرجل رجلاً ، والمرأة امرأة ، وانعكاس الأمور مخالف لما جرت به سنته تعالى[٥] .

---

(١) راجع غريزة الأمومة ودورها فى المجتمع صـ١٧٩.

(٢) قال تعالى :" ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون" فالزوجية قائمة بين طرفين كل منهما فرد لايمكن ان يستقل أحدهما بالحياة.

(٣) أخطار الإعلام على المجتمع صـ١٢٥.

(٤) البيولوجيا ومصير الإنسان صـ٢٣٧.

(٥) قال تعالى:" لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ...... الأية.

٨- ارتكاب جرائم فى حق الأطفال ، لأن دور الأم ليس فى كونها مكاناً ينمو فيه الجنين فقط ولكنها تأهيل نفسى ، وهرمونى ، وكيميائى وغذائى إلى آخر هذه السلسلة التى تتمتع بها المرأة وحدها(١) ولا توجد عن الرجل مهما غذى بالفيتامينات ، أو أضيف إليه من هرمونات ، وأى محاولة لقلب هذا النظام إنما هى جريمة فى حق الأطفال لن يغفرها الشرع ، ولن يسمح بها القانون .

كما أن العلاقة النفسية التى أهل الله لها المرأة سوف تنقلب على نفسها ، وفى هذه الحالة وربما تحولت المرأة إلى ذئب له ألف ناب بدل ان كانت الصدر الحانى ، والحضن الدافى والمهد الأمن(٢).

كما أن العلاقة النفسية بين الطفل وأمه تبدأ مع الطفل وهو جنين ، حيث أثبتت التجارب المعملية والآبحاث المتعلقة بالأجنة أن الطفل يسمع صوت أمه وهو جنين ، ويتفاعل مع تفاعلاتها ، ويمكن أن يتأثر نفسياً فيما بعد وهو كبير بما يحدث أثناء الحمل بل أنه يفرح لفرحها ، ويحزن لأحزانها(٣).

وهذه العلاقة غير المرئية بين الأم وجنينها لا يمكن تأهيل الرجل لها مهما أعطى من أدوية أو هرمونات ، لأنها من صنع الخالق جل علاه ، ولا ينبغى للعلماء أن يعبثوا بما خلق الله ، وبخاصة الإنسان الذى كرمه الله تعالى وقال عنه قرأنه الكريم : "**ولقد كرمنا بنى آدم** " (٤) .

وما أظن أصحاب هذه الفكرة المادية البيولوجية المعاصرة من ذوى النباهة والأخلاق النبيلة ، وذلك أنهم لا يريدون المخالفة - بجرد المخالفة - للسنن الطبيعية

---

(١) الدكتورة/ ناهد مصطفى - دور الأمومة فى تنشئة الطفل صـ٥٩.
(٢) الأم فى الدراسات الإجتماعية صـ١٤٣.
(٣) حديث فى الطب صـ٢٩٧.
(٤) سورة الإسراء الآية ٧٠ .

التي خلقها الله في كل كائن خلقه الله رب العالمين ، قال تعالى" **أفرأيتم ما تمنـــون أءنتم تخلقونه أم نحن الخالقون** " [1] وقال تعالى في قرأنه الحكيم : " **وأنـــه خلـــق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى** " [2] فمن حاول العبث فيما خلـــق الله وقع في المخالفة وحكم على نفسه بالضلال والهلاك .

كما أن الله تعالى خلق في كل منهما – الذكر والأنثى – ما يوافق طبيعتـه ولا يعاندها ؟، وهيأ لكل منهما ما يقوم معه على أداء واجباته في الحياة ، من ثم فـــإن طبيعة الرجل البيولوجية هي وضع بذرة الجنين افراز الحيوان المنوى المذكر القـــابل للتخصيب ، وأما طبيعة الأنثى فهي استقبال هذا الجنين ثم الحمـــل بـــه وولادتـــه وإرضاعه ومحاولة إيجاد التكيف النفسي والتأهيل الإجتماعي له[3].

٩- أن محاولة تغيير وظيفة الرجل والمراة التي أودعها الله فيهما ، وخلقها وجعلهما مزودين بهما ، عمل مرفوض شرعاً ، وغير مقبول لدى الفطر السليمة عرفاً ، نشرت احدى الصحف ان مصورا أمريكيا أنشأ موقعا على شبكة الإنترنت ، خصصه لبيع بويضات النساء الجميلات للراغبين في إنجاب أطفال على قـــدر كبير من الجمال ، وانه طرح البويضات للمزاد بسعر أولي يصل إلى ١٥ ألـف دولار للبويضة الواحدة ، وقد وضع بجانب البويضة صورة صاحبتها لتتـــاح للزبون فرصة ان ينتقي الأجمل حتى تكون أما لولده الذي يريده ، وكذلـــك وضع أعمار النساء اللواتي أخذن منهن البويضات وهي تـــتراوح مـــا بـــين ١٨ – ٣٠ سنة علما بأن المشترى سوف يتحمل المصاريف الطبية لعمليـــة

(١) سورة الواقعة الآيتان : ٥٨ – ٥٩ .

(٢) سورة النجم الآيتان : ٤٥ – ٤٦ .

(٣) دور الأم في تنشئة الطفل صـ١٥٧.

تخصيب البويضة . ولأن هناك بعضا مازالوا على بقايا قيم فقد رفضوا هـــذا التصرف باعتبار انه سلوك مجاف للأخلاق[1] لكنه نتاج من نتاجات المرحلـــة الفكرية المعاصرة فى جانبها المادى الذى يعبث به من لا دين لهم ، ولا اخلاق فيهم ، ولا أمان يرتجى منهم وسوف تنقلب الأمور الخاطئة عليهم متى أرادوا اللعب فيما خلق الله.

أما إذا كان المراد هو إحداث ضجة إعلامية ، فإن ذلك لن يفيد سوى شـهرة من يقوم بها ، وترديد أسمه على الألسنة ولكنها ما تلبث أن تزول ، " والله غـــالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ."

١٠- تدمير خلايا المخ الإنسانى ، أنها مرحلة الهلوسة بكل ما تعنيه ، فإذا كـان الله قد خلق للمخ الإنسانى مادة الاندروفين [2] تعمل على حمايته وعدم استهلاكه بل إنهاء تساعده على القيام بواجبه على الوجه الأمثل ولو حدث فيها خلل أو اضطراب ، فسوف تقع النهاية ، حتى قيل أنها أفيونة المخ[3] .

وهذه المادة تتحرك تلقائياً فتحمى المخ حتى إذا نال من المرء الجهد بســـطت جناحيها حوله وأرسلت من يخطب ود حبيبها - المخ - فيترل يقبـــل الوســـائط ، ويستسلم لرغبته الطموح وحينئذ يشعر صاحبها بأنه يؤدى دوره الأمثل حيـــث أن مادة الأندروفين تحيط المخ بهالة من الاحترام والود [4] ،

وحينئذ يترل من عليائه ، ويسمح لها بأداء دور الحـــاكم ، فـــإذا الأعضـــاء المشدودة تتراخى ، والنوم المهاجر إلى عشه يعود ، بل وتتحقق أحلام الأمل فى دنيـا

---

(١) جريدة الجمهورية المصرية صـــ٩ عمود ٨،٧ بتاريخ ٢٥/١٠/١٩٩٩م.

(٢) راجع المخدرات والجنس للدكتور / جمال أبوالعزائم صـــ ٤٩ .

(٣) الدكتور/ جمال عزب - المخ من الناحية الفسيولوجية صـــ١٧.

(٤) انظر حديث فى الطب للدكتور مصطفى الديوانى صـــ ٣١ .

النوم ، فإذا ما استعاد الجسم طاقته هربت مادة الاندروفين حافية القدمين تـــوارى جسدها الغض بعيداً عن أعين المخ المسدلة ، فإذا هو فى حلم لذيذ ، حيث يعـود إلى المرء كامل النشاط والصحة فيمارس حياته بشكل طبيعى كما كان قبل النوم ، بـــل وأكثر حيوية ونشاطاً [1] .

ومع ذلك فهذا المخ تتم الجناية عليه من خلال الهندسة الوراثية وعلى مــــادة الاندروفين فيه من خلال حقنه بمواد فيها المثبطات لها ، كالتدخين بأنواعه المختلفة ، سواء التبغ أو التنباق أو الحشيش أو البانجو والقات ، أو السيجار والسيجارة وكـــل ما كان من هذا القبيل[2] .

أو مدمرات لها تأثير سريع كالكوكايين والبودرة والأقراص المخـــدرة وغـــير ذلك مما كان من نبات طبيعى أو مخلق وغيره من المشتقات التى تحتوى على أمثـــال هذه المواد التى تفقد الإنسان إحساسه بما حوله من أثير الحياة ، وتحرمه أريجها العطر بل ربما تفنن الإنسان فى استخدامها – المواد المخدرة – والدفاع عنها ، وربما أقســم على العقل الاثيم أو يتبرم بها ، حتى يصل به الأمر إلى العته أو فقـــدان الذاكـــرة[3] وانعدام القدرة على التمييز[4].

---

(١) راجع بعض مظاهر التقدم فى العلوم البيولوجية د. محمد مصطفى الفولى صـــ ١١٥ .
(٢) حرم الفقهاء التدخين بأنواعه ، وشاركهم علماء العقيدة والأصول الرأى راجـــع الفقـــه علـــى المذاهب الأربعة للشيخ الجزيرى وكذلك كتابنا أوراق مطوية فى التصوف والصوفيه وكذلـــك هل لك فى سيكارة أ. د/ دانيال .
(٣) الدكتور/ منير خالد أخطار المخدرات على الذاكرة صـــ١٣٧.
(٤) راجع سجل المصحات العالمية ، ومستشفيات الأمراض العصبية .

على أنا نخص بالذكر الحديث هنا عن التيارات الفكرية المادية[1] المعاصرة التي جعلت العقل وحده عدتها ، دون تمسك بما سواه ، لأنها مقصودة لنا في هذه الورقات التي أحاول جمعها من أماكنها المتفرقة فيها ، وألملم أشتاتها مما تناثر معها[2]

وسوف أركز على قضايا بعينها ومشكلات بذاتها ، في الفكر المادي الطبيعي ، والوجودي ، والعلماني ، ثم الماركسي ، وغيرهما مما أجد الفرصة متاحة لبحثه والتعرف عليه ، وتقديمه للقارئ مصحوباً بموقف الإسلام منه ، حتى لا ينخدع بزيف بريقه الأغرار ، ولا يرفع الصوت المنكر مطالباً باستمراره الفجار .

---

(١) لأن التيارات الفكرية متعددة الجوانب ، فمنها المادي بأنواعه ، ومنها المعنوي ، بأنواعه ، راجع كتابنا أوراق متناثرة في التيارات المعاصرة.

(٢) ولذا سميت هذا الكتاب باسم – في التيارات الفكرية – حتى يكون العرض واضحا.



الفصل الرابع*
دراسة نقدية لمذاهب التطور
وموقف الإسلام منها
* قام بكتابة وطباعة هذا الفصل مكتب آل بسيون للكمبيوتر والطباعة بغزالة الخيس - شرقية

مقدمة

الحمد لله جعل الخير لأهل الصلاح ، والنجاة فى الدنيا والآخرة لأصحاب الفلاح ، واشهد أن لا اله الا الله الواحد الفتاح ، خلق من الظلمة الصباح ، واشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ، حقق الله له الخير ، وجعله لنا نورا ، وللهداية المفتاح ، فانطلق أصحابه وأتباعه إلى التفوق والتقوى فى الغدو والرواح .

اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه الأخيار ، وأهل العلم والفضل والاستغفار الذين ما زالوا فى تعلق بالواحد القهار ، وأتباع له مع النبى المختار ، واجعلنا وإياهم من المتقين الأبرار ، وأجرنا يا ربنا من الوقوع فى النار .

أما بعد

فلم يكد ينتهى القرن الثامن عشر حتى بدأت الآلة تزحف إلى المصانع والمعامل ، فتحل فيها بدلا من الإنسان ، بل راحت تقاسمه كد يمينه ، وعرق جبينه[1] ، حتى كادت تفقده أحد مصادر كسب قوته .

وكلما ضاقت بالناس سبيل المعيشة الكريمة هرعوا إلى مقاومة تلك الأوضاع من غير مراعاة لأصول عامه أو قواعد ثابتة ، ومن غير تفكير فى العواقب التى تأتى من جراء تلك المقاومة فليس – عندهم – بعد الجوع جريمة[2] .

---

(١) راجع كتابنا – خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة ص٦٧ .

(٢) تلك أفكار الكسالى ، وغير المسلمين ، أما الملتزم من المسلمين فانه ينهض للعمل الشريف حتى يكسب قوته ، وهو يعلم أن رزقه فى يمين ربه .

بيد أنه مع مطالع القرن التاسع عشر ظهرت اتجاهات فكرية كثيرة طافحة بعناصر المادية الجارفة ، والإلحاد المتنوع[1] ، كما حفلت بأنواع القلق المختلفة التي ارتبطت بالحضارة الصناعية ، فصارت حبيسة ما نشأ عنها من أنماط جديدة للعيش ، وطرائق مستحدثة للسلوك[2] .

اذن الحضارة الأوربية المادية ، التي انتشرت في ميادين العلم التجريبي في أوربا ، صارت لها أخطار كثيرة بجانب ما فيها من منافع مادية ، غير أن تلك الأخطار ازدادت حتى غطت على الجوانب الأخرى التي يظن أن فيها فوائد ، بعد أن أكد رجالاتها على ضرورة الإيمان بالمنهج التجريبي وحده القائم على الملاحظة والتجربة ، واعتباره الطريق الصحيح الوحيد في الوصول للحقائق العلمية ، مع إبعاد الجانب الإيماني عن النفوس ، واستبعاده من قاموس التعاملات اليومية ، باعتبار أنه جانب نظرى غير قابل للتأكد منه عن طريق المنهج التجريبي[3] .

وفي هذه الغضون اتجه مفكروا أوربا إلى الحديث عن المنهج التجريبي المادى وحده دون التفات لأى منهج أخر سواه ، حتى اعتبروا المادة وحدها هي القوة والأساس والقدرة التي يجب الالتفات اليها .

وأنه لا قوة بلا مادة ، ولا مادة بلا قوة " فكلاهما يكمل الأخر ، من غير اعتبار لشيء سوى المادة والقوة[4] ، ولن يكون هذا التكامل الا في حراسة المنهج

---

(١) محمد أحمد باشميل - الإسلام ونظرية داروين ص٥ - الطبعة الثالثة ١٩٨٤م .

(٢) الدكتور / رفقى زاهر - عصر القلق ص٣ .

(٣) وهي مزاعم كاذبة ، اعتقدها أصحابها أولا ، ثم سجلوها كشاهد الانحراف الفكرى عندهم - راجع المتلاعبون بالعقول ص٢٦١ .

(٤) رابو بورت - مبادئ الفلسفة ص١٥٢ - ترجمة الأستاذ أحمد أمين ط بيروت ١٩٦٩م .

التجريبى وحده ، مع إغفال وإهمال أية مناهج أخرى ، حتى لو تعلقت بقضايا الدين نفسه .

كان من نتائج ذلك أن ظهر العديد من الاتجاهات الفكرية وحدهـا علـى الساحة الأوربية ، وفرضت نفسها على مشاعرهم مستغلة نتائج الجانب التطبيقـى التى ظهرت عندهم حتى أمكن القول بأنه فى القرن التاسع عشر " غمـرت الماديـة مختلف النشاطات الفكرية والعلمية ، وصارت تجول فى عقـول النـاس هنـاك ، باعتبارها المنفذ الوحيد لهم من الأزمات التى يعانون منه[1] ، أو المخـرج الـذى لا حيلة لشيء سواه .

بل من المناسب القول بأن تلك الاتجاهات الفكرية التى ظـهرت فى القـرن التاسع عشر فى أوربا نتج عنها العديد من التيارات المنحرفة ، منها الماركسية الـتى صاحبت مطالع القرن العشرين[2] ، وقد ركزت هذه العبارات على نزعات النفـس الإنسانية الثلاثة وهى :-

- **أولا** : الميل إلى التحلل من قيود الدين والتزاماته .
- **ثانيا** : الميل إلى التمرد على النظام السياسى القائم .
- **ثالثا** : الحقد الطبقى على الأغنياء ، وتمنى زوال النعمة عنهم[3] .

وحيث نجد أنفسنا نخطف الحديث من خلال فترات زمنيـة ، ونقفـز مـن حضاراتها الكثيرة ، التى ليس من السهل الحديث عنها كلها ، فكان من المناسـب

---

(١) الدكتور / رفقى زاهر – عصر القلق ص١١ .

(٢) راجع كتابنا – قضايا حيثية فى الفلسفة الحديثة ص١٥ .

(٣) الدكتور / رفقى زاهر – أوهام الماركسية ص ٩ ط أولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م مطبعة زاهر .

الحديث عن تلك الاتجاهات الفكرية التى ما تزال أصداؤها تتردد فى وقتنا الراهـن ، وتنتشر بشكل فيها الكثير من الرعونة[1] .

بل ونحن على أعتاب الفية جديدة[2] ، قد حدثت معها اتجاهـات منحرفـة تخريبية ، وأخرى أخلاقية ، وثالثة فى ميادين يصعب التنبؤ بها على سـبيل الحصـر واليقين القطعى ، لأن ذلك مما يخفيه الغيب ، وأمره مردود إلى الله علام الغيوب جل علاه ، ويحتاج من المراقب للمواقف النظر اليها بعين الاعتبار ، والرصد الدقيق .

غير أنى سأركز فى هذه الجزئية على فكرة نشوء الكائنات الحية ، ثم ارتقائـها ، وبقائها فى سلسلة التطور مستمرة[3] ، باعتبار أنها تحمل أفكارا ربما وافقت بعضها التجربة ، ثم أخفقت فيما بعد ، أو عاندتها ، و لم تقف معها[4] .

لكن لهذه الأفكار من الأخطار على العقيدة والشريعة ، والقيم الكثير ، وهـو الذى يجعل إعادة النظر فى محتوياتها والنتائج التى انتهت اليها أمرا ضروريا ، بل هـو أمر شرعى بالنسبة للمسلم نفسه حتى نكشف الأخطاء ، ونقوم المعـوج ، ونبعـد الأفكار الشاذة عن ميدان الفكر السليم .

كما أن البعض يطلق عليها فلسفة التطور الطبيعى[5] ، وهى دعـوى كـم أطلقها الطبيعيون فى الماضى ، ويرددها من على نفس الاتجاه يسـيرون فى الوقـت

(١) توبى – أ. هاف – فجر العلم الحديث ص٢٢٧ – ترجمة د/ أحمد محمود صبحى .

(٢) تبدأ بعد شهرين تقريبا الألفية الثالثة من الميلاد .

(٣)وهى مراحل ثلاثة : الأولى : مرحلة النشوء ، والثانية : مرحلة الارتقاء الأولى ، والثالثة : مرحلة التطـور المستمر والانتخاب الطبيعى ، مع سيطرة قانون الانتقاء الذى أفرزه تنازع البقاء عندهم .

(٤) حيث ثبت أن فطرة تطور الكائنات الحية التى قال بها أصحابها بجرد فرض لم تثبت صحتـه " فى العقيـدة الإسلامية فلا خلاف – د/ محمد عبدالستار نصار وآخرين ص٧ .

(٥)كتب سلامة موسيى كتابه نظرية التطور وأصل الأنواع ، كما سجل بعده تطور الكائنات ، وكـان يطلـق عليها اسم فلسفة التطور الطبيعى .

الراهن[1] ، ومصدر الخطر فيها قائم لا يمكن تجاهله ، أو التغاضى عنه .

أما مظاهر الخطر فبينة فى أنها تلغى عقيدة وجود الخالق رب العـــالمين جـــل علاه ، وتتمسك بفكرة المصادفة البحتة[2] ، والحتمية القاهرة ، والسببية العقلية الـــتى لا تنفك حتى أنه نتج عنها - من وجهة نظرهم - الانتخاب الطبيعى ، كما إنحـــاز اليها بعض المسلمين الذين تصوروا أن الفكرة قابلة للتطبيق ، وكان هـــذا التصـــور منهم يحمل الكثير من السذاجة التى شاركهم فى قبولها غيرهم[3] .

وهذا التطور عندهم ينتهى إلى أن الكون نشأ خاليا من عوامل القصديـــة ، والانتظام ، وترتيب النتائج والمقدمات ، حسب القواعد التى وضعها لهم زعيم تقعيد الفكرة[4] ، الذى استفاد من دراسات ديكارت فى كتابه العالم الطبيعى[5] ، وارتضع أفكار كل من لامارك الفرنسى[6] ، ورسل دالاس الإنجليزى[7] .

فلما جاء داروين وجد الأصول الأولى لفكرته موجودة فى أفكار لامـــارك ، ودالاسى ، لكنها متناثرة فيما كتبه السابقون عليه ، وتحتاج عملية تجميع وإعـــادة

---

(١) الأستاذ / يوسف كرم - تاريخ الفلسفة الحديثة ص٣٢٩ .

(٢) المصادفة والحتمية من توابع القول بالسببية العقلية التى لا تنفصل أبدا فيها العلاقة بين السبب والمسبب .

(٣) الأستاذ / عبدالكريم الخطيب - التفسير القرآنى للقرآن جـ١ ص٢٧٥ ط دار الفكر العـــربى ، ولكنـــه لم يساير داروين تمام المسايره ، وإنما مال إلى إمكانية تصور بداية الكائنات على وجه اللغة من هـــذه الناحيـــة ، وتمت مناقشة تلك الفكرة معه - راجع كتابنا - عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية ص٩٧ .

(٤) هو الانجليزى - شارل داروين ١٨٠٩ - ١٨٨٢ .

(٥) وهو نفس الاتجاه الذى تغنى به جاليليو وكان أحد عوامل العنف معه .

(٦) ولد لامارك فى ١٧٤٤ ، وهلك ١٨٢٩م

(٧) ولد الفريد رسل دالاس فى ١٨٢٣ ، وهلك فى ١٩١٣م ، فكانت ولادته فى نهايات سابقه .

صياغة فقام بتعقيدها ، وإعادة صياغتها فى أشكال علمية ، طبقا لقاعدة استفادة اللاحق من لسابق .

ثم جاء بعد داروين من تبنى تلك الأفكار ، وقام بتغذيتها عن طريق مزاعم العلم التجريبى ، مستغلا وجود نوع من التشابه بين بعض الثدييات ، أو الفقريات ، مستشهدا بآراء ثانوية من الأثريات والحفريات ، محيلا إلى ما سبق القول به ورفضه[1] ، من أهل العلم به ، وعلماء الدين الإسلامى على وجه الخصوص .

أجل حاول بعض أهل العلم من أهل الإسلام تفسير الأفكار التطورية فى مراحلها الأولى على ناحية لغوية مرة[2] ، أو على ناحية علم الأحياء وتطوراته العادية[3] ، ولكن لم يتمكن واحد منهم من مقاومة الانتقادات الموجهة إلى النظرية فى بنائها ، أو باقى أجزائها التى تعرضت لها ، وهو ما يؤكد أنها مجرد أفكار لا تجد أسانيد لها ، أو أدلة تحميها .

وفوق ذلك فان من قاموا بها كانت تقودهم توجيهات ذات طبيعة أيديولوجية ، حيث استقرت رغبتهم فى مقاومة أفكار الكنيسة ، وزعزعة ثقة الناس فيها ، ورجالها ، ومحاولة تحطيم كل ما يمكن اعتباره عمدا من أعمدتها ، أو سندا من أسانيدها[4] .

---

(١) الأستاذ / يوسف كرم - تاريخ الفلسفة الحديثة ص٣٤٠ .

(٢) كالذى فعله الشيخ طنطاوى جوهرى فى تفسيره جواهر القرآن جـ١ ص٣١٢ .

(٣) وهو صنيع الأستاذ / عبدالكريم الخطيب فى كتابه التفسير القرآنى للقرآن .

(٤) وكان ذلك من جهود التنويرين عندهم الذى يعتبر عمانويل كانت أحد رجاله - راجع الدكتورة نازلى إسماعيل - مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة ص٧ .

أما عندنا نحن المسلمين ، فمن وقف لها أول الأمر مؤيا فقد كـــانت رغبتـــه العلمية هى التى تقوده ، وتطلعاته إلى تقديم جديد فى مجال العلوم البيولوجيـــة هـــى غايته ، او على أحسن تقدير ، كانوا يريدون القول بأنه العلم الصحيح لا ينـــاقض الدين السليم ، بل كلاهما يؤازر الأخر ويؤيده [1] .

وقد استغلت اليهودية السياسية نظرية التطور التى قال بها أصحـــاب الفكـــر المنحرف لصالح الدعاية اليهودية ، وضرب سلطة الكنيسة فى أوربـــا ، فـــانطلقت الأجهزة اليهودية العالمية – ضمن خطط مرسومة – تروج لهذه النظرية الزائفـــة فى أسواق العلم ، وميادين الثقافة ، وأجهزة الأعلام المختلفة حتى تمجد داروين اليهودى ، وترفعه إلى درجة غير عادية[2] .

وفى تقديرى أن إعادة النظر فى فكرة التطور هذه ، ولواحقها بالشكل الـــذى نقوم به يقدم خدمة جديدة فى هذا العصر بالذات ، لأن الهندسة الوراثية راحت هى الأخرى تلح على عقول أصحابها ، وتراودهم دائما عن نفســـها ، تلتمـــس لهـــا مثارب ، وتبحث لأفكارها عن مخارج ، ومن ثم كان من الضرورى إعادة النظـــر فى تلك الأفكار التطورية ، وبحث مسائلها ، وموضوعاتها ثم تقديم النتائج المؤكدة الـــتى نراها ، فى صالح البشرية أو ضدها ، أو توافق النصـــوص الدينيـــة الإســـلامية أم تخالفها[3] .

---

(١) وليس هذا الاتجاه أو المفهوم قائما لدى داروين ومن تبنى موقفه .

(٢) الدكتور / أحمد طلعت محمد الغنام – أضواء على نظرية النشوء والتطور والارتقاء ص٧ .

(٣) راجع كتابنا – أوراق متناثرة فى التيارات المعاصرة ص٢٧٠ .

ولذلك سأجعل الحديث عن فكرة التطور هذه فى النقاط الآتية :-

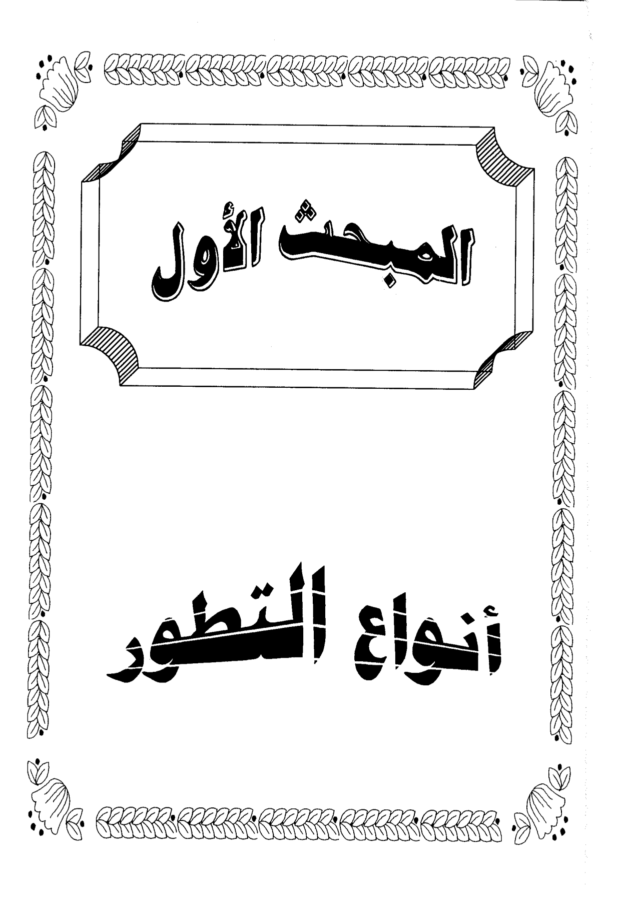
- **أولا** : أنواع التطور
- **ثانيـــا** : التعريف بها .
- **ثالثـــا** : اشهر رجالها .
- **رابعـــا** : أهم الأفكار التى قامت عليها .
- **خامسا** : ابرز المؤيدين لها .
- **سادسا** : جهود المعارضين لها .
- **سابعا** : موقفنا من المسألة .

مع مناقشة الآراء المطروحة والحكم عليها من خلال النقل المنزل ، والمجهود العقلى المقيد بالنقل الإسلامى ، وقضايا العلم التجريبى التى تعتبر نهائيـــة[1] ، حتى يتضح للقارئ دور هذه الأفكار المنحرفة فى خدمة أو تدمير الأخلاق والقيم بعد محاولة هدم الدين عقيدة وشريعة .

والله أسأل التوفيق والسداد . أنه نعم المولى ونعم النصير ، وهو حسبى ، وعليه توكلت .

دكتور
محمد حسنى موسى محمد الغزالى

(١) أن وجدت تلك القضايا ، لأن العلماء التجريبيين يقولون : ان العلم لا يعرف الكلمة الأخيرة .



المبحث الأول

أنواع التطور

تمهيد

من المعلوم أن التطور لفظ لغوى من الألفاظ التى ينطق بها ، وفى نفس الوقت فان له دلالة معينة على جهات متعددة ، وكما نقول بأنه لفظة تجرى فى مفـــاهيم كثيرة ، ولها العديد من المعانى التى تجرى فى العلوم المختلفة ، كالبيولوجيا والهندسـة البيوكيمائية والوراثية ، وعلم الأحياء وغيرها .

وفى ذات الوقت يمكن التعامل بها على الناحية التى ترد عليها ، وطبقا لهذا فان المتناولين لها كل يتعامل معها فى حدود الاتجاهات التى ينطلق منها ، أو المنحى الذى يغلب عليه ، ولذا فالتطور ليس أمرا واحدا ، وإنما هو أنواع عديدة[(١)] .

نذكر منها :-

النوع الأول : تطور اللغة

ومعناه ورود لفظة التطور كمفرد من مفردات اللغة المتداولة ، بحيث يمكـــن التعرف على معناه من خلال المصادر اللغوية ، فى المادة الصرفيـــة الـــتى يتوقفـــون عندها[(٢)] ، وهذا النوع يسمى التطور اللفظى ، من حيث أنه لفظ يتلفـــظ بـــه ، ولغوى من حيث أنه وارد فى اللغة وله دلالة معينة[(٣)] ، ولا شيء فى هـــذا التطـــور اللغوى مما يفكر فيه الأحيائيون ولا منازعة فيه .

---

(١) هذا التقسيم للأنواع التطورية هو الذى نميل اليه حسب تصورنا لهذا الفكر والمصادر التى أمكـــن الوصـــول اليها .

(٢) فاذا أردنا الكشف فى المعاجم عن مفهوم التطور فإنا نبحث عنه فى مادة (ط و ر)

(٣) الدكتور / توفيق عبدالخالق – مميزات النحو العربى ص٢١٧ ط١ دار الرضا ١٩٨٧م .

النوع الثانى : تطور الآلة والوسيلة

وهذا النوع يقوم على تطور الآلة المستخدمة من خلال الوسائل المتاحة فى حدود الزمان نفسه ، فالمسافات الطويلة مكانيا تحتاج وسيلة لقطعها وكانت فى الماضى الدابة ، ثم تطورت هذه الوسيلة حتى صارت سفن الفضاء ، وصواريخ الانتقال المتعددة ، ووسائل نقل عالية التقنية ، بحيث صارت تقطع المسافات الطويلة فى فترات قصيرة جدا[1] ، وهو أمر نبه اليه الشرع ، وأمر به طالما كان فى حدود الالتزام الشرعى .

ومن مظاهره تطور وسائل الإبلاغ والاتصال والاعلان ، وما كان من هذا القبيل ، حيث كانت فى الماضى يقوم بها الإنسان ، أو الحمام الزاجل ، أو رسل البريد ، وكان ذلك يستنفذ العمر بجانب الوقت ويتكلف الجهد الذى يستغرق زمنا ليس قصيرا .

ثم تطورت الوسائل فيما بعد فصارت توجد شبكات الاتصال التى تستخدم سرعة الصوت والضوء بأعلى تقنية تكنولوجية ، حتى أنها تقطع المسافات الطويلة جدا فى وقت قصير جدا ، وتنقل الصوت والصورة والكتابة .

حيث ظهرت وسائل الإنترنت ، والفاكس ، وأنظمة المعلومات المختلفة[2] ، وكلها تقدم وسائل عالية التقنية فى مجالات الاتصالات بسرعة فائقة ، وجودة عالية ، مع التمكن من استخدام الفيزياء والميكروفيزياء ، والهندسة الميكانيكية[3] ، وما

---

(١) باتو . ب برايس – تكنولوجيا الانتقال فى المكان ص١٥٣ – ترجمة أمل مرسى ١٩٨٤م .

(٢) المهندس فاضل شوقى – التكنولوجيا ونظم المعلومات ص١٤٥ .

(٣) روبارت – توفسكى – قياسات الزمن المتطورة ص٧٤ – ترجمة شوقى خليل

كان من هذا القبيل ، وذلك كله لخدمة الإنسانية ويحمل اسم تطور الآلة ، أو التطور الوسيلى .

ومن ثم فهذا النوع حلال طالما كان فى حدود ما شرع الله تعالى ، ويحرم اذا تعلق بما هو منهى عنه شرعا ، وهو فى إباحته مقيد بالشرع ، وفى تحريمه مقيد بأحكام الشرع ، كذلك وتقع الأحكام الشرعية التى تجرى فيه وأمثاله(١) .

النوع الثالث : تطور العادة والسلوك(٢)

وهو نوع من التطور للألف والعادة ، وهى انتقال من مجرد الفكرة إلى مجال التطبيق العملى ، مع ملاحظة أن هذا التطور خاضع لظروف الفرد باعتباره عضوا قائما فى فريق الجماعة الأكبر منه ، والتوافق التام مع إمكانياته الذاتية ، بحيث يحصل له تكيف ذاتى ، واندماج فى المجتمع نفسه(٣) ، الذى يحيط به ، أو يتعامل معه .

فالإنسان الذى أعتاد تناول طعامه فى مرأى ومسمع من الناس - كالذى يفعله الناس داخل المحلات العامة التى لا ستار لها - وتصير له عادة ، فإنه إذا وجد فى هذا السلوك ما يشين ، وأدرك وجه الخطر فيه ، فان يلجأ إلى أحداث تطور فى عادة تناول الطعام هذه ، حيث يقوم بها فى مترله ، أو فى مكان يحصل له فيه الاستتار(٤) ، وفى الأثر النوم والطعام عورتان فاستروهما(٥) ، نظرا للظروف التى تحيط بالآكل والنائم ، وتفرض نفسها على سلوكيات المارين بأى منهما .

---

(١) الأحكام الشرعية فى الإسلام تدور حول خمسة هى : [١] الحلال ، [٢] المباح ، [٣] المندوب ، [٤] المكروه ، [٥] الحرام .
(٢) أ.ب برونسكى - الكائن الحى والتطور السلوكى ص٢٧٥ - ترجمة وفا صبحى .
(٣) الدكتورة أميرة المصرى - الفرد والجماعة ص٢١٣ .
(٤) الدكتورة سمية مصطفى - العادات المتغيرة وأثرها فى المجتمع ص١٣٥ .
(٥) والاستتار عند النوم حتى لا تنكشف العورة ، وتناول الطعام حتى لا يظهر على غير القادرين عليه من الآداب الإسلامية التى حث عليها الشرع الشريف فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وعليه إجماع الأمة .

ﷻ وفى القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ " يا أيها الذين أمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم " ﴾[1] .

وهذا التوجيه القرآنى الكريم ، بحثه كثير من العلماء تحت عنوان " الاستئذان فى القرآن الكريم " بل تناولته بعض الدراسات الأكاديمية فى رسائل جامعية[2] .

ولا شك أن هذا التطور يعتبر مقبولا ما دام محكوما بالشرع ، وفى حدود الالتزام به ، وبناء عليه فانه يكون مشروعا ، وفى دائرة الأحكام الشرعية القائمة يتم ، وأما اذا خرج عن دائرة المأمور الشرعى ، فانه يكون منهيا عنه ، وفى ذات الوقت يكون محرما فى وسيلته واستعماله معا ، ويسمى حينئذ بتطور العادة المباح ان كان فى المباحات ، أو تطور العادة الحرام ان كان فى المحرمات[3] .

كذلك الإنسان الذى ينغلق على نفسه ، ويبتعد عن كل أنواع المشاركة فى أنماط الحياة للآخرين ، اذا وقف مع نفسه ، أو أضطرته الظروف الاحتياجية للتعامل مع الآخرين ، ولم يجد منهم آذانا تسمع ، أو عقولا لا تصغى ، أو مساعدة اليه تمتد نظرا لانعزاله عنهم ، وتجاهله لأنواع المساهمة معهم ، فانه سوف يطور فى عادته ،

(١) سورة النور الآية ٥٨ .

(٢) من ذلك رسالة الدكتور / حسن أحمد محمد حجر - الاستئذان فى القرآن - ماجستير بأصول الدين القاهرة .

(٣) عنى علماء الإسلام بهذا الجانب ، بل بعضهم يقرر فى الأصول أن العادة محكمة - راجع الإمام السيوطى - الأشباه والنظائر فى فروع فقه الشافعية ص٢٤٥ .

ويحاول المساهمة معهم فى أمورهم الاجتماعية ، بغية الانخراط الاجتماعى ، والتكيف الأسرى ، والتوافق البيئى[1] ، وهو تعديل فى عادة قائمة ، وتطوير فى سلوك لم يثبت نجاحه إلى أخر يتم التعامل معه والتكيف فى حدوده .

من ثم فان هذا التطور للعادة يخضع أيضا لأحكام الشرع الإسلامى وحـــده دون اعتبار لشيء أخر سواه ، ولا قيمة لأحكام العادة الفاسدة ، بحيث يكون مباحه على ناحية الشرع مقبولا وحرامه على ناحية الشرع مرذولا[2] .

وهو فى ذات الوقت داخل فى إطار تطور العادة إلى الأفضل ، على الناحيـــة التى تستلزمها القواعد الشرعية ، وقس على ذلك ما كان من هذا القبيل ، ويقـــع فى دائرة تلك الأحكام ، ونال عناية متميزة فى الدراسات الفقهية والاجتماعية ، بـــــل والنفسية ، وربما العصبية ، على النحو الذى يعلمه القاصى والدانى .

النوع الرابع : التطور التاريخى للزمان والأحداث[3] .

وهو يقوم على ملاحقة الحوادث والوقائع التاريخية ، مقيدة بالزمـــان الـــذى وقعت فيه ، والأحداث التى جرت فيها ، والظروف التى صاحبتـــها ، باعتبـــار أن التاريخ حلقات زمانية متواصلة ، يكمل بعضها الأخر ، ويأخذ به فلا ينفصـــلان ،

---

(١) الدكتورة أمال محمد فاروق – علم النفس والتكيف الاجتماعى ص١٢٧ .

(٢) راجع الدكتور على حسب الله – أصول التشريع الإسلامى ط٥ ٢١٧ .

(٣) وهو غير التطور التاريخى المادى الذى ينادى به الماركسية والعلمانية ، وهو فى ذات الوقت يمثـــل جـــانب التطور الجدلى ، وسوف نعرض له – راجع فلاورست – التطور التاريخى ص١٤٥ – ترجمة صبحى نقـــولا ط بيروت .

وهذه الفترات الزمانية تجرى فيها أحداث معينة ، محكومـــة بالزمـــان والمكـــان ، والحركة[1] .

فالإسلام الدين الحنيف يخبرنا متى ولد سيدنا محمد ﷺ[2] ، ومتى بعـــث إلى قومه[3] ، ومتى هاجر ، والى أين[4] ، ومتى لحق بالرفيق الأعلى ، بجانب كـــل مـــا يتعلق بسيدنا محمد ﷺ .

فليس من المعقول القول بأن يوم ميلاده ﷺ ، هو نفس يوم بعثته ومـــهجره ، وجهاده ، وحجه ، وانتقاله ، لأنها أيام متعددة ، وحـــوادث قائمـــة ، ومراحـــل متلاحقة فى حدود المعايير الثلاثة المتفق عليها - الزمان ، والمكان ، الحركة ، كمـــا أنها فترات يأتى بعضها خلف الأخر ، وهو ما يفهم من قوله تعالى ﴿ " وتلك الأيـام نداولها بين الناس " ﴾[5] .

على ان هذا المفهوم الذى نميل اليه قد لا يتفق مع مفهوم الرياضيين فى تفسـير الزمان على ناحية رياضية ، وكذلك التاريخ ، حيث يذهب برتراندراســـل ، إلى ان المكان والزمان ليس جوهر قائما بذاته لكنه نظام قائم فى علاقـــات[6] رياضيـــة لا تنفصل عنها .

---

(١) يراجع المواقف للإمام الأيجى بشرح الجرجانى وبخاصة الموقف الثانى فى الأمور العامة .

(٢) ولد سيدنا محمد ﷺ يوم الأثنين ليلة الثانى عشر من ربيع الأول الموافق ١٤ أكتوبر ٥٧١م - راجع حيـــاة محمد ص٢٧٥ .

(٣) بعث ﷺ فى العاشر من مطالع القرن السابع الميلادى ٦١٠م تاريخ العرب وظهور الإسلام حـــ١ ص١٨٧

(٤) هاجر ﷺ عام ٦٢٣م وكانت هجرته المباركة إلى المدينة المنورة التى استنارت برسول الله ﷺ .

(٥) سورة آل عمران الآية ١٤٠ .

(٦) براتراندارسل - فلسفتى ص١١/١٠ .

كما أن التاريخ ليس مرحلة متوقفة ثابتة غير مكون من أجزاء بسـيطة ، وإلا ما كنا الآن فى مطالع القرن الحادى والعشرين ، بجانب ادراك كل عاقل منـا ، أن اليوم الذى ولد فيه ، ليس هو نفسه اليوم الذى دخل الجامعة فيه ، وليس هو اليـوم الذى انهى دراسته فيه ، وإنما هى مراحل زمانية متوالية ، فيـها أحـداث زمانيـة متلاحقة ، ولها سمات معينة ، وهو الذى نعنيه بالتطور التاريخى حسب المفهوم الذى أسلفناه[1] .

وليس ذلك على المفهوم الذى ينادى به الماديون والماركسيون أو العلمـانيون والوضعيون ، ومن كان على شاكلتهم يسير من القول بقدم المادة وأزليتها ، فلما لم يفلحوا قالوا بقدم الحركة كما فعلت الماركسية ، فلما انهارت أوهامهم عـادوا إلى عبادة المادة المشوهة مرة أخرى .

وفى تقديرى أن فيهم الدناءة الفكرية ، والتخبط العقلى ، وقد أوقعهم فيـه ، تبنيهم الدائم لميتافيزيقا نقدية ، ذات طابع مادى آلى ميكنى ، معتبرين إياها التعبـير ذاته عن الحقيقة العلمية متجاهلين الفلسفة التأملية ، منكرين وجود غيبيات .

النوع الخامس : التطور الحضارى[2] .

وهو الذى يقوم به الإنسان من خلال خياله الذاتى ، ومنطقـه الفكـرى ، ومجهوده العقلى ، بجانب ارتفاع نسبة ذكائه ، حيث يرفض الحبس داخل البيئة الـتى تحيط به ، وإنما يقوم بأحداث تغيرات متعددة فيها تتم من عمليات متواليـة مـن الابتكارات التى يعيد بها الإنسان صياغة بيئة على مر العصور ، وهو تطور حضـاوى

(١) لويس دى برولیه – الفيزياء والميكروفيزياء ص٢٦٧ .

(٢) وهذا النوع يمثل حلقة خاصة بالإنسان وحده – راجع كتابنا خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة ص١٩٧ .

، وليس تطورا بيولوجيا ، ولذا يفضل البعض تسميته باسم التطور الحضارى المتمثل فى ارتقاء الإنسان نفسه[1] .

ولما كانت الحضارة الإنسانية تقوم على جانبين لا ثالث لهما ، هما :-

❁ **الجانب الأول** : الثقافة هى المنتج العقلى ، والمجهود الفكرى الذى يقوم به لعقل وحده ، وهى الجانب النظرى من الحضارة .

❁ **الجانب الثانى** : المدنية وهى مظاهر الجانب العقلى ذاته[2] ، فى جانب العمارة والإنشاء من حفر الترع ، وشق الطرق ، ونعبيدها حتى يتمكن الناس من استخدامها ، وما كان من هذا القبيل على الناحية العلمية .

فان الأمر فيها قائم على الملكات الإنسانية ، والتأملات الوجدانية والنوازع الفكرية باعتبار أن الإنسان مخلوق فريد ، له من المواهب ما يجعله متفردا بين الحيوانات التى تقاسمه ، فهو ليس مجرد شكل داخل صورة الطبيعة بل أنه يشكل صورة الطبيعة ذاتها ، بما له من إمكانيات ، ويحمل من ملكات ، ويستطيعه من توافقات .

وله فى جسمه وعقله ما يجعله مستكشفا لها ، وهو نفس ما يجعله حيوانا واسع القدرة ، قادرا على الحركة والتأثير فيمن حوله حتى لو كان ذلك فى البيئة التى يعيش فيها ، فهو لم يوجد موطنه بنفسه ، وإنما هيأ لنفسه موطنا فى كل قارة[3] .

---

(1) جاكوب برونوفسكى - التطور الحضارى للإنسان - ارتقاء الإنسان ص١٤ .

(2) راجع كتابنا - قضايا حبيسة فى الفلسفة الحديثة ط٤ ص١٧ .

(3) التطور الحضارى للإنسان ص١٣ .

اذن فهذا النوع من التطور الحضارى خـــاص بالإنســـان وحـــده باعتبـــار ملكاته[١] ، وهو غير التطور البيولوجى الذى يعتبر الإنسان ذاته موضوعا للتطـــور الحيوى ، وليس هو الذى يطور فيه ، والفرق بينهما كبير جدا .

كما أن التطور الحضارى أعم من مجرد التطور العقلى لأنه يشمله وغـــيره ، وبالتالى فالتطور العقلى والفكرى ، ثم الوجدانى والعاطفى ، وما كان من هذا القبيل فانه داخل فى مفهوم التطور الحضارى الذى يجمع بين دفتيه – كما سلفت الإشـارة – بين الثقافة والمدنية[٢] ، ويتفرع عن كل منهما ما يتعلق به .

النوع السادس : التطور البيولوجى الداروينى[٣] :

وهو يقوم على أن الكون مادة واحدة جامدة صماء ، وأنه قد نشأ عنها خلية واحدة حية ، ثم تطورت تلك الخلية ، وظلت فى رقى مستمر حتى صارت ذلـــك الإنسان الذى نعرفه بعقله وفكره وثقافته ، من خلال التوليد الذاتـــى والمصادفـة القائمة عن طريق عملية تطور من الشرارة الأصلية للحياة ، وهو الأساس الذى تقوم عليه فكرة التطور الداروينية كلها[٤] ، وإنما تمت دون حاجة إلى وجود أمر غيـــبى تنسب اليه تلك الأحداثات ، حتى لو كان ذلك الأمر الغيبى هو الله نفسه[٥] ، وهـــو عين الضلال الذى فيه يسيرون .

---

(١) لأن هذه الدراسة لا تعنى بحصر موضوعات المعالجة فى التطور الحضارى للإنسان أو غيره ، وإنما أقدم هـــذه الالماحة وأقصد بها بيان الدور الانسانوى فى التطور الحضارى ، على النحو المشاهد الملموس – راجع العلـــم يدعو للإيمان ص ١٠٩ – ترجمة محمود الفلكى .

(٢) راجع كتابنا – التفكير الإنسانى ومستوياته ص٤٥ .

(٣) وهو غير الأنواع الأخرى من التطور التى سلف القول بها فيما مر ذكره من أنواع .

(٤) الأستاذ / وحيد الدين خان – الدين فى مواجهة العلم ص٩٧ .

(٥) دى برولیه – الفيزياء والميكروفيزياء ص١١٩ .

ولكنا نقول أن كافة المخلوقات تتم على وجه الأحكام والإتقان ، وتظـــهر فيها حكمة اللطيف الخبير رب العالمين جل علاه ، وان العناية الإلهية هى التى أنتجت الحياة بكل أطوارها فى سلسلة من الخلق المستمر تمت كلها بقـــدرة الله تعـــالى[1] ، وأرادته وعلمه . قال تعالى ﴿ " انما أمره اذا أراد شـــيئا فانمـــا يقـــول لـــه كـــن فيكون " ﴾[2] .

لكن هذه الأفكار التطورية فى المجال الاحيائى كـــان لهـــا تأثـــيرا فى مجـــال البيولوجيا وقد أحدثت ثورة عنيفة فى مجال الدين والقيم والأخلاق ، بـــل هـــزت ثوابت الأنظمة الأحيائة على النحو الذى يدركه المعنيون بذلك النوع من الدراسات فكان لها العديد من الأنصار ، كما كان لها الكثير من الخصوم .

مع ملاحظة أننا لن نشغل أنفسنا ههنا إلا بما هو قائم فى التطـــور الاحيـــائى البيولوجى[3] ، الذى نخصه بتلك الدراسة من خلال عرض أفكاره ثم تناولها بالمناقشة على الجوانب التى أتمكن منها .

من ثم فان مسألة التطور الاحيائية هذه لها جانب فلسفى بيولوجى ومظـــاهر تطبيقية فى بعض المجالات ، ولذا اعتبرها البعض أحد معالم الفلسفة الحديثة فى القـــرن التاسع عشر[4] ، بينما أعتبرها آخرون فتحا بيولوجيا سوف يكشف نتائج إيجابيـــة فى

---

(١) كريسى موريسون – العلم يدعو للإيمان ص١٠٩ – ترجمة محمود الفلكى

(٢) سورة يس الآية ٨٢ .

(٣) لأنه المقصود هنا بالدراسة التى نحن بصددها ، والتى لها خطرها على الدين والقيم والعقيـــدة ممـــا يجعلنـــا نرفضها .

(٤) راجع كتابنا – خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة ص١٩٥ .

الأيام المقبلة[1] ، بما يقدم من خدمة علمية فى جانب فيزيائى[2] ، وتفسيره على ناحية علمية .

لكنا نرى أن هذه الأفكار ليست سوى افتراضات متوهمة ، واســتنتاجات لم تقم على أصول علمية مقبولة ، وفوق ذلك فإنها تخالف النصوص الشرعية ، وتقفــز الغيبيات فتنكرها ، مما يجعل تناولها ودفعها أمرا شرعيا سوف نخصه بالدراسة على ما سوف يرد فيما بعد أن شاء الله تعالى .

---

(١) التطور الحضارى للإنسان ص١٣ .

(٢) أ.ب برونسكى - الكائن الحى والتطور البيولوجى ص١٩ - ترجمة أنس منصور .



المبحث الثانى

تاريخ التطور البيولوجى والتعريف بها

الدارس لأى تيارات فكرية يرى ضرورة التعريف بها أولا ، حتى يكون سيره فيها وتناوله لها بشكل مقبول ، لأنه من غير المقبول الدخول إلى الحديث عن تفاصيل ذات التيار المراد والتعرض له من غير أن يقدم تعريفا له على ناحية فنية ، تحدد أبعاده ، وتخرجه عن قرنائه[1] .

وهو الذى أنتهجه دائما فى أبحاثى ودراستى التى أتعرض لها فذلك شأن أراه قويما ومنهج علمى أراه من جانبى مقبولا .

فما هو تعريف فكرة التطور التى نتناولها اذن ؟

والجواب : أن فكرة التطور الداروينية أحد المسلاخات الفكرية التى تولدت عن الايمان المطلق بالمادة وحدها ، وحصر كافة الموجودات فى الماديات فقط [2] ، ولذا فمن الضرورى الالماح إلى أن الثورة الصناعية فى أوربا كانت الشرارة التى أنطلقت فى هشيم الأفكار عندهم ، حتى تذوره الرياح ، وتلقى به فى كل اتجاه[3] .

أما فى بلادنا الإسلامية فان الاتجاه المادى - العلمانى - والماركسى ، والوجودى والوضعى - مازال يسيطر على العديد من الصحف والمجلات ، ويتبنى الدعاية للعلمانية والشيوعية والوجودية ، وطرائق الإلحاد الأخرى [4] ، من خلال

(١) لأننا اذا لم نفعل ذلك يحدث خلط كبير فى أنواع التيارات المعروضة للدراسة .

(٢) الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى - أنسام حية فى الأفكار الصوفية ص٣٧ .

(٣) د/ رفقى زاهر - الفلسفة الحديثة والمعاصرة ص٩٧ .

(٤) وهى متعددة كما يحاول أصحابها الاعلان عنها ، كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا كالوجودية وغيرها .

كتب يصدرونها تهاجم الدين على وجه العموم والإسلامى على وجه الخصـــوص ، وتحاول النيل من مصادره .

كما أفسحت " لهم صحف معروفة صدورها ، ليكتبوا فى هذا الاتجــاه مــا شاءت لهم أهواؤهم ، فضلا عن مجلاتهم الخاصة التى تعبر عن اتجاهاتهم بصراحــة فى حين لم يسمح للتيار الإسلامى – الذى يعبر عن القاعدة العريضة للأمة الإسلامية – أن تكون له مجلة تتحدث باسمه[1] .

ومنذ فترة ليست قليلة ولا هم للماركسية والملحدين عموما إلا التهجم علـى القرآن الكريم[2] ، والسنة النبوية المطهرة[3] ، والمطالبة الكذوب بضرورة " تحريـــر العقل من سلطة النصوص الدينية ، وإطلاقه حرا يتجادل مـــع الطبيعـة والواقـع الاجتماعى والإنسانى ، حتى ينتج المعرفة التى يصل بها إلى مزيد من التحرر ، فيصقل أدواته ، ويطور آلياته[4] .

أجل هى مزاعم كذوب ، واتجاهات تدل على خليقة أصحابها اللافكرية ، أو الفكرية العبثية وفوق ذلك فهى أمارة واضحة على أن أهل الإلحاد مجتمع واحـــد ، ومعسكر سوف يسقط مهما طال الزمن .

(١) الدكتـــور يوســـف القرضـــاوى – الإســـلام والعلمانيـــة وجـــها لوجـــــه ص٩ – ط الأولى ط دار الصحوة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م

(٢) كتبه أحد السفراء الملاحدة باسماه ، وهل يمكن الاعتقاد فى القرآن ، وقد رد عليه الأستاذ/ عبدالله كنون بكتاب جميل عنوانه " نعم يمكن الاعتقاد بالقرآن " .

(٣) محاولات التهجم على السنة المطهرة من الملاحدة لم تتوقف ، وحديثهم الكذوب عنها لم ينقطع ، وسوف ترتد حتما سهام العدوان عليهم .

(٤) الدكتور / عبدالصبور شاهين – قصة أبو زيد وإنحسار العلمانية ص٢٣٠ – الناشرون والعرب .

ﷺ قال تعالى : ﴿ " استحوذ عليهم حزب الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هُم الخاسرون " ﴾[1] .

ولا يغربن عن ذى بال أن أفكار التطور البيولوجية ، أو تطور الكائنات الحية بالمعنى الذى تحدث عنه لامارك ، وداروين ، وهيكل ما هـى إلا امتداد لتلك الاتجاهات المنحرفة متى حاول أصحابها التعرض للثوابت الشرعية .

فلو تناولت فكرة التطور أمورا تقوم على أسانيد مقبولة ربما كانت نتائجها غير التى عرف العقلاء بها ، ولكنها قامت على افتراضات متوهمة ، وأنماط من السلوك شاذة مهدت لظهور ألوان كثيرة من الانحرافات البيولوجية بدعوى أنها أفكار تطورية[2] ، وبالتالى كان نصيبها البوار ، وبئس القرار . فما هى هذه الفكرة التطورية ؟

بدء التعريف بها :

يرى إلياس أنطون أن " فكرة تطور الكائنات الحية التى قال بها داروين ونسبت اليه من النظريات الحديثة التى أثرت فى العلوم والآداب والعمران ، وليس بين قادة الفكر الآن[3] من لا يؤمن بها ، ويعتقد فى صحتها[4] ، ونحن نراه غير موفق فيما ذهب إليه بدليل مقاومة المفكرين المتميزين لها ، وعدم استعدادهم القول بها ، أو محاولة الرجوع اليها ، فضلا عن هجران القائمين عليها والتحذير منها .

(١) سورة المجادلة الآية ١٩

(٢) الدكتورة / ناهد البقصمى – الهندسة الوراثية ص٢٧ .

(٣) كان ذلك فى عام ١٩٢٢م ، يوم أن كان بريق الأفكار الزائفة ينتشر فى الجو العام مؤثرا فيه .

(٤) الياس أنطوان – تطور الاحياء ص١٥ ، وهو من أنصار النظرية والمدافعين عنها ، بل أنه قام بنشر الكتب التى تخدم تلك الفكرة من خلال المطبعة المصرية التى كان يمتلكها بالفجالة .

وفى نفس الوقت يقرر سلامة موسى : » أن التطور هو النظرية الســـائدة فى العلوم الآن ، وهى الصبغة التى اصطبغت بها عقول جميـــع المفكريـــن فى عصرنـــا الراهن[1] « وهى نفس المزاعم التى يرددها العلمانيون والوجوديون والطبيعيون بـــل والماركسيون ، كما يتنادى بها أهل الإلحاد على وجه الاتفاق بينهم فى كل مكان .

وتتلخص تلك الفكرة فى أن الحيوان والنبات على تعدد أنواعهما التى تبلـــغ الآلاف نشأت فى الأصل من نوع واحد هو العنصر الحيوانى ، أو الخلية الحيوانيـــة ، وأن الجماد نفسه بما فيه من ذرات وجزئيات ، وعوالم ، وعناصر أيضا يرجـــع إلى أصل واحد[2] هو الخلية الجمادية ، ثم يرجعان معا إلى أصل مشـــترك هـــو المـــادة الصماء ، الثابتة العمياء .

ثم أن الكائنات الحية عندهم توجه – طبقا لقـــانون التطـــور – إلى أصـــول متعددة ، نظرا للتشابه بين بعضها ، والقرابة التى تبدو بين أنواعها ، وقد اســـتغرقت أبحاثها حوالى ربع قرن من عمر دارون نفسه[3] ، ومن سبق أو جاء بعده .

وطبقا لهذا المفهوم فان هذه الفكرة تعرف أيضا بأنها « القائلة بـــأن جميـــع الكائنات الحية الموجودة على ظهر الأرض لم تكن فى بادئ أمرها على هذه الصـــورة الحالية ، ولا على هذه الكثرة من الأنواع ، وإنما نشأت من أصل واحد ، أو بعضـــه أصول بفترض أنها تولدت من المواد الغير حية تطورا ذاتيا ......

---

(1) سلامة موسى – نظرية التطور وأصل الإنسان ص١٧ – المطبعة المصرية .

(2) الأستاذ / يوسف كرم – تاريخ الفلسفة الحديثة ص٢١٢ .

(3) الدكتور / عبدالمعطى محمد بيومى ، الدكتور / أحمد الشاعر – الإسلام والتيـــارات المعـــاصرة ص١١٨ ط الثانية ١٤٠٠هـ/١٨٩٠م .

ثم تطورت تلك الأصول تبعا للظروف والأسباب المختلفة حتى وصلت إلى شكلها الحالى الذى لا يزال بدوره آخذا فى التغيير تغيرا بطيئا جزئيا محدودا ، تبعا للظروف الطبيعية[1] ، التى صاحبت هذا التطور وفى حدود نفس الظروف التى مازالت قائمة .

كما تعرف بأنها : « القائلة بأن الحياة الأولى للإنسان والحيوان والنبات ، قد بدأت على ظهر هذه الأرض بجرثومة أو جراثيم قليلة تطورت من حال إلى حال ، تحت تأثير فواعل طبيعية حتى وصلت إلى هذه التنوعات التى نراها الآن وعلى رأسها الإنسان[2] نفسه ، الذى يعتبر أحد النتاجات التى تلاحقت مع هذا التطور .

وقد ذهب داروين فى شرح هذه الفكرة إلى أن كل أنواع الحياة الحاضرة هى عبارة عن فروع لشجرة عائلية ارتقائية عظيمة ، ساقها وفروعها الرئيسيان يتكونان من أنواع سالفة انقرضت منذ أزمنة سحيقة عن طريق الانتخاب الطبيعى[3] ، لكنه فشل فى إيضاح الكيفية التى تمت بها عملية ذلك الانتخاب الطبيعى ، وهو الشىء الذى يجعل الفكرة تنقلب على رأسها[4] ، بدل أن تنتصب على قدميها ، وتستوى - أن كانت صحيحة على قواعد مقبولة .

أما لماذا ؟

فلأن الإنسان عندهم بدأ بجرثومة صغيرة تحولت تحولا ذاتيا آليا ، من غير حاجة إلى إله خالق عظيم قادر عليم - إلى حيوان صغير ، ثم تدرج هذا الحيوان فى

---

(١) الدكتور / أحمد طلعت محمد الغنام - أضواء على نظرية النشور والتطور والارتقاء ص٢٧ .
(٢) الأستاذ / محمد أحمد باشميل - الإسلام ونظرية داروين ص٢١.
(٣) داروين - أصل الأنواع ص٥٧ - ترجمة خاطر مرسى - المطبعة العصرية - بيرون
(٤) الدكتور / سعيد محمد الحفار - البيولوجيا ومصير الإنسان ص٢٨ - عالم المعرفة العدد ٨٢ .

الرقى الذاتى ، حتى ارتقى إلى حياة حيوانية بدائية أول الأمر ، ثم إلى حيوان أكبر فأكبر من الأول حتى صار ريشة مجنحة[1] ، وظلت على ذلك حينا من الزمان .

ثم تحولت تلك الريشة إلى ذوات فقرات ، ثم ارتقت إلى حيوان شبيه بالإنسان ، وهو القرد الشمبانزى ، ثم كانت نهاية هذا التطور إنسانا أول ، لا يعقل ولا يدرك ، ولا يتكلم ، ثم إنسانا كاملا أرقى من الأول ، وهو المعروف والمشاهد لنا اليوم بعقله وفكره وادراكه[2] ، وما يستتبع ذلك ، ويتعلق به .

ودعاة الداروينية يذهبون إلى أن تفاصيل التنظيمات الاجتماعية الماضية والحالية ما هى إلا مظاهر محتومة لمفعول خاص للجينات ، وأن هذه الجينات التى تقع فى الأساس من المجتمع البشرى ، قد تم اختيارها بعينها أثناء التطور فى مراحله التى تمت له ، لأن ما تحتمه من صفات ينتج منه لياقة تكاثرية ، أعلى فى الأفراد الحاملين لها[3] ، كنتيجة طبيعية لعملية التطور نفسه .

من ثم فإن الإنسان عندهم جزء من الطبيعة ، دلت عليه الحفائر الجيولوجية ، وعلم الآثار فيما قبل التاريخ الطبيعى فى الإنسان ، بل أن الأدلة تزداد باطراد على أن الإنسان الحالى جزءا من الطبيعه ذاتها ، وأن أقدم الوثائق المدونة تكشف عن ارتقائه المستمر حتى بلغ عهد الوعى الأخلاقى[4] ، الذى هو عليه الآن ، وينتظره فى المستقبل .

---

(١) أ.ب- سورز - تطور الكائنات الحية ص٤٥ - ترجمة صالح مرسى ط بيروت ١٩٧٥م .

(٢) الدكتور/ أحمد طلعت الغنام - أضواء على نظرية النشوء والتطور والارتقاء ص٣٠ .

(٣) ستيفن روز وآخرون - علم الأحياء والأيدلوجيا والطبيعة البشرية ص٣٢٩ - عالم المعرفة ١٢٩٩

(٤) جيمس هنرى بريستد - فجر الضمير ص٤١٨ - ترجمة د/ سليم حسن - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

والغريب أن دعاة التطور فى الكائنات الحية ، يعتمدون على المعطى اللغوى فى الاستدلال على ما ذهبوا اليه ، وليس على نتائج المعمل التجريبى كمـــا يدعـــون ، والذى هو ميدان بحوثهم التجريبية ، بل هو الأساس الذى يعتمدون عليه فى مســـألة تطور الكائنات الحية على الناحية التى انطلقوا منها ، وبالتـــالى فـــإن اتجاهـــهم إلى الألفاظ اللغوية ، يمثل نوعا من الهرب عن مواجهة الواقع ، كما يمثل اعترافا بالهيـــار الأفكار التى يعتمدون عليها باسم البحث العلمى التجريبى وما هى فيه .

أما دليلنا فى اعتمادهم على اللغة هو قولهم بأن لفظة التطـــور غرســـت فى الأذهان فكرة تدرج الأحياء ورقيها جيلا بعد جيل ، فصار للرقى أساسا طبيعيـــا ، وصارت مخالفته من الفرد والأمة ، أو الحكومة أشبه شيء بخروج على السنن الكونية الطبيعية[1] .

وفى ذات الوقت فإن أصحاب التطور ينسبونه فى كل مراحلـــه إلى الطبيعـــة الصماء الثابتة غير العاقلة ، زاعمين أنها هى التى عملت بنفسها على ترقية الإنسان فى الماضى ، وان واجب المدينة الآن هو العمل على رقى الإنسان وتطوره المســـــتمر ، واعداده للمستقبل[2] .

بيد أننا نميل إلى أنها ليست نظرية علمية ، ولا يمكن تسميتها بها ، وإنما هـــى فكرة ينقصها الدليل المقبول على صحتها علميا ، لأن النظرية العلمية فرض علمى لم تثبت صحته ، أما اذا ثبتت صحته فإنه يكون قانونا علميا[3] ، أو هى فرض محتمـــل لم تثبت صحته من خلال تعريفه أو التعرض له . أما لماذا ؟ فذلك لما يلى :-

---

(١) سلامة موسى – نظرية التطور وأصل الإنسان ص٣٥ – المطبعة العصرية

(٢) إلياس أنطون – تطور الأحياء ص٢١ .

(٣) د/ محمود قاسم – المنطق الحديث ومناهج البحث ص٣١٢ .

[١] أن النظرية العلمية فرض علمى يحاولون القائمون عليه إثبات صحته ، وليست الداروينية ، كذلك بل هى مجرد فكرة تخمينية قامت على مظاهر شكلية ، لم تختبر ، بل و لم يقع لها تجريب أصلا ، وبالتالى فلا يمكن اعتبارها نظرية علمية مقبولة على الناحية العلمية[١] .

[٢] أن النظرة العلمية تقوم على الملاحظة ، والتجربة ، ثم فرض الفروض ، واختيار صحة الفروض ، ثم التنحية للفرض الساقط واستبقاء الفرض الغالب[٢] ، وذلك كله غير متوفر لدى فكرة التطور التى يزعمها الطبيعيون .

☆ وبالتالى فإن قبولها من جانب القائلين بها يدفع إلى القول بأنهم اعتقدوها أولا ، ثم راحوا يتلمسون طرائق تأكيدها ثانيا ، وهو قلب للموازين ، اذ تعرف هذه الأفكار بأنها أسطورة الطبيعة الإنسانية الثابتة ، التى تقوم على أن تصورات المرء الذهنية هى التى تؤثر فى تصرفاته ، لأنهم يعتقدون أنه يجب عليهم أن يتصرفوا على ذلك النحو[٣] .

[٣] أن النظرية العلمية لها منهج يتناسب معها ، وموضوعات بحثية تتعرض إليها وتقوم عليها ، ونتائج تنتظرها ، فإذا وضع الباحث فى ذهنه نتائج مسبقة ، ثم حاول الوصول بأبحاثه إلى النتائج التى وضعها فى حسباته ، فانه يخالف المنهج العلمى ، بل ولا يكون باحثا محايدا فى مجال العلوم التطبيقية التى من أبرز سماتها التجرد العلمى[٤] ، والابتعاد عن التعصب الذهنى ، والموضوعية الكاملة .

---

(١) ستيفن روز وآخرون – علم الأحياء والأيديولوجيا والطبيعة البشرية ص٣١١ .

(٢) وتعرف باسم نظرية الإسقاط والاستبقاء ، كما تعرف باسم نظرية البواقى .

(٣) هربرت – أ. شيللر – المتلاعبون بالعقول ص٢٣ – ترجمة / عبدالسلام رضوان – عالم المعرفة .

(٤) د/ على سامى النشار – مناهج البحث عند مفكرى المسلمين ص١٩٥ .

وفى تعريف فكرة التطور رأينا داروين قد تأثر بجدة أرماس داروين ، الذين أقتبسها هو الآخر بدوره من دافيد هيوم أشهر الملحدين فى عصره[1] ، وكان هيوم نفسه قد أستقبلها من الطبيعيين فى بداية عصر الثورة الصناعية ، وبالذات مع بدايات فرنسيس بيكون مع الفارق بين اتجاه هيوم الشك ، واتجاه فرنسيس بيكون التجريبى .

وطبقا لهذا فإن داروين قد افتقد أصول البحث العلمى ، وتجاهل مناهج البحث فى العلوم التجريبية ، مما يجعل فكرته مجرد تصورات خيالية يكذبها الواقع وتدحضها التجربة ، وتحرمها نصوص الدين ، وترفضها العقول السليمة[2] .

[٤] أن فكرة التطور هذه تلحقها الارتقاء ، ومذهب العشوائية ، أو التولد الذاتى والمصادفة العمياء ، والحتمية المطلقة ، والخوض فيها طالما كان مبعث جدل وخصام بين الشباب المثقف ، بل طالما جر الكثيرين منهم ، ووقف بهم على شفير الالحاد[3] ، وذلك ليس من شأن النظريات العلمية ، وإنما من سمات القضايا الحديثة .

وفى تقديرى أن ما سلف ذكره يجعل فكرة التطور الداروينية ولواحقها ليس من قبيل النظريات العلمية ، وإنما هو وليد الأفكار الشاذة التى تحكم سلوكيات أصحابها ، وتصور وجداناتهم المنحرفة من داخلها ، ومثله لا يعتبر نظرية علمية[4] ، بل ولا يدخل فى نطاقها ،وسوف نعرف بأبرز رجالاتها فى المبحث التالى ان شاء الله .

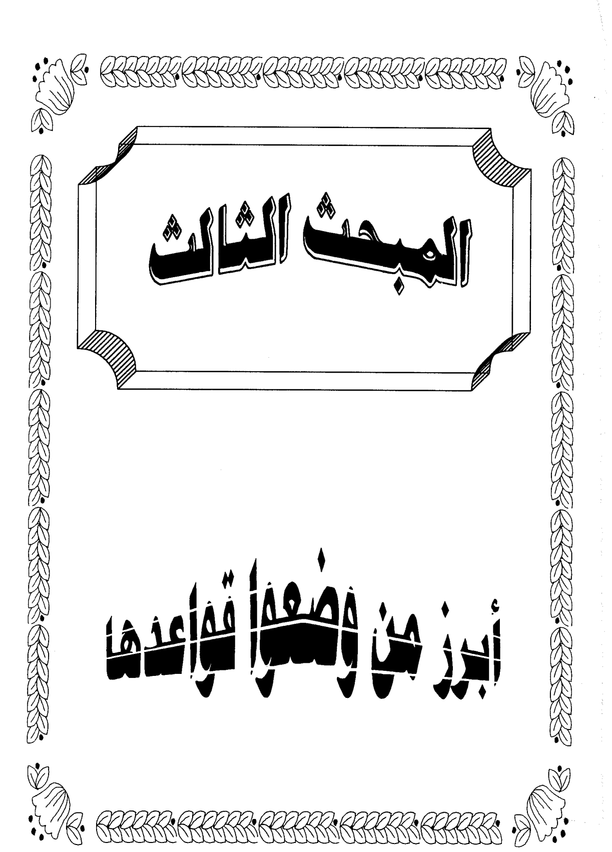
---

(١) الدكتور / أحمد طلعت الغنام - أضواء على نظرية النشوء والارتقاء ص٢٦ .

(٢) د/ فيصل خالد - تطور الكائنات أسطورة ص١٩٥ ط بيروت .

(٣) الأستاذ / محمد أحمد باشميل - الإسلام ونظرية داروين ص٢١ .

(٤) ولا تعتبر كذلك نظرية اجتماعية أو أخلاقية ، لأنها تفتقد الأصول المنهجية التى تقوم عليها تلك النظريات .



المبحث الثالث

أبرز من وضعوا قواعدها

تمهيد

ليس هناك أدنى شك فى أن لفظ التطور القائم فى اللغة ليس هو المراد عنـــــد أصحاب فكرة تطور الكائنات الحية التى تعتمد على أن التطور الاحيائى إنما يتم عـن طريق الانتخاب الطبيعى(١) ، كما أن مسألة التقدم الاجتماعى ، والتطور السـلوكى ليس بمراد أحدهما أيضا عند القائلين بتطور الأحياء وعلى رأسهم لامارك وداروين ، وهيكل ، وغيرهم الذين يذهبون إلى القول بالتطور الحتمى القائم على الانتخـــاب الطبيعى وتنازع البقاء ، وتطور أصول الأنواع(٢) .

من ثم ، فإنه لابد من القول بوجود دعاة لها ، قاموا ومازالوا بتبنى أفكارهـا ، وإعدادها بأشكال مختلفة ، حتى تكون مواكبة للمستجدات العصريـــة ، ومحاولـة عرض الأفكار والأراء ، والدفاع عنها بعد تأكيد قواعدها ، وإقامة أسسها .

فمن هم أبرز دعاة القول بالتطور البيولوجى ؟

والجواب : أن تقديم حصر لهم على وجه الدقة واليقين(٣) ، ليس أمرا سهلا ، بل هو غاية الصعوبة ، لأنه يتطلب التعريف بهم ، بعد حصرهم ، وذلـــك يحتـــاج مجهودات كثيرة فى الشرق والغرب على السواء ، ومن ثم فإننا سنحاول تقديم نبـذة مختصرة عن أبرز ثلاثة منهم أمكننا الوقوف عليهم ، وأعتبرهم الدارسون الأصـــول الأولى ، والرؤس التى أفرغت الفكر فى قالب منطوق مدون ، وظلوا يدافعون عنها .

---

(١) جاكوب برونوفسكى – التطور الحضارى للإنسان – أرتقاء الإنسان ص١٨٤ – ترجمة د/ أحمد مستجير .

(٢) سلامة موسى – نظرية التطور وأصل الإنسان ص٤٦ .

(٣) ربما يكون ذلك ممكنا فى وقت لاحق طبقا لما أنتجته المطابع ، وأفرزته التكنولوجيـــا الهندسـية فى مجـال المعلومات وأنظمتها المختلفة .

فرنسى الأصل ، إلحادي المعتقد ، تجريبى النزعة ، ولد لأسرة توارث أهلـــها المجد ، وأحتفت بهم مظاهر الثراء ، وبات فيهم أمر القيادة قائما[١] ، بل كان والـده أحد النبلاء المشهورين بفرنسا ، الذين يتطلعون إلى أجتياز مناطق الرفعة والوصـــول إلى قمة المجد[٢] السياسى ، أو الأدبى ، أو العلمى ، بحيث يتمكن من قيادة فرنســا ، أو المشاركة فى صنع قرارالها السياسية .

ولد جان بايتسف لامارك لتلك الأسرة ، وكان أبوه محافظا إلى حـــد مـا فأحب أن يلحق ولده بأحد الكليات اللاهوتية حتى يتهيأ فيما بعد لأعمال القيـــادة اللاهوتية التى كان يطمع أبوه فى أن يكون ولده أحـــد أفرادهـــا ، وفارســا مـــن فرسالها[٣] ، بحيث تؤهله فى المستقبل للقيام بأعمال القيادة أو المساهمة فيها .

ولكن الغدو لم يهمل الأب ، فمات[٤] ، وما يزال الولد صغيرا ، فخرج الفتى من كلية اللاهوت ، والتحق بالجيش الفرنسى ، عله يحرز مركزا قياديا فيه كان يعده لمثله أبوه ، طالما أنه لم يتمكن من تحقيق النجاحات التى كان يعلق عليها الآمال أبـوه فى مجال اللاهوت الذى فر منه ، وتخلى عنه .

---

(١) أ/ خالد فوزى – زعماء التطور ص١٧ ط دار منصور .

(٢) وكان ذلك الشأن فى كل أسر نبلاء فرنسا ، حيث كان النظام عندهم يسمح بذلك .

(٣) حيث كان سلكان رجال الكنيسة هو الذى يحمى اتجاهات رجال السياسة ، وبالتالى فرجل الكنيسة يحتـــل مركز أعلى من غيره .

(٤) ويقال أن والده مات بطريق غير معروف – راجع أعلام الداروينية ص٤٣ .

وقد عمل لامارك جنديا فى الجيش الفرنسى ، وخاض معه بعض حروبه ضد الألمان ، ورقى حتى درجة ملازم[1] ، وكان مشهورا بالغيب والقسوة رغم ظهور بعض العلامات المرضية عليه .

غير أن لامارك أصيب بمرض غدى فى أجزاء متفرقة من جسده ، فتم تسريحه من الجيش الفرنسى لأنه لم يعد صالحا للترقية فيه أو الاستمرار فى نطاق القيام بأعبائه ، وهو شأن الجيوش العسكرية التى تحافظ على أفرادها ، وتعنى دائما بصحة كل منهم ، كما تهتم بعقله وفكره ، وما دام قد أصيب بأمراض الغدد الليمفاوية ، فلا يصلح للعمل بالجيش[2] ، ولذا تم تسريحه منه .

لجأ لامارك إلى دراسة الطب كنوع من اثبات الذات ، والتعرف على نوعيات العلل ، وطرق المعالجة ، لكن هذا النوع من الدراسة لم يتوافق مع ملكاته التى باتت عصية عليه فى أغلب الأحيان ، فترك دراسة الطب غير هياب بما ينتظره ، لأن ما تركه له والده كان يوفر له الحياة المعيشية بشيء من الرفاهية[3] ، التى تعود عليها .

تنقل لامارك بين العديد من الدراسات ، وكان فتى عصيا لا يستقر فى دراسة فرع من العلوم الا تنازعه رغبه أخرى فى الانصراف عنه إلى غيره ، لذا نراه يهرب من دراسة الطب ، لدراسة النبات على يد العلماء المشهورين فى ذلك التخصص ، ثم

---

(١) الأستاذ يوسف كرم – تاريخ الفلسفة الحديثة ص٢٩٥ .

(٢) ومرض الغدد الليمفاوية هو المعروف بمرض سرطان الدم ، وحتى الآن لم يتمكن العلم من تقدم حلول ناجحة للقضاء عليه .

(٣) أ.ب – روبرت – أعلام الداروينية ص٤٧ – ترجمة / أمل صبرى – ط دار القلم ببيروت .

يشرع فى دراسة الفلك ، وبهذا استفاد كثيرا ، وصار مستعدا لدراسة العلوم التى تخدم فى ذلك المجال ، وبخاصة بعد توسعه فى دراسة علم الفلك وتمكنه منه[1] .

لجأ لامارك بعد دراسة الفلك إلى دائرة الطبيعيات ، فى محاولة لدراستها ، والتعرف عليها ، وقد نجح فيها حتى دعته الجامعة هناك ليشغل وظيفة أستاذ علم الحيوانات واللافقريات بها ، وكان متمكنا فى دراسته ، واثقا من نفسه ، معتدا برأيه العلمى الذى كان نواة لبناء فلسفته العلمية فيما بعد[2] .

لم يشغله التدريس عن الكتابة والتأليف والاستمرار فى اجراء البحوث والتجارب اللازمة التى شكل نفسه بها ، بل دفعه ذلك كله إلى بذل المزيد من هذا المجهود ، حتى كان له طلابه ، ومن يتعلقون بأرائه ، ويحرصون على افكاره أقتباسا ، ثم ترديدا ، و كذلك كان الحال مع مؤلفاته ، ونتائج أبحاثه[3] .

حاول الرجل البحث المستمر فى علم الحيوانات اللافقرية ، حتى صار له مذهب فيه ، يقوم على أن التولد فى الحياة الأولى كان تولدا ذاتيا من غير احتياج إلى الله تعالى الخالق جل علاه ، فالكون من وجهة نظره لم يكن فى حاجة إلى خالق مدبر عالم حكيم ، طالما كانت المسألة قائمة على التولدات الذاتية فيه .

ويعتبر الدارسون أن لامارك هو مؤسس نظرية التطور والارتقاء[4] ، وأنه الذى وضع قواعدها ، وأقام بناءها ، أما داروين فهو الذى نقلها إعلاميا ، حتى نسبت اليه فى الوقت الذى نسى الناس فيه لامارك .

---

(١) وذلك التخصص أتاح له الانتقال فى أجواء كثيرة علمية لكنها على سبيل التخمين العلمى .

(٢) أ/ خالد فوزى – زعماء التطور ص٢١ .

(٣) أ.ب- روبرت – أعلام الداروينية ص٥١ .

(٤) الأستاذ/ محمد أحمد باشميل – الإسلام ونظرية داروين ص٢٢ .

كما بذل لامارك مجهودات كبيرة فى التأليف ، فأصدر أهم كتبه وهو فلسفة الحيوان تعرض فيه للمذهب الذى يعتنقه مبتدئا بفكرة التطور ، ثم الارتقاء ، معتمدا على بعض الظواهر التى أمكنه التعرف عليها أثناء جولاته التى قام بها فى دنيا البحث العلمى ، وهو صاحب القول بأن أول درجات سلم الكائنات الحية ، والذى هو بداية البداية التى نشأت فيها صور الحياة الأخرى هو البولتيب(1) .

لكن قد تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ، فإذا كان أبوه قد عنى بأن يكون الوليد أحد رجالات اللاهوت ، فإن الوليد يعايش لم يفطن لتلك الرغبة ، وإنما عمل على تدميرها حتى راح الإلحاد ، ويدعو اليه ، دون حياء أو خجل واستحياء(2) .

وقد أعتبره الكثيرون زعيم الجناح الإلحادي من فريق القائلين بتطور الكائنات الحية ، الذى ظل على إذاعة الإلحاد ، والقيام بأدوار خدمته حتى هلك فى عام ١٨٢٩م عن عمر تجاوز الثمانين بقليل(3) .

وقد تتلمذ داروين على أفكاره ، كما استفاد منها ، وعمل على إذاعتها وترديدها ، وبخاصة بعد أن تسلم الراية منه ، نيابة عن الآخرين بعده ، فمن هو داروين الذى ذاع صيته .

الثانى : تشارلز روبرت داروين (١٨٠٩ / ١٨٨٢م)

ولد فى ١٢ شباط ١٨٠٩م ، وكانت نهايته فى ١٩ نيسان ١٨٨٢م(4) ، عن عمر يناهر الثالثة والسبعين ، قضاها فى أبحاث الكائنات الحية ، وظل يتابع الأبحاث

---

(١) الأستاذ/ محمد أحمد باشميل – الإسلام ونظرية داروين ص٢٢ .

(٢) زعماء التطور ص٢٣ .

(٣) عاش لامارك ما بين أعوام ١٧٤٨/١٨٢٩م .

(٤) الأستاذ محمد أحمد باشميل – الإسلام ونظرية داروين ص١٩ .

النظرية والمعملية ، التى لم يقدر لأغلبها الذيوع والانتشار فضلا عن مخالفتها للحقائق العلمية ومصادفتها للأصول الدينية ، ووقوف لرجال الكنيسة فى مواجهتــــها ، إلى الحد الذى دفع إلى تحريمها .

نشأ داروين فى أسرة بريطانية ، بين أم كان والدها صانع خزف نالت قــــدرا من الثقافة ، وكانت ثقافتها تدفعها للعلم ، فلما وضعت وليدها تعلقت به ، وكانت لديها بعض النزعة اللاهوتية ، وقد شاركها والده نفس المشاعر التى ارتبطت بالجانب اللاهوتى ، حتى أن والديه تمنيا إلحاقه بالسلك الكهنوتى متى قدر له أن يتمكن مــــن القيام بأعباء ذلك العمل .

كان والد داروين طبيبا ميسور الحال ، وقد ألتحق داروين بدراسة الطــب فى الكلية الملكية بأدنبر ، وأستمر فى تلك الدراسة لمدة عامين ، ثم قرر أبوه أنـــــه مــــن الأفضل لولده أن يصير قسيسا لاهوتيا[1] .

ألحقه أبوه بكلية يسوع فى كمبردج حتى اذا شب عن الطوق تمرد الفتى علـــى الانخراط فى اللاهوت ، ورفض استكمال الدراسة فى الجانب الدينى ، وقد كان ميله إلى الدراسة العلمية هو الذى غلب عليه ، فظل بتلك الكلية حــــتى تخـــرج منـــها فى ١٨٣٠م ، وهو بعيد عن الجانب اللاهوتى ، بل كان يخفى بداخله عدم رغبتـــه فيه[2] .

وفى عام ١٨٣١م أنضم إلى البعثة العلمية البريطانية فى رحلة حول العالم لرسم خريطة شاطئ جنوب أفريقيا ، عن طريق الإبحار ، وعرض عليه وظيفة موزع طبيعى على السفينة البيحل دون أجر ، استغرقت تلك الرحلة خمـــس ســـنوات تقريبـــا ،

---

(١) جاكوب برونوفسكى - التطور الحضارى للإنسان ص١٧١ .

(٢) أعلام الداروينية ص٥٣ .

وكانت مهمتها الأولى التعرف على عالمى الحيوان والنبات ، وما يحيط بهما من أسرار تمتلئ بها أرجاء الكون[1] فى هذا الجانب الذى هيأت البعثة نفسها له ، وتخصص أفرادها فيه .

انتهت تلك الرحلة التجوالية الإبحارية ، وكانت سنة قد بلغت الثلاثين ، فاراد أن يروى ظمأه العاطفى عن طريق الزواج ، فتم له ما أراد رغبة فى الحصول على أسرة مستقرة ، ودعم مستمر ، ويبدو أنه قد أصابه الكثير من الضجر فى تلك الرحلة ، فأراد تحصيل أكبر قدر من الهدوء النفسى ، والأستقرار العاطفى ، والدفء الأسرى ، فتم له الزواج[2] .

وبعد الزواج قرر داروين الهرب من ضجيج لندن التى سكنها فترة طويلة ، بحثا عن مواطن الهدوء حتى يخلو بنفسه لأبحاثه التى قرر أن يواجه بها سلطة الكنيسة ورجال اللاهوت ، فى محاولة منه لإثبات ذاته ، وزعزعة ثقة الناس فى رجال اللاهوت عنده ، فانتقل من لندن إلى ضاحية داون التى استقر بها ، و لم يفكر فى النزوح منها حتى وافاه أجله[3] فى عام ١٨٨٢م .

وفى داون أعاد الرجل صياغة نفسه ، وبدأ يخرج للناس أفكاره فى شكل أبحاث ومؤلفات مدونة على لغة العلم ، وهى فى مجملها أبحاث قليلة ، ولكن يبدو

---

(١) الأستاذ يوسف كرم – تاريخ الفلسفة الحديثة ص١٢٧ .

(٢) تزوج داروين فى عام ١٨٣٩م من أسرة أرستقراطية حتى يضمن الكثير من الحماية الذاتية .

(٣) مدينة داون من المدن الهادئة ، وتوفى بها داروين فى عام ١٨٨٢م عن عمر يناهز الثالثة والسبعين ، ومن ثم فانه قضى فى داون أكثر من نصف عمره تقريبا .

أنه عمد إلى وضعها فى أبحاث مفردة صغيرة الحجم طبقا للمشكلات التى تعـرض لها ، ثم جمعها فى مكتوب واحد أطلق عليه أسم " أصل الأنواع "[1] .

فى هذه الآونة أمكن لداروين الاطلاع على ما كتبـه لامـارك الفرنسـى ١٧٤٨/١٨٢٩م ، عن التطور والارتقاء ، فلم ترق له آراؤه فيه أول الأمر ، بـل كان يعتبر أقوال لامارك فى المسألة نوعا من السخف الفكرى ، والترف العقلى ، ان لم يكن الهوس الذى يحتاج نوعا من العلاج[2] .

سمحت التجارب التى قام بها داروين بمراجعة قرارتـه السـالفة ، وبخاصـة ملاحظاته فى البحوث الحيوانية والنباتية فأعاد النظر فى تطور الكائنات وارتقائها على النحو الذى ذكره لامارك ، فإذا به يتراجع من العداء لها إلى المحبة ، ومن المقاطعة إلى المواصلة ، ومن النقد لها إلى الدفاع عنها ومقاومة الهجمات التى توجه اليه[3] .

ومن المؤكد القول بأن داروين قد تأثر بتوماس مالتوس ، صـاحب كتـاب مقال عن العشيرة فى الطبيعيات ، الذى ركز على أن الطبيعة تعمل كقوة انتخابيـة يقضى على الضعيف ليتكون نوع جديد من الأحياء الذين يتوافقون مع بنيهم[4] .

بل أنه قام بإعداد مؤلفات فى هذا المجال يشرح من خلالها الآراء التى مال اليها ، وكان منها كتابه " أصل الأنواع " المنشور فى نهاية ١٨٥٩م، الذى تعرض فيـه للحديث عن النشوء والتطور والارتقاء ، ولكنه كان بحاجة إلى المراجعة العلميـة ،

---

(١) يعتبر هذا الكتاب أخطر الكتب لداروين ، اذ ألفه فى سن الشباب الذى يتسم بالتسرع والرعونة والرغبـة فى مقاومة الأفكار القائمة ، بغرض إثبات الذات ، ومحاولة القفز فوق الثوابت ، ولهذا السلوك أخطار عديـدة على القيم والعقيدة والأخلاق .

(٢) الأستاذ/ خالد فوزى – زعماء التطور ص٣١ .

(٣) أ.ب – روبرت – أعلام الداروينية ص٦٣ .

(٤) جاكوب برونوفسكى – التطور الحضارى للإنسان ص١٨١ .

والمراجعة الفكرية ، لأن السمة الغالبة على هذا الكتاب هى عدم تقديم نتائج أكيـدة للمقدمات التى أفترضها[1] ، وكان يطمع فى الوصول اليها .

ثم ألف كتابه " تسلسل الإنسان "[2] ، تحدث فيه عن نفس المسألة التى عـنى بها ، وهى القول بتطور الكائنات على النحو الذى ذهب اليه ، وبمجمل الكتـابين ، والبحوث فى هذا المجال يعطينا صورتين لمجموعة من القوانين التى جعلـها داروين أساس بحثه وهى :

المجموعة الأولي : القوانين الأساسية :

وتقع فى ثلاثة :-

[١] قانون الانتخاب الطبيعى .

[٢] قانون تنازع البقاء .

[٣] قانون بقاء الأصلح[3] .

وهذا الأخير ناتج عن سابقه ، وفى ذات الوقت فإن تلك القوانين الثلاثة هـى المعبر الرئيسى عن فكرة التطور بأجزائها المختلفة ، على النحو الذى ذهـب اليـه داروين نفسه .

---

(١) ويليام بيتر - الهندسة الوراثية للجميع - ص١٥٧ - ترجمة د/أحمد مستجير ١٩٩٦م .

(٢) هو نفس كتاب تحدر الإنسان وأصل الإنسان ، والخلاف فقط فى الترجمة العنوانيـة ، وقـد صـدر عـام ١٨٧١م ، وكان داروين قد تجاوز الستين من عمره .

(٣) سلامة موسى - نظرية التطور وأصل الإنسان ص٥٧ .

المجموعة الثانية : القوانين الثانوية :-

وهى أيضا تقع فى ثلاثة أيضا :

[١] قانون الوراثة .

[٢] قانون الاستعمال والإهمال .

[٣] قانون الملاءمة[١] .

والذى لا شك فيه أن داروين قد أقام الفكرة فى شكل قواعد وقوانين ، بحيث يمكن القول بأنه استنام حول بذور لامارك ، فلما حانت لحظة المخاض أنتظرها ، ثم أستلمها نبتا صغيرا ، فطوى نفسه عليها ، وراح يتعهدها بالرى والإنماء ، حتى بلغت رشدها ، وأحكمت أمرها فقرر أن يظفر بها ، قبل أن يسبقه اليها غيره ، وقد نجح فى ذلك حتى نسبت المسألة اليه ، وصارت تعرف به .

ونحن نرى أن داروين لم يكن موفقا فيما ذهب اليه من الناحية البحثية كما لم يكن محرزا أية نجاحات فى هذا المنهج .

أما لماذا ؟

فلأن المسائل التى تعرض لها هى نفسها داخله فى القضايا الإيمانية من ناحية الحكم عليها ، وقد حسم النقل المنزل القول فيها ، وبناء عليه فان أفكاره وان صحت فرضا فهى ساقطة – عندنا عقلا ، ومرفوضة شرعا ، وعرفا – ولسنا نقبلها أو نرتضى القائلين بها[٢] .

---

(١) راجع – تطور الكائنات الحية ص٤٩ .

(٢) لأنها تصادم نصوص النقل المنزل ، وذلك ينال من صحة الاعتقاد .

بل أن ما ذهب اليه داروين ومن معه فى هذا المضمار أوقع الناس فى حرج دينى شديد ، اذ لا نفعل أن يكون الإنسان العاقل ، والسمكة التى يأكلها ، والقرد الذى يلعب به كلها من مبدأ واحد طبيعى[1] ، وأن عملية النشوء فيهم واحدة من الناحية الطبيعية ، وان عملية الغلبة فقد تمت لأحدهم فانتصر على الآخرين ، حتى صار المنتصر إنسانا .

كما أن ذلك يخالف النصوص النقلية الصحيحة – القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة – التى ركزت فى صراحة تامة ، وتحديد دقيق مبدأ الخلق للإنسان ، وباقى الكائنات الأخرى ، وبينت أنها جميعا من مبادئ متكاملة متمايزة ، راجعة فى وجودها إلى الخالق العليم جل علاه ، ﴿" فتبارك الله أحسن الخالقين"﴾[2] .

ويبدو لى أن داروين كانت تقف خلفه اتجاهات عديدة ، ورغبة فى تصفية الحسابات باسم العلم التجريبى ، تحاول النيل من الكنيسة ، ورجال اللاهوت المسيحى واليهودى على حد سواء ، بدليل أن الأفكار التى نادى بها فى كتبه أصل الأنواع قد أحدثت زلزلة عنيفة فى الفكر ألأوربى ، كما هزت قواعد الكنيسة حتى الكاثوليكية أن رجال اللاهوت أنزلقوا إلى تلك المعركة[3] التى تحولت إلى حملات عنيفة ، لم تفلح الكنيسة فى إحراز الانتصار فيها أو إطفاء تلك النار التى تأججت حولها .

---

(١) وهو الاتجاه السائد لدى القائلين بفكرة تطور الكائنات هذه .

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٤ .

(٣) ولاشك أن هذا التيار الذى ظهر فى أوربا لمقاومة محاكم التفتيش كان قد اشتد عوده ، وظهرت قوته فى الوقت الذى عجزت فيه الكنيسة ورجالها عن احتواء الأزمة أو إصلاح ما أفسده العنف ، أو تهدئة الخواطر الثائرة ، والشباب المندفع باسم العلم ضد الدين والكنيسة تحت شعار التنوير .

وبعد أن تجاوز داروين الستين أعاد مراجعة أفكاره فى كتابه " تسلسل الإنسان " فغير كثيرا من آرائه السابقة ، حتى ذهب إلى أن الإنسان ، والمجموعة الشبيهة به والشمبانزى منحدرات من أصل واحد ، وليست عملية التطور هى التى حولت القرد إلى إنسان[1] ، وهذا تراجع منه بغرض تهدئة الثورة عليه ، ولكنه لم ينزع الفتيل القائم فى الأزمة .

بيد أن الدراس يؤكد وجود جهات كثيرة كانت تقف خلف داروين هذه تؤيده ، وتغذيه ، بل وتدعمه جدا منذ شبابه الباكر ، لم ينل هذا الدعم القوى الأكبر منه[2] ، كما نال بعض الأوسمة كنوع من الدعم المستمر له[3] ، وعضوية الأكاديميات الأجنبية[4] ، وهذا فى حد ذاته كاف للتدليل على ما ذهبنا اليه .

وفى ١٩ نيسان عام ١٨٨٢م انتهت رحلة داروين الحياتية ، ولكن الرجل لم تنته أفكاره ، و لم ينقطع الجدل حول آرائه ، وإنما يحاول الكثيرون أحياء تلك الأفكار ، وعرض نفس الآراء على طلاب المدارس الإسلامية فى جانب علم الأحياء برغم أن أساتذة المادة نفسها يرفضون النتائج التى انتهى اليها داروين نفسه على الناحية العلمية ، ولكن ماذا نصنع مع الذين يحاولون توجيه العقول نحو الأفكار الشاذة والتيارات المنحرفة .

---

(١) وهذا التراجع منه يمثل شيئا من تهدئة العاصفة ، وخوفا من باقى سلطان كنسى لا تحتمله سنه التى تجاوزت الستين بقليل .

(٢) عمل سكرتيرا للجمعية الجيولوجية الإنجليزية اعتبار من ١٨٣٨م ، وظل بها حتى تخلى عنها فى ١٨٤١م .

(٣) نال وسام الاستحقاق من ملك بروسيا فى مجال البحوث التجريبية ، بترشيح من الأكاديمية البروسية عام ١٨٧١م .

(٤) أنتخب عضوا فى الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٧٨م قبيل موته بأعوام أربعة ، وكانت الأكاديمية الفرنسية لا تمنح العضوية لغير الفرنسيين ، ولكنها منحتها له كنوع من الدعم للاتجاه الذى يمثله .

ألماني الجنسية ، الحادي المعتقد[1] ، طبيعي النزعة ، ثائر على كل القيم الإنسانية الراقية ، والأعراف المستقرة ، والأخلاق النبيلة ، فهو شاذ يمارس ألوان الشذوذ المختلفة من غير مراقبة لشيء ، سوى إشباع نزعة عداونية متمكنة منه[2] ، ومتحكمة فيه .

ولد هيكل في عام ١٨٣٤م من أسرة سكنت ألمانيا طويلا ، غير أن تلك الأسرة لم تظهر فيها بعض ملامح النبوغ ، أو مخابل الصفاء في أفرادها ، بل على العكس كانت الظواهر العادية توحي بأن هذه الأسرة ترجع لنظام سلالي فيه الكثير من التمرد الجيني والعصيان الوراثي ، والثورة الدائمة على الثوابت الصحيحة[3] المستقرة عندهم .

تلقى تعليمه الأول في المدارس الطبيعية فقد كان يطمع في أن يكون واحدا من علماء الطبيعة المعروفين ، بل راح يعد نفسه ليكون فوقهم جميعا ، بحيث يكون رأسا لفلاسفة الطبيعة الألمان كلهم ، وقد حرص على بلوغ تلك الغاية مستخدما كل ما أمكنه[4] ، محطما كل ما يحوله عن بلوغ أمانيه ، رافعا شعار " الغاية تبرر الوسيلة "[5] .

---

(١) كان هيكل يعلن الإلحاد في كل مكان ، ولم يكن يستحي أبدا ، حتى صار من المعدودين فيها ، المبرزين في أنه لا يوجد اله سوى الطبيعة ذاتها - راجع ارنست هيكل وفلسفته - د/خيري أحمد ص١٩٧ - دال القلم

(٢) أعلام الداروينية ص٧٥ .

(٣) راجع - مذكرات هيكل ص١٢ ترجمة / خالد ناصر - ط دار المعرفة ببيروت .

(٤) المصدر السابق ص١٥ .

(٥) وهو شعار يمثل نزعة تسلطية عدوانية ، نادى به الجدليون قديما وحديثا ، وهو شعار مرفوض من جانبنا على لغة العلم والدين .

غير أنه متقلب المزاج ، فما أن استقر فى دراسة الطبيعيات حتى نفر منـها ، ثم ابتعد عنها ، بل وراح ينظر اليها نظرة بغض وازدراء ، بحيث كانت النتيجة المحتومة أن هجر دراسة الطبيعيات دون أن يأسف على العمر الذى أضاعه فيها ، أو بذلـه حول دراستها[1] .

تعلق بعدها بدراسة العلوم الطبية ، باعتبار أنهـا مهنـة مربحـة وسـلوك منحصر من وجهة نظره ، وفى ذات الوقت تحقق له الذيوع والانتشار اللذين ينشدها ، وقد برع فى دراسة العوم الطبية ، وأحرز فيها تقدما ملموسا ، حتى حصل علـى درجة الدكتوراه فى ذات التخصص ، بل ومارس مهنة الطب فـترة مـن عمـره، وتكسب من ورائها قوته وماله[2] .

غير أن طبيعته القلقة انقلبت عليه ، و لم يتمكن من السيطرة عليها ، أو كبـح جماحها ، فإذا هو مبتعد عن الطب علما وممارسة ، وبدأ يفكـر فى أن يعـود إلى محبوبته الأولى ، ومعشوقته الدائمة ، وهى دراسة العلوم الطبيعية ، ومحاولة التقـدم المستمر فيها[3] ، بل وأحراز العديد من النجاحات لو قدر له ذلك .

بذل هيكل جهودا كبيرة فى دراسة العلوم الطبيعية ، ويبدو أن أخلص لها هذه المرة بكل ما وسعه من مقدرة على الدراسة ، ورغبة فى التحصيل ، بجانب اصطنـاع الصبر فى دراسة الموضوعات التى يتناولها ، وقد ساهم ذلك كله فى حصوله علـى

---

(١) راجع فلاسفة الغرب الطبيعيين ص١٣٧ .

(٢) ولكن طبيعة الرجل الغير مستقرة لا تجعله يستقر فى أمر حتى يبدأ فى الرحيل عنه ، وهى إحدى علامـات المرض النفسى ، وعدم التكيف الاجتماعى ، والتحول السيكولوجى .

(٣) مذكرات هيكل ص٢٢ .

أكبر قدر منها ، فتم له ذلك فى وقت قصير جدا[1] ـــ إذا قورن بما حصله فى العلوم الطبية .

ومن المؤكد عندهم أن هيكل هذا قد برع فى العلوم الطبيعية حتى صار من المعدودين فيها ، المبرزين فى ميدان دراستها ، وبخاصة عند فلاسفة ألمانيا الطبيعيين ، الذين رأوا فيه تقدما ملحوظا لصالح العلوم الطبيعية ذاتها[2] .

وقد تعددت ثقافة أرنست هيكل ، وتنوعت ، وكان حبه للثقافة يدفعه للرحيل فى طلبها ، فتنقل بين المدن الأوربية لتحقيق تلك ا لغاية ، وسافر إلى برلين ، وفيننا ، ومارسيليا ، ويزوغ ، وغيرها من المدن التى اشتهرت بدورها الثقافى الطبيعى أبان تلك الفترة .

بلغ الرجل شهرة كبيرة فى مجال العلوم الطبيعية جعلته يزاحم الكبار فى مقدمة الصفوف[3] ، لكن المؤسف له أن ثقافة الرجل لم تتناسب مع قدراته العقلية ، وإمكانياته القلبية ، ومشاعره الذاتية ، وإنما كانت ثقافته أعلى ، واعتقاداته فى الحضيض[4] ، **حتى اشتهر عنه :-**

[١] **المجاهرة بالكفر الدينى من خلال الإلحاد العلمى** ، حيث كان يعلن فى غير حياء أنه لا يوجد إله على الإطلاق يقع فى مجال الغيب ، بل أنه لم يعترف

(١) فلاسفة الغرب وكيف نفهمهم ص١٧١ .

(٢) مذكرات هيكل ص٣٧ .

(٣) فلاسفة الغرب الطبيعيين ص١٧٩ .

(٤) وهو شأن دعاة الإلحاد فى كل مكان ، فأى نجم يلمع لهم يسقط مبكرا .

بغيب أبدا[1] ، وكان دائما يقول : » أن الإله هو الطبيعة الملموسة ، ولاشـيء غيرها « ، ولذا اعتبره النقاد زعيم الإلحاد العلمى فى فريق الداروينية .

[٢] **العناد فى نشر الأفكار والمعتقدات** التى يظن صوابها دون مبالاة بعرف قـائم ، أو قاعدة سلوكية ، أو التزام الشرع أبدا ، أو مراقبة لحرمات قائمة ، مما دعـاه إلى إعلان تأليه الطبيعة ، وإنكار وجود الله العظيم جل علاه[٢] .

[٣] **القول بوحدة الوجود الطبيعية** ، بمعنى أن الكون خلق نفسه ، ولم يخلقه إلـه متميز عنه بحيث ينفصلان فى الوجود ، وإنما الوجود هو الطبيعة ، والطبيعة هـى الله تعالى عن قولهم وأمثاله علوا كبيرا . قال تعالى : ﴿ " سبحانه وتعالى عمـا يقولون علوا كبيرا " ﴾[٣] .

[٤] **القول بالتولد الذاتى** بمعنى ، أن خلق الكون لم يصدر عن خالق اله عظيم قادر حكيم سميع بصير له صفات الجلال والكمال والإكرام ، وانما تم هـذا خلـق الكون عن طريق النشوء الطبيعى ، والحركة الذاتية الأبدية ، الملازمة للمادة من الأزل ، وما تزال معها قائمة[٤] .

ورغم أن فكرة التولد الذاتى لا تقوم على أسس منهجية ، بحيث يمكن النظـر اليها بعين التفكير العقلى ، الا أن هيكل رفض الانصياع لكل الآراء المخالفة لـه ،

---

(١) أرنست هيكل وفلسفته ص١١٢ .

(٢) أ/ محمد أحمد باشميل - الإسلام ونظرية داروين ص٤٧ .

(٣) سورة الأسراء الآية ٤٣ .

(٤) القول بقدم المادة وأزليتها قول باطل ، وسوف نعرض لذكره ومناقشته أثناء حديثنا عن الأفكار التى قـامت عليها مسألة تطور الكائنات .

وتناول آراء الناصحين بالتسفيه مما أغضب منه الكثيرين ، وجعل أسهم قبوله بين العلماء فى تناقص مستمر ، وأرصدته متساقطة ، وكذلك صنعت معه الكنيسة .

وفوق ذلك فان أحرار الفكر الأوربى رفضوا أفكار هيكل[1] ، وبخاصة المتعلقة بالقضايا الإيمانية ، كما أن رجال اللاهوت عندهم قد رفضوا أفكاره وأراءه ، وأقاموا الصلوات الخاصة بهم حتى لا تدخل روح هيكل الشريرة إلى محافلهم ، كما منعوا كتبه من التدريس ، ,اصدروا قرارات حرمانية تتعلق به ومؤلفاته .

ترك أرنست هيكل العديد من المؤلفات التى تحمل أراءه فى الطبيعيات وتطور الكائنات ، والدين والسياسة ، والأخلاق ، ورأيه فى الحياة على وجه العموم ، مما يجعلنا نعتبرها ممثلة لفكره وفلسفته معا .

☜ من أهم هذه الكتب التى حملت أفكاره ونسبت اليه ، ولم ينكرها الدارسون له . ما يلى :-

[١] نشوء الإنسان .

[٢] علم التركيب العضوى .

[٣] أحجبة الكون .

[٤] تاريخ الخليقة .

[٥] عجائب الحياة .

[٦] الحلقة الأخيرة .

[٧] مذكرات هيكل .

(١) أرنست هيكل وفلسفته ص١٢٥ .

[٨] الرسم البيانى للشعاعيات .

[٩] محاولات طبية .

[١٠] علم الطبيعة .

[١١] اللافقريات .

[١٢] تطور الكائنات العضوية[١] .

ورغم هذه المؤلفات المتعددة فى مجالات العلوم المختلفة ، إلا أن الله طبع على قلبه ، فلم يرجع إلى الحق ويهتدى للصواب ، كما لم يعلن خروجه على الفكر الفاسد الذى تبناه وقتا طويلا ، وأكد عليه طوال تاريخه الفكرى ، وإنما استمر فيه ، و لم يرجع عنه[٢] .

ولذا فإنى أرى أن عقيدة الرجل لم تكن على المستوى اللائق بثقافته ، مما يؤكد ما ذهبنا اليه من أنه كان ثورى النزعة[٣] إلحادى المعتقد غير سوى السلوك ، لا يعرف للحق المشروع التزاما .

وربما يقال أن تأثره بداروين هو الذى فرض عليه ذلك السلوك اللاايمانى ، كما دفعه إلى ممارسة الإلحاد والإعلان عنه ، ولكن ذلك الاحتمال ضعيف جدا ، بل غير وارد أصلا ، لأن أرنست هيكل كانت حياته غامضة فى أغلب مراحلها ،

(١) هذه الأبحاث هى التى أمكن التعرف عليها والوصول اليها من المصادر التى عنيت بأرنست هيكل .

(٢) أ/ محمد أحمد باشميل - الإسلام ونظرية داروين ص٣٨ .

(٣) مذكرات أرنست هيكل ص١١٣ .

وإمكانياته كحياته فيها التغلب والقلق والأضطراب الكثير ، ومثله لا يؤثر فيه لقـــاء عارض بداروين ، أو حتى لقاءات مقصودة متعددة[1] .

كما أن تلك اللقاءات – على فرض وقوعها – كانت بعد أن بلـــغ هيكـــل النضج العقلى ، اذ حدث أول لقاء بينهما فى عام ١٨٦٦م ، وكان هيكل قد تجاوز الثالثة والثلاثين من عمره ، وصارت له مواقف عقلية وفكرية سابقة على هذا اللقـاء ، وهى طافحة بالإلحاد ، ممتلئة بالكفر[2] ، فدعوى تأثره بداروين فى هذا الجـــانب غير مقبولة ، بل هى تجعل هيكل مجردا معه يجرى خلف بريق زائف لأفكار داروين الإلحادية .

أجل كان أرنست هيكل يقول عن لقائه الأول بداروين " أن ذلك اليوم مـــن أعظم ساعات حياتى[3] " ، وهو مظهر حبه له ، واحترامه لأفكار داروين ، ولكـــن ليس معناه أنه يقلد داروين ، أو يطبق خطة الحادية متفق عليها بينهما ، أو انهمـــا نسخة واحدة فى جسدين .

لما سبق القول به من أن أرنست هيكل كانت لدية النزعة الإلحادية قائمـــة ، وفى أعماقه ضاربة بجذور الإيمان بالمادة ، وتألية الطبيعة ، ومنهج البحث العلمـــى فى الجانب التجريبى فقط ، وعدم الاعتداد بشيء غير محسوس أو قائم على فكرة وجود موجودات غير محسوسة .

---

(١) اتجاهات الفلاسفة فى الغرب ص١١٧ .

(٢) و لم يكن أرنسست هيكل يخفى تلك النزعة الإلحادية ، وإنما كان دائم الاعلان عنها فى غير حيـــاء ، ودون استحياء .

(٣) الأستاذ محمد أحمد باشميل – الإسلام ونظرية داروين ص٤٤ .

انتهت حياة هيكل مع نهايات العقد الثانى من القـــرن العشـــرين ١٩١٩م ، ولكن أفكار ارنست هيكل ستظل تثير السخط من حوله ، وتنادى بالكراهية له[١] ، وسوف تظل فترة ما محل جذب ورفض ، أو قبول أو استنكار شأن الأبحاث الغـــير موفقه .

والى هنا نكتفى بالحديث عن ثلاثة من أبرز الداعين لفكرة التطور ، التى تغنى بها أصحابها ، وحاولوا تفسير نشأة الكون بها ، بل وجعل الطبيعة المخلوقة الصمـــاء بديلا عن الخالق العظيم جل علاه ، وقد فعلت ذلك فيما سلف من سطور ، حـــتى يكون القارئ على إلمام بدعاتها الأوائل ، واتجاهاتهم الفكرية ، وتوجهاتهم العقديـة ، فذلك له شأن مهم فى النتائج التى توصلوا اليها من خلال المقدمات الـــتى انطلقـــوا منها[٢] .

كما انى قصدت بتقديم تلك السيرة الذاتية لأولئك الذين مر ذكرهم من أبـرز دعاة التطور الباطلة ، تقديم نوع من الحصانة الإيمانية ، والحماية الروحية ، لأبنـــاء الإسلام ، حتى لا يظنوا أن هؤلاء الذين أنتجوا فكرة التطور ولواحقها كانوا علـــى قدر من الإيمان والتدين ، أو يحرسهم كثير من الرغبة فى الوصول للحق ، أو تقودهم مصلحة تتعلق بذات العلوم التى أوقفوا أعمارهم عليها ، ثم انتهت إلى لا شيء سوى الخراب والدمار[٣] ، وما هى إلا عصابة من الأشرار ، وقطيع من الأغنام الضالـــة ، والذئاب المفترسة .

---

(١) بل هى بعد موته أشد سخرية ، وأعنف سخطا ، بحيث ترسل اليه اللعنات ، وتوجه على أفكاره الفاســـدة اللكمات .

(٢) من المؤكد أن التعرف الدقيق لاتجاهات صاحب الفكرة ، يعطينا تصورا واضحا للتنشئة بعين علـــى قـــراءة أفكاره بحيث يمكن الحكم عليها بشكل صحيح .

(٣) الفلسفة الحديثة فى ميزان النقد ص١٣٥ .

أضف إلى ما سبق أن زعماء التطور الطبيعي كلما تحدثوا عن مراحل التطــور هذه ، وصور النشوء ، ومظاهر الارتقاء ، فالهم يستبعدون من حساباتهم وجود قوة فيما وراء الطبيعة ، أو فوقها ، وهو الله سبحانه وتعالى ، والملأ الأعلى بدعـــوى أن حالات المادة طبيعية لها ، ولا تحتاج إلى وجود قوة فوقها ، كما أنهم يزعمــــون أن الطبيعة الملازمة للمادة هى التى تخلق ، وتبدع ، وتنوع وتطور ، وتصطفى ، وتبيـــد ولاشيء غيرها(1) يمكن التصديق به ، أو قبوله .

وحيث عرضنا لأبرز الداعين لها ، فليس معنى ذلك أنه توقف الحديث عنها ، أو أنصارها انتهوا وانما معناه ، أننا ركزنا على أبرزهم فى الوقت ظهرت فيه الفكــرة فقط ، حتى نقدم تصورا معينا عنهم ، والظروف التى دفعت بهم إلى ما ذهبوا اليـــــه وما وراء ذلك فله شأن أخر .

وقد ذكر الباحثون من أتباع الداروينية جمعا كثيرا منهم :-

[1] **جوليان هكسلى** : وهو داروينى ملحد يفاخر بالكفر(2) ، ومن أشهر كتبـــه فى هذا المجال : " الإنسان فى العالم الحديث " Man in the modern world .

[2] ألفريد راصل والاسى ١٨٢٣م .

أنجليزى الأصل ، إلحادى النزعة ، متقلب المزاج ، غير سوى السلوك ، ولـــد لأسرة فقيرة لا تملك أسباب الحياة الكريمة ، وكان الفقر يطاردها فى كل مكـــان ، ويبحث عنها فى أى اتجاه ، ولذا فقد عاشت تلك الأسرة فى الهزل كنوع من التعبير عن الظروف المحيطة ، وإعلان الرغبة فى التمرد والعصيان(3) .

---

(1) الأستاذ / محمد أحمد باشميل - الإسلام نظرية داروين ص٥٦ .

(2) الأستاذ / محمد قطب - مذاهب فكرية معاصرة ص٣١٩ .

(3) زعماء الداروينية ص١١٥ .

ولد ولاسس هذا فى تلك الأسرة عام ١٨٢٣م ، وبالتالى فهو أصغـــر مـــن داروين بأربعة عشر عاما ، و لم تكن حياته كريمة أو موفقة ، بل كان فيها البـــؤس والقلق والاضطراب حتى أنه الحق بالمدرسة ، ثم فرضت الظروف نفسها عليه فتركها ، وفى الرابعة عشر من عمره دون أن يحقق فيها تقدما ، وكان عليه أن يكسب لقمة عيشه بنفسه(١) .

وقد رأى والاس مظاهر الفقر والحرمان تفرض نفسها عليهم بقسوة ، وتحيط بهم من كل اتجاه ، وكان له شقيق يكبره فأخذ بيد والاس حتى يعلمه مهنة مســـاح الأرض فى مقاطعات بإنجلترا ، وهى مهنة لا تحتاج إلى تعليم جامعى ، وقد مارســها بعض الوقت ، ولكنها كانت مرهقة فتركها إلى التدريس الخاص(٢) .

لم يوفق فى العمل بالتدريس ، فانتقل للعمل بوظيفة جامع عينات طبيعيــــة ، وهى وظيفة شاذة لأنها تقوم على أن صاحبها يجمع لقمة عيشه من النباتات النائيـــة حتى يمكن بيعها للمتحف ، وأصحاب متاجر العينات فى إنجلترا ذاتها(٣) .

تنقل والاس بين العديد من المدن الإنجليزية ، من مدن ليستر ، ثم ويلز وغيرهما ، ونظرا لطبيعة عمله التى جعلته دائما فى الهواء الطلق ، فقد تمكن من التعرف علـــى العديد من النباتات والحشرات ، وفى إحدى جولاته التقى مصادفـــة برجـــل لـــه أهتمامات والاس ، ولكنه أوسع ثقافة منه ، وأكثر خبرة ، ذلك الرجل هو هـــنرى بيتس صاحب محاكاة عشرات(٤) .

---

(١) والاس – مذكراتى الشخصية ص١٧ – ترجمة صبرى حافظ نشره دار الجبل .

(٢) جاكوب برونوفسكى – التطور الحضارى للإنسان ص١٧٣ – ترجمة د/ أحمد مستجير .

(٣) أ.ب بوترابس – زعماء المذهب الطبيعى ص١٣٥ – ترجمة عزه ناصف .

(٤) هنرى توماس –زعماء التطور الاحيائى من لامارك إلى والاس ص٢٣٥ – ترجمة أمل صبحى .

تجاذبا أطراف الحديث فأخبره صديقه أنه تعرف على الكثير من الحشـــرات ، والنباتات ، حتى أنه جمع بضع مئات من أنواع الخنافس المختلفة وحدها من منطقـــة ليستر وحدها ، وما يزال هناك الكثير لم يكشف عنه[1] ، فقرر والاس أن يكمــــل الدور ، وقد أجاد فيه ، وغامر حتى أنه سافر مناطق كثيرة أملا أن يحقـــق ذلــك الغرض الذى تعرض بسببه للعديد من المشاكل والمضايقات ، ولكن طبيعته المتــهورة كانت تعينه على نفس السلوكيات .

صاغ والاس أفكاره التى تراوده فى أبحاث ، وراح يرسلها إلى من يتوسم فيــه الأهتمامات بالمذهب الطبيعى ، فكاتب داروين ، وقرأ لمالتوس الذى أثــر فى والاس بشكل واضح ، وبخاصة أفكاره عن البقاء للأصلح[٢] .

وقد نجح والاس فى نشر أبحاثه ، بعد عرضها على اللجان المعنية بالطبيعيات ، وهى فى غالبيتها تتعلق بفحص السلوك الإنسانى ، والعظام ثم الحفريـــات والآثـــار بفرض الوصول إلى أن الحياة ابتدأت بالمادة الصماء وأنها فى تطور حيوى مســـتمر ، بناء على أنظمة طبيعية محسوسة ،وليس اعتمادا على قوى غيبية مجهولة .

وقد انتهت حياة والاس بنفس الشكل الدرامى الذى أبتدأت به من غـــير ا، يحفل به أحد ، أو يهتم بجسده المريض مهتم ، وهو نفس النهاية التى كان يبحـــث عنها القلق الذى ظل يطارده .

---

(١) زعماء الداروينية ص١٢٥ .

(٢) التطور البيولوجى يقوم عند أصحابه على القول : [١] بقدم المادة ، [٢] التولد الذاتـــى [٣] الانتخـــاب الطبيعى ، [٤] البقاء للأصلح ، [٥] تنازع البقاء .

وفى تقديرى أن والاس كان حلقة من حلقات المذهب التطورى البيولوجى ، ولو قدر له أن يقرأ كتب الدين قبل أن يطالع أبحاث الطبيعيين ، فربما تغير موقفـــه الإلحادى ، ولو فى قليل ، لكن ذلك الذى تم هو ما ذكرته المصادر .

وقد ركز والاس على القول بأن اعتقاد وجود قوى أو كائنات عن طبيعية إنما هو نوع من الخرافات ، وضرب من الأوهام الموغلة فى القدم ، والـــتى مـــا يـــزال الكثيرون يؤمنون بها[1] ، وبهذا حكم الرجل على نفسه بأنه ملحد .

[٣] مالتوس

[٤] لويس باستير

[٥]ماندل

[٦] **ليسلى أورحل .**

وغيرهما ممن حفلت بهم الدراسات حول المذهب الطبيعى وزعمائه الذى عنى بالحديث عن تطور الكائنات الحية من خلال الانتخاب الطبيعى ، وطريقة التعبير عن دورات الحياة فى صوره كيماوية تربطها بالطبيعة كلها[٢] ، ولسنا نوافقـــهم فيمـــا ذهبوا اليه ، بل نركز على أن الله هو الخالق ، وان ذلك من مقدوراته تعالى وحده .

ونأمل أن يجد هذا التيار الإلحادى عناية ممن تعينهم ظروفهم على الوصول اليه . فما هى أهم الأفكار التى قامت عليها فكرة التطور ولواحقها اذن ؟

ذلك ما سوف نجيب عليه فى المبحث الثالث من هذا الكتاب ان شاء الله .

---

(١) والاس – مذكراتى الشخصية ص٩٥ .

(٢) جاكوب برونوفسكى – التطور الحضارى للإنسان ص١٩٠ .



المبحث الرابع

مراحل التفكير فيها
وأهم الأفكار التى قامت عليها
ومناقشتها

أ- مراحل التفكير فيها

تعتبر مسألة البحث فى بداية الكائنات الحية ، على الجانب التكوينى أو الزمانى مسألة غامضة على العقل البشرى ، لأنه لم يكن موجودا قبلها حتى يزعم إمكانيـــة تقديم تفسير علمى لها ، على وجه ينال القبول فى مجال التطبيق ، والتثبيـــت مـــن الأحكام عن طريق اليقين العلمى(١) .

وطبقا لهذا فلم يحاول الإنسان القديم التعرض لها بشيء من البحـــث الجـــاد والتفصيل الدقيق ، كما لم يفكر فى البدايات التى قامت عليها ، أو لماذا قامت مثلا ؟ وإنما كان تفكيره منصبا على تفسير بعض الظواهر التى يراها ماثلة أمامه ، وهـــى فى ذات الوقت حوليه ، أو فصلية ، كظاهرة المطر ، والفيضان أو البراكين ، والـــزلازل وأمثالها(٢) .

علاقة الفكر بالمسألة البحثية

لكن الفلاسفة القدامى – وهى طبيعتهم – حاولوا انتقاء أسئلة مـــن الـــتى طرحتها عليهم عقولهم حول نشأة هذه الكائنات المرئية لهم كلها ، وكانت تلـــك الأسئلة تفرض نفسها عليهم فى الحاد وتكبر ، بجانب القسوة والعناد ، ولذا فـــهم جمعوا أسئلتهم فى نقاط محددة تدور حول :-

[١] من أين نشأ الكون ؟

[٢] ما الغرض من هذا الكون .

---

(١) راجع كتابنا – خواطر حثيثه فى الفلسفة الحديثة ص٤٣ .

(٢) الدكتور / عوض الله جاد حجازى – تاريخ الفلسفة اليونانية ص٧٢ .

[٣] ما الغاية التي يهدف اليها[1] .

[٤] ما هي العلاقات المتبادلة بين أجزاء ذلك الكون .

[٥] ما هي النهاية المحتومة لذلك الكون[2] .

وكلما حاول باحث تقديم الإجابة لبعضها لم ينجح فى الوصول إلى غرضه ، اذ كانت كل الإجابات قابلة للأخذ والرد ، القبول أو الرفض[3] ، لأنها إجابات نظرية فى محاولة بحث مسائل غيبية ، ومثل تلك الإجابة يأتى الحكم عليها بأنها غير مفيدة[4] فى ذلك المجال البحثى .

وربما يقال أن فلاسفة المصريين القدماء ، ومفكرى الإغريق ، وعلماء الصين والهند ، وما وراء النهر وحضارة بابل ، والرافدين كان لهم جميعا اتجاه واضح فى تفسير المسائل الغيبية ، وتقديم نتائج إيجابية فى المسألة نالت بعض القبول أو حالفها كثير من التوفيق ، أو حظيت باهتمام الدارسين ، فهل كانت تلك النقلة منهم دليلا على تمكنهم من البحث فى هذه المسائل ، وتقديم حلول مقبولة حولها .

والجواب : أنهم بحثوا مسائل مادية تقع أمام عقولهم ، وتدركها حواسهم ، وتحكم عليها الإمكانيات المتاحة لهم ، فقدموا فيها إجابات موفقة باعتبار الظرف الذى وجدوا فيه فقط دون سواه[5] .

---

(١) الدكتور / محمد سيد أحمد المسير – المجتمع المثالى ص٤٥ .

(٢) الدكتور / عبدالرحمن بدوى – خريف الفكر ص١٧٣ .

(٣) وهو شأن هذا النوع من الدراسات ، كلما دخلت فكرة طردت الاثنية .

(٤) الدكتور / أحمد عبده الجمل – تاريخ الفلسفة اليونانية ص٤٣ .

(٥) راجع كتابنا – قضايا حبيسه فى الفلسفة الحديثة ص١٧ .

أما فى المسائل الغيبية التى تتعلق بعالم الغيب فكانت اتجاهاتهم مجـــرد أفكـــار شاردة غير قائمة على أسس موضوعية ، ولذا لم تحفظ المدونات التى وصلت عنـهم كثيرا من تلك التصورات(1) .

كما أن مسألة البحث فى ظروف خلق – الكون – أرضه وسمائه ، علويـــة وسفليه ، مشاهده والغائب ، قد حسمها القرآن الكريم ، و لم يحسمها غيره ، وبـين أنها سابقة على خلق الإنسان الذى يحاول تقديم إجابات فيها ، وإنها أعلـــى مـــن إمكانياته – باعتبار السؤال عن متى خلقت أو كيـــف – الـــتى خلقـــها الله لـــه ، والمعروف أن البحث فيما وراء الملكات يمثل تكليفا بمالا يطاق ، وهو ما ينزه عنـــه الشارع الحكيم جل علاه .

﴿الله﴾ قال تعالى :﴿ " ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفســـهم ومـــا كنت متخذ المضلين عضدا " ﴾(2) .

وبالتالى فان النقل المنزل من عند الله رب العالمين قد حسم الأمر فى المســألة ، اذ لم يكن أحد من الخلائق ، قد سبق له وجود فعلى ، حتى يدرك عمليـــة الخلـــق الالهى للكون ، ويرى كيف تمت ، بحيث يصدر فى النهاية حكما يكون مقبـــولا ، ولو أدعى هذا الأمر فهو غير صادق فيه .

◈ أما لماذا ؟

---

(1) وما ذكر عن البعث والميزان والحساب فذلك مما لم ينل التوفيق اذ هى مجرد تصورات فكرية فى أمور غيبيـــة لا يصلح معها القول بالظن ، كما لا ينفع فيها التخمين .

(2) سورة الكهف الآية ٥١ .

فلأن الضرورة العقلية تفرض عليه أن يكون موجودا قبل خلق الكائنات حتى يراها ، وهى تخلق ، كما تفرض عليه أن يكون مخلوقا معها لأنه ضمن أجزائها ، وذلك ضرب من السفه[١] ، ونوع من الجدل المرفوض ، ومدعيه كاذب .

غير ان بعض الدراسات التطبيقية متى كانت فى أيدى غير المسلمين ، فان كل شيء عندها يقع فى دائرة إمكانية البحث ، فالخالق العظيم جل علاه ، يقع عندهم تعالى الله فى دائرة البحث التطبيقى عندهم ، ومن ثم فقد حكموا بعقولهم الهزيلة بعدم وجوده تعالى[٢] ، " يزعم أنه غير محسوس وهم لا يؤمنون إلا بوجود المحسوسات فقط"[٣] .

ولو أحسن أولئك لانصرفوا إلى البحث التطبيقى الذى يجدون فيه بعض الإمكانيات التى خلقها الله لهم ، أما ما فوق ذلك من الأمور الغيبية والقضايا الإيمانية ، فإن حيلتهم نحوه ستكون ضعيفة ، واحبال الود بهم حتما ستنقطع ،بل أن سفن الإبحار معهم سوف تغرق فى الأوهام ، وتختفى مع الأحلام[٤] .

أجل بدأت الثورة الصناعية فى أوربا كأثر من أثار الفكر الإسلامى أبان عصور النور الإسلامية الذى تسلل إلى أوربا النائمة فأيقظها من سباتها الطويل ، وفتح عيونها الغافية التى انغلقت قرونا متتالية ، وأعلن الآذان فى العقول التى خشيت سطوة الكنيسة ، وأحكام رجال اللاهوت ، فاستنامت للرؤى والأحلام[٥] ، بدل البحث العلمى ، وإصدار النتائج والأحكام .

---

(١) راجع كتابنا – حبو الوليد فى علم التوحيد ص١١٩ فهناك فرق واضح بين القسمة العقلية والضرورة العقلية

(٢) ولتراسترس – تاريخ الفلسفة الوجودية ص١٣٧ .

(٣) الشيخ الرئيس ابن سينا – الإشارات والتنبيهات – النمط الرابع فى الوجود وعلله ص٤٥ .

(٤) وهى النتائج المؤكدة فى مثل تلك الحالات التى لا عاصم لها إلا الالتزام بما شرع الله .

(٥) الدكتور / رفقى زاهر – أوهام الماركسية ص١٣٨ .

غير أن تلك الثورة الصناعية فى أوربا قدمت نتائج بعضها ايجابى فى ميـــــدان الحياة العملية والأخر لم تقدم فيه الا مجرد اقتراحات تحتاج البحث العلمى ، والدعـم الفكرى ، والثبات اليقينى حتى تعاد معالجتها على نحو يقبل التطبيق ، ولا يصـــــادم النصوص الدينية[١] ، طالما كان فى مجال الماديات ، والعلوم التطبيقيـــة علـــى حـــد سواء .

استمر البعض فى دراسة هذا الجانب السلبى ، واستمرأ الكثيرون منهم الخوض فيه ، باسم حرية البحث العلمى مرة ، أو محاولة قراءة الأفكـــار والتعـــرف علـــى الأسرار مرة أخرى ، ولكن ذلك لم يقدر له التوفيق[٢] ، كما أن أصحابه اندفعوا فى الأمر دون أن تكون معهم أدوات السباحة فى ذلك المحيط المتلاحم بالأمواج .

حتى اذا كانت نهايات القرن السابع عشر بدأ الاهتمام بدراسة العلوم الطبيعية أكثر من ذى قبل سواء عن طريق التعرف عليها ، أو تقديم بحوث فيها ، أو محاولـة اكتشاف نتائج لم تكن موجودة من قبل ، فى كل من علم الأحياء أو البيولوجيـا أو الهندسة الوراثية[٣] .

ومع مطالع القرن التاسع عشر حتى نهاياته ظهر - لامارك ، داروين ، هيكـل ، وغيرهم مما يزعمون حرية البحث فى كل شيء ، وإخضاعه للتجربة ، حتى لـــو كان من قضايا الإيمان ، أو ما وراء الطبيعة ، ويطلقون على أنفسهم مصطلح أحرار الفكر[٤] ، فقدموا نتائج أبحاث اعتبروها نهائية ، تقوم على تفسير بداية الكائنـــات

(١) لأن النتائج التى وصلوا اليها ما هى إلا مجرد افتراضات ظنية ، أما النصوص الدينية الإسلامية فهى قطعيـــة ، ولا يحكم بالظنى الفرضى على اليقينى القطعى .

(٢) كان ذلك فى أوربا بقصد النيل من السلطة الكنسية عندهم تحت اسم حرية البحث العلمى .

(٣) د/ ناهد البقصمى - الهندسة الوراثية ص١٢ .

(٤) بعضهم يدعى أنه من التنويرين فى أوربا ، وبعض أخر يسميهم أحرار الفكر فى مقابلة عبيد الفكـــر الـــذى يجرى فى أعراف رجال اللاهوت المسيحى عندهم .

الحية وتطوراتها المستمرة من خلال الصراعات القائمة فى الجينات[1] ، وما يصاحبها .

وحيث قد أسلفنا الحديث عن هؤلاء الداعين لها ، البارزين فى ذلك المجال أبان القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ، فمن المناسب الحديث عن أهم الأفكار التى قامت عليها بالنسبة لهم .

بين الداروينية والماركسية

يجب الأخذ فى الاعتبار أننا نتحدث عن تطور الكائنات الحية التى عرفت باسم النشوء والارتقاء ، ثم التطور ، ولسنا نتحدث عن فكرة التطور الاجتماعى التى تعرف بأنها : العملية التى ينتزع بواسطتها الإنسان وسائل وجوده من العالم الخارجى ، أى غذاءه وملابسه ومأواه ، ويطلق عليها ماركس " عملية الإنتاج " أو شكل الإنتاج ومنهجه[2] .

ومراحل التطور فى فكره التطور الاجتماعى خمس :-

الأولى : مرحلة الشيوعية الأولى وهى أخس المراحل لأنها أدناها :

الثانية : مرحلة الرق وهى أعلى من سابقتها قليلا .

الثالثة : مرحلة الإقطاع وهى أرقى من مرحلة الرق وأفضل منها لأنها تمهد للرأسمالية .

---

(١) الدكتور / عبدالله عبدالدائم - الثورة التكنولوجية ص٢٣٧ - ط عالم المعرفة .

(٢) د- أوسبورت - الماركسية والتحليل النفسى ص٩٢ - ترجمة د/ سعاد الشرقاوى ط دار المعارف .

☸ **الرابعة** : مرحلة الرأسمالية ، وهى أرقى من مرحلة الإقطاع ، وهى تمهيئ لمرحلة الشيوعية .

☸ **الخامسة** : مرحلة الشيوعية المتأخرة ، وهى أرقى من الرأسمالية(١) ، بل أرقى المراحل الخمسة التى يبدو فيها التطور الأجتماعى .

لأن الأولى تعنى بتطور الكائنات الحية من حيث البنية الأصلية ، والخلية التى تقوم عليها ، والمراحل التى تمر بها خلال تلك التطورات المستمرة ، بقصد الارتقاء مع الصراع المستمر فى حدود تنازع البقاء واستمرار الأقوى[٢] ، وهى التى عرفت فى العصر الحديث باسم النظرية الداروينية[٣] ، حين نسبت إلى أحد الداعين لها المحاولين عرض أفكارها ، والدفاع عن أصولها .

أما الثانية : التطور الأجتماعى :- فهى تركز على نوع من سلوكيات الإنسان وحده ، فيما يتعلق بمسائل وجوده فى الحياة ، وعلاقة ذلك كله بالعالم الخارجى المحيط به ، بناء على فكرة بقاء الأنا الذاتى[٤] ، وعدم الانصياع لمتطلبات الأنا الأخر على أساس أن فكرة الأنا الأعلى هى التى تسود على غيرها وتسيطر على باقى الأفكار الأخرى .

وكلتاهما على غير صواب ، لأن الداروينية تخالف النصوص الشرعية المتعلقة ببيان الصورة التى خلق الله عليها الإنسان ، والمادة التى خلق منها والأنسال التى

(١) الأستاذ محمد قطب - ذاهب فكرية معاصرة ص٣٧٥ .

(٢) سلامة موسى - نظرية التطور ص٤٧ .

(٣) من المعروف أن لامارك هو الذى وضع أسسها ، ثم جاء داروين فأعلى تلك الأسس ، حتى صارت قرينة به فى الوقت الذى تم فيه تناسى الواضع الأصلى لها - راجع الإسلام ونظرية داروين ص٤٥ .

(٤) أ.ب. بنستيون - الأنا الذاتى والأخر ص١١٧ ترجمة - لويس عزمى - دار القلم .

قامت عليها ، والمراحل التي تمر بها[1] ، وقد خلقها الله فيها ،وأنشأها عليها من غير ممانعة لشيء من ذلك شرعا .

كما ان الماركسية - التطور الاجتماعى - تصادم الأخلاق الإسلامية[2] ، وذلك حين تحول الإنسان الاجتماعى إلى أنانى مقتنص للمنافع يجرى لمصالحة الذاتية بغض النظر عن مصالح الآخرين ، ومن ثم ينقلب الناس جميعا إلى ذئاب بشرية ، وحيوانات مفترسة تحمل اسم الإنسانية ، وذلك مخالف لتعاليم رب العالمين جل علاه ، فما هي مراحل التطور الإحيائية التي نادى بها أصحاب الداروينية .

---

(١) وذلك وارد فى العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أقرأ الآيات من سورة المؤمنون ، من قوله تعالى ﴿ " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين " ﴾ .

(٢) وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على أن الشرع أوجب احترام رغبات الآخرين ، وتقديم الحب لهم بالشكل الذى يتناسب معهم من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " والله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " .

أ- مراحل التطور الإحيائية

قرر أصحاب القول بفكرة إنشاء وتطور الكائنات الحية ، من المادة الصماء الجامدة التي لاحس فيها ولا حركة ، ولا عقل لها أو غاية ، أنها مرت بثلاثة مراحل ، كل واحدة منها تسلم لما بعدها ضرورة ، طبقا لمقتضيات القول نفسه ، وكل مرحلة منها تقوم على أجزاء معينة[١] .

وذلك يدعونا لتقديم نبذة عن تلك المراحل حسب ما تدلى به جوانح أصحابها المفزعة ، أو تعبر عنه وجداناتهم السلبية ، ونقل عنهم بشكل يؤكد صدوره منهم .

المرحلة الأولى : النشوء[٢] :

وهى تقوم على أن الموجود الوحيد هو المادة العمياء الصماء الجامدة الساكنة ، وهى فى نفس الوقت أبدية أزلية ، لا أول لها ولا نهاية ، ثم حدث انفصال أولى لخلية واحدة غير معينة من تلك المادة الصماء ، عرفت تلك الخلية باسم الخلية الحية الأولى التى تولدت ذاتيا من المادة الأم الصماء بطريق غير معروف .

ثم أن الخلية المنفصلة هذه عن المادة قد وجدت فيها حياة غير معروف مصدرها تميزها عن باقى أجزاء المادة المتولدة منها[٣] ، وهى الخطوة الأولى فى أمر النشوء .

---

(١) إسماعيل مظهر – تطور الكائنات الحية ص١٢ .

(٢) لأن المسألة تقوم على النشوء ، ثم التطور ، وأخيرا الارتقاء فى سلسلة متواصلة – سلامة موسى – نظرية التطور وأصل الإنسان ص٢٧ .

(٣) أدموند .د. سينوت – الخلية والروح ص٧ .

ثم حدث نوع من تلاحق الانفصال الخلوى بعد الخلية الأولى ، فظهرت خلية حية أخرى ، وكل منهما الخلية المنفصلة الأولى ، والخلية المنفصلة الثانية ، خلية أحادية ، منفصلة تماما عن المادة الأم من خلال التولد الذاتى ، والانفصال الأولى الذى لا يمكن تجاوزه أو التخلى عنه كمرحلة طبيعية لذلك النشوء[1] ، وقد استمر هذا الانفصال الخلوى الأحادى على النحو السالف بنفس النمط الفكرى ، ولم يتوقف بعد .

ونظرا لوجود أكثر من خلية واحدة منفصلة من المادة الأم فقد كان من الضرورى وجود نوع من الاحتكاك والاختلاط الخلوى ، الذى جعل تلك الخلايا تشعر بانجذاب بعضها نحو البعض الأخر على ناحية التكامل مع الأصل الأول ، ومن ذلك الشعور الانجذابى ثم الالتصاق والاجتماع للخلايا المنفصلة الأحادية ، بحيث أعقبه النشوء المتكامل بين الخلايا الأحادية ذاتها[2] ، فظهرت فيه صور الأشياء على وجه متكامل ، وبه تم النشوء على الناحية التى يقول بها أصحاب التطور الأحيائى ، ولسنا نوافقهم عليه ، بل نؤكد على بداية الخلق لا يعلمها إلا الله فهو وحده الخالق جل علاه .

المرحلة الثانية التطور[3] .

وبناء على فكرة التقويم الذاتى للخلايا ، أو التولد الذاتى ، أو التحول والتباين[4] ، فان التطور البيولوجى يقصد به كل الخطوات التى تفصلنا عن أسلافنا

(١) أ.ب روفسكى – التطور العلمى ومراحله ص١٦ .

(٢) التطور البيولوجى خطوة هامة ص٧١ وما بعدها .

(٣) والمراد به هنا هو التطور فى مفهوم دعاة الاحيائية فقط .

(٤) هى مجرد اصطلاحات وعناوين قال بها لامارك ،وهكسلى ، وهيكل وداروين ، والنتيجة واحدة .

من القردة العليا الذين شغلوا بضعة ملايين من السنين[1] ، باعتبار أن الحياة بـــدأت بانفصال الخلية الحية من الجماد .

وطبقا لفكرة مبدأ الانفصال الخلوى ، فقد حدثت استجابة ذاتية فى الخليـــة المنفصلة جعلتها تطور نفسها ذاتيا ، حيث صار بعضها نباتا ، والبعض الأخر حيوانا ، والبعض الثالث يعد نفسه لنوع من التطور ، وكانت كلـــها خليـــة واحـــدة فى الأصل ، وهو التطور الأولى[2] ، فى الناحية البيولوجية بعد النشوء .

إلا أن هذه الخلايا المتطورة ذاتيا الموجودة فى صور الأشياء ظلت على الحال ، تنازع فى سبيل البقاء ، وتقاوم نزعات الخصوم الألداء حتى أمكنها أن تجعل فيمـــا بينها اشتراكا مستمرا يترع بها إلى ما فوق مجرد التجمع للخلايا المشتركة ، فظـهرت الأميبا ، والبواليب باعتبارها موجودات فيها شيء من التكامل .

ثم استمرت المسألة فى التطور الأضطرارى ، فظهرت الحيوانات الرخوة الـــتى لافقار لها ، أول الأمر ، ثم تطورت هى الأخرى فصـــارت فقاريـــات ، ثم ذاوت الثدى[3] ، وفى نهاية مرحلة التطور هذه ظهر الإنسان كخطوة متقدمـــة فى ســـلم التطور البيولوجى ، وهو المعروف بالتطور النهائى ، أو التطور التقدمى أو التطـــور الأخذ فى الرقى[4] ، والذى أستمر و لم ينقطع بعد ، من وجهة نظرهم .

ونحن لا نوافقهم عليها ، وسوف نعرض لذلك كله أثنـــاء مناقشـــتنا لهـــذه الأفكار فيما يلى من مباحث أن شاء الله .

---

(١) حاكوب برونوفسكى – التطور الحضارى للإنسان ص٣٤ .

(٢) اسماعيل مظهر – تطور الكائنات الحية ص٢٠ .

(٣) أمل فخرى – الوارثة ونشأة الأنواع ص١٤٥ .

(٤) حاكوب برونوفسكى – التطور الحضارى للإنسان ص١٧٥ .

المرحلة الثالثة : الارتقاء[1] .

وهى تقوم على أن الكائنات الحية التى تولدت من المادة الصماء ، وتم فيـــها التطور السالف و لم تقف عند حالة واحدة ، كما لم تثبت فى مكان واحد ، وإنمـــا أخذت فى التطور الذاتى حتى حدث نوع من التطور العام ، وهو ما يعرف بالارتقاء ، بدءا من الوجود فى صور أصلها أحادى الخلية ، مثل جرثومة الذكر التى تنفصـــل عنه ، وجرثومة الأنثى التى تنفصل عنها ، ثم يحدث ارتقاء لكل منهما - الجرثومـــة الذكرية والجرثومة الأنثوية -، وحينئذ يتم إيجاد كائن حى مشترك بينهما ، وهـــو الجنين الذى ينفصل هو الأخر عن الأم[2] ، ويظل فى رقى مستمر .

من ثم يمكن القول عندهم بأن الكائن الحى فى أثناء وجوده ، فانه يتقـــدم فى نمائه ، متمشيا بتوءدة ، وهوادة نحو استحداث فرد ذى صورة محدودة تماما ، طبقـــا لمفهوم التقويم الذاتى ، والقصدية الآلية القائمة فى ذاتية الكائن الحى ، من خـــلال معيار التطور الحيوى[3] ، دون أحتياج لأمر خارج عن بنية هذا الكائن الحى نفسه .

وربما استخدمت كلمة ارتقاء بمعنى محدد - غير الذى سلف ذكره - يقـــوم على أن الإنسان يتميز على غيره من الحيوانات بمواهبة التخيلية ، ورســـم الخطـــط والابتكارات ، والاكتشافات الجديد ة عن طريق تجميع ملكات مختلفـــة ، وتـــزداد

(١) وهى المرحلة النهائية فى المسألة والذى يظل الأمر معها مستمرا حتى النهاية .

(٢) بينوت - الخلية والروح ص١٣ - ترجمة / إسماعيل مظهر .

(٣) ادموند ، وسينوت - حياة الروح فى ضوء العلم ص٦٢ - ترجمة إسماعيل مظهر .

اكتشافاته حذقا وذكاء ، وهو يتدرب على تجميع ملكاته بطريقــة أكــثر تعقيــدا وعمقا[1] .

وهذا النوع يعرف بالارتقاء التاريخى ، أو الارتقاء الحضارى ، بحيث يتمــيز عن الارتقاء البيولوجى والارتقاء الفيزيولوجى باعتبار أن الارتقاء البيولوجى قـائم فى الخلية الحية ذاتها دون اعتبار لشيء أخر ، أما الارتقاء الحضارى فقائم فى الســلوك الإنسانى ككل ، ولا علاقة له بنشاط الخلية الحيوية من حيث هــى خليــة حيــة بيولوجيا .

ذلك ما أمكننا الوقوف عليه من تفسير وتوضيح لمراحل فكــرة النشــوء ثم التطور والارتقاء حسب ما أدلت به مصادر أصحابها ، وسوف نعرض لها بالمناقشــة فيما بعد .

(١) جاكوب برونوفسكى - التطور الحضارى للإنســان - ارتقــاء الإنســان ص١٤ - ترجمــة د/ أحمــد مستجير ١٩٨٧م .

ب- منهجي في هذه الدراسة

أرى من الضروري الالفات إلى أن مناقشاتي لكل مسألة من مسائلهم التي بنوا عليها القول بفكرة التطور الإحيائي سوف تركز على جانبين أساسيين :-

- **الأول** : بيان المنهج الذي أسير معهم فيه(1) .
- **الثاني** : المناقشة للفكرة المعروضة ، أو القاعدة التي يعتمدون عليها ذاتها(2) .

خطوات المنهج الذي أسير عليه (3) :-

أجل الماديون لهم وجود قديم في التاريخ الإنساني ، باعتبارهم لا يؤمنون إلا بالمادة ، كما أن منكري الغيبيات لا ينقطعون ، ومهما توالت عليهم رسالات الله هداية لهم فالهم لا يهتدون بل عليها يتكبرون ، وللخالق العظيم ينكرون ، وللمادة المخلوقة العمياء ينشدون ، وللطبيعة الجامدة الهامدة التي لا علم لها ولا قدرة فيها يعبدون ، فهم لا يفقهون ، مع أنهم لرجاحة العقل يدعون ، وبربهم يشركون(4) .

بيد أن الجديد الذي نتناوله الآن ، هو شكل الأدلة التي يزعم الإلحاديون أنها تعينهم على ما اليه يذهبون ، وعرضها على الناحية التي يذهب أصحابها اليها ، ويتفقون حولها ، ثم مناقشة تلك الشبهات على نفس الناحية التي أوردوها منها ،

---

(1) بيان المنهج المستخدم هو أفضل طريقة لمعالجة القضايا المطروحة - راجع الدكتور / على سامى النشار - مناهج البحث عند مفكرى المسلمين ص٩٥ .

(2) لأن عرض المسألة أولا يعطى انطباعا بالموضوعية ، كما أن ذلك يهيئ أفضل الظروف للمناقشة .

(3) هناك العديد من المناهج منها : المنهج الوصفى التحليلى ، ثم التاريخى ، وفوق ذلك التجريبى إلى غير ذلك من المناهج التي عنى بها أهل الأختصاص - راجع مناهج البحث الخلقى عند مفكرى المسلمين ص٥٧ - د/ أحمد عبدالحميد الشاعر .

(4) ذلك شأن أهل الإلحاد مهما أختلف أفكارهم ،أو تباعدت ديارهم .

فإن جاءت على ألسنتهم من ناحية المنتج العقلى فتجب المناقشة معهم فيه من هـــذا الجانب العقلى .

واذا عرضوا قضاياهم فى أطر قضايا نظرية تقوم على الجـــدل ، واســتخدام مفردات لغوية تحتمل أكثر من معنى ، فمن الضرورى أن تكون المناقشة معهم بنفس المنهج الجدلى ، مع تحرير محل النزاع أولا ، والاتفاق على استعمال مفردات بذاتها فى معان ثابته تكون محل اتفاق بيننا وبينهم كالشـــأن بـــين المتنـــاظرين[1] فى العلـــوم المختلفة .

أما إذا عرضوا قضاياهم من خلال المنهج التجريبى المعملى ، باعتباره الخطـوة الهامة والحاسمة عندهم والمعول عليه فيما بينهم ، فلابد من استعمال ذلـــك المنـــهج التجريبى فى مناقشة ما ذهبوا اليه ، وبيان ما اذا كانت نتائجهم قـــد وقعـــت مـــن أصحاب المنهج نفسه موقع اليقين والقطع ، أم أنها مجرد وجهات نظر لم تسلم لهـــم على وجه القانون العلمى[2] .

وفى نفس الوقت فانهم اذا عرضوا ما استندوا عليه من خلال الحفريــــات أو الآثار والتراكيب الجيولوجية ، أو الفيزيولوجية أو ما شابه ذلك ، فانه من الضرورى أن تكون المناقشة معهم بنفس الطريق ، وذلك هو أدق طرائق البحـــث العلمـــى ، الذى يعنى بالأصول الدقيقة المتفق عليها[3] .

---

(١) د/ الشرباصى الحسنين البصراطى – خلاصته فى أدب البحث والمناظرة ص٧ .

(٢) شأن القانون العلمى القابلية المستمرة للتطبيق ، وإعادة النظر فيه والتأكد المستمر من نتائجه .

(٣) راجع التفكير العلمى ص١٩ – د/ فؤاد زكريا .

أما اذا جاؤا بقضاياهم من ناحية الهندسة الوراثية أو علم الآليات البشرية ، أو علم الأحياء البيولوجى[1] ، أو المنتج المشترك بين الاتجاهات النظرية والتجريبية فـإن الأمر فى مناقشتهم عندنا لا يخرج عن ذلك الطريق أيضا ، وإلا كنا كمن يضرب فى فلاة يبحث عن قطرة ماء لا وجود لها ، أو كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حـتى حتى إذا جاءه لم يجد شيئا .

ونحن المسلمين لنا منهج محدد فى التعامل مع الأفكار التى تـرد بعيـدا عـن النصوص الإسلام ، تحت اسم الاتجاه المعملى التجريبى أو غيره من تلك المسـميات التى يتغنى بها أصحابها ، ويعنون بذكرها ، ويطوفون فى كل آن بهـا ، ويعلنـون باستمرار عنها .

وسيقوم ذلك المنهج عندى على :-

[١] عرض الآراء التى يذكرها أصحابها من غير تعصب ضدهم ، لأن التعصب ضـد الرأى يفقد الحيدة والحكم النزيه ، او كسر عليهم ، وهو نفس المنـهج الـذى أشترطه الإمام الشهرستانى على نفسه حيث يقول " وشرطى على نفسى أن أورد كل مذهب بما وجدته فى كتبهم من غير تعصب لهم أو كسر عليه "[2] ، وقـد أستعمل ذلك المنهج فى دراسة الملل والنحل ، لا مانع عندنا من اسـتخدامه فى دراسة التيارات الفكرية أيضا .

فان عرض الرأى بدقة - وأن كان مخالفا لما نميل اليه - يساعد على كشـف عوراته ، والابانة عن سلبياته ، وهو نفس المنهج الذى أحاول - مـع نفسـى -

---

(١) راجع علم الأحياء والبيولوجيا الحيوانية .

(٢) الإمام عبدالكريم الشهرستانى - الملل والنحل جـ١ ص١٧ - تحقيق أ. عبدالعزيز محمد الوكيل .

الالتزام به ، حتى لا أظلم أحدا فيأخذني بتلابيبي يوم لقاء الله ، وربما يقول : يا رب هذا رجل ظلمني فخذ لى منه ، فماذا أنا فاعل إذن[١] .

[٢] مناقشة تلك الأراء من خلال القواعد التي يقولون بها حتى لا يكون الأمران – أمر العرض للأفكار ، وامر المناقشة – متخالفين ، ثم عرض الأدلة الأخرى التي تعين على كشف عيوب المذاهب المادية بأنواعها ، بحيث يفقد أصحابها رغبتهم فى التمسك بها من الناحية العلمية(٢) ، أو يعجزون عن دفع الشبه والانتقادات التي ترد عليهم .

ثم بيان موقف الإسلام من تلك المسائل المعروضة باسم العلم مرة ، والتقدم أو التطورات مرات ، حتى يعرف المثقف أن هذه المسائل وأمثالها ، فيها ما هو متعلق بالحرام على الناحية الشرعية ، وهو غير مقبول عندنا ،ومنها ما يقع فى دائرة الاباحة أو الحرمة ، فضلا عن الكراهة والندب إلى غير ذلك مما هو وارد فى الأحكام ، أو الإباحة الشرعية ، ومدون فى كتب أصول الفقه .

كما أنى سأبذل جهدى الضعيف فى التأكيد على ان هذه الأفكار لو اتجهت إلى تفسير الجانب الفيزيقى من غير إنكار لوجود الغيبيات أو الميتافيزيقيا ، وأمنوا بالله رب العالمين ، وسيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين واعتبار أن هذه الأبحاث مجرد أفكار لا علاقة لها بالدين ، ومن غير تعرض لنصوصه ، ربما كانت مقبولة ، وذلك ما سوف يظهر المناقشة التي نقوم بها فيما بعد . فما هى أهم هذه القواعد التي قامت عليها فكرة تطور الكائنات عند القائلين بها ، ومناقشتها ذلك ما سوف نلتفت اليه ان شاء الله تعالى .

---

(١) الشيخ عبدالوهاب النجار – قصص الأنبياء ص١٩٥ .

(٢) لا يقال أننى أصادر على المطلوب ولكنى أحاول اثبات المطلوب ، وهو المنهج العلمى .

جـ أهم القواعد التى قامت عليها ومناقشتها :

تقوم فكرة تطور الكائنات الحية ، أو التطور الإحيائى عند القائلين بها على مجموعة من القواعد أو النواميس التي أمكن لهم تسميتها وتحديدها ، وبيان موضوعاتها والمسائل التي توجد فيها .

نذكر من تلك القواعد أبرزها وهى :-

[١] القول بقدم المادة وأزليتها .

[٢] القول بالتولد الذاتى ، أو التحول والتباين .

[٣] القول بالانتخاب الطبيعى ، أو الاصطفاء النوعى .

[٤] القول بتنازع البقاء .

[٥] القول بأن البقاء للأصلح .

[٦] القول بقاعدة الوراثة .

[٧] القول بقاعدة المطابقة(١) .

وسوف نعرض لها بالتفصيل الذى يوفقنا الله تعالى اليه مقدمين عرض القاعدة عندهم أولا ، ثم مناقشتها من خلال المنهج الذى سبقت الإشارة اليه .

---

(١) هذه القواعد بعضها من وضع لامارك ، وبعضها من وضع داروين ، وبعضها لهكسلى .

الفكرة الأولي : قدم المادة وخلقها لنفسها[1]

أ- عرض المسألة :

ذهب هؤلاء إلى القول بأن المادة قديمة ، وأن وجدت نفسها بنفسها ، ويستحيل أن تكون قد وجدت من العدم ، أو تنتهى إلى العدم ، بدعوى أن العقل لا يمكن أن يتصور مادة تتلاشى إلى درجة العدم ، فكيف يحكم بوجودها فى زمن من الأزمان فى حالة لا يمكن أن تصير اليها[2] ، وما لا يوجد من العدم لا ينتهى أبدا إلى العدم .

وبنا عليه فإنهم يركزون على أن المادة قديمة ، وهى عندهم أزلية أبدية أيضا ، وأن لها تحولات ذاتية ، وليست بدايات عادية أو نهايات متوقعة تصل إلى حد الوقوع فى العدم ، ومن ثم فليس للكون نهاية ، ولا بداية ، ولا حدود ، والعالم أبتدأ وسيتمر ليس له بداية ، ولن تكون له أية نهاية[3] ، وأنه أوجد نفسه ، ومستمر فى تطورات نفسه من البدائية إلى استمرار الارتقاء الدائم ، ولا شيء غير المادة يقوم بذلك .

وطبقا لهذه الفكرة انتهوا إلى استحالة وجود موجودات غير ماديه ، فضلا عن الإيمان بها ، لأنه اذا لم يوجد شيء فى الكون سوى المادة فانه لا يوجد غير عالم

---

(١) هذه الفكرة يتفق عليها كل الملاحدة سواء منهم القائلون بالتطور الطبيعى فى الكائنات الحية ، كالداروينية ، أو اصحاب التطور التاريخى كالماركسية ، أو التطور الجدلى كالعلمانية ، ولذا فهى قاسم مشترك ينهم .

(٢) العلامة الشيخ القاسمى - دلائل التوحيد ص١٧ ، وقدم رحمه الله العديد من الأدلة على ابطال هذه الفكرة من العقل والنقل ، كما قدم العديد من الأدلة على وجود الله تعالى .

(٣) سبركين وياخوت - أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ص٣٩ - ترجمة الأستاذ محمد الجندى .

مادى واحد ، وان تفسير الظواهر والأشياء المختلفة فى العالم الذى يحيط بنا يجب ارجاعه إلى شيء واحد ، هو خاصية المادة فى قدمها وأزليتها[1] .

كما أهم يقررون أن العلم يكشف عن الصلات الطبيعية بين ظواهر الطبيعة ، وفى نفس الوقت فان العلم يطرد فى تطوره الطبيعى فكره الإيمان بوجود الإله من الطبيعة ذاتها ، والعلم يتفق مع المادية فى بحثه عن الحقيقة فى الحياة ذاتها وفى الطبيعة ، كما أنه يفسر الظواهر الطبيعية والمجتمع معتمدا على القوانين الموضوعية[2] ، دون التفات لشيء أخر .

أضف إلى ما سبق أن هذه الفكرة – القول بقدم المادة وأزليتها – يتفق فيها الماديون جميعا ، سواء كانت مادية معملية كالدارونية أو مادية نظرية كالماركسية والعلمانية الذين يقررون " انه لا ينشأ فى الطبيعة شيء من لا شيء ، ولا يختفى أبدا شيء بلا أثر وبالتالى فان الطبيعة المادية قد وجدت دائما ، وستظل[3] . .... **اما لماذا ؟**

فلأننا اذا سلمنا بأنه فى وقت من الأوقات لم يكن هناك شيء فى العالم ، فمعناه أنه لم تكن هناك مادة موجودة ، فمن لها أن تنشأ المادة إذن ؟ ولكن ما دام المادة موجودة ، فمعناه أنها لم تنشأ فى أى وقت من الأوقات ، بل وجدت دائما وستظل قائمة ، فهى أبدية خالدة ، ولا يمكن أن تخلق أبدا ، لأنه يستحيل أن يخلق

---

(١) قياسات الزمن ص١٤٧ .

(٢) ف- كيلى م- كوفا لزون – المادية التاريخية ص٥٠٠ – ترجمة أحمد داؤد ط دار الجماهير بدمشق ١٩٧٠

(٣) كارل ماركس – بؤس الفلسفة ص١٩٧ .

ما لا يمكن إفناؤه ، وبذلك فالمادة لم تنشأ أبدا بل وجـــدت دائمـــا ، وســـتوجد باستمرار فهى أبدية أزلية(١) .

وبما أنهم قالوا بأزلية المادة فقد أنكروا وجود الخالق العظيم جل عـــلاه(٢) ، زاعمين أن فكرة وجود الله تعالى الغير مادى فقدت كل محتواها و لم يعد وجـود الله أو عدم وجوده – تعالى الله عن قولهم مسألة تستحق المناقشة ، فهى مجرد فــرض لا يقدم نفعا ، وقد أسرف هؤلاء حتى قالوا يجب القول ، بأن فكـــرة وجـــود الله ، والديانة الروحية ما هما الا ظاهرتان انسانيتان فقط لأن العنصر الالهى هو من إبـداع الإنسان نفسه ، وليس الإنسان هو الذى من إبداع الله(٣) ، وهو كفر صريح بـــالله رب العالمين ، وخروج بالعقل عن دائرة التفكير السليم .

وفى تقديرى أن القول بقدم المادة وأزليتها ليس وليد اليوم ، أو مـــن بنـــات أبكار هذا العصر الذى نعيشه ، وأنما هى كفكرة قديمة ، صاحبت الفكر المادى منـذ مراحله الأولى ، سواء فى بـــلاد الإغريـــق ، عنـــد ديمقريطـــس ، انكســـمانس وانكساغوراس ، وغيرهما من نفس الجيل ، و لم يقف أمر واحد منهم بها عند حـــد القبول(٤) ، وإنما كانت مجرد تخرصات لا يقين فيها .

بل كانت كلما طرأت الفكرة فى ذهن واحد منهم فدونها أو أعلن عنـــها ، جاء الثانى فهدمها وأزال ما كان أصلا لها(٥) ، وتاريخ الفكر الفلسفى يشهد بذلـك

---

(١) أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ص٣١ .

(٢) الدكتور / سيد أحمد رمضان المسير – الـــزام القـــرآن للمـــاديين والمليـــين ص١٣ . ط ١ دار الطباعـة المحمدية ١٣١٩هـ–١٩٧٩م

(٣) جورج بوليتز وآخرون – أصول الفلسفة الماركسية ط١ ص٢٠٦ – ت شعبان بركات ط بيروت .

(٤) د/ محمد غلاب الفلسفة الإغريقية ص١٤٥

(٥) راجع تاريخ الفلسفة اليونانية – أ.د/ عوض الله حجازى ، والدكتور / محمد السيد نعيم ص١٧ .

الدور الذى استمر مصاحبا للتيار المادى الالحادى ، فى بلاد الإغريـــق كلـــها دون منازعة ، سواء كانت أثينا ، أو اسبرطه ، أو غيرهما من الحواضر اليونانية آنذاك .

ب- مناقشة الفكرة :

والمحصلة النهائية لما سلف ذكره هى أن القول بقدم المادة أو أزليتها ، وعـــدم احتياج الكون إلى خالق مدبر عالم حكيم ، قد انتهى فى ذهن القائلين به إلى ضرورة القول بأن المادة حادثه ، وليست قديمة ، ,انها مخلوقة وليست خالقة ، وبالتالى فـــان لها خالقا عالما حكيما هو الله رب العالمين وأن لم يعلنوا عن هذا الـــذى يجـــرى فى أفهامهم . قال تعالى ﴿ " هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين " ﴾[1] .

أضف إلى ما سبق أن أصحاب الإلحاد يجمعهم اتجاه ، وهو الكفـــر بالإلـــه باعتبار أنه غيب غير محسوس بالنسبة لهم ، ولذا رأينا الإغريق يبحثون عـــن أصـــل الكون فى المادة سواء كانت التراب أو الهواء ، أم النار والماء ، أو هى مجمل هـــذه الأربعة التى عرفت بينما فيما بعد باسم الاستقصات الأربعة[2] عندهم .

كما رأينا الطبيعيين يتحدثون عن قدم المادة وأزليتها ، حتى أنتهوا إلى إلغـــاء القول بوجود الله خالق عظيم مدبر ، حين قالوا أن هى الا أرحام تدفـــع ، وارض

---

(١) سورة لقمان الآية ١١

(٢) كان بعض مفكرى اليونان يبحثون عن أصل الكون لا عن خالقه ، فذهبوا إلى أن أصلها هى العناصر ذاتهـا ، ولكنهم فشلوا فى التدليل على صحة الفروض التى زعموها ، وهو فى حد ذاته شاهد على عجزهم ، وعدم دقة أبحاثهم .

تبلع ، وما يهلكنا الا الدهر ، فهو المحى والمميت ، وهو الطبيعة ذاتها[1] ، ولا شـــيء غيرها ، يمكن قبوله أو التسليم بوجوده .

وقد صور القرآن الكريم تلك الأفكار التى عاشت فى رؤسهم ، ثم بين فسادها ، فقال تعالى ﴿ " وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم إلا يظنون " ﴾[2] ، وبالتالى انتهت أفكارهم وتســـاقطت على ميزان الحق أهواؤهم ، وبان كذبهم ، وضلال أفكارهم بحكم العقل والواقع بعد حكم الشرع الإلهى .

وسوف نحاول مناقشة تلك الفرضية من النواحى الاتية :-

١ـ ناحية الضرورة اللغوية :ـ

أصحاب القول بقدم المادة وأزليتها ، يعتمدون على ظواهر اللغة التى تستخدم لفظ القدم فى معنى مالا أول له ، أو الغير مسبوق بالعدم[3] ، ونحن لا ننـــازع فى أن لفظ القدم من ألفاظ اللغة العربية ، ولكنا نرفض حصر القدم فى مفهوم واحد بعينـــه مما سولت لهم به أفئدتهم ، لأن القدم أنواع :

النوع الأول : **القدم الذاتى :-** وهو ما يخص الله تعالى الخالق العظيـــــم ، رب العالمين جل علاه ، فقدمه لذاته ، باعتباره صفة من صفات ذاته جل علاه ، وهو

---

(١) الأستاذ جمال الدين الأفغانى - الرد على الدهريين ص١٧ .

(٢) سورة الجاثية الآية ٢٤

(٣) وهذا مجرد فهم ضيق لمفهوم القدم ، فان القدم وصف له العديد من الاطلاقات - راجع كتابنـــا - حبـــو الوليد فى علم التوحيد ص٢١١ .

وحده صاحب القدم الذاتى ، وهذا ليس فى زمان ، ولا يحتاج مكان ، ولا غير ذلك مما هو من صفات المخلوقات(١) .

❂ **النوع الثانى : القدم الزمانى** :- وهو مخلوق يخص الخلائق كلها ، ويقع فى دائرة الزمان الفلكى ، وفى حدود أقسامه من الماضى والحاضر والمستقبل ، وفيه يتم التناسب مع الحوادث مرتبطة بالتغيرات التى وجدت فيها(٢) ، ويعرف بالزمان الفلكى(٣) .

❂ **النوع الثالث : القدم بالغير** :- وهو ما يخص المخلوقات السابقة على خلق الزمان الفلكى ، فهى قديمة لأن خالقها ، وهو الله تعالى قديم ، لكن ليس معنى ذلك أن قدمها ذاتى لها ، وإنما هو قدم إضافى ، غير أنه مفرغ من فكرة الزمان الفلكى ، ومع ذلك فهو داخل فى إطار مفهوم الزمان المقدر فى علم الله تعالى(٤) الأزلى .

وبناء عليه فان الضرورة اللغوية تشهد بأن القدم ليس معناه ما لا أول له مطلقا ، وإنما هو لفظ يستخدم أوصافه من الإضافة اليه ، أو السبق عليه ، ومن ثم فاحتجاج القائلين بقدم المادة لا تساعدهم الألفاظ اللغوية عليه ، بل تعاندهم وتؤكد غير ما ذهبوا اليه ، وأن المادة حادثة ، وبالتالى فالمادة ليست قديمة قدما ذاتيا مطلقا ، وإنما هى قديمة زمانيا فتكون حادثة(٥) ، لأن أجزاء الزمان المحتوى لها حادثة ، وكل

---

(١) د/ سليمان سليمان خميس - محاضرات فى العقيدة ص٣٧ - مطبعة عطايا .

(٢) أ.ب سيزمان - فكرة الزمن وتطورها ص٩٥ - ترجمة مرسى خيرى - بيروت ١٩٧١م .

(٣) الزمان أنواع منها [أ] الزمان الفلكى ، [ب] الزمان المقدر فى علم الله الأزلى ، [جـ] الزمان البيولوجى .

(٤) راجع كتابنا - الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى ص١١٩ .

(٥) د/ أحمد عبدالخالق - الإسلام والفكر المنحرف ص١٣ .

ما كان حادثا من حيث المحتوى كان حادثا باعتبار الداخل فيه ، بحيث ينتهى الأمـــر إلى أن القديم الواحد هو الله تعالى ، ولا يشاركه فى ذلك القدم الإلهى أحد أبدا .

٢- ناحية الضرورة العقلية :-

يعتمد القائلون بقدم المادة وأزليتها ، وعدم الاحتياج إلى الخالق العظيم جـــل علاه على أحكام ينسبونها للعقل ، ويظنون أنها عقلية ، ونحن لا نمـــانع فى إحكـــام العقل السليم ، ولكنا نستدل أيضا بأحكام العقل على أن المادة مخلوقـــة وحادثـــة وليست قديمة أبدا[1] ، ولا خالقه أو أزلية ، وذلك بناء علـــى حكـــم الضـــرورة العقلية .

فإن المادة لو كانت قديمة ذاتيا ، لكانت هى التى خلقت نفسها ، ولو كـــانت هى التى خلقت نفسها ، لكانت فاعلا – باعتبار أنها الخالقة – لغيرها ، وفى نفـــس الوقت كانت مفعولا – باعتبار أنها مخلوقة – لغيرها[2] ، وفيه تقدم الشـــىء علـــى نفسه ، وتأخره على ذات النفس فى نفس الوقت وهو محال عقلا ، ولا يقول بـــه الا من فقدوا القدرة عل التفكير الصحيح .

وبالتالى فزغم أن المادة هى الأصل الذى انبثقت منه الكائنات الحية وغير الحية بما فى ذلك الإنسان ، وأن المادة هى الخالقة لها جميعا ، وانها لم تخلق ، إنما كـــانت موجودة وستظل دائما موجودة[3] ، أمر يناقض البدهيات ، ويطعن عليها ولا يقول به صاحب عقل يعى ما يقول أو يفكر فيه ، فضلا عن أنه يدعى قدرته على تســـور الغيب الماضى ومعرفة أسراره .

٣- ناحية الضرورة العقدية

(١) راجع كتابنا – حبو الوليد فى علم التوحيد – أثناء الحديث عن الضرورة العقلية وأحكامها .

(٢) د/ سليمان دنيا – التفكير الفلسفى الإسلامى ص١٩٥ .

(٣) الأستاذ / محمد قطب – مذاهب فكرية معاصرة ص٢٧٢ .

من المعلوم أن العقيدة الإيمانية هى اسمى ما يحافظ عليه المؤمن صحيح الاعتقاد فى الله رب العالمين الواحد المنزه عن كل صفات النقص ، المتعالى عن ألوان الأحتياج ، صاحب الجلال والكمال والجمال والإكرام[1] ، وهو الله ﴿ " فتبارك الله أحسن الخالقين " ﴾[2] .

وهذه الضرورة العقدية تفرض على المؤمن بالله رب العالمين الالتزام بما تأتى به نصوصها ، من توحيد البارى ، وتنزيهه ، ووصفه تعالى بما وصف به ذاته الكريمة ، من غير زيادة عليها ، أو نقصان منها ، أو تحريف لها ، أو تبديل فيها ، سواء فى النصوص التى تنقلها ، أو الفكر الذى يخدمها[3] ، أو الاتجاه الذى تسير فيه .

وهذه العقيدة الإيمانية توجب وصف الله تعالى بأنه وحده الخالق المتعالى الذى لا يقبل التركيب ، أو التجزئة ، كما لا يقبل الحلول به ، أو الاتحاد فيه ، ﴿ " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " ﴾[4] ، وطبقا لهذا فان اعتقاد القول بقدم المادة قدما مطلقا يؤدى إلى اعتبارها خالقه " بمعنى من المعانى[5] ، وهو الذى يرفضه العقل السليم ، والفطرة الصحيحة .

◈ أما لماذا ؟

لكن أليست المادة قابلة للتجزئة والتركيب والإضافة الدائمة ، أو الإنقاص المستمر والزيادة كذلك ، فهى اذن مفعول بها مخلوقة وليست فاعلة فى غيرها أو

---

(١) الأستاذ الشيخ القاسمى – دلائل التوحيد ص١٩ .

(٢) سورة المؤمنون – الآية ١٤ .

(٣) النقل المنزل هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة – وهو النص الثابت عن الله تعالى ، اما محاولات تفهم النقل الإسلامى فهى الفكر الإسلامى ، والفرق بينهما كبير جدا .

(٤) سورة الشورى الآية ١١ .

(٥) الأستاذ / محمد قطب – مذاهب فكرية معاصرة ص٢٧٩ .

خالقه له ، ولا يكون القابل للتركيب والكثرة ، أو التجزئة والبساطة الهـا خالقـا أبدا[1] ، إنما هو مخلوق ضعيف تجرى عليه صفات المخلوقين كضرورة عقدية لا غنى عنها لمسلم أبدا ، فضلا عن أن يكون مفكرا ملتزما .

ثم أن القول بقدم المادة ربما انتهى إلى أنها كاملة فى ذاتها لا يعتريها نقـص ، وأنها ثابتة لا ينالها تغير ، وأنها قوية لا يصيبها ضعف ، ومعنى ذلك أن دعاة الفكـر المادى يخلعون على المادة ما يجب لله تعالى من كمالات ، وهـذا ليـس بصحيـح أبدا[2] ، ولا نسلم به نحن المسلمين .

◈ أما لماذا ؟

فلأنا نعلم أن المادة هى الحقل الخاص لميدان العلم التجريـبى ، وقـد بلـغ التحكم فى المادة مبلغا عظيما ، افاد البشرية فى مختلف المجالات ، حتى اصبح كـل انسان يستمتع بمنتجاتها ، وأجهزتها الحديثة ، رفاهية لم يحلم بها الإنسان من قبـل ، وطبقا لهذا فلو كانت المادة تتمتع بالوجود من ذاتها ، لا ستعصت علـى التجربـة والمعمل ، ولما استطاع أحد – كائنا من كان – أن يسيطر عليها[3] ، أما وأنه أمكن السيطرة عليها ، فإنها تكون مخلوقة لا خالقة .

٤ـ من ناحية تحولات المادة :

أصحاب القول بأن المادة قديمة يحاولون التأكيد على أن فيها تحولات تتـم فى المادة من خلال المادة ذاتها ، ولكن ما معنى أن المادة فيها تحولات ذاتية ، ثم ما معـنى

---

(١) العلامة السيد الشريف الجرجانى – شرح المواقف – الموقف الخامس ص٢٣٧ .

(٢) الدكتور / عبدالمعطى محمد بيومى ، الدكتور / أحمد عبدالحميد الشاعر – الإسـلام والتيـارات المعـاصرة ص٩٧ – ط٢ المكتب الحديث للطباعة والنشر .

(٣) المصدر السابق ص٩٧ .

هذه التحولات ؟ وما الغاية منها أن وقعت ؟ وهى أسئلة يصعب أن تجـــد لـــدى الماديين إجابات عليها ، بحيث تؤدى إلى القناعة العقلية[1] ، التى تجعل المرء ينظر اليها بعين القبول أو الاعتبار .

بيد أننا نلاحظ تحولات المادة فنراها تتم على وجه فيه الكثير مـــن التعقـــل والرويه ، والأكثر من النظام والإتقان والأحكام ، الذى لا يكون الا من خلال علم شامل محيط ، وقدرة قاهرة ، وإرادة نافذة ، وذلك كله لا يمكن القول بأنه موجــود فى ذات المادة الثابتة الصماء الجامدة لأنها تفتقده أصلا .

فثبت أنها ليست عاقلة ، ولا خالقة ، بل ولا قادرة على إحداث تحـــولات ذاتية فيها ، وإنما مرجع ذلك كله إلى الله رب العالمين ، ومن هنا لزم الإيمان به تعالى وأنه موجود خالق عظيم ليس قابلا للتجريب أو غيره منزه عن كل ذلك ، وأمثالـــه من صفات المخلوقين – فتبارك الله رب العالمين .

وطبقا للذى مر يمكن القول بأن التطور على هذا النحو مجرد فرض يعـــوزه التحقيق العلمى ، وان كل ما التمسوه من أدله لا يرقى به إلى مســـتوى الحقيقـــة العلمية المقررة[2] ، على الناحية التى يصرفها أصحابها اليها ، وهو فى حد ذاته كاف لإبطال القول بقدم المادة وثباتها فضلا عن تطوراتها المتلاحقة ، مما يجعل قضية الإيمان بوجود الله تعالى ، وأنه الخالق للكون والمتصرف فيه ، قضية بدهية مطلقة .

ومن الثابت أن القول بقدم المادة عندهم يهيئ لموضوعها الأول ، وهـــو أن المادة الغير حية تطورت من السديم إلى الغازى حتى تكونت النجوم والكواكب[3] ،

(١) راجع كتابنا – أوراق متناثرة فى التيارات المعاصرة ص٢٧٥ .
(٢) د/ محمد عبدالستار نصار وآخرون – فى العقيدة الإسلامية والأخلاق ص٨ ط٢ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
(٣) د/ أحمد طلعت محمد الغنام – أضواء على نظرية النشوء والتطور والارتقاء ص١٠ .

فإذا انهار القول بقدم المادة عل النحو الذى سلف انهار كذلك القول بتطور المـــادة غير الحية من السديم إلى الغازى ، وما تلاه فيما بعد أو لحق به ، أو قدم له .

بيد أنه من المؤسف له أن تجد هذه الأفكار المنحرفة أرضا لها فى عالم التقـــدم العلمى ، بل وتجد تلك النظرية التى تؤكد على الجانب العداوى فى السلوك الإنسانى استحسانا وبعض القبول لدى بعض المفكرين وبخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وأن تستوعب قدرا كبيرا من الجهد والفكر ، وأن يتم نشرها على نطاق واسع من خلال وسائل الاعلام نفسها[1] ، التى تدعوا لها ، وما تزال تذكر عنها محاســـب ، وتنفى عنها المثالب .

وفى تقديرى أن القول بقدم المادة وأزليتها ينقضه علم البيولوجيـــا نفســـه ، حيث ذهب علماء البيولوجيا الأوائل إلى أن المادة الحية مقسمة إلى خلايـــا Cells تنضم سويا بأعداد كبيرة لتشكل أنسجة الجسم ، وهذه الخلايا هـــى الوحـــدات القاعدية للمادة الحية[2] ، وإذا كان علم البيولوجيا هو الذى يهدم فكـــرة التطـــور الداروينيه فماذا يكون لها بعد من سند إلاّ الظن والوهم ، وأن الظن لا يغنى من الحق شيئا ، والعلوم التجريبية لا تقوم إلا على اليقين ، فثبـــت انهـــدام فكـــرة التطـــور البيولوجية كلها ، كما ثبت انهيار فكرة القول بقدم المادة أو أزليتها .

---

(١) هربرت .أ- شيللر - المتلاعبون بالعقول ص٢٤ - ترجمة عبدالسلام رضوان - عالم المعرفة

(٢) ويليام بيتر - الهندسة الوراثية للجميع ص٣٥ .

الفكرة الثانية : التولد الذاتى :

أ- عرض المسألة

وهذه الفكرة تقوم على أن الطبيعة تولد بعض الكائنات توليـــدا مباشـــرا ، فتعمد إلى تكوين منسوج خلوى من الكتل الصغيرة للمادة الجيلاتينية ، التى تشـــبه الغراء ، الموجودة تحت يدها ، ثم تملأ هذه الكتل الخلوية الصغيرة فى الأحوال الموافقة بالسوائل المناسبة ، وتحييها بتحريك هذه السوائل بواسطة سوائل الطـــف منـــها ، طبيعتها التهييج ، وهذه السوائل الآتيـــة علـــى الاســـتمرار مصدرهـــا البيئـــات المختلفة[1] المحيطة بها لاشيء غيرها .

وبناء عليه فإن الطبيعة الملازمة للمادة كذاتية من ذاتياتها ، تصدر عنها حركة ذاتية ، وهى فى ذات الأمر التى تخلق وتبدع وتنوع ، وتطور وتصطفى وتبيد كـــل ذلك عن طريق التولد الذاتى ، والتلاقى العشوائى ، والمصادفة التى تبدو فيها ملامح الانتخاب الطبيعى والاصطفاء النوعى .

وبهذا التوازن النسبى القائم بين المقادير الثابتة فى عناصر المادة ، يتـــم تولـــد الكائنات بعضها من بعض فى أى وقت من الأوقات ، وتحـــت أى ظـــرف مـــن الظروف ، وينشأ من هذه التولدات الإنسان ، والحيوان طبقا لقواعد التطور والانتقاء ، التى تفرضها القوانين الطبيعية ، من غير تدخل لقوة غيبية ، بعيدا عـــن الأنظمـــة العلمية المعروفة[2] .

---

(١) الأستاذ / محمد أحمد باشميل - الإسلام ونظرية داروين ص٢٧ .

(٢) وهذا الاتجاه فى عرض المسألة هو الغالب على كل مفكرى الماديين مهما اختلفت الاتجاهات التى يختبئـــون خلفها ، ونحن لا نوافقهم عليه بل نرفضه منهم .

وهذه الفكرة عمادها " التقويم الذاتى – أو التولد الذاتى كما يقولون – الذى ترد اليه كافة الكائنات الحية ومنها الإنسان نفسه ، وهى حقيقة فى علم الأحياء ، ما فى ذلك أدنى شك[1] ، باعتبار أن الحياة بدأت بانفصال الخلية الحية ، فكانت هذه الخلية هى أول كائن حى ظهر فى الوجود ، وبناء عليه فإن الجماد نفسه الذى انفصلت منه الخلية الحية – لابد أن يكون فيه هو الأخر مقومة حيوية كاملة ، والعقل لا يسلم بغير ذلك ما لم يجنح إلى الغيبيات والباطنية[2] .

ثم أن هذه المقومة الحيوية قد استجابت ذاتيا لظروف نشأت عن سلسلة من درجات التطور هى من ظواهر المبدأ الكلى " مبدأ الأنفصال " وحين انفصلت تلك المقومة – الخلية من الجماد ثم تطورت فقد صار بعضها نباتا ، وبعضها حيوانا، أى حيوانا ونباتا ذا خلية واحدة ، ثم تجمعت الخلايا فصارت نباتا أو حيوانا ذا خلايا متعددة .

ومن هاتين العمليتين – انفصال الخلية الأولى من الجماد ، وتجمع الخلايا المتماثلة – الانفصاليتين نشأت كل صور النبات والحيوان على مر بضعة بلايين من السنين[3] ، بناء على القول بالنشوء والارتقاء ، ومن ثم فان عملية التولد الذاتى قائمة بناء على التسليم بفكرة النشوء التى مرت بمراحل متعددة داخل إطار فكرة التطور ككل نذكر منها :-

---

(١) أدموند – و. سينوت – الخلية والروح ص٩ – ترجمة خالد زكرى فرانكلين ١٩٥٧م .

(٢) الأستاذ / إسماعيل مظهر – تطور الكائنات الحية ص١٥ .

(٣) أدموند و. سينوت – الخلية والروح ص١٧ .

النشوء ومراحله

مرت عملية النشوء عند القائلين بها بمراحل عديدة منها :-

المرحلة الأولى : الانفصال : -

وهى تقوم على انفصال الخلية الحية الأولى من الجماد ثم تطورها إلى كائن حى من ذوى الخلية الأحادية التركيب كالأميبا ، واللوليب وغيرها .

المرحلة الثانية : التجمع والتلاقى :

وهى التى يتم فيها تجمع الخلايا الأحادية فى صور النبات والحيوان وغيرها مما يتم فيه التجمع من غير تحديد لظهر معين أو شكل ثابت .

المرحلة الثالثة : التكامل

وهى التى يتم فيها الإنشاء الكامل على أساس أنه نشأ من تجميع الخلايا الأحادية أول الأمر الحيوانات المائية ، ثم ظهرت الحيوانات البرية ، وهى عملية انفصال جديدة اقتضى إتمامها الاستمرار فى درجات تطورية عديدة[1] ، وبهذه المرحلة الثالثة تكون عملية النشوء قد استوفت أركانها عندهم ، وأتمت بناءها فيما هو قائم بينهم .

---

(١) التطور الحضارى للإنسان ص٩٧ .

التطور

حيث ظهرت العمليات التطورية التى تمت جميعها من خلال عمليات انفصال كبرى استمرت على التوالى فى تاريخ الكون فترة طويلة من الزمان ، وكان المظـــهر الواضح لها هو وجودها فى تدرجات تطورية .

فإن عملية التطور هذه قد مرت هى الأخرى بمرحلتين :

- **الأولى** :- تطور من الخلية الأحادية إلى الخلايا المشتركة على وجه العموم ، وهو التطور العام أو التطور الاجمالى فى مراحله الأولى .
- **الثانية** : تطور من الخلايا المشتركة إلى الحيوانـــات اللافقريـــة ، ثم الفقريـــات والثدييات(١) ، إلى ما بعد ذلك حتى يصل الأمر إلى المرحلة الأخيرة التى يليـــها الارتقاء .

الارتقـــاء

حيث أخذت صور الحيوانات ترقى فى العمليات الانفصالية ، فقد بات مـــن الواضح وجودها فى صور بينه كل منها عائد إلى أصله الأحادى ، فجرثومة الذكـــر تنفصل عنه ، ومن الأنثى تنفصل جرثومة أخرى ، فإذا اندمجتا انفصل منهما جنين ، ينفصل بدوره هو الأخر عن الأم(٢) .

وطبقا لهذا فقد تم تقديم الارتقاء على مراحل هو الأخر منها :

---

(١) روبزانسكى - الوراثة ونشأة الأنواع ص١٦٥ .

(٢) الأستاذ / إسماعيل مظهر - تطور الكائنات الحية ص٢١ .

❁ **الأولى** : ارتقاء من الثوابت القائمة فى عالم البيولوجيا ، تبدأ بصور الكائنات ثم وجود الأنواع الثابتة فى أجناسها المنتظمة لها ، بشكل طبيعى تلقائى .

❁ **الثانية** : الارتقاء الأعلى حيث يحاول كل نوع المحافظة على أصول الثابتة والارتقاء بها إلى ما بعد المحافظة ، وهو ما يقصد به الاستمرار فى الارتقاء متخذا كافة المستجدات فى الهندسة الوراثية وغيرها مما قائم لخدمة هذا الجانب .

وبناء عليه ينتهى القول عندهم بأن الكائن العضوى فى أثناء مخلقه من بيضه أو حبه فإنما يتقوم فى نمائه متمشيا بتؤدة وهوادة نحو استحداث فرد ذى صورة محدودة تماما طبقا لوجيهات التقويم الذاتى ، والقصدية القائمة فى فطرية الحياة[1] ، دون اعتبار لشيء أخر خلف الشكل المادى للحياه ذاتها .

بل أن التزاوج بين الكروموسومات وما يصحبه من عمليات قطع ثم وصل فى أجزائها ، يؤدى إلى اختلافها بعضها عن بعض ، وهو اختلاف ضرورى لاستمرار حياتها وأدائها لوظائفها الحيوية[2] ، وبغيره ينقطع ذلك التواصل فتنتهى دورة الحياة .

وبهذه العمليات المستمرة بعد النشوء يتم كل من التطور والارتقاء بشكل طبيعى محسوس فى الإنسان والنبات والحيوان ، بحيث لم يعد القول بأن الكون ساكن كما كان تصوره فى الماضى مقبولا ، وإنما صار العالم الحى يتغير مع الزمن بطريقة لا تحدث فى العالم المادى ، وكل تعميم فى البيولوجيا وهو تغيير شريحة فى الزمن ، والتطور هو المبدع الحقيقى للأصالة ، والجدة فى الكون[3] الذى نعيش فيه .

(١) أدموند .و. سنوت - حياة الروح فى ضوء العلم ص٦٣ - ترجمة إسماعيل مظهر الأنجلو ديسمبر ١٩٦٠م

(٢) دوبزانسكى - الوراثة ونشأة الأنواع ص١٥٧ - ترجمة حنان مرسى .

(٣) جاكوب برونوفسكى - التطور الحضارى للإنسان - ارتقاء الإنسان ص١٨٤ - ت د/ أحمد مستجير الألف كتاب رقم ٣٦ - الهيئة المصرية العامة .

وقد رفض الفريد باتو هذا المبدأ التطورى ، بل رفض الفكرة كلها من أصلها ، مؤكدا أن تصميم صفة من الصفات عن طريق الطفرة فى سلالة من السلالات لا يمكن أن يستغرق أقل من مليون جيل من الأجيال المتتابعة ، ومهما سلمنا بأن أحقابا جيولوجية قد انقضت فمن الصعب جدا أن نتصور كيفية نشأة حيوان حديث نسبيا كالحصان مثلا ، واعتبار أنه نشأ من سلفه الذى كان عدد الأصابع فى قدمه خمسا فى الفترة التى مضت من العصر الايوسينى – الحديث حتى الآن[1] ، وذلك ما يحتاج مناقشة القاعدة على الجوانب التى نراها مقبولة .

ب- مناقشة قاعدة التولد الذاتى :-

من البديهى القول بأن فكرة التولد الذاتى أو التحول والتباين كان لها أثر كبير فى ابراز الأفكار التى أهتم بها أصحاب القول فى تطور الكائنات الحية على النحو الذى حاولنا عرضه ، سواء تحدث به أنصار البيولوجيا الحيوانية ، أو كان من منتجات أفكار زعماء تلك الأفكار ذاتها ، وسواء نالت بعض القبول ، أو وقع لها الكثير من المهاجمة والإنكار على الناحية التى قام بها خصوم الفكرة من أصحاب الاتجاه الإحيائى أيضا .

ونحن نناقش ذات الفكرة فى عديد من الجوانب :-

الجانب الأول : الناحية الإحيائية

يذكر أصحاب القول بالأحياء التطورية أن نشأة الكون والكائنات الحية قائم على أنها تولدت من بعضها تولدا ذاتيا ، من غير حاجة إلى قوة أخرى خارجة عن ذات المادة لكن هذه الفكرة غير مقبولة إحيائيا . أما لماذا ؟

(١) باتو – التحليل الرياضى لنظرية التطور ص٢٣٩ – ترجمة / فوزى خالد .

فلأن العلم المعملى فى جانبه التطبيقى نفسه عجز عن تقديم إجابة محددة على السؤال القائم ، وهو كيف تستطيع الخلية الأولى أن تنوع نفسها عن الخلايا الأخرى الناتجة كلها من نفس الخلية الأم الملقحة[1] ، وليس فى أية خلية منها خاصية التمايز أو الإدراك .

وتسمى فى الدراسات الإحيائية مشكلة لغز تنوع الخلايا وتنوعها[2] ، وتقوم على أن هذه الانقسامات الخلوية تصاحبها عملية تخليق وتنويع فى الخلايا ذاتها ، أى أنه بينما يحتوى الجسم على بلايين الخلايا تحتوى كل منها على نفس المجموعة من الجينات ، لأن كل خلية تختلف اختلافا كبيرا عن الأخرى من حيث الشكل والوظيفة .

فخلية الشعر تختلف عن خلية الكبد فى الإنسان ، وهذا اللغز لا يفهم أحد حتى الآن الطرق التى بها تتحول كل خلية لأخذ صفاتها المستحقة أثناء النمو[3] ، وهو نفسه الذى يفسر لنا عدم قبول فكرة التولد الذاتى إحيائيا .

كما أن البروتوبلازم protoplasm وهى المادة الزلالية الحية التى تتكون منها خلية الأجسام النباتية والحيوانية قادرة على الحركة ، وتستمد نشاطها من الشمس ، وهى بالفعل كفء لاستخدامها ضوء الشمس فى عزل ثانى أكسيد الكربون من الهواء ، مرغمة الذرات على الانفصال قابضة على الهيدروجين من الماء ، ومنتجة لهيدرونات الكربون ، إلا أنها تعد غذاءها بنفسها من أحد المركبات الكيموية

---

(1) د/ سعيد محمد الحفار – البيولوجيا ومصير الإنسان ص٣٤ – سلسلة عالم المعرفة .

(2) كريسى موريسون – العلم يدعو للإيمان ص١٧٥ .

(3) البيولوجيا ومصير الإنسان ص٣٥ .

العنيدة للغاية " ولولا وجود هذه المركبات لما نمت الخلية ذاتها[1] ، وهذا يهدم فكرة التولد الذاتى من رأسها على ناحية إحيائية أيضا .

وبناء عليه فان العلم الاحيائى مجبر على القول " بأن الإنسان قد خطر على هذه الأرض بوصفه طفلا لمنبع الحياة الكونى - لا باعتباره منحدرا من حيوان أحسن منه - سيدا بين الحيوانات ، وذا تكوين مادى معقد التركيب للغاية ، أو صاحب عقل أعد عن قصد ليتلقى لمحة من القدرة الالهية التى نسميها الروح[2] ، والتى هى نفحة الهية[3] ، ونفحة ربانية ، ومن الأدلة على وجود رب العالمين جل علاه .

اذن القول بتطور الكائنات الحية بناء على فكرة التولد الذاتى غير مقبولة على الناحية الإحيائية ، وتصير الأقوال التى يرددها أنصارها مردودة عليهم ، لأنها لم يتم التجريب عليها فى المعمل حتى يتم التأكد من صحتها ، وهى فى ذات الوقت تتعلق بماض بعيد جدا ، حتى أنه لا يوجد سؤال محدد عن طرق تجربتها وملاحقتها ، وهى فى كل أحوالها مجرد وسيلة يراها أصحابها منطقية لتفسير مظاهر الخلق ، وليست ملاحظة واقعية[4] ، تقبل التجريب فى الميدان العلمى .

وهناك دراسات داروينية كثيرة فى الجانب البيولوجى ، وكلها متعلقة بمحاولات تفسير نشأة الخلق على النحو ذاته ، أو ناحية أخرى ، وقد جاءت فى أغلبها مخالفة تماما لما أنتهى اليه رأى الداروينية .

---

(١) د/ محمد مصطفى الفولى - بعض مظاهر التقدم فى العلوم البيولوجية ص١٤٥ .

(٢) العلم يدعو للإيمان ص٩٧ - ترجمة الأستاذ / محمود صالح الفلكى .

(٣) قال تعالى ﴿ " فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين " ﴾ .

(٤) أ/ وحيد الدين خان - الإسلام يتحدى ص٤٥ - الطبعة الرابعة - المختار الإسلامى .

مما يجعل المسألة فى جملتها مجرد أفكار متسرعة طرحت نفسها حينا من الزمان على عقل القائلين بها ، ثم بان عدم نجاحها فى تحقيق أهدافها وأنها لذلـــك لم تعــد صالحة للقول بها أحيائيا[1] ، وهذا فى حد ذاته يكفى بالنسبة لنا لهدمـــها ، وبيـــان فسادها ، واعتبارها كأن لم تكن على ناحية من النواحى المقبولة .

---

(١) راجع الإسلام ونظرية داروين - ففيه الكثير من أراء المعاصرين لها عل الجانب الاحيائى ، وكذلك الإســلام يتحدى ، والدين فى مواجهة العلم للأستاذ / وحيد الدين خان ، والعلم يدعو للإيمان - كريسى موريســون ، والله يتجلى فى عصر العلم لمجموعة من العلماء الأمريكان ، فى مواجهة الإلحاد المعاصر للدكتــور / يحــيى هاشم وغيرها من الكتب التى تناولت أراء الاحيائيين فى نقض المسألة ، وذلك وحده يكفى لنا ، أما مــن أراد المزيد فله مراجعة ما سلف من مصادر .

الثانى : الناحية التجريبية

العلم التجريبى يقرر فى بدهياته أن ما يتعلق الأمر فيه بالتجربة ، فان الحكم فيه لابد أن يخضع لذات التجربة بحيث تطبق فيه عدة مرات وتأتى النتائج الثابتة هى ذاتها التى تم التجريب عليها وإعادتها للتأكيد بأنها هى الأولى قبل التجريب ، وبناء عليه فان القول بالتولد الذاتى لا يمكن التثبت منه عن طريق التجربة(١) ، وهو نفس الأمر الذى يهدم الفكرة من أساسها لمخالفتها المنهج الذى رسمه التجريبيون أنفسهم .

بدليل القول بأن تفسير نشأة الكون ما تزال تعتبر بالنسبة للعقل الإنسانى لغز الألغاز العلمية ، على كافة المستويات التى بحثت المسألة ، وحاولت الوصول فيها إلى حلول انتهت كل إلى القول بأن كل ما قيل فيها هو مجرد افتراضات ضئيلة ، غير قابلة للتجربة العلمية ، وإنما هى مسائل احتمالية قامت على الفرضية المستمرة ، والتسليم الجدلى بها دون مراجعة لأصول قائمة(٢) .

ثم أن الاميبا التى هى مخلوق ميكروسكوبى حى على درجة كبيرة من التطور ، وهو مكون من ملايين لا حصر لها من الذرات فى تنظيم مرتب ، ولا يمكن التجريب عليه والتأكد من كونه قد تولد ذاتيا(٣) ، أم أنه خلق هكذا عن طريق غير معروف .

---

(١) الأستاذ / وحيد الدين خان – الدين فى مواجهة العلم ص٤٥ .

(٢) أ- كريسى موريسون – العلم يدعو للإيمان ص٩٩ .

(٣) د/ محمد مصطفى الفولى – بعض مظهر التقدم فى العلوم البيولوجية ص١٣٢ .

ومن المعلوم أيضا أن الأميبات هى مخلوقات حية ذوات خلية واحدة ، قـد لا يزيد قطرها على جزء من مائة جزء من البوصة ، وتوجد فى جميع مياه العالم ، وهى تشعر بالجوع ، وتبحث عن غذائها فى قصد وعمد[1] ، وذلك فى حد ذاته يترع من دائرة التفكير قبول فكرة التولد الذاتى ، بل حتى مجرد التسليم الجدلى بوجودهـــا ، فضلا عن كونها صالحة للتعامل معها أم غير صالحة .

ومن المؤكد أن الفلسفة التطورية – متى أرادت تفسير أمور الحياة فإنهـــا لا تتردد فى أن تطبق عليها أساليب التفسير التى تصادف نجاحا فيمـــا يتصـــل بالمـــادة الجامدة[2] .

ثم أن التولد الذاتى يلغى من حساباته فكرة التصديق بوجود قوى غيبية خلف التجربة ، وذلك اعتراف كامل بعجز الداروينية عن إيجاد حلول كافية للمسائل التى تفترض القول بها ، ومن الصعب إلغاء القواعد الثابتة أو عرضها للمغامرة فى أســـهم البورصة التى لا تجد لأرصدتها غطاءات بنكية ، أو تعويم نقدى ، وهو الأمر الـــذى تبناه أنصار التطور الإحيائى فى كل مرحلة من مراحل القول به .

الثالث : الناحية العقلية :

العقل الفطرى قر فى وجدانه أن كل معلول لابد له من علة يصدر عنـــها ، وتكون هى السبب الرئيسى له أو السبب المشترك مع غيره فى إيجاد ذلك المعلـــول وتسمى الأسباب أو العلل المشتركة ، كما استقر فى أعماقه أن كل مسبب له سبب ، وذلك مما تشهد به الفطر السليمة وتعلنه العقول الصحيحة وما تـــزال قائمـــة فى

---

(١) كريسى موريسون – العلم يدعو للإيمان ص١٠١ .

(٢) هنرى برجسون – التطور الخالق ص٦ – ترجمة د/ محمد محمود قاسم – الهيئة المصرية العامة للكتاب .

الإفهام أصوله ، حتى قيل : ان كل علة لا بد لها من معلـــــول ، مســـألة فطريـــة بدهية[1] ، بجانب كونها قضية استدلالية .

وقرر العلامة الجرجانى أنها مما تشهد العقول بفطريتها ،وأنها مركوزة فى ذهـن الحيوان والأطفال ، فضلا عن العاقلين من بنى الإنسان[2] ، بحيث إنك إذا أطلقـــت صوتا ثم أخبرت طفلا أن هذا الصوت صدر عن غير مصوت لم يصدقـــك ، ولـــو رفعت العصا على ناصية الحيوان فانه يقفز خوفا من الضرب المتوقع من رفع العصـــا باعتبارها علة يصدر عنها معلولها[3] ، وذلك مما لا نزاع فيه ، بل الجميع متفق علـى وقوعه .

من ثم فان العقل يرفض القول بفكرة التولد الذاتى ، ويتمسك بضرورة إحالة الأسباب كلها إلى خالقها العظيم ، وهو الله رب العالمين . قال تعالى﴿ " ومن كـــل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون "﴾[4] ، وقال تعالى ﴿ " هذا خلق الله فـــأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين " ﴾[5] .

والعقل السليم يقر بوجود الله تعالى ، وأنه الخالق من غير أسباب تباشـــــر أو مواد تتم الاستعانة بها ، بل هو تعالى الغنى المستغنى سبحانه وتعالى عما يشـركون ، وذلك يدحض القول بفكرة التولد الذاتى وغيرها .

---

(١) الإمام عضد الدين الإيجى – المواقف ص٣١٧ .

(٢) العلامة السيد الشريف الجرجانى – شرح المواقف – الموقف الخامس – تحقيق د/ أحمد المهدى ص٧٥ .

(٣) راجع كتابنا –حبو الوليد فى علم الوحيد ص٩٧ – الطبعة الرابعة .

(٤) سورة الذاريات الآية ٤٩

(٥) سورة لقمان الآية ١١

الجانب الرابع : الناحية الشرعية الإسلامية

أقصد بالناحية الشرعية الإسلامية هنا النقل المنزل – القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة – فهو وحده الذى سلم من التحريف ، و لم تصل اليه يد التزييف ، وسيظل محفوظا بإذن الله إلى يوم الدين ، وذلك مما شهد به المولى الكريم جل علاه .

ﷻ قال تعالى ﴿ " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " ﴾(١) ، وقال تعالى ﴿ " ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا " ﴾(٢) ، وقال تعالى ﴿ " وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا "﴾(٣) .

وبناء على ما سلف فان النصوص التى يتمسك بها أتباع اليهودية – الدينية والسياسية(٤) – لا تعتبر نقولا مقبولة على ناحية شرعية(٥) ، كذلك ما يتمسك به دعاة المسيحية لما ثبت من أنها جميعا نقول منقطعة السند ، مضطربة المتن ، غير مقبولة المعانى(٦) ، مفصولة عن الدعوات الالهية ، التى أرسل بها أنبيائه السابقين لهداية البشرية . قال تعالى ﴿ " وان من أمة إلا خلا فيها نذير " ﴾(٧) .

---

(١) سورة الحجر الآية ٩

(٢) سورة الإسراء الآية٩

(٣) سورة الإسراء الآية ٨٢ .

(٤) راجع كتابنا– اليهودية من الأرض للسماء ص٢٣٥ .

(٥) لأن سمات النقول الشرعية لا تنطبق على ما بأيدى أصحاب المسيحية أو اليهودية ، أو غيرهما كالبوذية والزرادشتية ، ونحو ذلك من التيارات التى يعلن أصحابها باستمرار عن أنفسهم فيها .

(٦) راجع كتابنا – وميض النصرانية بين غيوم المسيحية ص٤١٥ .

(٧) سورة فاطر الآية ٢٤

بيد أن الناحية الشرعية فى الإسلام ترفض قبول فكرة التولد الذاتى فى تفسير نشأة الكون ، التى تصور الكائنات على أنها ليست فى حالة إلى خالق أبدا وإنما يتم أمر الخلق فيها على ناحية طبيعية ، لأن كافة الكائنات مخلوقه لله تعالى ، فهو المنشئ لها من العدم جل علاه .

ﷻ قال تعالى ﴿ " بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد و لم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم " ﴾[1] ، وقال تعالى ﴿ " الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء أن الله على كل شيء قدير "﴾[2] .

وبهذا يجب القول بأن الدين القويم والعلم الصحيح كليهما يعتمد على الإيمان بالغيب وإرجاع الأمور كلها لله رب العالمين ، غير ان دائرة الدين الحقيقية هى دائرة تعيين حقائق الأمور نهائيا وأصليا ، أما العلم فيقتصر بحثه على المظاهر الأولية والخارجية ، فحين يدخل العلم ميدان تعيين حقائق الأمور تعينا حقيقيا ونهائيا ، وهو ميدان الدين الحقيقى – فانه يتبع نفس طريق الإيمان بالغيب[3] ، ومن ثم فهما يتلاقيان[4] ، ويرجع الأمر فى النهاية لله جل علاه .

ثم أن المخ الذى هو عبارة عن معمل كيميائى حيوى فى غاية التعقيد ، ومادته الدافئة اللينة التى تشبه العجينة ، إنما هى خلاصة تغيرات مستمرة ، لا تنقطع حتى

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٠١

(٢) سورة فاطر الآية الأولى

(٣) الأستاذ / وحيد الدين خان – الإسلام يتحدى ص٤٥ .

(٤) كان دعاة المسيحية يقولون أن العلم عدو الدين ، وبه أقاموا محاكم التفتيش وتعقبوا المفكرين عندهم مما جعل الخلاف يزداد ، والمعارك الطاحنة بينهم تستمر ، أما الإسلام فيجعل العلم الصحيح والدين السليم يلتقيان ، ولا يتعارضان – راجع درء تعارض العقل والنقل للإمام ابن تيمية .

أثناء النوم ، وهو الذى ينسج مادة حياة الإنسان ، أفكاره وانفعالاتـــه ، ذكرياتـــه وأفعاله ، أماله ومخاوفه التى تكون أساس وجوده .

ولا شك أن الخلية العصبية هى أساس المخ ، وهى الحاملة للفكر والشـــعور والوجدان – يوجد الإنسان فى الحياة وبه عدد معين من هذه الخلايـــا العصبيـــة ، وتعيش معه طالما عاش – لا يمكن استبدالها اذا ما استهلكت ، ولا يمكن اصلاحـــها اذا تلفت ، لذا لا يملك الإنسان ما هو أغلى وأثمن من هذه الخلايا Cells العصبيـــة بالنسبة لحياته البدنية والعقلية والانفعالية[1] .

وبالتالى فان فكرة التولد الذاتى قائمة بدليل أن المخ يتلف متى تعرض لحدوث تغيرات بيوكيمائية ، ولا يتولد من نفسه ذاتيا حتى يقوم بدور الإصلاح لهـــا مـــتى تلفت[2] ، ولذا قالوا أن العقل ما هو الا حصيلة العمليات البيوكيمائية التى تحدث فى المخ ، ولا يوجد عقل الإنسان فى فراغ ، بل يتعلق وجوده بكيمائية المخ ، وتقـــترن جميع انفعالاتنا ومشاعرنا وجداناتنا بهذه الكيمائية ، اذ لا يمكن أن نفكر أو يصيبنـــا انفعال بدون حدوث تغير كيميائى[3] .

فلو كان التولد الذاتى هو الفكرة المقبولة لأصلح المخ خلاياه الـــتى تصـــاب بشيء من الضمور أو تتعرض لكثير من التلف ، وذلك مما تشهد الوقـــائع المعاشـــة ببطلانة ، وتثبت أن الخلق كله يرجع لله وحده .

ولعل هذا مما تشير اليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من ذلـــك قولـــه تعالى ﴿ " ان فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنـــهار لآيـــات لأولى

---

(١) د/ محمد محمود عبدالقادر – بيولوجية الإيمان ص٩٤ ط دار الشروق .

(٢) أ.هربرت تاسيو – كيمائية المخ ص١٥٧ – ترجمة خالد فاضل .

(٣) الدكتور محمد محمود عبدالقادر – بيولوجية الإيمان ص٩٤ .

الألباب " ﴾[1] ، وقوله تعالى ﴿ " فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخـرج من بين الصلب والترائب أنه على رجعه لقادر" ﴾[2] .

وما دام قد خلقه الله أولا ، دون تدخل لأحد فيه ، فهو القادر سبحانه وتعالى على إعادته مرة أخرى ، ومرات كثيرة دون احتياج لأحد أيضا .

﴿ وقوله تعالى ﴿ " افرأيتم ما تمنون أءنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولـــق علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون" ﴾[3] .

وحال النشأة الأولى معروف ، وقائم على أن الله تعالى هو الخالق لنـــا مـــن العدم ، وما الطين والماء إلا مظهر لذلك الخلق الإلهى ، وأمر التبديل كأمر الخلـــق والإعادة كل ذلك راجع إلى الله تعالى .

﴿ وقوله تعالى ﴿ " وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة اذا تمنى وان عليـــه النشأة الأخرى وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب الشعرى وأنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى وقوم نوح من قبل أنهم كانوا هم أظلم وأطغى والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى فبأى آلاء ربكم تتمارى " ﴾[4] .

وهذا دليل على أن الخلق المباشر المستمر هو صنع الله تعالى الذى أتقن كـــل شيء[5] ، وأن تلك المراحل ليست من قبيل التطور الذاتى ، أو الانتخاب الطبيعـى ،

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٩

(٢) سورة الطارق الآيات ٥/٨

(٣) سورة الواقعة الآيات ٥٨/٦٢

(٤) سورة النجم الآيات ٤٥/٥٥

(٥) الدكتور / محمود قاسم – نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الأكوينى ص٢٠١ .

أو التولد الذاتى ، وإنما هى مراحل تنظيمية فى تصوير الخلق وكيفيته بالنسبة لنا نحـن حتى نستوعبه عفو لنا .

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التى تثبت الخلق والإنشاء والتدبير والأحكام لله رب العالمين ، وأنه وحده الخالق الرازق القادر السميع البصير إلى أخر صفـات الجلال والكمال والإكرام . ﴿ " فتبارك الله أحسن الخالقين " ﴾[1] .

ومن الآيات الجامعة فى هذا المجال قوله تعالى ﴿ " والله خلقكم من تـراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمـر مـن معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب أن ذلك على الله يسير وما يستوى البحـران هذا عذب فرات شائع شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تـأكلون لحمـا طريـا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا مـن فضلـه ولعلكـم تشكرون " ﴾[2] .

وذلك كله ينتهى إلى فكرة التولد الذاتى لا وجود لها إلا فى أذهان الحـالمين ، وأن شئت قلت فى جدل الغافلين ، لأنها تقوم على إلغاء الإيمان بالله رب العـالمين ، وإحالة الخلق كله إلى المخلوق نفسه ، ولا يقول بهذه الأفكار عاقل سلم له فكره .

الناحية المعرفية

ركز الطبيعيون فى القول بالتطور على الجانب الخلوى الجسدى فقط ، فلمـا وجدوا أن الروح غير داخلة النظام الذى قالوا به ، حاولوا إضافتها للمادة أيضـا ،

(١) سورة المؤمنون الآية ١٤ .
(٢) سورة فاطر الآيتان ١٢/١١ .

لكن الكائن الحى له معارف ، فمن أين تأتيه تلك المعارف العقلية ، وليس فى الجسم جانب عقلى عندهم .

ان التطور الإحيائى فكرة ميكانيكية يقوم بها العقل فى تفسير نشأة الكون والتطورات التى صاحبته ، لكن العقل نفسه لبس مظهرا فرعيا للحياة ، وإنما هو أكبر من ذلك بكثير ، أنه يتقدم بتصوراته ، ويعود للخلق بإمكانياته مما يجعلنا نقرر استحالة انفصال نظرية المعرفة الإنسانية عن نظرية الحياة ، ولو اجتمعنا فسوف تستعيضان عن نظرية التطور الخاصة ، التى هى مجرد تصورات كاذبة[1] ، ونحن نرفض الولد الذاتى لذلك .

اذن الطبيعة لم تخلق نفسها ، والحياة منتظمة على وتيرة واحدة فى بذل جهدها لاحياء المادة ، وهى لا تعرف فرحا ولا حزنا ، ولا تميز بين أحدا أبدا ، ومع هذا فالحياة هى الأساس ، وهى الوسيلة الوحيدة التى يمكن بها فهم المادة ، وليس العكس فم أين يأتى التوالد الذاتى ، وهو خاص بالأجساد ، والحياة ليست صورة أو مظهر جسديا ، وإنما هو سر من أسرار الله .

ثم أن الحياة هى المصدر الوحيد للوعى والشعور ، وهى وحدها التى تجعلنا ندرك صنع الله فيبهرنا جمال ذلك الصنع الالهى ، وان كانت أعيننا لا تزال فوقها غشاوة ، تجعلنا نعجز فى بعض الأحيان عن التعرف عليها .

كما أن الحياة ، وهى الجانب الغيبى الذى ينظم الجانب المادى وغيره ، ليست إلا أداة تخدم مقاصد الخالق العظيم سبحانه وتعالى ، وعلى هذا فالحياة باقية كمشيئته

---

(١) ترى برجسون – التطور الخالق ص ٩/٨ ، وفيهما ردود كثيرة على التطور الإحيائى من ناحية المعرفة .

تعالى[١] ، وبذلك ننتهى إلى هدم فكرة التولد الذاتى ، كما ا،قمينا من نسـف مـا قبلها .

◈ **فما هو الانتخاب الطبيعى عندهم ، وطرق عرضه ومناقشته[٢] ؟**

---

(١) أ. كريسى موريسيون – العلم يدعو للإيمان ص٩٠ .

(٢) الأفكار التى يعتمد عليها الملحدون وناقشها ههنا هى : [١] القول بقدم المادة وأزليتها ، [٢] القول بـالتولد الذاتى ، [٣] القول بالانتخاب الطبيعى ، [٤] القول بمبدأ تنازع البقاء ، [٥] القول بمبدأ البقاء للأصلـح ، [٦] القول بالمطابقة ، [٧] القول بالوراثة ، وهى أشهر ما صدر عنهم .

القاعدة الثالثة : الانتخاب الطبيعي

يزعم الملاحدة ومن يشاركهم الرأى ممن ينسبون أنفسهم للداروينية أن عملية خلق الكائن الحى لا تتم عن الله تعالى الذى له قدرة خالقه ، وإرادة عاملة نـــافذة ، وعلم واسع محيط شامل ، وهو الإله العظيم الخالق جل علاه ، وإنما قامت بناء علـى أن عناصر المادة هى التى تقرر فى ذاتها العنصر الذى يغلب على غيره فيبقـــــى ، وفى سبيل التنازع يغلب ويستمر راغبا فى البقاء دون حاجة لتدخل قوة أخرى وراء قوى الطبيعة نفسها .

وهم يزعمون أن كل كائن حى يقوم بنفس الدور ، سواء الإنسان أو الحيوان والنبات ، بناء على فكرة القول بقدم المادة وأزليتها وفكرة القول الذاتى التى تتم فيها العناصر المتولدة حاملة سبل الدفاع عن أنفسها ، طيلة رحلة الحياة المســـــتمرة دون توقف .

وحيث أن هذه الأفكار قد رتبـــوا عليـــها القـــول بالانتخـــاب الطبيعـــى أو الاصطفاء النوعى ، ولها خطورتها على العلم البيولوجى كما تمثل خطـــرا علـــى العقيدة والدين والقيم والأخلاق فأنى أقول أنها مجرد مفاهيم خاليه عن النظر الســـليم ، والعقل القويم . أما لماذا ؟

فلأن النظر هو قانون الاستدلال فى الأمور ، وقـــاضى الصـــدق وبرهـــان الشريعة ، وترجمان الإيمان ، وحجة الأنبياء ، ومحجة الأولياء ، والسيف القاطع على الأعداء ، وهو رأس السعادة فى الدين .

كما أن أساس التدبير ، وصحة الاعتقاد ، وخلاصة التوحيد فى ناحية النظـــر والسليم أن أساس الكفر والشرك فى جانب التقليد[1] ، ومن ثم فسأحاول عرضها ثم مناقشتها طبقا للمنهج الذى قررت السير فيه من قبل .

أ- عرض المسألة

ذكرنا قول أصحاب التطور الأحيائى الذين يزعمون أن أصل الحياة فى بدايتـه قد نشأ من المادة العمياء القديمة الأزلية ، وبطريق التولد الذاتى أو التحول والصيرورة عن طريق المصادفة البحتة تحت إشراف الطبيعة ذاتها ، دون حاجة إلى وجود قصـــد أو تدبير ، دون حاجة أيضا إلى وجود سلطة عليا غيبية لها صفات العلم والقـــدرة والإرادة[2] ، ولها تمايز أو انفصال عن العالم المادى الحيوى .

وذكرنا قولهم بأن التولد الذاتى قد تم فى تلك المادة العمياء عن طريق اجتماع عناصر مخصوصة من المادة ، وحسب أوزان مخصوصة وكان ذلك كفيلا – عندهـــم – بأن يخلق إنسانا ، سواء تم هذا الاجتماع والتوازن مصادفه أو بقصد ســـابق فى حدود المادة نفسها ، وطبقا للظروف الملائمة لها[3] من غير تدخل لقوة خلفها .

وأنه بمثل تلك الكيفية – اجتماع العناصر المخصوصة مع النســب الكميـــة المعينة – تم عن طريق المصادفة ظهور الحياة الأولى على وجه الأرض حيث كـــانت

---

(١) نقله العلامة القاسمى عن جمال الدين الخوارزمى – راجع د/ سيد أحمد رمضان المســـير – إلـزام القـرآن للماديين والمليين ص١٥/١٦ .

(٢) يراجع مناقشتنا لفكرة القول بالتولد الذاتى فقد عرضنا فيه ما وفقنا الله تعالى اليه ، وسوف نزيد فى طبعـات مقبلة أن شاء الله تعالى .

(٣) تشارلز داروين – أصل الأنواع ص١١٣ – ترجمة اسماعيل مظهر .

الخلية الأولى الحية ، وهى فى ذات الوقت المعبر عن الفارق الكبير بين المادة الصماء الثابتة - الأم - وبين المادة الحية المتحركة - الخلية[1] .

كما أن هذه الخلية الأولى - عندهم - قد منحت نفسها قدرا كبيرا من المرونة والحركة حتى سارت تخطو فى سلم التطور والارتقاء[2] ، بحث وصل الأمر بها إلى ما هو عليه الحال الآن .

بل أن كل فصيلة من فصائل الأحياء التى انقسمت اليها الخلية الأولى تظل فى عطاء مستمر بنفس القدرة السابقة ، فتمنح نوعها الحياة المستمرة عن طريق استمرار التولد الذاتى فى ظل مراقبة الطبيعة التى لازمت كل كائن ، وأشرفت بنفسها على وجوده ومراحل تطويره منذ ظهرت الحياة لأول مرة على ظهر هذا الكون الذى نعيش فيه[3] ، وما تزال تؤدى نفس الدور دون توقف .

كما ذكرنا أن أصحاب هذا الفكر الغير مقبول يختلفون فى تفسير بداية الحياة الأولى إلى فرقتين :

- **الفرقة الأولى** : تزعم أن الحياة بدأت بقصة الخلية الأحادية الأولى ، وهى كرية بسيطة ذات خلية واحدة ، ثم حدث فيها التطور الطبيعى ، والارتقاء الذاتى ، والاصطفاء النوعى ، ثم نمت فيها عناصر التنازع للبقاء نموا طبيعيا ، مع

(١) سلامة موسى - نظرية التطور وأصل الأنواع ص١٤٥ .

(٢) أ.ب برونسكى - الكائن الحى والتطور البيولوجى ص٢١٠ .

(٣) الأستاذ وحيد الدين خان - الدين فى مواجهة العلم ص١٤٧ .

الاستمرار فى تلك الأطوار ، ويعتبر لامارك وداروين[1] ، من أشهر القائلين بها ، كما يعتبران من زعماء تلك الفرقة أيضا .

- **الفرقة الثانية** : تزعم أن الحياة بدأت من كتل زلالية حية صغيرة جدا أقل من الخلية ، وابسط فى التركيب ، وتعرف باسم MONERE ، ومعناها الوحدة البسيطة جدا ، وأن الحياة تولدت من تلك الكتل الزلالية عن طريق التولد الذاتى فيها ، ويعتبر أرنست هيكل من أشهر القائلين بها[2] .

وذكرنا كذلك أن أصحاب القول بالتطور الأحيائى لم يقطعوا فى تفسير محدد ، أو يتفقوا على مفهوم معين لمفهوم التولد الذاتى[3] ، ولا كيف تم ، بل أنهم يعلنون أن البت فى أمر التولد الذاتى للكرية الأولى التى نشأ عنها الأصل الأول للحياة ، أمر غير متيسر للعقل ، لأن الأحوال المناسبة لتولد الكريات الأولى تولدا ذاتيا غير معروفة[4] حتى الآن ، بل ومن العسير التكهن بها .

كما أن الكرية ذاتها – على بساطتها – فانها ذات بناء وتركيب يمتنع معه صدورها من الجماد مباشرة مهما كانت الدعاوى والمزاعم ، وإلا كان الأمر ضربا من العشوائية ، والتخبط الفكرى ، بل أن ظهور الحياة من الجماد فى نظر العلم أمر

---

(١) وهو اتجاه داروين الذى بنى فكرته على قواعد أربعة : الأولى :- ناموس تنازع البقاء ، الثانية : ناموس الانتخاب الطبيعى ، الثالثة ناموس المطابقة ، الرابعة ناموس الوراثة – داروين – أصل الأنواع ص٣٥ – ت إسماعيل مظهر ط٢ ١٩٢٨م .

(٢) أ.ب جورج جاموف – نشوء الكون – ص١٧٨ – ت إسماعيل مظهر ط أولى ١٩٢٧ .

(٣) وذلك دليل على تخبط الماديين والملاحدة بوجه عام ، حينما يلجأون إلى اعتقاد الكفر تاركين أنوار الإيمان .

(٤) أدموند و– سنيوت – حياة الروح فى ضوء العلم ص١٣٧ – ت/ اسماعيل مظهر .

غير مألوف لدى العقل ، وهى ليست أقل بعدا عن العقل من ظهور الأحياء العليـــا من الجماد رأسا[1] .

وهم بذلك يعترفون بعجزهم الشديد عن تفسير نشـــأة الكـــون ، وأصـــل الإنسان ، كما يقررون بأن المسألة أعلى من إمكانيات العقل الإنسانى نفسه ، وذلك فى حد ذاته يهدم الفكرة على رأس القائلين بها ما داموا قد أعترفوا بألها أعلى مـــن إمكانيات العقل .

وسبق أن قلنا بأن هذه الأفكار عن قدم المادة وأزليتها ، أو عن التولد الذاتـــى إنما هى افتراضات وتخمينات سخيفة ، وتقديرات مضحكة فارغة ، لا يمكن اثباهمـــا بالطرق العلمية المعملية أو الحسية ، ولهذا لا يمكن لعاقل أن يتلفت اليها أو يعيرهـــا أى اهتمام[2] ، مادام عاقلا ، فإذا ألغى عقله ، فماذا بقى له من مـــيزان فى مجـــال العلوم التطبيقية ، سوى الغرض الكاذب ، والزعم الخاطئ[3] .

وهنا نأتى إلى عرض مفهوم الاصطفاء النوعى ، أو الانتخاب الطبيعى ، كمـا يسمونه ، حيث يرى التطوريون أن السير فى مراحل التطـــور الطبيعـــى للخلايـــا والأنواع الناشئة عنها تقابله صعوبات كثيرة ، وان هذه الأنواع تقع فى اختبـــارات متوالية تحتاج إلى قدرات ممتازة على أختراقها ، والكل يحاول عبورها مما يجعل هنـاك نوعا من التنازع فى البقاء والقدرة على الاختراق[4] للصعوبات التى تواجه الخلايا فى مرحلة سيرها المتواصل وتطورها الطبيعى .

---

(١) الأستاذ الشيخ / نديم الجسر – قصة الايمان بين الدين والعلم والفلسفة ص١٨٩ ط ١ .
(٢) الأستاذ / محمد أحمد باشميل – الإسلام ونظرية داروين ص٣٣ .
(٣) وهو الذى يلجأ اليه الملاحدة فى كل مكان وزمان ، وتحت أى ظرف ، فهو بضاعتهم وعدقم .
(٤) أدموند –و– سينوت – الخلية والروح ص٢٩٧ .

حينئذ يظل التنازع قائما لا ينقطع ، لأن الرغبة فى البقاء ما تزال تدفع لذلك التنازع وتقود اليه ، وسوف ينتصر الأقوياء ، اما الضعفاء فالهم سيزدادون ضعفا وهلاكا حتى ينتهى الأمر بهم إلى التلاشى بحيث لا يبقى الا الأصلح الأقوى الأكمل من غيره من الأنواع التى تصارعه فى سبيل البقاء ، ولا علاقة لشىء أخر بهذا الصراع والتنازع للبقاء بحيث يكون خارجا عن نطاق الطبيعة ذاتها[1] ، وإنما هو تنازع ذاتى تفرضه ظروف التولد الطبيعى أو التطور البيولوجى نفسه .

يقول احد الباحثين : نظرية داروين فى أصل الأنواع تقوم على قانون الانتخاب الطبيعى القائل بأن الحياة نشأت بمحض الاتفاق ، فالخلية الحية أو الأميبا ما هى إلا صورة متطورة من المادة البحته الغير عضوية ، ثم تطورت تلك الخلية البسيطة إلى أخرى معقدة .

ثم ظهرت المملكة النباتية والحيوانية ، ثم ظهرت بعدها الزواحف بأنواعها ، وما لبثت أن انقرضت الزواحف ، وقام على أنقاضها الثدييات ، ومن بينها الإنسان الذى تطور عن القردة العليا ، والفرق بين الإنسان والحيوان فى زعهم فرق كمى ، وليس كيفيا ، والقول بالتطور مجرد فرض يعوزه التحقيق العلمى ، وكل ما التمسوه من أدلة لا يرقى به إلى مستوى الحقيقة العلمية المقررة[2] .

وبالتالى فان الانتخاب الطبيعى يقوم عندهم على أمرين :

الأمر الأول : افتراض وجود تنازع وصراع بين الكائنات الحية ، تفرضهما قاعدة البقاء ، وأن هذا التنازع والصراع سيظل مستمرا ، وفى النهاية سيكون البقاء دائما للأقوى ، والأقدر على فض حلبة الصراع لصالحه ، وهو الذى

(١) تشارلز داروين – أصل الأنواع ص٩٣ – ت/ إسماعيل مظهر .

(٢) د/ محمد عبدالستار نصار وآخرون – فى العقيدة الإسلامية والأخلاق ص٨ .

سيستمر ، ويتطور ، ويرتقى ، اما الأضعف فسوف يزداد ضعفا ، وبعدا عـــن ميدان الصراع حتى يتلاشى تماما لعدم صلاحيته فى الاســـتمرار مـــع رحلـــة الحياة[1] ، وهو ذات الانتخاب الطبيعى أو الذى يسمى رئاســـة الغـــالب فى الصراع[2] .

❁ **الأمر الثاني**: أن الطبيعة وحدها هى التى تقوم بذلك الانتخاب الطبيعـــى ، ولا دخل لشيء غيبى ، أو غيره فى ذلك الصراع الذى يجرى داخل مكونات الطبيعة ذاتها من انتصار بعضها على الأخر ، أو غلبته له[3] ، أو هزيمة أحدها وانتصـــار الأخر فالمسألة أقرب ما يكون إلى التراع الداخلى .

وبالتالى فالطبيعة ذاتها هى التى تنتقى الأصلح للبقاء على سبيل الفعل المطـرد ، فيندثر ما عداه ، بحكم أن الأقوى من الكائنات الحية أو أعضائها هو الأبقى ، أمـــا الأضعف فلا سبيل له فى البقاء ، بل أنه ينقرض طبيعيا ويصـــير إلى زوال[4] حتمـــا مهما أمتد به العمر أو بقى على سطح الحياة .

يقرر داروين مثالا يفسر به مزاعمه فى الانتخاب الطبيعى مـــؤداه : أننـــا اذا فرضنا وجود سرب من الأبقار الوحشية تسير فى غابة ، وهذه الأبقار تسعى فى اتجاه واحد نحو طلب المرعى الذى تبحث عنه ، وتجد فى الوصول اليه ، وقد حزمت كـل منها أمرها فى إشباع حاجتها الضرورية متى بلغت المرعى الذى تبحث عنه[5] .

---

(١) تشارلز داروين - أصل الأنواع ص١٤٣ .

(٢) هذه التسمية - رئاسة الغالب فى الصراع - نقترحها من عندنا كعنوان مناسب .

(٣) جورج جاموف - نشوء الكون ص١١٤ .

(٤) الدكتور / عبدالمعطى ،د/ أحمد عبدالحميد الشاعر - الإسلام والتيارات المعـــاصرة ص١١٨ ط الثانيـــة - ١٤٠٠هـــ / ١٩٨٠م.

(٥) الأستاذ / محمد أحمد باشميل - الإسلام ونظرية داروين ص٤٧ .

فان هذه الأبقار الوحشية اذا رأت المرعى الذى تطلبه ، فإنها تتزاحم عليه بعنف ، وحينئذ فالبقر الأقوى هو الذى سوف يفوز بأطايب ما فى المرعى ، فتزداد قوة على قوتها — وصحة على صحتها ، أما البقر الأضعف فانه يزداد ضعفا على ضعفه ، ونحولا على نحولة ، لأنه يرضى بالأقل من الطعام ، نظرا لضعفه على المغالبة[1] ، وعجزه عن المقاومة ، وعدم قدرته عل التقدم فى الصراع حول المرعى ، سواء فى الوصول اليه ، أو التقدم لاقتناص أطايبه .

وإدامة هذا النوع من العمل بين الأبقار يجعل القوى يزداد قوة واكتمالا ، حتى يطور نفسه ، ويرقى بحيث يبلغ أعلاه ، أما أضعفها فانه سيزداد ضعفا إلى ضعفه ، ولا يزال الأضعف يتدهور ويتناقض حتى يتلاشى تماما ، طبقا لما هو قائم من قانون تنازع البقاء[2] ، الذى يعتبره الطبيعيون أمرا قائما فعلا ، وحقيقة علمية رغم أنه مجرد فرض يعوزه الدليل المقبول .

ثم أن هذا السرب من الأبقار الوحشى اذا انتقل من أرض إلى المرعى الأولى التى وقع فيها التنازع إلى أرض مرعى أخرى بعيدة ، فيها طرق وعرة ، ومسالك مضطربة ، فان الأبقار التى كانت قوية فى أرض المرعى الأولى هى التى سوف تقوى على الاستمرار فى الطريق ، وسوف تجتاز كل الصعاب ، حتى تصل إلى أرض المرعى الجديدة دون أن تسقط فى الطريق ، وأن نالها بعض العناء[3] .

---

(١) أصل الأنواع ص١٤٤ .

(٢) هو أحد القواعد التى أقام عليها داروين نزعته التطورية .

(٣) ذلك أمر طبيعى عندهم من غير اعتبار لشيء ، خارج عن قوتها الجسدية ، وهو نفسه يهدم الفكرة من أصلها .

أما الأبقار التى كانت ضعيفة فى أرض المرعى الأولى ، فالها لن تتمكن من الوصول إلى أرض المرعى الجديد الا بصعوبة شديدة ، وفى نفس الوقت فالها لن نتمكن من اجتياز أية عقبة فى الطريق تقابلها ، وإنما ستتساقط بناء على أن ذلك أمر طبيعى[١] ، ونتيجة التنازع فى طريق البقاء ، بحيث يهلك فى النهاية غير الأصلح ، ويبقى فقط الأقوى والأصلح[٢] ، وهو نفسه ذات مفهوم الانتخاب الطبيعى عند أصحابه حسب تصويرهم له .

ب- مناقشة الفكرة

قبل أن أناقش فكرة الأنتخاب الطبيعى فانى أنقل مشاعر أحد رجالات الفلسفة عندهم ، حيث يقول : " أن نزعات العلم الحديث قد رفعتنا - على ما اعتقد - إلى ذروة نشرف منها على ذلك اللجج الواسع ، لج الفلسفة ، أما اذا جازفت بأن انغمر فيه ، فليس ذلك عن إيمان بقدراتى على السبح ، بل ابتغاء أن أظهركم هو عميق ذلك الماء[٣] .

وذلك هو الذى يضغط دائما على أصحاب الوضعية والطبيعة والعلمانية ودعاة الإلحاد فى كل مكان وزمان ، فهم لا يعنيهم الحق ، أو محاولة النجاح فى الوصول اليه ، وإنما هدفهم الأول إبراز الملكات المنحرفة ، والقفز فوق الثوابت ،

---

(١) أصل الأنواع ص١٤٦ وما بعدها .

(٢) تشارلز داروين - أصل الأنواع ص١٤٧ .

(٣) أرثر أدنجتون The nature of the physical world (cambridge university press, 1929 . (.P.276.

ومحاولة الخروج من دائرة الإيمان بالله إلى دوائر الكفر والإلحاد والطغيان ، وما ذلك منعه بغريب أو عليهم ببعيد[1] .

من ثم فإن مناقشتنا لأصحاب التطور البيولوجى ، ومن معهم فى فكرة الانتخاب الطبيعى ، أو الاصطفاء النوعى ، أو التفوق الذاتى الخلوى ، سوف تقوم على الجوانب الآتية :-

١- الجانب الطبيعى

تزعم الفكرة أن هذا الانتخاب الطبيعى تقوم به قوة ذاتية فى الخلية الحية العضوية نفسها ، والسؤال الآن من أين حصلت هذه القوة الذاتية فى الخلية ، رغم أن المادة ساكنة ، والطبيعة جامدة ، فوجود القوة الذاتية يعنى الحركة وهو اعتراف بأن الفكرة غير قائمة على أسس مقبولة من الجانب الفيزيائى ، وإنما هى مجرد افتراض خيالى ، وتحكم يقوم على الوهم فقط[2] .

كما أن عملية الاصطفاء الخلوى ذاتها تحتاج إلى عقل مميز لها فى النوع نفسه ، بحيث يختار الخلايا القوية ، ويترك الخلايا الضعيفة ، وذلك المميز ليس موجودا فى ذات الطبيعة الخلوية ، كما انه ليس جزء من الخلية ذاتها[3] ، وإلا كان الحكم فيها هو نفس الحكم عليه ، فثبت أن فكرة الانتخاب الطبيعى عند أصحابها غير قائمة على أسس أو قواعد طبيعية ، لأنها تدعى وجود حالة فى الخلية لها خاصية الاصطفاء ، من غير أن يعرفوا بمصدر تلك الحالة .

---

(١) والغريب أن بعض أبناء الشرق فى بلاد الإسلام يحاولون تقليد هؤلاء الغربيين الذين لا يعترفون بالله ، ولا يؤمنون بما شرع لله ، ويقومون بترديد أقوالهم .

(٢) أ/ جمال الدين الأفغانى – الرد على الدهريين ص٢٧ .

(٣) هنرى برجسون – التطور الخالق ص٤٢ .

أضف إلى ما سبق قولهم أن روح الحياة نفخت فى الخلية الأولى التى تكونت منها كل الأحياء ، ثم أن هذه الخلية الأولى تكاثرت بحكم طبيعتها فصارت نباتات دنيئة ، أو حيوانات دنيئة ، فتولتها النواميس(١) ، آنفا قرونا فلبثت تتنازع فلم يبق منها إلا الأصلح ، ثم تتغير عليها البيئة فتكتسب صفات جديدة تورثها ذرياتها وهلم جرا حتى تتكون من هذه الجرثومة جميع المخلوقات(٢) ، عن طريق التولد الذاتى ، والانتخاب النوعى .

فمن أين للطبيعة الجامدة الغير عاقلة أن تتكاثر ذاتيا ، أو تنتخب بعض الأصناف ، وتهجر البعض الأخر ، وهى فى حد ذاتها فاقدة الملكة التى تقوم بدور التمايز بين المتماثلات ، وفوق ذلك فعلماء الطبيعة أنفسهم يقررون أن الارتقاء فى سلسلة التطورات الإحيائية عن طريق الانتخاب الطبيعى ، لا يصدق على الإنسان ، ولابد من القول بخلقه رأسا(٣) .

وحيث أن القول بالخلق المباشر المستمر عندنا نحن المسلمين ينتهى إلى الإيمان بوجود الله تعالى فان دعاة التطور يرفضونه مطلقا ، يقول آرثركيث ١٨٦٦-١٩٥٥م أن أمر التطور والارتقاء ، غير ثابت ، ولا يمكن إثباته ، ونحن نؤمن بهذه النظرية ، لأن البديل الوحيد هو الأيمان بالخلق المباشر ، وهو أمر لا يمكن حتى التفكير فيه(٤) ، فضلا عن قبوله ، والإذعان به .

---

(١) النواميس الأربعة التى نادى بها داروين هى :[١] ناموس تنازع البقاء ، [٢] ناموس الانتخاب الطبيعى ، [٣] ناموس المطابقة ، [٤] ناموس تنازع البقاء ، ولسنا نوافقهم على التسمية بالنواميس .

(٢) السلطان صالح بن غالب القميطى - الآيات البينات الدالة على وجود خالق الكائنات - نقلا عن الإسلام ونظرية داروين ص٤٦ .

(٣) دوبزانسكى - الوراثة ونشأة الأنواع ص٢٣٥ .

(٤) الأستاذ / وحيد الدين خان - الدين فى مواجهة العلم ص٣٨ - دار الاعتصام .

وهو نوع من المكابرة والجدل السوفسطائى الذى يدل على إفلاس أصحابه ، وعدم قدرتهم على إصدار أحكام لها أرصدة مقبولة على جهة العلم والدين المترل من قبل الله رب العالمين ، على جهة العلم الطبيعى الذى يزعمون الانتساب اليه .

ويقول الأستاذ العقاد - رحمه الله - أن مذهب التطور والارتقاء لا يزال عرضة لكثير من الشكوك والتصحيحات ، بل عرضه لسنة التطور والارتقاء التى تنتقل به من تفسير إلى تفسير ، ومن حال إلى حال ، وحتما سينتهى الأمر معه كما أبتدأ[1] ، من عودة إلى القول بأن الخلق كله واقع تحت قدرة الله تعالى ، وقائم بعلمه وقدرته .

كما أن فكرة الانتخاب الطبيعى أو الاصطفاء النوعى ما يزال فكرة مطروحة ومبدأ غير مستقر لدى علماء الطبيعة بدليل أن دوفرى نفسه[2] ، قد أثبت خطأ أصول اللاماركية والداروينية ورفض نواميسهم الأربعة - كما يسمولها - التى بنوا عليها نظرية التطور والارتقاء حيث قال :

أن التجارب العلمية الحسية أثبتت بطلان نظرية التطور كلها ، وأكدت وجود مشاهدات تجريبية أنتهت إلى ما سماه بالظهور الفجائى لأنواع نباتية جديدة ظهرت طفرة بدون مرورها على صور تدريجية متنزلة من أسلافها الأولية[3] .

وليس " دوفرى " هو الذى أبطل فكرة الانتخاب الطبيعى بوجه خاص على الجانب الطبيعى ، والداروينية بوجه عام ، بل قد شاركه الرأى العلمى كثيرون من العلماء البيولوجيين .

---

(١) الأستاذ / عباس محمود العقاد - الفلسفة القرآنية ص١٢ .

(٢) أحد علماء الطبيعة المشهورين عندهم وله أبحاث كثيرة فى هذا المجال .

(٣) أ/ محمد أحمد باشميل - الإسلام ونظرية داروين ص٥٠

يقول الدكتور جوستاف جولييه : أن التحولات الفجائية أو الطفـــرة هـــي القاعدة الثابتة فى عالم الحيوانات والنباتات ، فاذا درس الإنسان جميع التاريخ الطبيعى بدقة رأى نظرية التحول بالطفرة فى كل مكان[١] ، بحيث تنسف أفكـــار التطـــور البيولوجى كلها .

ونسب إلى هكسلى أحد أتباع المذهب اللاأرادى[٢] ، قوله أنه بموجب ما لنـا من البيانات لم تبرهن قط ان نوعا من النباتات أو الحيوان نشأ بالانتخاب الطبيعـى ، أو عن طريق الانتخاب الصناعى[٣] ، لأن أى فكر من هذا القبيل لا تدعمه ادلـــة يمكن قبولها ، أو الاعتماد عليها بطريق يقينى ، أو التثبت منها عن طريق الملاحظة أو التجربة التى تقوم عليها العلوم التجريبية .

ومن ثم فلا يمكن قبول فكرة الانتخاب الطبيعى فى الكائنات الحية من جـانب علماء الطبيعة أنفسهم .

٢ـ الجانب التطبيقى

اذا افترضنا جدلا التسليم بافكار التطور الاحيائى ، فان هذا الفرض لابـد أن يتم التطبيق عليه عدة مرات بحيث يؤدى نفس النتائج حتى ينال بعض القبول العلمـى ، او يحظى بشيء من الموافقة التطبيقية ، وذلك يحتاج مباشرة فعليـــة ، وســـلوكا مستمرا للتجربة ، ذاتها التى توضع موضع البحث التجريبى ، وهو ما لم يحدث أبـــدا منهم .

---

(١) المصدر نفسه ص٥١ .

(٢) وهكسلى له باع طويل فى العلوم الطبيعية واتجاهاته معروفة للدراسين .

(٣) المصدر السابق ص٥٤ .

ثم هل يمكن أن يصير البرغوث فيلا أو عمارة فخمة بمرور الزمان وكر الدهور ، وأن ينقلب الفيل برغوثا ، أو تتحول الأشجار أبقارا ، أو أفيالا ، أو حيوانات زاحفة ، أو طائرة ، وهل يمكن أن يتم تطبيق ذلك على أفكار التطور التي قال بها أصحاب الفكر الإلحادى ، أم سيظل ذلك أمرا مستحيلا ، وغيرها قابل لشيء من التطبيق[1] .

ثم كيف يقع الانتخاب الجنسى بين الكائنات التي لا يتوقف تلقيحها على أصولها كالحشرات والطيور من أمثال النباتات ، وكيف تميز الحشرات والطيور ما هو جميل ، وما هو أجمل ، والعجماوات قليلة الادراك لما فى المصنوعات من الجمال[2] ، وهل يقول بذلك عاقل أو يمكنه إقامة دليل تطبيقى عليه ؟!

ثم هب أن هذه الحيوانات الملحقة كانت عذرية الهوى والغرام ، وفى نفس الوقت هائمة بالجمال ، طافحة بالفتنة الخلابة لكنها لا تريد مغازلة ذكورها فتعرض نفسها عليها ، وتستثير مكامن الطاقة فيها ، وإنما تطلب رزقها المقسوم لها، بعفة ودلال ، وفى ثقة واقتدار ، فمن أين يأتى الأنتخاب الطبيعى[3] ، اذن ، وليس هنالك مجال للتطبيق .

يقول أحد الباحثين " لا يزال البرهان ثابتا ومتوافرا بكثرة ساحقة على أن وراء الأبعاد المعروفة للزمان والمكان عالما أخر له ظواهره الخاصة به ، وهو عالم

(١) أ/ جمال الدين الأفغانى - الرد على الدهريين ص٣٧ .

(٢) الشيخ / محمد رضا التقى - نقد فلسفة داروين ص٣٠٥ .

(٣) المصدر نفسه ص٣١١ .

متفاعل طول الوقت بالعالم الطبيعى المعروف ويؤدى وظائفه بأفعـــال تبلـــغ حـــد البساطة[1] .

ولا يمكن التعرف على ذلك العالم الغيبى الا عن طريق الدين نفسه الذى هـــو وحى الله تعالى ، وبه يثبت وجود الله كما ثبت أن الدين مـــن عنـــد الله تعـــالى ، وإرجاع الأمور كلها اليه باعتباره الخالق العظيم جل علاه .

وفى تقديرى أن دعاة التطور البيولوجى أقرب شبها بفرسان الاســـطوانات ، واعنى بهم مقدمى البرامج الاذاعية التى تشتمل على مجموعة من التسجيلات الموسيقية ، مع تعليقات عليها ، لا تتصل بالمحتوى الذى تبثه القمطوعة المذاعة[2] ، فهم فى واد وما يعلنون عنه فى ابعد واد ، والجامع بينهم هو الرغبة الشديدة فى التلاعب بالعقول ، والتحدث عن غير المألوف ، والارتباط المستمر بالعبث واللامعقول ، ومثلـــهم لا يقبل منهم رأى ، ولا يطبق عندهم فكر .

٣ـ جانب علم المخلوقات الآلي[3] .

وهو علم ظهر فى الآونة الأخيرة كمنتج علمى فى مجالات استخدام الطاقـــة والحركة ، وتحويل المادة الكثيفة إلى بسائط متعددة ، فهو نفسه يهدم فكرة التطـــور الإحيائية ، بل ينسفها من أصولها ، لأنه لا تبدو فيه قواعد داروين ومن معه محـــل قبول ، وليس فيه مظهر الانتخاب الطبيعى أو غيره مما يتغنى به الطبيعيون .

---

(١) د/ يحيى هاشم حسن فرغلى – فى مواجهة الالحاد المعاصر ص١٧٦ – ط مجمع البحوث الاسلامية ١٩٨٠م

(٢) هربرت – شيللر – المتلاعبون بالعقول ص٣٣/٣٤ الأصل والهامش ترجمة عبدالسلام رضوان .

(٣) هو علم يقوم على استخدام التكنولوجيا عالية المستوى شديدة التعقيد فى نطاق الهندسة البيولوجية – راجـــع البروفيسور ساهار – الثورة البيولوجية فى القرن العشرين ص٢١٤ – ترجمة حنا فتحى .

وبلغة العلم الذى يزعمون وقوفهم معه نسألهم : ما رأيكـــم فى الاســتنتاج المعلمى الذى أطلق عليه أصحابه اسم " الكائن البشرى الآلى Cgborgs من أيـــن تطور ، وما الذى تم فيه من انتخاب ، وما هى النواميس التى حكمت خطواته حــتى صار على ما يبث الأعلام عنه[1] .

بل أن هذه المستحدثات صارت تدرس تحت اسم علم المخلوقـــات الآليـــة ، ويعنون به الأناسى ذوى الأعضاء الاصطناعية المتعددة حتى استطاع ذلك العلـــم - بتوفيق الله - أن يصنع كائنات تدار بالكمبيوتر شديدة الشبه بالإنســـان الحـــى ، وتستطيع هذه الكائنات الآلية أن تحرك اذرعها وسيقانها ، وأن تعيش وتبتسـم ، وأن تتظاهر بالخجل والخوف والمرح وغير ذلك من المشاعر لكنها لا تنزف دما[2] .

اذن علم المخلوقات الآلية يرفض فكرة التطور الاحيائية ، كما لا يقبل مبــدأ الانتخاب الطبيعى ، وفى نفس الوقت فانه يوجه العديد مـــن الاتهامـــات للفكـــرة وقواعدها التى يزعم أصحابها نسبتها للعلم التجريبى ، أو التطـــور الاحيـــائى[3] ، وكذلك تفعل الهندسة الوراثية[4] .

---

(١) راجع علم المخلوقات الآلى ففيه حديث طويل .

(٢) د/ سعيد محمد الحفار - البيولوجيا ومصير الإنسان ص١٦٦ .

(٣) راجع - ب- هــ- جوهار - الطريق إلى العلم ص١٥٧ - ترجمة خالد عبدالبديع ط بيروت سنة ١٩٨٢.

(٤) والهندسة الوراثة هى الاسم الدارج لواحد من التطبيقات العملية للبيولوجيا الجزئية ، وهى فرع مـــن علـــم الحياة وهى تفترض أن الحياة هى النتيجة النهائية لخصائص المواد التى تكونها ، والحيـــاة فى نظرهـــا كذلـــك ماكينة جزئية - راجع ويليام بينز - الهندسة الوراثية للجميع ص١٧ - ترجمة د/ أحمد مســـتجير - الهيئـــة المصرية ١٩٩٦م .

ومثل تلك الأفكار يحكم عليها بأنه مجرد فروض تخمينية غير قابلة للتطبيــــق العلمى ، ولا التأكيد المعلمى ، وأنها مجرد توقعات فقط ، ومثلها لا يقبل فى ميــدان يكون الفيصل فيه للبحث العلمى المتمكن والتخريب الدائم المستمر .

وإذا كانت مسألة الانتخاب الطبيعى التى تغنى بها الطبيعيون قد فشلت تمامــا فى تفسير نشأة الكون ، والتعرف على الأصول الأولى له ، وإرجاع كافة مظـــاهر الخلق فى الإيجاد والإعدام إلى الله تعالى .

فان القرآن الكريم قد أثبت فشلها المتكرر من قبل ، وفى نفس الوقت أحـــال الأمر كله لله تعالى بدءا ونهاية ، فى أسلوب فياض ، وحوار دافئ أخـــاذ وإعجـــاز علمى وبيانى يأخذ بالعقل السليم إلى حيث يوقفه على الطريق المستقيم ، متى حاول الاهتداء إلى الحق المشروع من قبل الله ، والدين القويم الذى جاء به خاتم الأنبيـــاء وسيد المرسلين سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ.

قال تعالى ﴿ " يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له أن الذين تدعون مـــن دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منـــه ضعف الطالب والمطلوب " ﴾[1] .

فالناس لم يخلقوا أنفسهم بالابتداء ولا التطوير ، ولا غيرهما ، كما لم يخلقـــوا غيرهم مهما كان ذلك المخلوق ، وهو حكم عام ، وسيظل قائما فى لغة التحـــدى الإلهى .

---

(١) سورة الحج الآية ٧٣ .

وهذا التحدى الإلهى سيبقى قائما إلى يوم القيامة ، فلن يستطيع علماء الدنيا بأسرها ، ولو اجتمعوا عليها أن يخلقوا ذبابة واحدة[1] ، مهما كانت صغيرة ، ومهما كانت من ذوات الخلايا الواحدة أو الخلايا المركبة .

أجل وصل الإنسان إلى عتبات العالم الأعلى من الأرض ، وصل إلى القمر ، وقد يصل إلى غير القمر من الكواكب المخلوقة لله تعالى ، ولكنه نوع من استعمال الملكة التى خلقها الله فى عقل الإنسان نفسه ، والأسباب التى وضعها الله تعالى فى الأرض وسخرها أيضا لذلك الإنسان[2] ، وبدون الملكة إلى هى العقل المخلوقة لله ، وبدون الأسباب التى خلقها الله لا يتم شيء من ذلك أبدا ، وكلها راجعة اليه وحده تعالى .

يقول شيخنا الشعراوى " وصل الإنسان إلى القمر ، وقد يصل إلى المريخ ، وقد يتجاوز ذلك ، ولكنه سيظل عاجزا عن خلق ذبابة مهما كشف الله له من العلم ، ولن يعطيه القدرة على خلق ذبابة ، وهذا اعجاز من الله تعالى لأنه وحده الذى خلق كل شيء والعلم كاشف لقدرات الله فى الأرض ، ولكنه ليس موجدا لها[3] .

واذا كان الإنسان وهو المخلوق الراقى بقدراته العقلية ، وملكاته الاستنتاجية ، وإمكانياته العلمية قد عجز عن أن يخلق ولو مجرد ذبابة ، فهل تستطيع نفس الذبابة وهى الأضعف من الإنسان – أن تطور نفسها ذاتيا ، أو تختار من بين أجزائها ما تجعله يرقى فوق غيره ، أو يهبط تحت غيره ، ان ذلك قول من لا يعقل ، وترديد من

---

(١) الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى – الأدلة المادية على وجود الله ص١٧ – الهيئة العامة للمطابع الأميرية ١٤١١هـ/١٩٩٠م .

(٢) د/ عبدالغنى عوض الراجحى – الشمس والقمر ص٤٥ .

(٣) الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى – الأدلة المادية على وجود الله ص١٧ .

لا يفقه أو يفهم ولسنا نقبل قول دعاة التطور ، ولا مزاعم أصحـــاب الانتخـــاب الطبيعى أبدا .

٤. جانب الاستدلال المنطقى

الاستدلال المنطقى يقر بتلك الحقيقة ، ويعترف بها وهى نسبة الخلــق كلــه للخالق ، وهو الله تعالى ، فضلا عن أنه يؤكد عليها ، ويدعمها بالشكل الذى يهدم القول بالتطور الإحيائى ، ويدعم فكرة إرجاع الأمر لله ، بحيــث يكــون القــول بالاعتماد على الطبيعة فى الخلق ، والإيجاد أو استمرار نظام الحيــاة -فضــلا عــن التلاحقات التى تتم فيها[١] - ضربا من الخــروج على المــألوف فى الاســتدلال المنطقى .

يقول الكسيس كيرل " أن العلم الحديث لا يدعى أولا يستطيع أن يدعى أن الحقيقة محصورة فيما علمناه من التجربة والمشاهدة المباشرة ، فالحقيقـــة أن المـــاء سائل ، ونستطيع مشاهدة هذه الحقيقة بأعيننا المجردة ، ولكن الواقع أن كل جـــزئ من الماء يشتمل على ذرتين من الهيدروجين ، وذرة من الأوكسجين ، وليس مـــن الممكن أن نلاحظ هذه الحقيقة العلمية ، ولو أتينا بأقوى ميكروسكوب فى العالم غير أنها ثبتت لدى العلماء لايمانهم بالاستدلال المنطقى[٢] الـــذى يقـــود إلى التســـليم بوجودها .

وقد حاول الطبيعيون[٣] ، من دعاة هذه الأفكار التطورية اللجوء إلى تقسـيم فكرة التطور الإحيائة هذه إلى جزأين :

(١) ذلك شأن الاستدلال المطقى ، فإنه يؤدى إلى نفس النتائج العلمية ،باعتباره المعبر عن لغة المنطق الحديث .

(٢) الأستاذ / وحيد الدين خان - الإسلام يتحدى ص٤٢ .

(٣) لا نقصد علماء البحث فى الطبيعة ، وإنما نقصد أصحاب فلسفة التطور التى يحاول أصحابها تفســير نشـأة الكون على أساس من العلوم الفيزيقية ذاتها والفرق بينهما كبير .

❁ **الأول : نظرية الارتقاء** ، وهى عندهم يقينية ، لا تقبل الشك أو الجدل ، بـــل هى حقيقة ثابتة ، وهى التى يعنون بها ويدافعون عنها ، ويحاول إقامة الأدلـــــة حولها .

❁ **الثانى : سبب الارتقاء** ، وهم يرون أنه ما زال مجهولا ، وبناء عليه فان نظريــة التطور والارتقاء لا تزال نظرية مجهولة الدليل ، وهى النقطة الخطيرة فى نظريــة التطور التى تهدمها على سبيل الاستدلال المنطقى[1] ، وليست مؤيدة لها أبــدا ، وبالتالى فالنظرية تحتاج دليلا جديدا لإثباتها بـــدل الـــذى أهــدم ، وهـــم لا يملكونه[2] .

واذا كان علماء الطبيعة قد رفضوا نظرية الضوء التى قدمها نيوتن ، لأنهـــا لم تنجح فى تفسير مظاهر حديثة للضوء فاننا نرفض أفكار الفلاسفة الملحدين ، لأنهـــا فشلت فى تفسير مظاهر الطبيعة ، وهو نفس الاتجاه الذى ســـــار فيـــه أصحـــاب الاستدلال المنطقى[3] ، من غير منازعة ، بناء على ما لم تقم عليه الأدلة ، أو يفشـــل أصحابه فى تقديم أدلة عليه فإنه يكون مرفوضا منطقيا .

ثم أن تفسير الدين لنشأة الطبيعة هو عين الحق حتى أن هذا التفسير لم يتغـير ، ولن يتغير على مر الدهور ، على حين أن كل نظرية صاغها الإنسان منذ قــــرن أو أكثر أو أقل ، قد رفضت أو أصبحت – على الأقل – موضع شك الآن ، أما صدق

---

(١) الأستاذ / وحيد الدين خان – الدين فى مواجهة العلم ص٣٩ .

(٢) وإذا فقدت الفكرة دليلها صارت عارية يمكن رفضها بسهولة ، بل ان رفضها سيكون هو الغالب .

(٣) راجع كتابنا – اتجاهات المنطق الحديث ص١٤٧ .

الدين فانه يتجلى بعد كل خطوة يخطوها فى الملاحظة حتى ليصبح كل كشف علمى جديد هو نفسه نوع علمى جديد للتصديق بحقائق الدين[١] .

وطبقا للاستدلال المنطقى تكون النتيجة " التى انتهى اليها العلماء وفى كافة أبحاثهم هى أن العلم البشرى قاصر ، وانه ناقص ، وأنه بعيد كل البعد عن أن يلفظ كلمته النهائية فى أى موضوع كان ، وأن الذين يفترون بمعلوماتهم التى عرفوها هم قوم يعيدون كل البعد عن موقف العلماء[٢] ، ومثلهم لا يلتفت اليهم ، ولا يؤخذ بما انتهى اليه أمرهم .

فى نفس الوقت فان الاستدلال المنطقى القائم على الاستنباط العقلى يعترف بضرورة إحالة الخلق كله إلى الله تعالى ، وإلا كان الأمر مخالفا للعقل نفسه ، وهو ما يعتبر أفكار للبدهيات[٣] ، فى مقابل التسليم بالمظنونات ، أو الجدليات المزعومة ، وهو اتجاه ساقط[٤] ، وطريق غير مقبول ، سواء فى خلق الكون كله أو جزء من أجزائه ، أو المحافظة عليه .

يقول أحد الباحثين " لو كان للكون أن يخلق نفسه - فرضا - لكان متمتعا بأوصاف الخالق ، وفى هذه الحالة سنضطر أن نؤمن بأن الكون هو الله .. ، وهكذا انتهى إلى التسليم بوجود الإله نفسه ، ولكن إلهنا هذا سوف يكون عجيبا ، أنه سيكون ألها غيبيا ، وماديا فى آن واحد ، أننى أفضل أن أؤمن بذلك الإله الذى خلق

---

(١) الأستاذ / وحيد الدين خان - الإسلام يتحدى ص٤٧ .

(٢) د/ أحمد طلعت الغنام - أضواء على نظرية النشوء والتطور والارتقاء ص١٦٨ .

(٣) لأن دعوى خلق الطبيعة لنفسها يدحضه اعتبارها خالقا ومخلوقا فى نفس الوقت وهو النتيجة المنطقية اللازمة للمسألة .

(٤) التمسك باليقينات أمر عقلى واستدلال منطقى ، أما الاعتماد على المظنونات فيعيد كل البعد عن مجال القبول .

العالم المادى ، وهو ليس بجزء من هذا الكون ، بل حاكمه ، ومديرة ومدبره ، بدلا من أن أتبنى مثل هذه الخزعبلات[1] ، التى لا تغنى أصحابها ، ولا تساهم فى دعم أرصدتهم التى يعتمدون عليها .

ورفضنا الأفكار التطورية الإحيائية التى نادى بها أصحابه ، وحاولوا من خلالها إصدار أحكام باسم العلم فى تفسير نشأة الكون ليست صفقة تجرى عليها أنظمة المضاربة ، ولكننا نرفضها من منزع دينى خالص لله رب العالمين ، وإيمان راسخ وعقيدة صحيحة فى الله تعالى ، وقدرته وإرادته وعلمه ، وسائر صفاته تعالى[2] .

كما أن القائلين بنظرية التطور هذه لم يكونوا يعلمون شيئا عن وحدات الوراثة والجينات فى الماضى ، وقد وقفوا فى مكانهم حيث يبدأ التطور حقا ، أعنى عند الخلية ، وذلك الكيان الذى يحتوى الجينات ويحملها[3] ، وحتما سينتهى الأمر كله إلى أن الله تعالى وحده هو الخالق وذلك على طريق الاستدلال المنطقى أيضا .

وكان على أصحاب التطور مراجعة مواقفهم من هذه الموضوعات التى تعرضوا لها بالبحث والدراسة فيكتفون بمحاولة معرفة العلائق القائمة بينما مثلا ، أو الروابط التى تقوم فيها وكان هذا يكفى ، أما حين اتجهوا إلى تفسيرها بعيدا عن الاستدلال المنطقى والنقل المنزل فقد خسروا وفى المتاهات سقطوا وغابوا .

---

(١) الأستاذ / وحيد الدين خان – الإسلام يتحدى ص٧١ .

(٢) وهو اعتقادنا نحن المسلمين وسنظل عليه إلى أن نلقى الله تعالى .

(٣) أ. كريسى موريسون – العلم يدعو للإيمان ص١٤٩ .

علما بأن هذا الانتخاب الطبيعى عندهم خال من القصد والنظـــام ، ولهـــذا لا يستطيع أن يفسر لنا العلل والأسباب التى تكمن وراءه ، وإنما يفسر لنـــا أثـــاره ونتائجه فحسب[1] ، ومثله لا يكفى لإقامة مبدأ علمى أو فكر دينى عليه .

ويقرر البروفيسور هريز A.harris أن الاستدلال بقانون الانتخاب الطبيعـى على نشأة الكون يفسر عملية بقاء الأصلح على ناحية علمية ، لكنه لا يســتطيع أن يفسر حدوث هذا الأصلح[2] ولا الكيفية التى تم عليها ، الذى لو أمكن الوصول اليه عن طريق الدين الإسلامى فقط لكانت النتائج طيبة جدا فى مجال الاستدلال علــــى وجود الخالق العظيم وسائر صفاته ،وتفسير نشأة الكون أيضا .

والذى أقف عنده هو أن الاستدلال المنطقى يعــــترف بوجـــود الله تعـــالى كضرورة حتمية ، كما يعترف بأن الله تعالى هو الذى خلق الأكوان جميعها ، وهـــو سبحانه وتعالى الذى يوجد أو يعدم منها ما يشاء دون التفـــات لمســـألة التـــلازم السببى ، أو العلية المتلازمة ، أو الحتمية العقلية ، لأن تلك المفاهيم لا يجوز إطلاقـــها على الله تعالى ، كما لا يصح وصفه تعالى بها ، وهو نفس الاستدلال المنطقى القابل للتطبيق فى مجال تلك الدراسات .

---

(١) د/ عبدالمعطى محمد بيومى ، د/ أحمد الشاعر – الإسلام والتيارات المعاصرة ص١١٨ .

(٢) Revolt aganst Reasan, A. Lunn, P. 133, نقلا عن الإسلام يتحدى ص٣١ .

٥- الجانب الشرعى الاسلامى

أقصد بالجانب الشرعى الإسلامى هنا امرين :-

- **الأول : النقل المنزل** - وهو القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة - فهو الوحيد المعصوم من الخطأ ، أو التحريف والتبديل ، وذلك بحفظ الله تعالى له .

قال تعالى ﴿ " أنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " ﴾[1] ، وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مبينة ضرورة إرجاع الأمر فى كل شيء إلى الله تعالى وحده ، " وما يجرى فى ذلك الكون الذى نعرفه أولا نعرفه ، وكذلك الحال مع السنة النبوية المطهرة[2] ، فهى شقيقة القرآن الكريم ، توضح مبهمة ، وتفصل مجملة ، وتطلق مقيدة ، أو العكس ، وهما معا مصدر التشريع الإسلامى ، قال ﷺ " تركت فيكم ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى "[3] .

- **الثانى : بيان الحكم الشرعى فى المسألة** التى عرضناها عند القائلين بها ، وذلك يحتاج إلى بيان موقف مفكرى المسلمين فى تفهم الآيات القرآنية والأحاديث

---

(١) سورة الحجر الآية ٩

(٢) وقد أهتم ببيان ذلك الجانب علماء العقيدة الإسلامية ، وعلوم القرآن الكريم والحديث الشريف ، وقدمت فيه رسائل جامعية عديدة أغلبها من أبناء الأزهر الشريف ، وداخل كلياته المباركة .

(٣) راجع شرح الفشنى على الأربعين النووية ص١٤٥ .

النبوية[1] ، والرد على القول بالتطور الاحيائى أو البيولوجى ، أو غيرهما مما يدعى أنها تملك فى أمر نفسها أو غيرها شيئا .

من ثم فان القول بالانتخاب الطبيعى يخالف النقل المنزل ، لأن الانتخاب الطبيعى إحالة الخلق على ذاتية الخلق أنفسهم ، وليس إحالة أمر الخلق إلى الخالق العظيم جل علاه ، وقد بينا فساده على النواحى التى سلفت ، وأكدنا أن أمر الخلق كله راجع إلى الله تعالى .

قال تعالى ﴿ " ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير " ﴾[2] .

على أن قضية الخلق محسومة لله سبحانه وتعالى لأنه هو وحده الذى قال أنه خلق و لم يأت أحد أو يجرؤ أحد على أن يدعى أنه الخالق ، واذا كان من يفعل شيئا فانه يحرص على الإعلان عما فعل ، حتى لا يوجد شيء صغيرا أخترعه البشر فى الدنيا الا وحرص صاحبه على الإعلان عن نفسه ، فإن قضية الخلق محسومة لله سبحانه وتعالى [3] .

---

(١) راجع كتابنا – قضايا حبيسة فى الفلسفة الحديثة ص٧٩ ، فهناك فروق كثيرة بين النقل الإسلامى والفكر الإسلامى ، وأن النقل المنزل معصوم ، أما الفكر الذى يخدمه فحلاله حلال ، وحرامه حرام ، وتجرى فيه الأحكام الشرعية الخمسة .

(٢) سورة الأنعام الآيتان ١٠٢/١٠٣ .

(٣) الأدلة المادية على وجود الله تعالى ص١٣ .

لأنه وحده سبحانه وتعالى الذى قال أنه خلق ، وذلك مما لا جدال فيه حتى أن الكفار لم يستطيعوا أن يجادلوا فى هذه القضية[1] ، ولو جادلوا النقل إلينا ، أو نقل عنهم ، و لم تصح نسبته اليهم .

ﷻ قال تعالى ﴿ " ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون " ﴾[2] ، وهو إقرار بإحالة أمر الخلق كله إلى الله تعالى ، العوالم العلوية والسفلية أجزائها والكليات الشاملة لها .

ﷻ وقال تعالى ﴿ " ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون " ﴾[3] ، وذلك يؤكد أن أمر الخلق كله يرجع إلى الله وحده ، وقد أعترف به الكفار قديما ، والملاحدة ينكرونه حديثا ، وليس لديهم دليل واحد مقبول على مزاعمهم الفاسدة .

فثبت أن القول بالانتخاب الطبيعى غير مقبول على الناحية الشرعية أيضا ، وذلك مما يجعل هذه الأفكار واجبة الهجران والنكران .

ومن الملاحظ أن مسألة الخلق والتقدير والعناية والتدبير كلها من أفعال الله وصفاته[4] ، وبالتالى فإن ما يجرى فى هذا الكون الرحب الفسيح إنما هو من أفعال الله تعالى طبقا لما دون فى قضائه ، ويجرى به قدره ، ويحيط به علمه ، وتخصه عن

---

(١) الأدلة المادية على وجود الله ص١٣ .

(٢) سورة العنكبوت الاية ٦١ .

(٣) سورة العنكبوت الآية ٦٣ .

(٤) يقسم العلماء صفات الله تعالى باعتبار الذات والفعل إلى قسمين : الأول :- صفات الذات ، وهى التى لا يقع فيها الاشتراك اللفظى بين الله تعالى والمخلوقين ، كالمحيى والخالق ، والمبدئ والمعيد . الثانى :- صفات الأفعال ، وهى التى يقع فيها الاشتراك اللفظى فقط مع وجود الفارق الكبير بين ما يخص الله تعالى ، وما يخص المخلوقين من حيث المعنى - حاشية الجرجانى على مطالع الأنوار ص٧ - المطبعة الأميرية .

غيره ارادته ، وتقوم قدرته تعالى بإيجاده أو إعدامه حسب ما جرى به العلم الإلهى الأزلى .

ولذا فقد وردت مادة خ ل ق فى القرآن الكريم مرات عديدة [1] ، ومن المعروف أن سيدنا أدم عليه السلام ، هو أبو البشر ، وأول موجود على ظهر البسيطه ، وأول نبى نزل عليه الوحى ، وكان خلقه من تراب ... ثم تحول التراب بعد صب الماء عليه بأمر الله تعالى إلى طين فصار هذا الطين حمأ مسنونا ، ثم جف هذا الحمأ المسنون فصار صلصالا كالفخار ، ثم سوى الله جل جلاله صورة آدم عليه السلام من هذا الفخار ، ثم نفخ فيه من روحه فكان إنسانا أصلا لأبنائه الموجودين عموما إلى أن تنتهى الدنيا[2] .

ولا يمكن أن تكون تلك المراحل فى خلق الإنسان قد تمت وحدها عن طريق التطور الإحيائى أو الانتخاب الطبيعى أو الاصطناعى النوعى بدليل أن الزوجين المبصرين قد ينجبان مكفوف البصر ، وقد يحدث العكس فينجب الزوجان المكفوفان أولادا مبصرين ، فأين دور الانتخاب الطبيعى فى الحالتين ، ومشاهد الحياة فيها من ذلك ما يصعب حصره على وجه اليقين ، مما يهدم الأفكار الشاذة ، ويلغى من دائرة القبول الأبحاث المنحرفة ، ويجعل الإيمان بالله تعالى والتصديق بأنه وحده الخالق هى الحقيقة الثابتة والأكيدة فى نفس الوقت .

---

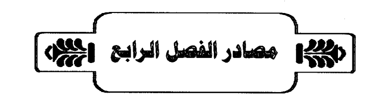
(١) أ/ محمد فؤاد عبدالباقى - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ط الغزالى بدمشق .

(٢) د/ سيد أحمد رمضان المسير - الزام القرآن للماديين والملبين ص١٧/١٨ - ط١ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

ﷻ قال تعالى :﴿ " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قـــرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكســـونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا أخر فتبارك الله أحسن الخالقين "﴾[1] .

وذلك مما لا ينكره عاقل ومن اعتقد فى غيره خاب مسعاه ، وضاع منه هداه ، وعاش كافرا بالله ، وهو الحكم الذى ينطبق على الداروينية وأمثالهم ، ممن يجعلون الطبيعة خالقا ، والمادة الها . تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

(١) سورة المؤمنون - الآيات ١٢/١٤ .



تم ترتيب هذه المصادر حسب ورودها أسفل الصفحات

[١] القرآن الكريم

[٢] الأستاذ / محمد أحمد باشميل – الإسلام ونظرية دارون .

[٣] الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة .

[٤] د/ رفقى زاهر – عصر القلق .

[٥] رابوبورت – مبادئ الفلسفة

[٦] د/ رفقى زاهر – أوهام الماركسية .

[٧] هربرت أ– شيللر – المتلاعبون بالعقول – ترجمة عبدالسلام رضوان .

[٨] د/ محمد حسينى موسى محمد الغزالى – قضايا حبيسة فى الفلسفة الحديثة .

[٩] توبى أ.هاف – فجر العلم الحديث – ترجمة أحمد محمود صبحى .

[١٠] سلامة موسى – نظرية التطور وأصل الأنواع .

[١١] الأستاذ / يوسف كرم – تاريخ الفلسفة الحديثة .

[١٢] د/ محمد عبدالستار نصار وآخرون – فى العقيدة الإسلامية والأخلاق .

[١٣] الأستاذ / عبدالكريم الخطيب – التفسير القرآنى للقرآن .

[١٤] د/ أحمد طلعت الغنام – أضواء على نظرية النشوء والتطور والأرتقاء .

[١٥] د/ محمد حسينى موسى الغزالى – أوراق متناثرة فى التيارات المعاصرة .

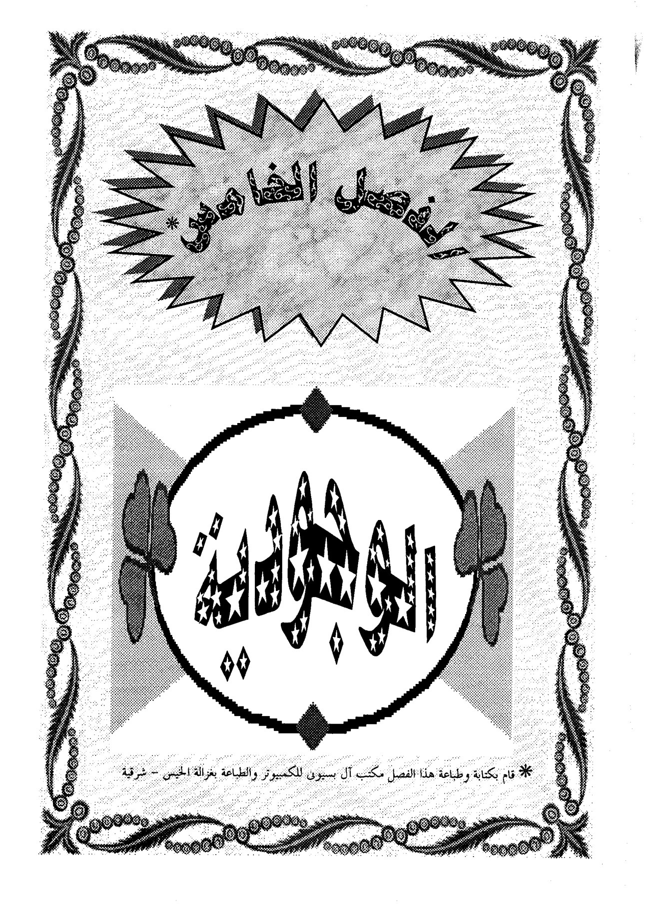
[١٦] د/ توفيق عبدالخالق – مميزات النحو العربى

[١٧] باتو – ب براريس – تكنولوجيا الانتقال فى المكان .
[١٨] المهندس – فاضل شوقى – التكنولوجيا ونظم المعلومات .
[١٩] روبارت – تومسكى – قياسات الزمن المتطورة .
[٢٠] أ.ب – برونسكى – الكائن الحى والتطور السلوكى .
[٢١] د/ أميرة المصرى – الفرد والجماعة .
[٢٢] د/ سمية مصطفى – العادات المتغيرة وأثرها فى المجتمع .
[٢٣] د/ آمال محمد فاروق – علم النفس والتكيف الأجتماعى .
[٢٤] د/ على حسب الله – أصول التشريع الإسلامى .
[٢٥] برتراند راسل – فلسفتى .
[٢٦] فلاووست – التطور التاريخى .
[٢٧] لويس دبى بروجليه – الفيزياء والميكروفيزياء .
[٢٨] جاكوب برونوفسكى – التطور الحضارى وارتقاء الإنسان .
[٢٩] د/ محمد حسينى موسى الغزالى – التفكير الإنسانى ومستوياته .
[٣٠] أ.ب – برونسكى – الكائن الحى والتطور البيولوجى .
[٣١] د/ محمد حسينى موسى الغزالى – أنسام حيية فى الأفكار الصوفية .
[٣٢] د/ يوسف الفرضاوى – الإسلام والعلمانية وجها لوجه .
[٣٣] د/ عبدالصبور شاهين – قصة أبو زيد وإغشاء العلمانية .
[٣٤] د/ ناهد البقصمى – الهندسة الوراثية .
[٣٥] إلياس أنطوان – تطور الأحياء .
[٣٦] د/ عبدالمعطى بيومى زاخر – الإسلام والتيارات المعاصرة .
[٣٧] د/ سعيد محمد الحفار – البيولوجيا ومصير الإنسان .

[٣٨] ستيفن روز – علم الإحياء والأيدلوجيا والطبيعة البشرية .
[٣٩] جيمس هنرى بستيد – فجر الضمير .
[٤٠] أ.ب – سورز – تطور الكائنات الحية .
[٤١] د/ محمود قاسم – المنطق الحديث ومناهج البحث .
[٤٢] الأستاذ / خالد فوزى – زعماء التطور .
[٤٣] أ.ب روبرت – أعلام الداروينية .
[٤٤] ويليام بيتزا – الهندسة الوراثية للجميع .
[٤٥] د/ خيرى أحمد – أرنست هيكل وفلسفته .
[٤٦] أرنست هيكل – مذكرات هيكل .
[٤٧] فلسفة الغرب وكيف نفهمهم .
[٤٨] الأستاذ / محمد قطب – مذاهب فكرية معاصرة .
[٤٩] د/ عوض الله جاد حجازى – تاريخ الفلسفة اليونانية .
[٥٠] د/ محمد سيد أحمد المسير – المجتمع المثالى .
[٥١] د/ أحمد عبده الجمل – تاريخ الفلسفة اليونانية
[٥٢] د/ ممحمد حسينى موسى الغزالى – حبو الوليد فى علم التوحيد .
[٥٣] ابن سينا – الأشارات والتنبيهات .
[٥٤] د/ عبدالله عبدالدايم – الثورة التكنولوجية .
[٥٥] د/ أو سيورت – الماركسية والتحليل النفسى .
[٥٦] أ.ب بنسيون – الأنا الذاتى والأخر .
[٥٧] الأستاذ / إسماعيل مظهر – تطور الكائنات الحية .
[٥٨] أدموند وسنيوت – الخلية والروح .

[٥٩] أدموند وسنيوت – حياة الروح فى ضوء العلم .
[٦٠] العلامة القاسمى – دلائل التوحيد .
[٦١] مدام – كيلى – المادية التاريخية .
[٦٢] أسس المادية الديالكتبكية والتاريخية
[٦٣] جورج بولتيز – أصول الفلسفة الماركسية .
[٦٤] د/ محمد غلاب – الفلسفة الأغريقية .
[٦٥] د/ سيد أحمد رمضان المسير – الزام القرآن للماديين والملبيين
[٦٦] الأستاذ / جمال الدين الأفغانى – الرد على الدهريين .
[٦٧] د/ سليمان دنيا – التفكير الفلسفى الإسلامى .
[٦٨] د/ سليمان خميس – محاضرات فى العقيدة .
[٦٩] د/ محمد حسينى موسى الغزالى – الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى .
[٧٠] السيد الشريف الجرجانى – شرح المواقف – الموقف الخامس .
[٧١] دوبزانسكى – الوراثة ونشأة الأنواع .
[٧٢] د/ فؤاد زكريا – التفكير العلمى .
[٧٣] باتو – التحليل الرياضى لنظرية التطور .
[٧٤] هنرى توماس – زعماء التطور الإحيائى من لامارك إلى والاس .
[٧٥] الفريد والاس – مذكراتى الشخصية .
[٧٦] الأستاذ / وحيد الدين خان – الإسلام يتحدى .
[٧٧] كريسى موريسون – العلم يدعو للإيمان .
[٧٨] د/ مصطفى الفولى – بعض مظاهر التقدم فى العلوم البيولوجية .
[٧٩] الأستاذ / وحيد الدين خان – الدين فى مواجهة العلم .

[٨٠] جوهار – الطريق إلى العلم .
[٨١] الشيخ / محمد متولى الشعراوى – الأدلة المادية على وجود الله تعالى .
[٨٢] ساهار – الثورة البيولوجية فى القرن العشرين .
[٨٣] الأستاذ / عباس محمود العقاد – الفلسفة القرآنية .



* قام بكتابة وطباعة هذا الفصل مكتب آل بسيونى للكمبيوتر والطباعة بغزالة الخيس - شرقية

تمهيد

الفكر الوجودى انتشر فترة من الزمان ، وحاول الولوج لكل مكان ، حتى ان القائمين عليه لم يجدوا حرجا فى الاعلان عن انضمامهم له، ولو كان مخالفا للدين ، معاكسا للفطرة ولن نحاول البحث فى الفكر الوجودى كله ، وانما سأبذل جهدى فى عرض فكرة القلق فى الوجودية ، وبيان موقف الاسلام منها لان غرضى هو التركيز على القضايا والافكار ، وليس التاريخ والآثار .

كما أن القلق لفظ يحمل من المعانى الكثير ، ولذا حفلت به الدراسات العديدة ، وتوفرت على دراسته الأبحاث الكثيرة ، بل وتعددت الاتجاهات الفكرية التى شغلت بموضوع القلق حتى صارت هى الأخرى قلقة فيها من الاضطراب بقدر ما فى القلق من الحيرة والتوجس ، وتحيط حولها المزالق كما يحيط السوار بالمعصم بل صاحب القلق مرض الارق ، وصار يهدد العديد من سكان العالم ، فقد طيرت وكالات الانباء ان الارق واضطرابات النوم من اكثر امراض العصر انتشارا ، وتؤكد دراسة علمية اجريت على مرضى من ١٥ دولة من بينها اليابان والبرازيل ، أن الأرق يصيب واحدا من كل اربعة اشخاص فى العالم وينجم عنه خسائر تقدر بمليارات الدولارات سنويا.

ويقول العلماء انه من الواضح ان الارق اصبح بالفعل ظاهرة واسعة الانتشار بدليل الاقبال الهائل على عقار الميلاتون الذى يساعد على النوم الهادئ والعميق وكذلك الموتيفال وغيرها من هذه العقاقير.

وتقول الدراسة التى أجريت بمعهد هنرى فورد لبحوث اضطرابات النوم ان الأرق يتسبب فى الاصابة بالارتباك فى النهار والليل وعدم القدرة على

التركيز ، ويزيد من الضغط العصبى والنفسى ، وأكبر ظواهـره الواضحـه تزايـد حوادث السيارات بمعدل مرتين ونصف المرة بين الأشخاص الذيـن يعـانون مـن الأرق عن الاشخاص الذين ينعمون بنوم هادئ.

وطبقا للأرقام التى وردت بالدراسة ؛ فإن اضطرابـات النـوم تصيـب ٧٪ من الشعب اليابانى و٤٠٪ فـى البـرازيل و٣٣٪ فى الولايـات المتحـدة وتصـل الخسائر الناتجه عن اضطرابات النوم فى الولايات المتحدة وحدها الى حوالى ١٥ مليار دولا سنويا .(١)

ورغم أن القلق لفظ شائع ، وفكرة ضاربة فـى الزمـن البعيـد ، الا أنـه - كموضوع - لم يكن له الحق فى أن ينال مـن الدراسـة القـدر الكـافئ، وذلـك لأسباب راجعه الى موضوع القلق نفسه من حيثيات عدة ولم يكن لينال حظـه من الدراسـه قديمـا الا كمصـدر لغـوى يوجـد فـى بطـون القواميـس والمعـاجم وبخاصة فى العوالم التى لم تقف على الشرع .

حتى جاءت الرسالات السماوية الكتابية فراحت تذكره حينا وتشـير اليـه فى بعض الأحايين ، ومرة تصرح به وأخرى تلمح له أو تلـوح ، فـاذا مـا جـاء الاسلام الدين الحنيف وجدناه يواجه القلق بنـوع مـن التحديـد لمعنـاه والـتركيز على موضوعه ونتائجه ثم طرق الوقاية منه والعلاج ، فسمى مرة باسـم نتائجـه كالأرق الناشئ عن القلـق . وهـذا مـا صرحـت بـه السـنه النبويـة المطهـرة فـى الحديث المروى عن سيدنا خالد بن الوليد أو سعد بن أبى وقاص على اختـلاف فى الرواية.

---

(١) الاربعاء ١٧ اغسطس ٩٦ جريدة الاهرام ٢٢ ربيع اول ١٤١٧هـ صفحه ١ عمود ٥، ٦
(٢) جريدة الأهرام المصرية ٧/ اغسطس ٩٦

ومضمون الحديث أن خالد أو سعدا شكا لرسول الله ﷺ من القلق الذى ينتابه أثناء خلوده للنوم فقال له الرسول ﷺ " اذا أويت الى فراشك فقل بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم رب السماوات السبع وماأظلت ورب الأرضين وما أقلت ، ورب الشياطين وما أضلت كن لى جارا من شرار خلقك أجمعين من أن يفرط على أحد منهم أو أن يطغى . عز جارك وجل ثناؤك وتبارك اسمك ولاإله الا أنت وحدك لاشريك لك.

وقد اتفقت الراويات على أن من فعل ذلك ذهب عنه قلقه وراح بعيدا عنه أرقه ونجاه الله من هذا السوء المرضى بحوله - تعالى- وقوته وأن يردد قوله تعالى: (فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين).

ومرة يسمى بالأسباب الموجدة له ، وأخرى بالأعراض المشابهة للملابسات التى تشترك معه فى بعض المظاهر سواء كانت تلك الظواهر نفسية أو عصبية بل ان القرآن الكريم والسنه المطهرة قد حددا القلق من حيث مصدره ومكامنه وطرق الوقاية وسبل النجاة منه مما سيرد فى ثنايا البحث باذن الله تعالى.

من هنا نشطت الدراسات التى تبحث عن القلق كموضوع نوهت اليه الرسالات سواء كان قلقا مرضيا او قلقا صحيا ، وسواء كان من الدرجة الأولى أو الأخيرة أنه القلق. ثم جاءت الفلسفات الحديثة والمعاصرة فبحثت عن القلق كناحية فكرية تكونت على أنقاضها مذاهب ومدارس فلسفية وفكرية مما حدا بنا الى محاولة البحث عن هذا القلق لكن فى حدود ضيقة جدا هى الفلسفة الوجودية . ولذا سنقصر هذا الحديث حول هذه النقطة والله أسأل التوفيق والهداية.....

أولا : القلق فى اللغه والاصطلاح

شغلت فكرة القلق ميدانا كبيرا من الدراسات العلمية والأدبية بل والفلسفية ، مما جعل البعض يفردها بالبحث والدرس والتقصى ، وربما تسلطت على بعض الأفكار فجعلت أصحابها يعشقون القلق كفكرة ، ويعيشون فيه معايشه ويتخذونه منهج فكر وأسلوب حياة ، وقد يمتد هذا السلطان الجائر - كفكرة الى حنايا هؤلاء وبطون أفكار أولئك فيحول بينهم والفطرة المتأنية بل والفكر السليم.

ومن غريب الأمور أن هذا السلطان يحول من يصل اليهم الى مرضى يعانون القلق بكافة أشكاله وكل صوره وألوانه ، وبعد المعاناة تأتى النتائج الحتمية التى تمثل آثارا سلبية على المجتمع كله من وجود هؤلاء القلقين الذين يتحولون الى طاقات معطلة ، وامكانات مهدرة ومجهود عقلى مستباح ، ولكل منهم ضحاياه التى لاتتر جموعها أمام العد ولايتوقف نزيفهم عند الملاقاة بعد الصد.

والقلق فكرة أدبية تقترب من الانسان لتشاركه أحلامه كما تنازعه آماله وهى مع الانسان منذ عرف معنى القلق وحدد له مدلولا ، لذا نجد القلق فى الفلسفة كما هو فى الأدب من حيث وجوده الفعلى وكما نراه ماثلا امامنا فى دراسات الطب الوقائى والعلاجى ، ونجده بارزا فى المعاجم اللغوية والمصطلحات الفنيه مما يدفعنا الى تحديد معناه- القلق -فى

أ- اللغة لأن الألفاظ أثواب للمعانى - كما يقولون -.

ب- المعاجم والمصطلحات . لأنها تحمل المعنى الفنى لأى لفظ يراد وذلك على النحو التالى:

(أ) فى اللغه:

جاءت لفظة القلق فى لغة العرب حاوية من المعانى الكثير ، فهى تدل أحيانا على الانزعاج العاطفى والوجدانى ، وتدل كذلك على عدم الارتياح النفسى ، وتأتى مرة فى الحقيقة وتأتى مرات أخرى على سبيل المجاز ، ولكل منهما أقسام جاءت لفظة القلق فيها.

قال صاحب المختار

" القلق ، الانزعاج ، والقلق من باب طرب فهو قلق ، يقال بات فلان قلقا ، وأقلقه غيره[1] وبالتالى فإن ماده الكلمة ومشتقاتها تدل لغويا على التخوف وعدم الارتياح فى كافة النواحى ، ويكفى أنها انزعاج يشمل كافة حياة الانسان النفسيه والبدنيه من الداخل والخارج معا.

وقال صاحب القاموس المحيط :

" القلق، محركه الانزعاج ، والقلق ضرب من القلائد، ورجل قلق وأمرأة قلق الوشاح، ورجل وأمرأة مقلاق ، واقلقت الناقة قلق جهازها أى قتبها وآلتها"[2] ونفس المعنى مال اليه صاحب اساس البلاغة وهو ان القلق يفيد الانزعاج والاثارة والترقب [3].

---

(١) مختار الصحاح باب القاف فصل اللام والميم صـ٥٧٥ط ٣ المطبعه الاميرية سنة ١٩١١م - ١٣٢٩هـ

(٢) القاموس المحيط صـ٢٨٩ج باب القاف فصل القاف والام دار الجيل ببيروت.

(٣) اساس البلاغة صـ٥٢٠ - ٥٢١ ط دار الفكر بيروت

وقال أصحاب المنجد

" قلقا الشئ حركة ، قلق أضطرب وانزعج ، فهو قلق ومقلاق ، وهى قلقة ومقلاق ، وأقلقه .. أزعجه ... وأقلق .. القوم السيوف فى الغمد حركوها فى أغمادها قبل أن يحتاجوا الى سلها لتسهل عند الحاجة اليها "(١) ومشتقاتها تدل على التخوف وعدم الاستقرار فى كافة النواحى ، ويكفى أن القلق عند اللغويين جميعا يحمل القاسم المشترك للانزعاج كما يمثل التخبط فى كافة النواحى التى تؤثر فى الانسان ويتأثر بها ، سواء كانت تلك النواحى نفيسة أوبدنية أوعقلية ، علمية أوعملية من الداخل أو بغض النظر عن أن تلك اللفظة ترددت فى الكثير من المصادر واحتلت العديد من المراجع وتربعت على الكثير من الآفكار وتسلطت عليها أو وسمتها بطابعها.

(ب) الموسوعى والاصطلاحى :

جاءت لفظة القلق فى الموسوعات العلمية تتأخى مع اللغوية ليتكون منها معا معنى دقيق عام وشامل وهذه الموسوعات رغم كثرتها الا أننا سننتخب منها واحدة لنتعرف على القلق عندها ، وهى :

الموسوعة الميسرة :

عرفت الموسوعة القلق بأنة "حالة نفسية غير سارة من التوتر العصبى ، تدل على أن المريض يتوقع خطرا فى اللاوعى (٢) ورغم انه تعرف موسوعى الا انه يقترب كثيرا من التعاريف السيكولوجية مما يجعلنا نذكر أحدها دليلا على ما نقول:

---

(١) وما من شك فى أن هذا المعنى يؤكد على أن مادة القلق فى اللغة .

(٢) الموسوعة الميسرة ص١٣٩٢ .

التعريف السيكولوجى :

عرف علماء الصحة النفسية القلق بأنة "علامة ظاهرة لصراع مستمر فى أعماق اللاشعور"[1] بيد أن هذا التعريف السيكولوجى قد جعل القلق علامة ظاهرة لصراع مستمر ، بينما القلق ذاتة يحمل علامات عدة وله مميزات ظاهرة ، فكيف يكون القلق حالة نفسية ، ومرضا نفسيا - اذا كان مرضيا وهو فى نفس الوقت علامة لصراع مستمر فى أعماق اللاشعور؟

ان هذا الفرع من التعاريف يقال عليه تعريف غير مانع ، لآن اللاشعور ينشأ فى أعماق الكثير من الصراعات ، ولكل منها سببه الظاهر ، وعلامته البينة، والتى يتميز بها عن غيرة ، ولم يقل أحد انها جميعا علامة ظاهرة تمثل القلق أو هو علامة عليها ، مما يجعل هذا التعريف غير مانع ومثله لا يقبل عندما يراد منه تحديد المعروف بصورة كافية .

ولذا قال العلامة المنطقى الامام الآحضرى ، فى بيان هذا اللون من التعاريف .

وشرط كل أن يرى مطردا	منعكسا وظاهرا لا أبعدا
ولا مساويا ولا تجوزا	بلا قرينة بها تحرزا
ولابما يدرى بمحدود ولا	مشترك من القرينة خلا [2]

---

(١) د / معمر خالد الأمراض النفسية الشائعة صـ ٣٣

(٢) العلامة / عبد الرحمن الأخضرى من السلم فى علم المنطق فصل فى المعرفات - المكتبة التجارية الكبرى بمصر.)

والمطلوب : لقبول التعريف وافادته الغرض المطلوب ، أن يكون جامعا مانعا ، لذا كان على التعريف السيكولوجى للقلق أن ينص على أن القلق علامة ظاهرة من علامات عديدة لصراعات مستمرة فى اعماق اللاشعور ، بحيث تتميز هذه العلامة بأنها للقلق دون غيره ، وأن يتميز القلق كمرض سيكولوجى عن غيره من سائر الأمراض النفسية الأخرى والتى قد تشترك معه فى كثير من الظواهر ، مثل :

- الهستيريا .
- والوسواس القهرى .
- والاكتئاب التفاعلى .
- والمخاوف ...

والأفكار السيئة التى يطلق عليها جميعا اسم العصاب Neurosis ونكتفى بهذا القدر من المعنى الموسوعى والاصطلاحى خشية الاطالة .

ثانيا : (القلق ظاهرة سيكولوجية)

مفهوم القلق كظاهرة سيكولوجية :-

اختلفت اتجاهات الباحثين فى الصحة النفسية حين حاولوا وضع مفهوم محدد للقلق .

أ-فمنهم من عرفه بالموضوع .

ب-ومنهم من عرفه بالغرض والخاصة

ج-ومنهم من عرفة بالمقارنة من غيره .

ثم ان هذا التعريف للقلق قد جر بعض الباحثين الى تعريف أقسامه ، من حاد عنيف الى عادى جبلى ، كما أن بعضهم قد مال الى تعريفه بالحد مرة ، وبالرسم أخرى ولكنا سنضرب صفحا عن كل هؤلاء ، ونقسم اتجاهاتهم ونعرف بها ثم نعقب عليها ، ونبدأ بالدراسات العلمية والبحثية.

التعريف الأول:

القلق عبارة عن " استجابة انفعالية يثيرها كل ما يعنى توقع عقاب من نوع أو آخر "(1) هو بهذا يكون نوعا من أنواع الخوف المرضى، ونعنى به الخوف من المجهول ، وقد يكون لذلك سبب واقعى وقد لايكون ، لأنه ينحصر فى مجرد التوقع الذى تعقبه الاستجابه الانفعالية.

من ثم فإن المحرك والمكون الاساسى لجزئياته ، اما ظلم واقع من سلطان جائر أو فوارق اجتماعية ، أو تناقض وجدانى ، وهو يمثل حالات ذاتية لأصحابها ، بحيث لايمكن اعتباره قانونا عاما ونؤكد ضرورة بحثه كظاهرة ومعالجته كمرض، وأقرب مايمكن فهمه منه ، أن الحالات المتشابهة من هذا النوع يمكن وضعها فى مجموعة نوعية متميزة ، تسمى مجموعة القلق المتوقع .

وهذا التعريف غير جامع لأن الاستجابة الانفعاليه ليست قاصرة على توقع العقاب فقط وانما هى كذلك فى انتظار الثواب ، وقد رأينا ذلك كثيرا ، فى

---

(1) الاستاذ/ محمد عماد الدين اسماعيل / الشخصية والعلاج النفسى ص ١٩٩ دار النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٥٩م.

الحالات التي ينتظر أصحابها صدور أحكام بتخفيف العقوبة عنهم ، فما ان يصدر الحكم عليهم بالبراءة الا ويفاجأ الجميع بأن حدة قلقه قد ازدادت وربما أودت بحياته.

وكذلك من لم يرزق الذرية وزوجه فى حملها الأول فهو يتوقع خيرا ومع هذا تبدو عليه علامات القلق واضحة يثيرها توقعه لخير قادم ، وعلى هذا فإن التعريف السالف الذكر ليس تعريفا جامعا.

التعريف الثانى:

ان القلق " انفعال مكتسب مركب من الخوف والألم وتوقع الشر.... ولهذا فالقلق حالة من التوتر الانفعالى تشير الى وجود خطر يهدد الذات [1] وهذا التعريف يؤكد وجود نوعين من الانفعال ، نوع فطرى وآخر مكتسب ثم يعود فيؤكد أن القلق حالة من التوتر الانفعالى ، وهو تعريف للقلق بالأثر الناشئ عن وجوده وأعنى به تعريف بالخاصة.

وهو ليس مفيدا فى تقدم العلوم بقدر مايفيد فى تكوين بعض المعارف الانسانية، ثم ان هذا التعريف قد جعل القلق ينشأ عن انفعال مركب من أجزاء عديدة ، رغم أن كل جزء منها وحده يكفى لوجود القلق الحاد وفى كل صوره ، فلماذا جعلها أجزاء له وكان من الممكن اعتبارها أسبابا للقلق مباشرة وهذا الذى نميل اليه ونحيل عليه.

---

(١) الاستاذ /احمد عزت راجح / أصول علم النفس صـ١٦٨ دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٩م.

التعريف الثالث:

عرف القلق بأنه " حاله توتر شامل ومستمر نتيجه تهديد خطر فعلى أو رمزى قد يحدث ويصحبها خوف غامض وأعراض نفسيه وجسميه "[1]، وربما يكون هذا التعريف أشمل من غيره فى تحديد مفهوم القلق عند علماء الصحة النفسية ولذلك نجده يغلب على استعمالاتهم، يوضح ذلك بقية التعاريف.

التعريف الرابع:

أن القلق عبارة عن " شعور غامض غير سار ، بالتوقع والخوف ، والتحفز والتوتر مصحوب عادة ببعض الاحساسات الجسمية "[2] ويقترب من هذا التعريف الخامس الذى يصف القلق وصفا اكلينيكيا على نحو وقائى على ماهو المدون عند علماء الطب النفسى .

التعريف الخامس:

القلق عبارة عن " حالة توتر شامل نتيجة توقع تهديد خطر فعلى او رمزى قد يحدث ، ويصحبها خوف غامض وأعراض نفسيه جسمية[3] ثم ان هذا التعريف يؤكد على تحويلات القلق وعدم ثباته و قابليته للتحول والصيرورة والحدة والضعف فيقول.

---

(١) أ/ عادل عز الدين الأشول - سيكولوجية الشخصية صـ ٣٢٧ الانجلو.

(٢) د/ احمد عكاشه - الطب النفسى المعاصر ص٤١ الانجلو المصرية.

(٣) د/ حامد عبدالسلام زهران الصحة النفسية والعلاج النفسى صـ ٣٧١.

والقلق غالبا مايكون عرضا لبعض الاضطرابات النفسيه " ومعنى ذلك أن القلق ليس حالة مرضية ، وانما هو نتيجة لاضطرابات نفسيه فلو عولجت لتغير الموقف ، الا أنه يعود فيقرر " أن حالة القلق قد تغلب فتصبح هى نفسها اضطرابا نفسيا اساسيا وهذا ما يعرف باسم القلق Anxuaty H ezetion أورد فعل القلق Anxiety Hezetion وهو أكثر حالات العصاب شيوعا - ويمكن اعتبار القلق انفعالا مركبا.(١)

ومن الباحثين من اعتبر القلق قيمة مرتبطة بحجم الصراع " الناتج عن الرغبات والدوافع التى يريد الانسان اشباعها أو تخفيفها ، وبين ضميره الذى يحول دون الاشباع (٢)". وعلى هذا النحو جرى أغلب الباحثين فى مفهوم القلق كناحية سيكولوجية لا كمفهوم فلسفى ، لذا نجد باحثا غلب على دراسته الطابع السيكولوجى قد جعل القلق أنواعا ثلاثة:

١-القلق الخلقى " وهو موجود فى صورة الشعور بالذنب فيما يتعلق بالأنا الأعلى" وهى الجهاز الوحيد من الأجهزة النفسية التى تشعر به وتولده[٣]".

٢-القلق الموضوعى: وهو قلق يدفع صاحبه الى التحفظ والاحتياط خوفا من الحرمان الذى يتهدده فى ذاته او بدنه ومجاله البدن والظروف الاقتصادية التى تؤثر على الفرد كوحدة مستقلة فى المجتمع المحيط به.

---

(١) المصدر السابق ص٣٧١، (عالم الكتب بالقاهرة لسنة ١٩٧٤م)

(٢) د/ابراهيم وجيه -صحة النفس ص٥٤ دار المعارف.

(٣) الاستاذة/ سامية عباس لقطان - دراسة مقارنة لمستوى القلق عند المراهقات الكفيفات والمبصرات / ماجستير بكلية التربية عين شمس لسنة ١٩٧٤ مخطوطه بالكلية.

٣-القلق العصابى : وهو قلق عام يحمل من المخاوف ما يدفعه الى الاندفاع فى افعاله بسبب كبت يصب المرء لعجزه عنـد التعبير عـن رغباتـه الاجتماعيـه والجنسية والعدوانية خاصة اذا كان فى وسط بيئة ترى ذلك غير مبـاح ، وبهذا الشكل " نجد أن فرويد قدميز أنواعا ثلاثة من القلق[1] وهى التـى مـر ذكرها.

٤-القلق الموقفى : وهو نوع من القلق المؤقت ينشأ عنه اضطـراب فسـيولوجى وازدياد فى ضربات القلب مع سرعة فيها ، وافـرازات لعابيـة فـى الحلـق أو جفاف فيه ، وهو عادة ينشأ بسرعة ويـزول كذلـك ، وفـى الغـالب يدفـع صاحبه الى الحيرة فلا يتمكن من اتخاذ قرار فى ذات لحظات القلق .

وأسبابه متعددة وكثيرة جدا كتعدد الحـوادث اليوميـة والأحـداث الدائـرة وأمثلته الضعف الجنسى المؤقت بسبب المرض أو اضطـراب الخلايـا الخلاليـة[2] وحوادث السرقة التى يـأتى ذكرهـا علـى ألسـنة النـاس أو الصحـف السـيارة ، خاصة اذا تمكن القـاضى أو الكـاتب مـن توفـير عنصـر التشـويق والاثـارة فيهـا ويكون المعتدى عليه صديقا لقارئ القصة أو سامع الخبر .

وهذا النوع من القلق الموقفى قـد أشـارت اليـه الابحـاث العلميـة الدقيقـة المعاصرة واكدت على أنه " ما من أحد الا أصابه القلق فى وقت ما ، بسبب أو

---

(١) د/سيد محمد غنيم -سيكولوجية الشخصية ص٦١٨ دار النهضة العربية ١٩٧٥م.

(٢) د/محمد فتحى - التوافق الزوجى والضعف والبرود ص ٢٩٠ حيث قال " نعـرف اليـوم أن شغف الشخص بجنسه هو نـوع مـن العصـاب المكتسب والمؤقت - وانـه يمكن الشفاء منه بتحليل النفس".

بدون سبب[١] وبالتالى فهذا النوع من القلق قاسم مشترك بين كل العقلاء من البشر وهو غير مرضى ، وليست له أسباب محصورة وان كانت أعراضه تمثل القاسم المشترك بين جميع الأمراض النفسيه "

بل ويعتقد أن القلق هو الأساس فى جميع هذه الأمراض ، وأن الأعراض الاخرى تظهر للزود عن الانسان وحمايته من القلق ، أو تظهر كبديل للقلق"[٢] وليس بلازم أن يكون هذا النوع من القلق مرضيا ، بل من الممكن أن يكون قلقا ضروريا تمليه الرغبة فى العمل والحاجة الى الجد والمثابرة ، كما يكون رافعا لابراز الملكات الخبيئة ، والاتقان الذى يفوق حد المهارة ، وهو عادة يجد مكانه فى صدور النابهين ، وأفكار النابغين ، وربما تخطاها جميعا الى حد الابداع فى كل نواحيه ، وليس هذا الانسان القلق مريضا ، لانه كما قلنا قلق مؤقت تقود اليه الضرورة ، وتدفع اليه الحاجه وهو ليس مرضا مالم يتجاوز هذا الحد اذ المقرر " أن الانسان الطبيعي لابد أن يمر بفترات من القلق[٣] لكنه متى كان لصالح الفرد نفسه فهو قلق ايجابى اما اذا كان لغير صالحه فهو القلق المرضى ولذا يحتاج العلاج .

---

(١) الدكتور / عادل صادق - اسرار فى حياتك وحياة الآخرين صـ ١٣٢ كتاب اليوم.

(٢) المصدر السابق ص١٣٣.

(٣) المصدر السابق صـ ١٣٤.

تعريفات أخرى للقلق:

١-القلق عبارة عن " صراع ناتج عن فقدان التوازن عن فشل فـي التكيـف"(١) وهذا التعريف أقرب الى الاجتماعى منـه الى القلـق النفسـى السيكولوجى، كما انه تعبير فيه من العموم الكثير . حيث أشـار الى فقـدان التوازن وهـو تعبير يتجه الى الطبقات الاجتماعيه ، والأبنية الجوهرية للمجتمع ،ثـم ان الذى يزيده وضوحا وانصرافا الى علم الاجتماع ، هو بقية التعريف - عن فشل فى التكيف .

لذا أرى أنه تعريـف لاينصب بوضـوح على القلـق النفسـى سـواء بـالمعنى الصحى او المعنى المرضى ، وانما يتجه الى التراكيب الاجتماعيـه وتكويناتها دون نظر الى الفرد ذاته الذى هو محل وراثة للقلق عنده وأثره عليه.

٢-القلق عبارة عن" حالة من الخوف الغامض الشـديد، الـذى يمتلـك الانسـان ويسبب له كثـيرا مـن الكـدر والضيـق" وبرغـم أن هـذا التعريـف قـد شمـل الخوف الغامض الا أنه لايتفق مع كثير من الدراسات العلمية التى تـرى أن القلق فى أغلب أحواله تكون أسبابه معروفه على نحو ما .

وقد اعـترف بذلـك المرضى أنفسـهم فـى مرحلـة العـلاج وبعـده مـن ان الخوف عندهم كانت أسبابه معروفة، وأن الكـدر والضيـق الناشـئان مـن القلـق والخوف لم يكونا الا وهما مرضيا ، ثم ان المخـاوف جميعهـا "بالنسـبة لمجموعـة

---

(١) د/ابو مدين شافعى - القلق سلسة اقرا.

الأمراض النفسية" قسم مستقل عن القلق تماما حسب تقسيمات أمراض النفس العديدة التى تعرف باسم العصاب Neurosis وهى:

أ-القلق النفسى Anxiety Neurosis

ب-الهستيريا Hysterical Reaction.

ت-الوسواس القهرى Obsessive Compulsive Neu.Rosis

ث-الاكتئاب التفاعلى Reactive Depression

ج-المخاوف Phobic Reactions. (١)

وبالتالى فاعتبار القلق حالة من الخوف هو تعريف للشئ بقسيمه ، وهذا لايجوز فى باب التعاريف ، ولو كان التعريف قد تفادى فكرة الخوف الغامض الشديد ، واستخدم بدلا منها حالة من عدم الارتياح الذى يتملك الانسان لكان قد تفادى الخوف واعتباره اصلا فى التعريف وكان فى هذه الحالة تعريفا جامعا فقط ، وهذا يدل على اهتمام الدارسين والباحثين بموضوع القلق بصفة عامة المرضى منه والصحى؟ .

٣- القلق عبارة عن " حالة من التوتر الشامل الذى ينشأ خلال صراعات الدوافع ومحاولات الفرد للتكيف"(٢) داخل نفسه او مع المجتمع الذى يعيش فيه.

---

(١) الدكتور / عادل صادق - الطب النفسى صـ ١٢

(٢) الدكتور / طلعت غنام - الاسلام وتيارات الفكر المعاصر صـ ٧٣ عالم الكتب ط٢.

ورغم أن هذا التعريف فيه من الشمول والعموم، الا أن احالة اسباب القلق الى التوتر الناشئ عن صراعات الدوافع تنصب على النوع المرضى منه فقط ، ولاتؤدى الى النوع الصحى بحال ، ومع ذلك فهو أقرب للقبو ل من سواه ، وان لم يكن كافيا فى وضع تعريف كامل لمفهوم القلق من الناحية السيكولوجية ، أو الفلسفية ، فما هو الفرق بين القلق الصحى والقلق المرضى؟

الفرق بين القلق المرضى والقلق الصحى

قد يتصور الناس أن القلق مرض نفسى تمتد أسبابه الى قوى الجسم فتنهكها ، ثم تتجه الى القوى العقلية فتجهز عليها ، ويتحول المرء العادى بعدها الى مريض تطارده الوساوس وتقضى عليه الهواجس ويقتله القلق فى كل لحظات عمره حتى ينتهى به القلق الى القتل أو الانتحار أو الاقدام على أفعال تعكر صفو الأمن العام، وهذا التصور انما يمثل رأى العوام فقط، أومن ليست لديهم دراية بالظروف النفسية ، ومطالعتهم فى هذا الفن الخطير قليلة فما هو رأى الطب النفسى؟

يرى المتخصصون فى الطب النفسى أن القلق نوعان:

النوع الأول:

نوع مرضى، وهو الذى يمثل خطرا على حياة المريض أو حياة المحيطين به ويحتاج الى علاج يتناسب مع حجم القلق عنده ، والدرجه التى وصلت اليها حالته النفسية أو العقلية بسبب القلق النفسى .Anxiety neurousis

النوع الثاني :

القلق الصحى ، هو الذى " يحدث لأى انسان يتعرض لأزمة أو مشكلة ، وهو ظاهرة صحية وضرورية لحياة الانسان كالقلق الذى يتنابنا قبل الامتحانات ، أو ونحن مقبلون على مشروع جديد "[1] وهذا النوع من القلق ليس مرضيا ولكنه صحى لا يخلو منه الانسان الطبيعي ،" كما انه هو الذى يحفز الانسان للعمل والاجتهاد والاتقان " بل ان القلق الصحى علامة قوية على تطلعات الانسان الطبيعي وآماله " وكلما زادت تطلعات الانسان زاد قلقه ، وهذا يجعله بالتالى يضاعف من مجهوده "[2] مع ملاحظة أن المضاعفة فى المجهود تكون فى حدود الممكن وليست فى حدود المستحيل .

وليس القلق على التفصيل هو الصحى والمرضى فقط ولكن بين القلق المرضى والقلق الصحى أنواع أخرى من القلق نوضحها مع ادخال الصحى وغيره حتى يكون التفصيل مؤديا الغرض المراد على النحو التالى :

١- القلق الطبيعي أو الصحى ، وهو الذى يحفز صاحبه الى العمل ويقوده الى ابراز المهارة وزيادة الانتاج والتطلع الدائم لما فيه مصالحه وطبقا لظروف المجتمع المحيط به

٢- القلق النفسى: وهو الذى يقود الانسان الى الاحساس المخيف، ويدفعه الى التوتر والتوقع السئ فيفقد قدرته على الراحة . ويحرمه التمتع بالحياة ،

---

(١) الدكتور / عادل صادق - الطب النفسى ص١٦،١٥ دار المعارف

(٢) الدكتور / عادل صادق- اسرار فى حياتك وحياة الآخرين صـ ١٣٥.

وتصاحبه اعراض فسيولوجية ، كسرعة نبضات القلب واضطرابات المعدة والضعف ، وهو مرضى يحتاج دقة فى التشخيص . والتزاما فى العلاج والتركيز على ضرورة التخلى عن اسبابه.

٣- القلق المصاحب لبعض الامراض العضوية ، وهو الناشئ عن وجود أورام بالغدة فوق الكلوية ، ونقص السكر فى الدم ، وهو غير مرضى ويزول بزوال سببه العضوى لكن اذا لم يتم التدارك للحالة فان الامور ربما اشتدت وبالتالى يتحول الى حالة مرضية بعد ان كان صورة عرضية .

٤- القلق المصاحب لبعض الأمراض النفسيه والعقلية ، وهو المصاحب لبعض الامراض النفسية مثل:

١- العصاب .

٢- الوسواس القهرى .

٣- الاكتئاب .

٤- الفصام Neurosis.

تعريف الباحث : القلق هو حالة للنفس اما دافعة للجد والاجتهاد وتوقع الخير ، وهو القلق الصحى واما داعيه الى التردد والانفعال وتوقع المكروه بدرجاته المختلفة وهو القلق المرضى .

وأيما كان الأمر فإن القلق فى الدراسات التربوية والسيكولوجية قد نال حظا كبيرا ، من الدراسة كما أنه فى الدراسات اللغوية قد حظى بقدر من الاهتمام، وهذا هو الذى دعانا لافراد الحديث عن القلق كظاهرة سيكولوجية

تعيش فى الانسان وتوجه سلوكه وتسيطر على الكثير من أفعاله ويوصف بها العديد من تصرفاته ، لنخلص الى مفهوم القلق فى الفلسفة بصفة عامة والوجودية بصفة خاصة.

ثالثا : القلق الفلسفى:

تعتبر لفظة"القلق " من الألفاظ المستخدمه كثيرا ويقع لها التداول باستمرار ولذا نجدها فى اللغة كما نراها فى الاصطلاح ، ونتابعها فى الصحة كما نراقبها فى المرض ، بل انها تكاد أن تشترك فى كل العلوم ، سواء باعتبارها لفظا محددا يحمل معنى معينا أو باعتبارها اصطلاحا خاصا لدى أصحاب كل فن من الفنون بحيث يصعب حصر ميادين استخدامها حصرا دقيقا ، وذلك للأسباب التالية:

أولا : أنها موجودة فى المعاجم والقواميس اللغوية والفنية بصورة بارزة ودلالة محددة.

ثانيا : أنها فى العلوم السيكولوجية تحمل من المعانى الكثير ولها من الدلالات النصيب الأوفى.

ثالثا: فى العلوم الاقتصادية تواجهنا رافعه يديها منتظرة ما تسفر عنه الظروف الطبيعية والمناقشات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على السواء بحيث يصعب على الباحث أن يجد مجتمعا خاليا منها أو من معانيها.

رابعا: أنها فى العصر الحديث- عصر التقدم العلمى - صارت ترتع فى عقول الناس جميعا ، بل ان بعضهم يقتاد بنفسه اليها ثم يسلم جوانحه أمامها ، متوقعا حربا ضروسا تذهب بالأموال والأنفس ويهلك فيها الزرع والضرع ويكون سببها سلطان المادة الذى لايرحم والغضب الذى يستولى

على أصحابه سواء كان ذلك السلطان داخليا ماديا كما حدث مع المفاعل النووى تشيرنوبل الذى دفعه غروره الى ارتكاب حماقة حين أراد احداث بلبلة بين جيرانه فأخرج بعض أسرار غضبة التى ستترك بصماتها السوء على مجاوريه لسنوات طويلة قادمة .

أو كان سلطانا بشريا تعيش فى أحضانه نزوة الشر ، وتسيطر على جوانحه المفزعه أساطين الغرور فيشعلها نارا حامية تذوق البشرية ويلاتها وتلتظى بنارها كما حدث فى هيروشيما ونجازاكى وسائر الدول والبلدان التى وقع فيها نوع من التدمير بالالة التى تمكن الانسان من صنعها ، وتعرف بالتقنية الصناعية على الوجه الفنى ، بل أن القلق أمتد الآن الى كل الناس تقريبا.

ففى أفريقيا يعانى الناس ندرة المطر بل ويتوقع بعضهم المزيد من الندرة مع انه ضرورى لهم وعليه حياتهم ومعاشهم ، وهم يواجهون جفافا لم يتمرسوا عليه و لم يعدوا أنفسهم له، وشبح الموت يطل عليهم برأسه فى كل يوم ألف مرة ، وهم يشاهدونه فى مأساة الجوع التى يموت بسببها الكثيرون من بينهم ولاحيلة لهم فى دفعه أو تأجيله أو تلبيته استغاثات الاقربين مما يسبب لهم قلقا متزايدا وانزعاجا مستمرا ، تعجز حكوماتهم عن مواجهته ، وتفشل وسائل مقاومتهم عن مغالبته وهم فى كل حال مستعدون للحياة آملين فيها مترقبين الموت كارهين له ، والقلق يعايشهم معايشه ذاتية. وفى اوروبا يعيش الناس حالات من الفزع المستمر والقلق الدائم والاضطرابات التى لاتغيب نذره من شدة الأمطار التى أغرقت بلادهم ودمرت زراعاتهم وتوشك أن تبتلعهم عن بكرة أبيهم، حتى أن بعضهم يهرب الى قمم الجبال يواجه الموت مع الصقيع قبل ان تذيقه السيول مرارتها وتجرعه الثلوج كأس الحمى الذى لامفر من ابتلاعه

وهو يشاهد أطلال حياته تتداعى بعد أن منى نفسه بحياة رغدة شادها بكد اليمين وعرق الجبين .

ولاتختلف أسيا وأمريكا عن أوربا الا فى المزيد من القلق والخوف وانتشار الرعب من الرعب ذاته ، ولاينبئك مثل خبير بل ان المطالع اخبارهم ، المشاهد احوالهم ، يراهم قد فقدوا الامان فى كل شئ فانطلقوا الى شهواتهم يعبون منها الى ابعد حد .

أما فى استراليا فالقلق راح اليها يداعب هدؤها بحيوانات مفترسة صغيرة الحجم كثيرة العدد تواجه المحاصيل فتلتهمها، وتشارك الاناسى أكلهم ومشربهم بل وتقض مضاجع آمنهم سواء كانت تلك الحيوانات تحت اسم الأرنب الأبيض أو الوحشى ، أو تحت اسم الفئران الجبلية أو أى مسمى آخر ، المهم أنها ترسل القلق اليهم وتبثه فيهم ، وبل وتعمل جاهدة على تدعيمه بكل معانيه وتبرزه فى كافة اشكاله وفى كل مكان يصل اليه الانسان.

اذن فقد صار القلق مشكلة سواء بلفظة أو معناه كما أعتبر مأساة لاحيلة للناس امامها اولاقدرة لهم على مقاومتها سوى السلوى والحرمان أو قدراً يحاول العاقل التعامل معه بقدر امكانياته ، وكل حسب ثقافته وظروفه ومعتقده وبها جميعا ينال حظه من القلق ، وفيها جميعا يقاومه على قدر امكانياته المتاحه ولذا كانت أفضل مقاومة لدى المسلم هى أن يقول " اللهم إنى لا أسألك رد

القضاء وأسألك اللطف فيه"[1] أما لماذا؟ .. فلآن المؤمن عارف ان الدعاء طريق الرجاء وان الرسول ﷺ قال الدعاء والقضاء ليتعالجان الى يوم القيامة.

وراح الناس جميعا يهرعون الى ادبائهم ومفكريهم وعلمائهم وموجهيهم وحكمائهم ومنصفيهم يناشدونهم مواجهة هذا الخطر الداهم الذى أطلقوا عليه جميعا اسم القلق ، ولم يكن الفلاسفة والمفكرون بمعزل عن هؤلاء وأولئك بل إن الناس هبوا اليهم يسألونهم جوابا لما يواجهونه من مأساة.

وبقدر ما حاول كل أصحاب مسألة من اصطناع وسائل لمقاومة هذا القلق كان دور الفلاسفة بارزا وبالقدر الذى يوجهون به بلادهم كان تحملهم لنصيبهم مما جعلنا نفرد فصلا مستقلا عن مفهوم القلق فى الفلسفة بوجه عام وقد مهدنا له بالتمهيد الذى مر ذكره فما هو القلق الفلسفى؟

١- قديما : فى الفلسفة الطبيعية:

كان القلق فى الفلسفة الاولى فى عصور فلسفة ماقبل الفلسفة او فى عصر فلسفة التدوين ومـاتلاه من عصور يمثل محاولة للاجابة على السؤال المفروض.

أ- من أين أتى هذا العالم ؟

ب- وأين ابتدأ ؟

جـ - وما مصيره؟

---

(١) حديث شريف.

وكانت تلك الاجابات المتواضعه تمثل لونا من القلق الفلسفى ولولاه لما كان البحث عن اصل هذا العالم او نشأته ، أو بدايته أو مصيره و لذا كان هذا القلق ايجابيا يبحث عن جواب على الاسئلة المفترضة بعد ان تعثرت الاجابة ازمانا متطاولة ولذا تعثر الجواب طويلا ، ولكنها كانت محاولات تعتمد على نفسها بعيدا عن وحى السماء خاصة فى الأمم التى لم يكن بعث فيها أنبياء.

وكانت الاجابات المتواضعه تهز أركان القلق وتضفى على أصحابه بعض السكينة حتى يأتى فيلسوف آخر يوكد ما ذكره سابقه أو يهدمه ، والكل فى ذلك سواء، الفلسفة الطبيعيه الأولى والثانية حتى الشكاك الأول، والسوفسطائية كان الدافع لما يقومون به هو محاولة التغلب على القلق الذى يعيش بداخلهم بحيث يمكن تعريف القلق عندهم جميعا بأنه:

" محاولة التغلب العقلى على الاسئلة المفترضة لايجاد اجابة واحدة كافية لاسئلة عديدة نامية وطريقها لذلك الكون الملموس- المادة المحسوسة ثم المعقول فيما بعد .

٢- فى الفلسفة الالهية:

ونعنى بها الفلسفة التى شدت انتباه العقل وصعدت به من عالم المادة الى عالم العقل بصفة كاملة سواء كانت تلك الفلسفة لمعرفة الاله أو لوضع صفات له أو تعريف يتناسب مع ذاته جل وعلا .

وسواء كانت تلك الفلسفة قد قامت على يد أفلاطون او غيره أو أى من اصحاب الفكر الحر فانها على اية حال قد صاحبتها ظروف عديدة مهدت لقضايا اللاهوت . من ثم فقد عاش القلق الفلسفى فى الفلسفة الالهية يصارع

قضاياها ويهز بناءها بعنف حتى صار علامة عليها، وكان أبرز مظاهره هو المحاوله الجادة لاثبات موجود غير محسوس له علاقة تدبير بالعالم المحسوس عن طريق الفكرة عند اكزينوفان أو المثل عند أفلاطون. أو غيره.

بيد أن هذه المحاولة لم تكن كافية لاطفاء نار القلق المستعره ولذا كان على خليفة الأول بارمنيدس وزينون واجب أكيد هو اجتثاث بذرة القلق من صدور الايونيين.

كما كان على أرسطو – خليفة أفلاطون – أن يبذل كافة شئونه ليريح الناس من معاناه القلق لبعض الوقت ، ولكن جهود الجميع لم توفق لأن القلق قضية أكبر من أن يحكم فيها فنان أو تخضع لقضاء أديب ، بل أنها ظلت تخوض غمار المعارك وتستعيد نشاطها بصفة مستمرة حتى كادت تغلب الجميع لولا أن من الله علينا ، ووجدت من يقف لها بقوة الدين الحنيف دين الاسلام الذى نعتز به ونفاخر بالانتساب اليه فيحدد أسبابها ويجعل العلاج فى مقدمه جيوشه لمقاومة غزوها – سواء كان العلاج وقائيا أو دوائيا ، ومع هذا تخفت على البعض فارتدت ثوب المسكنة ، او عاشت فى حنايا الانكسار قانعة بأن المستقبل ملئ بالمفاجآت وأن غدا نفتح لها الابواب فاذا هى قائمة حتى واجهتنا فتية قوية ، تأبت على مقاومة الفلسفة المعاصرة.

٣ - فى الفلسفة المعاصرة :

شغلت فكرة القلق فى الفلسفة المعاصرة قدرا كبيرا من عقول المفكرين والفلاسفة وقام كل يخوض تجربته فى التعريف بالقلق وطرق مقاومته وتحديد أشكاله وأسبابه ولكنا سنخص بالذكر الفلاسفة الوجوديين فقط أو ما يطلق

عليهم اسم الفلاسفة الوجوديين[1] وسنحصر البحث فى الفلسفة الوجودية المعاصرة فقط وفى رؤس اصحابها بشكل محدد على النحو التالى :

أولا: بليز باسكال:

يعتبر باسكال هو:" راسم طريق الوجودية الحديثة والمخطط الأول لمعالمها وواضع الخطوط العريضة لهيا كلها ونماذجهاالمتباينة "[2] لذا كان تعريفه للقلق بأنه:

العامل الخفى الذى يدفع الارادة الانسانية نحو التطلع الى ماوراء طاقتها"[3] ورغم أن فكر باسكال يمثل الجانب المضئ من الفلسفة الوجودية حيث أنه يعترف بالاله وان كان اعترافا مسيحيا الا أنه لم يترك موجات فكرية متعاقبه يمكنها أن تصارع الأفكار الالحاديه أو أن تنزل بها هزيمة من نوع ما.

وربما تسأل ماهو الإله فى المسيحية السياسية عند باسكال ؟

والجواب أنه إله جوهر يحل فى غيره حلولا متناسبا مع الغير ، ولذا فهو يحل فى رحم العذراء ماريا ، كما يحل فى ارحام سائر الكائنات التى تتحرك بقدرته.

---

(١) لأن البعض منهم أثر عنه أنه كان يكره ان يوصف بأنه فيلسوف وجودى بل كان ينفر من ذلك كما فعل كارل يسبرز فقد كان هو نفسه لايرحب كثيرا بهذه التسميه ، اعتقادا منه بأن سارتر وحده هو الذى ارتضى لنفسه هذا الاسم " د/ زكريا ابراهيم دراسات فى الفلسفة المعاصرة صـ ٤٥٢ كما فعل ذلك جبريل مارسيل حين رفض أن يطلق على فلسفته هذا الاسم - الفلسفة الوجودية وآثر أن يسمى فلسفة باسم " السقراطيه الجديدة اوالسقراطية المسيحية " المصدر السابق صـ ٤٨٢.

(٢) د/ طلعت غنام الاسلام وتيارات الفكر المعاصر صـ ٤٤

(٣) د/ محمد غلاب مشكلة الألوهية صـ ١٧٩ دار احياء الكتب العربية

ثانيا : جبريل مارسيل:

فرنسى الأصل كاثوليكى المعتقد سقراطى النزعة ولد عام ١٨٨٩م ؛ تعددت مواهبه وتنوعت بين أدبية وفلسفية جسمت المشكلات الانسانية ومنحها الحياة والقلق والحركة وصارت أعماله الفنيه أعمال مواقف أكثر منها أعمال فكر، حتى اعتبره البعض صاحب فلسفة دينية مقنعة .

تعريفه للقلق:

لايكاد الباحث فى فلسفة مارسيل يجد تعريفا محددا للفظ القلق، اللهم الا ما يمكن أن ينتزعه من ثنايا أفكار مارسيل ، ذلك لأنه يفرق بين أمرين بين لفظ الحياة ولفظ الوجود ويؤكد على أن لكل منهما معنى محددا ولذا فهو يؤثر الوجود على الحياة ، لأن كلمة الوجود فى نظره تعنى أمورا ثلاثة.

الاول : الحرية.

الثاني: القلق.

الثالث: الابداع.

ولكل منها ميدانه المستقل وظروفه التى تنشأ عنها وبالتالى يمكننا تعريف القلق عنده بأنه " الجانب السلبى من جوانب الوجود والذى يتوقف فيه الابداع وتعجز حرية المرء عن خلق نفسها بنفسها وفى اتجاهها باستمرار نحو العلو على نفسها".(١)

---

(١) د/زكريا ابراهيم - دراسات فى الفلسفة المعاصرة ص٥٠٢.

وهذا التعريف يعنى ضـرورة أن مارسيلى يرفض العبث ويكره اليأس . ولايعترف بـالقلق المرضى الـذى يجوس خـلال عقـول وأفكـار أفـراد الفلسفة الوجودية ، ثم هو يطالب الناس جميعا بالاقبال على الحياة بحرية مطلقة واختيـار صرف لاعلاقة للامور الغيبية فى المسألة انها بجرد اسـباب ومسببات لأن ذلـك فعل ايمانى يرفع صاحبه الى درجات الحريـة المطلقـة والارادة الحـرة الخيرة حتـى ينتهى به ذلك كله الى طريق تـأخذ بـه للقفـز فـوق المتنـاهى والزمـان والفوز بالتعالى والأبدى.

من ثم فإن مارسيل يؤكد ثانية أن القلق المرضى لامكان له فى فكره وأن اليأس مرفوض عنده، كما أنه دليل على نقصان الايمان فـى الصـدور، لأن الثقـة والحرية والأمل أمور جوهرية كلها أما اليأس والقلق والفتور فهى أمـور عرضيـه وان الأولى دليل على صلابة المؤمن والثانية دليل على ضعفه ، وحتما سيصل بـه الضعف الى الهلاك ان استمرأ، أواستمر عليه.

لذا رأينا مارسيل يرفع لافته الأمل المفتوح فى وجه اليائسين لعل عيونهـم الغافية تنفتح عليها يوما ما فتبصر مابقى لهم من أمل فى الحيـاة ، وهكـذا عـاش فتبصر مارسيل يدافع عن قضيته التى طالما أسسها وأقام الأدلة عليها وكافح مـن أجلها حتى أسلمها الى خلفه فمنهم من تمسك بها ، ومنهم من تنصل عنها.

ثالثا : جان بول سارتر:

فرنسى الاصل ، مضطرب المعتقد ، لولبى المذهب ، ثورى الفكر، متمـرد على كل مايحيط به ، شغل العالم المعاصر بأدبه وفكره ، وقاد شـباب أوربـا الى الجريمه واليأس والانتحار ، كما انه زعيم الشعبة الملحدة من الفلسفة الوجودية ،

و لم يتح الفرصة لقارئه العادى أن يميز بين الأفكار الفلسفية والأفكار الادبية حيث تم الخلط بين الوجودية الأدبية والوجودية السارترية أو الفلسفية ، وكان القلق من تلك القضايا التى تعرض لها فما هو تعريفه للقلق؟

الجواب : أن سارتر عرف القلق الفلسفى بتعريفين يمكن ابرازهما من خلال فلسفته.

الأول: باعتباره أثرا لغيره :

وهو أن القلق عبارة عن " مجموعة نتائج اختيارنا اذ أن الفرد يختار القواعد التى يسير عليها فى سلوكه دون أن يستطيع الحكم على قيمتها ، التى هى ذاتها وتنشأ من هذا الاختيار نفسه [1] وأن تلك النتائج القائمة على اختيارها هى قواعد منضبطة فى ذاتها، وان لم يكن من الممكن الحكم عليها من ناحية القيمة الفنية التى تقوم عليها ، بالرغم من أن تلك القيمة هى نفسها نتيجة مؤكدة لهذا الاختيار ومعنى هذا أن القلق رغم أنه اختيار حر مطلق الا أنه فى حد ذاته موصل للعدم والموت من وجهة نظر سارتر نفسه.

الثاني: باعتبار مؤثرا فى غيره :

يؤكد سارتر على أن القلق وسيلة الانسان " ليتعرف على ذاته من خلال القلق " [2] على ان الانسان متى ادرك من نفسه القلق والاضطراب امكن معرفة ذاته وتميزها عن غيرها من الكائنات الاخرى ولذا نرى سارتر قد غير فكرته عن

---

(١) د/طلعت غنام - الاسلام وتيارات الفكر المعاصر صـ ٧٩ عالم الكتب ط١

(٢) د/ زكريا ابراهيم - دراسات فى الفلسفة المعاصرة صـ ٥٢٠ ط ١.

القلق فيما بعد واستخدم بدلا منه مفهوم الحاجه ، واذا كان القلق قد وجد له مكانا فى كتاب الوجود والعدم لسارتر ، فان الحاجة صارت تمثل مفهوما جوهريا فى كتابه نقد العقل الجدلى " وسواء انتهى المطاف بسارتر الى القلق أو الحاجه فإن الذى لاشك فيه هو أن فكرة القلق قد برزت فى الفلسفة الوجودية بصفة خاصة على غيرها من الأفكار الأخرى والمبادئ الأساسية فى الفلسفة الوجودية على وجه العموم ، حتى صار بالامكان القول بأن الفلسفة الوجودية هى القلق ، أو ان القلق هو ابرز قضايا الفلسفة الوجودية .

ولئن كانت شهرة جان بول سارتر قد طيرت فى الآفاق ذكره، وجعلت اسمه يفوق أساتذته فى شجرة الفلسفة الوجودية ، فما ذلك الا لأنها فلسفة حبلت بالكثير من الأفكار الشاذه فى كل شئ و لم تلتزم الصواب فى اى شئ ، وقد جد سارتر فى ابرازها عن طريق رواياته التى لاقت من الرواج فى العرض الكثير ، وقابلها المجتمع الاروبى بين الحربتين العالميتين بروح تشيع اليأس أحيانا وتقبل على الانتحار أحايين، وتدفع الى المزيد من الخروج على قواعد الدولة والأسرة وسائر القيم ولاتنبت تلك الأفكار وتنموالا فى ظل ظروف تحكم فيها الغرائز وتسيطر عليها الأنفس الشح ، وقد كان ذلك كله سبب شهرة سارتر وأعماله وفلسفته بل وشذوذه ايضا.

رابعا : فردريك نيتشه " ١٥ اكتوبر ١٨٤٤ روكسن بروسيا المانيا:

مسيحى النشأة ، ألمانى الأصل ، متقلب المزاج ، ضعيف البنية فيلسوف القوة ، أصيب بالجنون ورافقه الصرع حتى وافاه أجله المحتوم فى ٢٥ أغسطس ١٩٠٠ ولذا يعتبره بعض المؤرخين مجنونا لافيلسوفا .

ورغم أنها نظرة ليست موضوعية ولامنصفة فانها ذات قيمة فـى جـانب من جوانب الحكم عليه وان كان الواجب يقتضى أن نستبعد ما كتبه بعد مرضه ونبحث فيما كتبه قبل المرض فماذا قال عن القلق ؟

المتابع لفلسفة نيتشة يجد أنه وضع للقلق الفلسفى عدة تعريفات منها:

١-القلق : شرط دائم للعظمة الانسانية [١] ولعل هذا التعريف ينطبق تماما على ما كان ينادى به نيتشه من قوله عش دائما فى حرب ، أرسل سفنك الى البحار المجهولة " وقوله :" التفاؤل الحزين أو التفاؤل فـى المأساة هـو صفـة الرجل القوى الذى ينشـد عمـق التجربـة واتسـاعها ولـو كـان ذلـك علـى حساب ما يلقى من نصب وأذى"[٢]

٢-القلق : ماهو الا تعبير " عن المفارقة البادية فى الوجود الفردى"[٣]

٣-القلق هو صورة الحياة الدائمة للانسان " والعلاقة الدائمة على أنه باق فـى مستوى مصيره ، أى أنه متجه فيما وراء ذاته نحو المستحيل "[٤]

ورغم أن هذا التعريف فيه من القلق والاضطراب ما يوحى بعدم قبوله الا أنه فى حد ذاته يعبر عن حالة خاصة بالفيلسوف نفسه وبقـدر مـا يعكـس مـن صعوبة فى فهمه فانه يدل على الحالة التى كان عليها الفيلسوف نيتشه بكل مـا فيها من عنف ومشقه ، ومعاناة وسخط وفشل.

---

(١) المذاهب الوجودية صـ ٦٤.

(٢) د / رفقى زاهر أضواء على الفلسفة الحديثة والمعاصرة صـ ٤٤ ط١

(٣) المذاهب الوجودية ص٥٧.

(٤) المرجع السابق صـ ٥٩

لذا يرى بعض الباحثين أن قلق نيتشه هو صورة من قلق كيركجورد ، كما أن النهاية لكل منهما نحو التصوف المسيحى تكاد تكون متفقة تماما ، غير أن بعض المؤرخين يفرقون بين قلق كل منهما وتصوفه ، فعلى حين نجد قلق كيركجورد من النوع الصحى" نرى أن قلق نيتشه من النوع المرضى ، وان كان كل منهما يوحى بانعزال الانسان للمجتمع الذى يعيش فيه.

ثم ان تصوف كيركجورد يقوم على الفهم المسيحى بغض النظر عن امكانية مخالفه دواعيه من عدمها ، أما نيتشه فتصوفه عجز قام بصاحبه ، ولما لم يتمكن من مجاراة غرائزه وقيده المرض عن اشباع رغباته والعواطف لجأ الى التصوف كنوع من الهرب ، وأبرز دليل على ذلك تلك الرسالة الغريبة التى بعث بها الى كوزيما زوجة فاجنر يغرر فيها بها ، ويحاول أن يدفعها الى التمرد على زوجها لعلها *تتخلص* منه وتتعلق بنيتشه ولكنه مع هذا فشل أيضا.

خامسا : مارتن هيدجر : سكرش ١٨٨٩

ألمانى الجنسية ، مسيحى المعتقد ، معتد بنفسه ، صاحب مذهب فلسفى واتجاه فكرى ، فما هى وجهة نظره عن القلق ؟

الجواب : أن هيدجر كغيره من الفلاسفة الشموليين يعطى للقلق أكثر من تعريف ، كما يمنحه عددا من المعانى نوضحها على النحو التالى :

١- القلق عبارة عن " خبرة معاشه أو عاطفة وجودية تكشف لنا عما فى نسيج وجودنا من هم ، وتضعنا وجها لوجه بازاء ذلك العدم الأصلى الذى يكمن من وراء وجودنا".[1]

---

(١) دراسات فى الفلسفة المعاصرة صـ ٤٣٤

٢- القلق أسلوب خاص فى الكينونة يتضح للموجود البشرى من خلاله عدم جدوى الموضوعات العالية، وتفاهة شتى الاشياء الكائنة فى هذا العالم واتسام كل ما فى الوجود الموضوعى بصفة العدم او اللاوجود".

٣- القلق فى صميمه عاطفة أو اتجاه وجدانى " يحمل دلالة وجودية

٤- القلق وسيلة الانسان لادراك لاوجود العالم وضرورة الارتداد الى الـذات " ليتمكن من فهمها بطريقة صحيحة ، كما يرد الكائن الحى الى امكانية وجوده.

٥- القلق هو الذى يصرفنا عن عالم الموضوعات لكى يردنا الى العنصر الأصلى فى وجودنا .... كما أنه ركيزة للوجود الانسانى الأصيل.

٦- القلق تجربة وجودية تكشف للذات عن حقيقة وجودها فى العالم باعتبارها ذاتا فردية ، ثم انه فوق ذلك " شعور غامض مبهم لايمكن تحديد مصدره".(١)

اذن فما هو موضوع القلق ؟

يجيب هيدجر بأن موضوع القلق هو الوجود فى العالم ، ثم يرتب بعد ذلك غاية للقلق ، وهى الوجود فى العالم أيضا.(٢)

ثم تدور أفكار هيدجر عن القلق فى كل التعريفات التى سلف ذكرها بحيث اذا وجد الباحث معنى آخر يكون بالامكان ارجاعه الى أحد التعريفات

---

(١) دراسات فى الفلسفة المعاصرة صـ ٤٣٥

(٢) دراسات فى الفلسفة المعاصرة صـ ٤٣٦

التى سلفت ، بيد أن فكرة القلق فى حد ذاتها لدى هيدجـر قـد أحدثـت ردود فعل قوية فى الفلسفة الوجودية ، مما كان لـه كبير الأثـر فيمـن أتـى بعـده مـن فلاسفة تلك المدرسة الوجودية ، وظل القلق بـارزا فيهـا جميعـا رغـم أنـه يتخـذ أشكالا كثيرة.

سادسا : القلق عند كيركجورد

يعتبر سورين أبادى كيركجور أبا للفلسفة الوجودية المعـاصرة ورغـم أنـه دانماركى الجنسيه ، صوفى المذهب ، مسيحى المعتقد الا أن تفكيره البـارز كـان علامة مميزة عليه يعتد بها عند الحديث عنه ، حتى صـار مـن الحكـم الصـواب القول بأن تفكير كـيركجورد مـا هـو الا انعكـاس علـى شـخصيته أو انعكـاس لشخصيته ومع هذا فقد ترك لنا حصيدا مـن الأفكـار عـن القلـق رسمهـا بنفسـه وأبرزها بيانه فى مؤلفاته.

ذلك لأنه يعتبر أن تحديد طبيعته النظرية الوجودية ، هو التعريـف الواضـح لأحوال الوجود الحق ، وبالتالى فإن أحوال الوجود عنده ثلاثة:

الأول : الالتزام والمخاطرة

الثاني: أولوية الذاتية...

الثالث : اليأس والقلق.

ثم هو يفرق بين الوجـود ذى الأحـوال الثلاثـة ، وبـين الموجـود نفسـه ، بحيث " اذا أردنا أن نميز الموجود بعلامة لاتخطئ من وجه ما فاننـا نقـول أنـه –

الموجود – خاضع لليأس والقلق " ..... وبالتالى فإن الوجود معنـاه : أن نعـانى اليأس والقلق حتما".[1]

ومادام قد انتهى به المطاف الى التفرقة بين الموجود والوجـود ، وأن الأول – الموجود – خـاضع لليـاس والقلـق والثـانى – الوجـود – هـو ذات ، المعانـاة الناشئة عن خضوع الموجود لليأس والقلـق ونحـن لانوافقـه علـى هـذا التقسيم لاعتبارات عديدة لسنا فى مجمل ذكرها ههنا فما تعريفه للقلق وأنواعه؟

أنواع القلق عند كيركجورد

يؤكد كيركجورد على أن القلق أنـواع يجمعهـا جميعـا اسـم القلـق ، وان كانت تختلف فيما بينها فى الاسباب التى تؤدى اليه على هذا النحو بحيث يصير كل نوع منها تعريفا محددا.

١-القلق : هو الذى " يسبق الخطيئة ، ويقترن بالامكـان والحريـة ايضـا يعطـى الوجود ما يميزه بل هو يكشف للموجود عن وجوده ".[2]

٢-القلق : نوع من النفور العاطفى ، أو من العطـف النـافر ، فهـو اشـتهاء لمـا نخافه وخوف مما نشتهيه".

٣-القلق : هو القاسم المشترك بين الأحياء من البشر بحيث لاتستطيع أيـة حيـاة انسانية أن تفلت منه ، ثم ان القلق كاليأس علامة من علامات الوجود.

---

(١) ريجنسي جولينيه : المذاهب الوجودية صـ٤٧

(٢) المرجع السابق صـ٤٨

٤-القلق : هو الحالة التى تضع الانسان وجها لوجه أمام نفسه باعتباره لم يوجد بعد وانما سيوجد بواسطة الحرية".

٥-القلق : هو همزة الوصل " ونقطة الالتقاء بين الامكان والواقع ، فانه يكشف الموجود لذاته ويعرض عليه " أنا" ليحققها.(١)

ورغم أن كيركجورد قد أفرزت أفكاره عددا من المعانى للقلق ، الا أنها جميعا دارت فى فلك تجنح به الأفكار الكهنوتية ، فتلقيه مرة فى أحضان صوت مسيحى ينبئ عن أفكار صوفية مسيحية قائمة على فكرتى الخلاص والفداء وتمثل حالة خاصة لاتتمكن بحال من الاحوال أن تدعى لنفسها أنها أفكار فلسفية بقدر ما هى اشارات صوفية مسيحية فيها من الغموض والالتواء بقدر ما فى فكرتى الخلاص والفداء.

لذا لم يستغرب أحد من الباحثين ، ما انتهت اليه الدراسات السابقة من أن الشذرات الفلسفية التى ينبئ عنها الفكر الكيركجورد ، انما تعبر بصدق عن الجانب الوجدانى من الفكر المسيحى فقط ، ولذا أطلق عليه بعض الباحثين اسم المفكر الصوفى المسيحى ، كم وصف بأنه " كان وجوديا مسيحيا من المفكرين المتواضعين "(٢) وأن تصوفه فى الفكر لا فى الواقع".(٣)

---

(١) ص٤٩

(٢) د/ طلعت غنام - الاسلام وتيارات الفكر المعاصر ص٤٦.

(٣) د/زكريا ابراهيم دراسات فى الفلسفة المعاصرة ص٤٨٨ مكتبة مصر بالقاهرة لسنة ١٩٦٨م.

من ثم فإن كيركجورد يعتبر صاحب رأى واضح لفكرة القلق الفلسفى ، وانه فعلا ساهم فيها بنصيب وافر من صلابة الأفكار ، وسلاسة التعبير بحيث يعتبر بحق من أصحاب الاتجاه الوجودى فى تأصيل فكرة القلق ، ومما يزيد الأمر بيانا ، هو أن كيركجورد ، لم يتوقف عطاؤه عند مجرد التعريف بالقلق بل تخطاه ليظهر مصادره ، ويشير الى أهم اسبابه ، وليعمل قدر طاقته على أبراز مظاهره، ويبدو أن القلق قاسم مشترك بين الفلاسفة جميعا ، فها هو التاريخ يذكر لنا أن فيلسوف العقلانية " توماس هويز " كان دائما يذكر القلق فى أبحاثه ، بل أنه يقول" لقد وضعت أمى توأمين مرة واحدة ، أنا والخوف "[1] وهذا يدلنا على مدى العلاقة التى كانت قائمة بين توماس هويز من ناحية وصديقه الحميم وهو الخوف الذى كان يبثه القلق فى حناياه بين الحين والحين حتى دفعه الى القول بأن الخوف يطاردنى انه يتعقب خطواتى".[2]

تعقيب:

بعد الرحلة الطويلة ذات الأبعاد القريبة فى حنايا القلق كظاهرة فلسفية ، فاننا نهتف من أعماقنا بأن القلق الفلسفى اذا زاد عن مجرد دفع الانسان الى العمل وحفزه على مايؤدى اليه مصالحه دون تعارض مع مصالح الغير أو تعد عليها او انقاص لما يتعلق بمصالح الدولة بصفة عامة كان قلقا مرضيا مهما ارتدى من اقنعة واستخدم من أثواب واردية.

---

(١) د/امام عبدالفتاح - توماس هويز فيلسوف العقلانيه صـ٤٢ دار الثقافة

(٢) المرجع السابق صـ٤١ دار الثقافة للنشر والتوزيع لسنة ١٩٨٥م

من ثم فإن الأديان الحقة قد هدفت الى حياة مستقرة لامكان فيها للقلق المرضى ولاحاجة فيها تدعو الى اسلام المرء حياته لغيب مجهول او انتظار غير مأمول ، فمثلا:

القلق الناشئ عن الخوف على الرزق ، بددته آيات القرآن الكريم ، فقال تعالى " وفى السماء رزقكم وما توعدون "[١] وقال تعالى :" وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين "[٢] وأفاضت آيات القرآن الكريم فى بيان هذا الشأن بحيث اذا راقبها عاقل ما توصل الى نتيجه مسلمة لها من القوة والثبات أكثر ما للبراهين الرياضية لأنها تنزيل من حكيم حميد".

وكذلك السنة تحدثت عنه مشمولا مع الأجل ، فقال ﷺ" ان روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أجلها وتستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب "[٣] وبالتالى فإن القلق الناشئ عن الخوف على الرزق لايوجد أبدا الافى أعماق غير المسلمين الذين يقبلون على الانتحار ويقدمون أنفسهم وأهليهم قرابين للهوى والشيطان.

ولايغيب عن فهم عاقل أن القلق خوفا على الأجل لامكان له الا فى مشاعر غير المسلمين ، لأنه يقوم على مشاركة غير الله فى قطع الأجل أما

---

(١) سورة الذاريات الآية ٢٢

(٢) سورة هود الاية ٦

(٣) حديث شريف

المسلم فانه يدرك تماما أن الأجل من عند الله وأنه وحده الذى يقضى فيه بأمره، " قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون "(١)

وقوله تعالى :" حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون(٢) وغير ذلك من الآيات القرآنية التى تحدثت عن الرزق والأجل وسائر مصالح الناس، واكدت على أنها جميعا بيد الله تعالى ،وما على المكلفين الا أن يعملوا كل بقدر طاقته وحسب توفيق الله له.

ولذا نرى المجتمعات المسلمة أقل المجتمعات اقبالا على تلك الأفكار بل واكثرها أمنا وأفضلها أمانا، وبالتالى كان الأحرى بها أن تنمو وتزدهر ويكثر فيها الخير وينتشر.

مصادر القلق وأسبابه

أما مصادر القلق فانها عديدة سواء كانت لدى كيركجورد أوغيره من الفلاسفة ، لأن الداء واحد فى الاسم وان اختلفت صوره ومظاهره ومصادره ولكن من الممكن وضعها المصادر والاسباب فى قالبين أثنين:

١- الظروف الطبيعيه

ونعنى بها مجموعة العوامل التى تكون مصدرا للقلق والخوف والاضطراب مباشرة أو بوسائل أخرى كالكوارث التى تحدث عن الجفاف والفيضان أو التى تقع كأثر للزلازل والبراكين ، أوالرعد والبرق والمطر ،

---

(١) سورة السجدة الاية ١١

(٢) سورة الانعام الاية ٦١

وكسبب الدمار الكلى أو الجزئى لحياة الناس كلها ، أو بعضها بحيث يمكن اعتبارها مصدرا اساسيا للقلق ، لأن العقل بكل امكانياته يعجز عن مقاومتها أوتقليل خطرها، ولعل هذا ما عناه الرسول ﷺ بقوله فى دعائه " رب لا أسألك رد القضاء وأسألك اللطف فيه"(١)

٢- الصراعات البشرية:

وهى تتصارع فيما بينها حتما ، ويعمل البعض منها على السيطرة على البعض الآخر ، بينما يتطلع الثانى للسيطرة على الأول بنفس القدرة والرغبة، فالبيض فى جنوب أفريقا ، رغم قلة عددهم وأنهم ليسوا أهل البلد الأفارقة يعملون على السيطرة على أهل البلاد الأصليين - الافارقة - ويقفون منهم موقفا عدائيا رغم أن البيض مستوطنون فقط وشأن المستوطن ان يكون **ضيفا** فقط يلتزم اداب الضيافه لايتعداها.

الا ان البيض الغزاة اعتبروا أصحاب البلاد حيوانات ، لاحق لها فى أى شئ حتى الحياة ، اللهم الا ما تجود به مصالح البيض ومن ثم فهم يذيقونهم الوان التفرقة ويسومونهم سوء العذاب بينما وقف الافارقة ينظرون الى البيض نظرة المعتدى الظالم ، الذى لايرحم ضعيفا ولايعطى فقيرا ثم هو يحرم العامل من ثمرة كده وعرقه .

فنشأ صراع عنيف بين أصحاب الحق الأفارقة وبين اصحاب الباطل البيض ، وثمرة ذلك الصراع ما تزال تظهر فى العديد من القتلى وحرق المزارع

---

(١) حديث شريف.

أو المذهبى كما بين السعودية وايران ، وقد يكون بسبب الافكار التقدمية والاخرى التقليدية كما فى ايطاليا ، المهم انها جميعا تعد أسبابا للصراع ومصادر له فى نفس الوقت ، وهى جميعا تفرز نتائجها على الانسان الذى يعايشها ويتعامل معها أو تلقى بظلالها عليه.

ومهما تتعدد الأسباب أو المصادر ، فإن الذى لاخلاف عليه ، هو أن القلق داء يحتاج الى دواء ومرض خطير يحتاج الى علاج قوى وفعال وقد حاولت امم كثيرة ان تجد له ذلك العلاج وأن تقدمه على طبق من الذهب على موائد السلام أو فى عقاقير دقيقة التركيب سريعة التأثير ولكنها جهود لم توفق لأنها قائمة أيضا على المصالح الشخصية والرغبات الفردية.

اما الدين الاسلامى فقد قدم لهذا القلق صورا عديدة من العلاج ، تتناسب مع كل الظروف وتتعامل مع كل المعطيات فيقول الرسول ﷺ "وا لله لايؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[١] ، وقوله ﷺ :" ازهد فيما عند الناس يحبك الناس ، وأرغب فيما عند ا لله يحبك ا لله"[٢]

ومن هذا المنطق النبوى نجد أن حب الانسان لاخيه الانسان وزهده مما فى يده يطوى بينهما صفحات القلق وتبدد الخوف الى الأبد ، ويجعل الاستقرار يحل مكان القلق ، والهدوء محل الفزع .

---

(١) مختصر الزبيدى باب حب لاخيك.

(٢) حديث شريف.

والتسلط على المنازل ولكل من الفريقـين ضحايـاه، ومـا ذلـك الا لوجـود قلـق متوفر لدى كليهما وربما تسألني حلا للمشكلة فأقول لو احسنوا صنعا لاعـترف البيض بحقوق الافارقة أصحاب الارض والوطـن ، ولتنـازل الافارقـة لأصحـاب الثقافة والعلم الحديث وعاشـوا جميعـا فـى سـلام ، وتلـك محاولـة يقومـون بهـا ونأمل لها التوفيق ، وان كانت حكومة فيريتوريا أقل استعدادا لهذا الوفاق بينمـا هى تعيش أشد ساعات القلق والانزعاج .

ودرأ لهذه المشكلة راح الجميع يجرون نوعا من الانتخابـات لتهدئـة الـرأى العام والوقوف لصالح الوطن كله فجرت انتخابات فيها نوع من الحياد وانتهت باكتسـاح الاغلبيـة الافارقـة للاصـوات وعيّـن نلسـون مـانديلا زعيـم الاغلبيـة السوداء زعيما للبلاد بعد فترة حكم امتـدت عشـرات السـنوات ، تحـت قيـادة البيض المستعمرين لا الافارقة اصحاب البلاد الاصليين.

وبعيدا عن ميدان افريقيا نجد لدى العالم المعاصر كلـه فكـرة القلـق تتسـيد الموقف ، فأمريكا وروسيا أو المعسكر الرأسمالى والمعسكر الاشتراكى يقف كـل منهما للآخـر بالمرصـاد ، يخشـى أن يسـبقه بالضربـة الاولى المدمـرة بحيـث يقـع فريسة فى وطنه ويكسب غيره مناطق الصراع التى يحاول جاهدا ان تكون لقمة سائغه بين يديه تمده بخيراتها وقت الحاجه ويستنزفها حينما يشاء.

وربما يكون الصراع بسبب شبر من الارض ، كما هو الحـال بـين العـراق وايران او بسبب الاختـلاف فـى الايديولوجيـات كمـا هـو الشـأن مـع روسـيا وأفغانستان ، وقد يكـون بسـبب المعتقـد الدينـى كمـا هـو الحـال فـى لبنـان او السياسى كما فى الهند وباكستان .

والطمأنينة محل الاهتزاز والخوف مـن التدميـر . ولـن يعيـش القلقـون فـى هدوء ابدا ، كما أن القلق لايتمكن من اشادة صرح يفيد العالم او يسـتفيد منـه وبالتالى فإن القلق بجانب انه ظاهرة فلسفية وظاهرة صحية ومرضية فانه كذلـك ظاهرة أدبية ، ويحتاج الى بيان أنواع مصادره واسبابها وموقف الديـن منهـا فـى جانبها الأدبى ، والفكرى ، والمرضى ، والدرامى وذلـك مـا سنكمل الحديث عنه فيما بعد ، والله ولى التوفيق وهو من وراء القصد .


الفصل السادس
البراهين العقلية
فى الاستدلال على عقيدة الألوهية

تعتبر العقيدة الحقة فى الله رب العالمين ، أقوى المؤثرات على الانسان فى فكره وسلوكه ، لأن عليها تبنى حياته ، وتستقيم آخرته ، كما أنها الأصل لكل ماعداها فمن آمن بها لزمه الايمان بغيرها من الغيبيات التى تقوم عليها ، فإذا صدق ايمان المرء بها ، سلمت عقيدته ، واستقامت أخلاقه ، وانضبط فكره ، وأمكنه التصرف فى جوارحه بل والسيطرة عليها .

ولهذه العقيدة الغيبية أثار كثيرة ، ظهر بعضها فى جهود المتكلمين ، حين حاولوا الاستدلال عليها، وقدموا لذلك عددا من الأدلة عمدتها دليل الحدوث ودليل الامكان وهو بعض جهد متكلمى اهل السنة والجماعة (١).

كما ظهر بعض أخر على جهود الفلاسفة المسلمين الذين آمنوا بهذه العقيدة الغيبية ، ورأوا أن نصوص الدين تعطى مقدمات لهذا الاستدلال الفلسفى فعمدوا إليه ، وقدموا له عددا من الادلة من اشهرها .

- دليل العناية والنظام .
- دليل الخلق والاختراع.

بل كان لهذه العقيدة فى العصر الحديث أمر مهم .حين هتف بها علماء الطبيعة والفلك والطب والجيولوجيا وشاركهم علماء النفس والنبات ، وكافة العلماء فى الاستدلال على هذه العقيدة الالهية واتخذ كل منهم من ميدان تخصصه نقطة انطلاق لاثبات ان لهذا الكون خالقا ، وله صفات خاصة به.

---

(١) ذكر شارح المواقف تسعة أدلة على اثبات الصانع . وذكر صاحب تحقيق الموقف الخامس اخر يضاف الى ماسبق وهو يقوم على اثبات احتياج الممكن الى العلة التامة ضرورة أن هذه العلة واجبة الوجود ، وهو المطلوب صـ٢٦

وربما قيل أليست هذه العقيدة فطرية؟!

والجواب أنها فعلا فطرية ، لكن فطريتها فى الايمان بها لا فى الاستدلال عليها . وفى تقديرى أنه لاتمنع الفطرية محاولة الاستدلال عليها ، وقد جاءت فى سياق النص القرآنى ، مع نبى الله ابراهيم عليه السلام. ومحاولة الاستدلال على صفة المحى بالنسبة لله رب العالمين . قال تعالى:

" واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا ثم ادعهن ياتينك سعيا وأعلم أن الله عزيز حكيم (١)

يقول الامام الزمخشرى:

" ولكن ليطمئن قلبى ، فيزداد سكونا وطمأنينة بانضمام علم الضرورة الى علم الاستدلال ، وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب، وأزيد للبصيرة واليقين ، فأراد بطمأنينة القلب العلم الذى لامجال فيه للتشكيك (٢)

إذن الايمان بوجود الخالق العليم جل علاه عقيدة فطرية " لأن الايمان بوجود الله عقيدة مغروزة فى فطرة الانسان على اساس ان التدين فطرى فيه ، والايمان بوجود الخالق اساس التدين "(٣) ومن ثم وجدنا المؤمنين بهذه العقيدة

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦

(٢) الكشاف المجلد الأول ص٣٠٩

(٣) الدكتور / حسن محرم الحوينى - المنهج فى اثبات الصانع بين السلفية والمتكلمين ص١٢ دار الطباعة المحمدية الطبعه الاولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م

الالهية يتخذون أدلة عديدة لاثبات هذه العقيدة والاستدلال عليها ، بحيث يمكن اجمالها فيما يلى:

١-دليل الفطرة (١)

٢-الدليل القرآنى الكونى

٣-الاستدلال العقلى

وهى فى اجمالها تشير الى اثر الايمان بعقيدة الالوهية على فكر المؤمنين بها كما تشير الى ان كل دليل منها قام عليه فكر ينسب الى من وافقهم ، اذ ان بعضهم كان يكفيه فى الاستدلال عليها مّا يشعر به فى وجدانه ، وما استقر فى فطرته (٢).

وبعضهم كان يتأمل الدلائل الكونية من مخلوقات عديدة ، سماء مرتفعة بلا اعمدة قائمة رغم اتساعها، ونجوم وكواكب ، وشموس وأقمار ، وبحار وأنهار ، الى غير ذلك وكان فكرهم متجها نحو الدليل الكونى وكان فيه الكفاية لهم .

---

(١) افاض الامام ابن تيمية فى بيان هذا الدليل وقدم له وجو ها سته فى كتابه النقل والعقل ج ٤ ص ٨٣/٨٦ مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٨٢ عقائد تيمو.

(٢) اختلف فى تحديد مفهوم السلف الصالح على أقوال: منها القول الأول. اصحاب التحديد الزمانى ، وهم قد اختلفوا فى طول المدة حتى اوصلوها من المائة الاولى الى الخامسة . القول الثانى : اصحاب الاتجاه اللغوى ، وهم يرون ان السلف من لهم خلف وبالتالى كل فرقة لها خلف يكون لها سلف القول الثالث : السلف هم المتمسكون بالكتاب والسنة وتقديمها على غيرها فى الاستدلال وهو الرأى الراجح.

وأخرون نشطت مباحثهم العقلية ، وفرضت عليهم الثقافات التى تعاملوا معها نوعا من الاستدلال العقلى فقاموا به خير قيام على النحو الذى سمحت به ظروفهم أنئذ من ثم فانى ساركز على ذكر الادلة التى أتمكن بهما . قاصدا ضرب اصحاب الفكو المادى على وجوههم ايا كانوا .

ولم تكن مسائل العقيدة الاسلامية بحاجة الى بحث او استدلال لا فى الايمان بها او الاستدلال عليها فى الصدر الاول للاسلام ، بين الصحابة أما لماذا؟ فلأن رسول الله ﷺ بينهم، حيث كان " المرجع عند الحيرة ان كانت ، والسراج فى الظلمات ان وجدت [1] وكيف لاوهو ﷺ بينهم ، وينزل القرآن الكريم عليه ، من ثم . كانت القلوب تقية، والعقيدة صافيه ، لم تدخل اليها ثقافات غيرها ، بل ان احتكاكهم بالامم الاخرى كان بعيدا عن مسائل العقيدة واقتصر على تبليغ العقيدة اليهم . هذا فى المسائل العقدية.

وحصر الاحتكاك فى التعاملات الدينوية ، على ان مسائل العقيدة الاسلامية كانت بالنسبة للسلف الصالح تقوم على التصديق بما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، والتسليم بما جاء به النقل المعصوم من غير زيادة عليه او نقصان ، اذن منهج السلف هو المنهج النقلى . فى اثبات وجود الله تعالى . والاستدلال عليه.[2]

---

(١) د/ على محمد جبر - محاضرات فى علم الكلام ١٣ شركة الطباعة الفنية

(٢) أرى حصر الاراء فى مفهوم السلف فى اتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الاول : القائلون بأن السلف فترة : وهم الذين عاشوا فترة زمانية مع رسول الله ﷺ . ربما امتدت حتى نهاية القرن السابع الهجرى . وعليه ملاحظات كثيرة .

الاتجاه الثاني : القائلون بأن السلف افراد واشخاص بأعينهم ، واعيانهم ، وهذا الاتجاه عليه من النقودات مايضعفه بل ويهدمه.

الاتجاه الثالث: القائلون بأن السلف فكرة هى التزام القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وتقديمهم فى استدلال على وجود الله تعالى على غيرها وهو اقوى الاتجاهات واكثر قبولا .

بيد أن من دفعه فكره فى الاستدلال عليها - بعد الايمان بها - كان يجد طريقه فى آيات القرآن الكريم ، وأحاديث البشير النذير ، وكان فى ذلك حفظ لعقيدتهم الصافية ، واستمرار لما فيها من نقاء وطهارة ، عبر عنها القول المأثور متى غاب حتى نستدل عليه ،ومتى خفى حتى نبحث عنه، والقول:

وفى كل شئ له أية .: تدل على أنه الواحد.

بل ان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سار على دربهم ، لم يكونوا يفرقون بين ذات الله وصفاته فى الاستدلال . ولم يسمحوا لعقولهم الخوض فى مسألة اسماء الذات وأسماء الافعال ، اوصفات الذات وصفات الافعال ، بل انهم لم يتحدثوا فى مسألة زيادة الصفات على الذات اوعدمها ، وهو مايبحث تحت علاقة الذات بالصفات وانما كان ايمانهم فطريا ، واذا حدث نوع من الاستدلال كان عماده النظر فى ايات الذكر الحكيم ، واحاديث النبى محمد ﷺ ، وامرار كل ذلك على ظاهرة من غير تشبيه يوقع فى التجسيم ، او تأويل يؤدى الى التعطيل ، وانما "طفقوا يقررون العقائد - الدينية - من واقع النصوص الشرعية."(١)

وليس معنى هذا أنهم عطلوا العقل الانسانى ، او طالبوا باهماله ، وانما جعلوه تحت رقابة الشرع الحكيم ، يفكر فى النقل المعصوم ، لابغرض الايمان ، وانما بغية الاستدلال ، تحقيقا لأمر الشرع الوارد فى امثال قوله تعالى:

---

(١) الدكتور / على محمد جبر - محاضرات فى علم الكلام صـ ١٣ شركة الطباعة الفنية.

" قل انظروا ماذا فى السماوات والارض وماتغنى الايات والنذر عن قوم لايؤمنون "(١) وقوله تعالى " وفى انفسكم أفلا تبصرون "(٢) وقوله تعالى " ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعنا النهار معاشا "(٣) الى آخر تلك الايات وامثالها التى تحدثت عن أثر الفاعل جل علاه .

ومن ثم دلت على أنه امر فطرى من حيث وجوده ، وأزليته وأبديته جل علاه كما جاءت أيات اخرى تحدثت عن وحدانية الله تعالى من كل ناحية بعد أن أكدت على ضرورة اثبات وجوده؛ من ذلك قوله تعالى: " هو الأول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم "(٤) ومن ناحيه نفى وجود المثل : قال تعالى " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير "(٥) ، ومن ناحية استحالة وجود شريك له جل علاه قال تعالى " اننى معكما اسمع وارى "(٦)

إلى غير ذلك من الوجوه التى جاءت فى النقل المعصوم حديثا عن البارى جل علاه تأكيدا على اثبات وجوده تعالى ، واثباتا لصفاته العظمى ، وتأكيدا على وحدانيته جل علاه من سائر الوجوه ، وكان النقل المعصوم هو ميدان

---

(١) الدكتور / حسن محرم الحوينى – المنهج فى اثبات الصانع بين السلفية والمتكلمين ص٢٠

(٢) سورة يونس الأيه ١٠١

(٣) سورة الذاريات الأية ٢١

(٤) سورة النبأ الأية ٦ – ١١

(٥) سورة الحديد الأية ٣

(٦) سورة الشورى الأية ١١

٦- سورة طه الأية ٤٦

ذلك كله ، فلم يقم الاستدلال على أثبات وجود الله تعالى عندهم ، او اثبات صفه من صفاته على المناهج العقلية التى عرفت فيما بعد عند المتكلمين والمقدمات المنطقية ، وانما جاءت من النقل المعصوم مباشرة ، بحيث يفهما الامى العامى ، والمتعلم المثقف.

اذن كان المعول عليه عند ائمة السلف وعلمائهم من أهل السنة والحديث، هو الادلة الشرعية ، فى اثبات العقيدة وتقريرها" والادلة الشرعيه يقصد بها العقل المعصوم ، وبخاصة ان القرآن الكريم " ذاخر بالايات الكثيرة التى تأخذ بيد العقل البشرى ، الى حيث تهديه الى خالقه - جل علاه - الذى مكث الفلاسفة السنين الطويلة فى البحث عنه ، واختلفوا وتطاحنوا فيما بينهم عليه "(١) بينما يكفى فى الايمان بالله ان تعتقد بوجود اله واحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احدا " (٢) وهو طريق السلف الصالح رضوان الله عليهم.

فاذا قيل اى تلك التى يقوم عليها مذهب السلف الصالح فى الاستدلال على وجود الله تعالى ، وسائر صفاته ، والنبوات والسمعيات وسائر مسائل العقيدة؟

فالجوب . انه الدليل القرآنى الذى يمكن استخلاصه من أيات الذكر الحكيم . وله عدة مناهج :" وما من شك فى انه يمكن أن يؤخذ من ذلك أدلة

(١) د/حسن محوم الجوينى - المنهج فى اثبات الصانع بين السلفية والمتكلمين ص٢٠

(٢) الدكتور/على محمد جبر - محاضرات فى علم الكلام ص٤٥

كثيرة على وجود الله لمن شاء من أصحاب الفكر"(١) وبالتالى تكون أدلة عقلية، وبراهين علمية ، وشواهد قرآنية

ثانيا: سوق البراهين:-

الاول : البرهان الطبيعى.(٢)

ومؤداه ، أن النظر فى المشاهد التى تحتوى عليها الطبيعة ، من أفلاك ونجوم تتحرك بقدرة لايستطيع الانسان ان يوقفها أو يحول سيرها أو حتى يعدلها. يؤدى بالانسان الى الاعتقاد بأن هناك قوة عليا هى التى خلقت هذه الطبيعة ، وهى التى تحكم سيرها ، وهو الله رب العالمين.

وتطبيق آيات القرآن الكريم على هذا المنهج يأتى من امثال قوله تعالى " فلينظر الانسان الى طعامه أناصببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم"(٣)

وقوله تعالى"ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا"(٤)

---

(١) الدكتور / رؤف شلبى - منهج القرآن الكريم فى اثبات العقيدة الاسلامية صـ١٦ ط المكتبة الازهرية سنه ١٣٩٧هـ

(٢) الدكتور / رؤف شلبى - منهج القرآن الكريم فى اثبات العقيدة الاسلامية صـ١٦ ط الكتبة الازهرية سنه ١٣٩٧هـ

وقوله تعالى : "أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونـه أم نحـن الخـالقون نحـن قدرنـا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين".

"أفرأيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون"

"أفرأيتم الماء الذى تشربون ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ".

الى غير ذلك من الايات القرأنية التى تهدى البـاحثين الى لمستخلاص هـذا الدليل من القرأن الكريم على ان ابن رشد يسميه دليل العنايه لما فى الكـون مـن كثره المخلوقات مع العنايه بها والاحكام وأنهـا خلقـت بعنايـه ، وتحفظهـا مـن ناحية الخالق جل علاه عنايه .

الثانى : البرهان الروحى

ومؤداة أن الروح التى يعيش بها الانسان والحيـوان غـير التـى بهـا الفكـر الانساق ، وأية ذلك أن البلـه والنـائمين والمصروعـين يتنفسـون ويـأكلون وربمـا يتحركون ، وهم فى ذلـك الفعـل تقودهـم الـروح الحيوانيـه التـى يشـترك فيهـا الانسان والحيوان ، والروح التى هـى خاصة التفكـير هـي الـروح العاملـة فـاذا غابت عن بدنها جاء النوم وغيره ومن ثم فان أنفصالها عن البدن لا يعتبر عدمـا وانما يعتبر أنفصالا بين المادة ، والروح وهو ما يحدث فى المـوت علـى أن هـذه الروح بعد الانفصال تعود الى عالم الغيب كمـا ترجـع المـادة الى عـالم المـادة ، والروح فى حاله الانفصال تكون أقوى تأثيرا لآنها لا يحد سـلطانها الجسـم اذن هناك كائنات غيبيه عامله لا يقع عليها الحس مزودة بقوه خارقه قد تتصل بهـذا العالم وتترك فية أثارا عجيبه ، ومن وراء هذه الكائنـات والقـوى يوجـد الـروح الاعظم الجدير بالعبادة ، رب القوى جميعا ورب الأرباب"(١)

(١) الدكتور /سليمان خميس - نحو عقيدة قرآنية صـ ٣٥

ماذا حاولنا معرفة الايات التى تفتح الباب لهذا المنهج الروحى وجدنا القرآن الكريم ينص على مقدماته فى آيات كثيرة منها :-

ما يدل على استقلال الروح الانسانى عن الروح الحيوانى والجسد من ذلك قوله تعالى " وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون [1]

٢ ما يدل على بقاء الروح الانسانى بعد الموت. قوله تعالى " الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى اجل مسمى ان فى ذلك لأيات لقوم يتفكرون "[2] " فهذه الأية صريحة فى أن التوفى أعم من الموت ، فقد صرحت بأن الأنفس التى تتوفى فى منامها غير ميتة. فهناك وفاتان :

١- وفاة كبرى وتكون بالموت .

٢- . وفاة صغرى وتكون بالنوم "[3] اذن الروح باقية بعد الموت البدنى، ويكون الموت انفصالا بين طرفين هما الروح والبدن وكل منهما يرجع الى عالمه الذى كان فيه قبل الاتصال بينهما.

---

(١) سورة الانعام الاية ٦٠

(٢) سورة الزمر الاية ٤٢

(٣) د/ محمد سيد طنطاوى ، د/ احمد السيد الكومى تفسير سورة الانعام ص١٤١ سنة ١٣٩٢هـ /١٩٧٢م

٣- مايدل على تعلق ارواح الموتى بالذين لم يلحقوا بهم.

ذكرت ايات القرآن الكريم حديثا شيقا يدل على أن أرواح بعض الناس بعد موتهم تظل متعلقة ببعض شئون أهل الدنيا من ذلك قوله تعالى " ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لايضيع أجر المؤمنين" (١)

يقول صاحب مفاتيح الغيب :" فاستبشارهم بمن يكون فى الدنيا ، لابد وأن يكون قبل قيام القيامة، والاستبشار لابد وأن يكون مع الحياة ، فدل هذا على كونهم أحياء قبل يوم القيامة"(٢) ومن السنة المطهرة ما يؤكد على تعلق الارواح التى انفصلت عن أبدانها بغيرها التى مازالت متعلقة بالأبدان ، وتؤيد فى مجملها المنهج الروحى الذى يمكن فهمه من النقل المعصوم.

فمن ذلك ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال فى صفة الشهداء:" إن أرواحهم فى أجواف طير خضر ، وأنها ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها ، وتسرح حيث شاءت ، وتأوى إلى قناديل من ذهب تحت العرش، فلما رأوا طيب مسكنهم ومطعمهم ومشربهم قالوا : ياليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من النعيم ، وماصنع الله تعالى بنا كى يرغبوا فى الجهاد فقال الله تعالى : أنا مخبر عنكم ومبلغ اخوانكم ، ففرحوا بذلك واستبشروا فانزل الله تعالى هذه الآية" (٣)

---

(١) سورة آل عمران الأيات ١٦٩/١٧١
(٢) مفاتيح الغيب مجلد ٤ ج٢ ص٥٦١ ط دار الغد العربى
(٣) مفاتيح الغيب مجلد ٤ ج ٨ صـ ٥٦٤.

وكذلك ماروى عن ﷺ أنه قال :" أولياء الله لايموتون ولكن ينقلون من دار الى دار"(١) ثم انتهى صاحب مفاتيح الغيب الى القول بان " كل ذلك يدل على ان النفوس باقية بعد الموت"(٢) فاذا نحن فرغنا مما عرضناه نرى القرآن الكريم قد اشار الى حقائق .

- وكل النقل المنزل حقائق - غيبية ونحن لاندركها مع انهـا موجودة متصلة بالانسان أو مستقلة عنه ، بها اتصال بالعالم الذى نعيش فيه ، وغير الذى نعيش فيه.

بعضها يتعلق به الارزاق ، وأخر به الآجال وثالث به الحفظ ، ورابع به الصور ، وخامس به الموت ، وغير ذلك مما يتعلق بهذا النوع من المخلوقات وهم الملائكة على وجه العموم ، وهى فى مجملها ارواح موجودة عاملة غير مرئية على الدوام بل ان الجن ارواح واجساد لطيفة ونحن لانشعر بهم شعورا ماديا ، ولا نتمكن من مراقبة سلوكياتهم او ضبطها ، أو التعديل فيها ومثل هؤلاء واولئك كثير مما لايعلمه الا الله تعالى .

وآيات الذكر الحكيم فى الحديث عن الملائكة والجن وغيرهما مستفيضة . اذن يمكن القول بان " المنهج الروحى الذى سلكه القرآن من وجود الروح الانسانية المغايرة للروح الحيوانى ، التى تبقى بعد الموت ، ووجود الارواح الأخرى التى سخرها الله ، كل ذلك يلائم بعضا من الناس فى الاهتداء الى عقيدة الألوهية والى الاعتقاد فى وجود اله قادر حكيم ، اعطى كل شئ خلقه ثم هدى"(٣)

---

(١) مفاتيح الغيب مجلد ٤ جـ٨ صـ٥٦٤

(٢) مفاتيح الغيب المجلد الرابع ج٨ صـ ٥٦٤

(٣) الدكتور / سليمان سليمان خميس - نحو عقيدة قرآنية ص٤٢

الثالث : البرهان النفسى

ومؤداه . ان الانسان يدرك من خلال تجارية الخاصة به . أن هناك فاصلا بين ما يتمناه وما يحقق فعلا بمعنى أنه ليس كل ما يطلبه الانسان يتحقق له مهما سعى فى سبيل تحقيقه، بل كلما اندفع بحدة من حركته الارادية شعر من داخل نفسه بارتداده لقيود القانون العام الذى يحكم الوجود كله . وليس هذا القانون هو الطبيعة التى انهزم الانسان امامها مرة ، وانهزمت امامه كذلك وماتزال رحى الحرب بينهما قائمة . وانما القانون هو الروح العالمية العاقلة التى تدبر الكون وتديره ، وتخضع لها أمال الانسان وتنهزم أمامها طموحاته، وتحيط بأمانيه واحلامه من كل جانب .

فإذا سلمنا به تبين لنا أن هناك تضاربا بين ماترغب فيه النفس البشرية ، وبين مايريده القدر الالهى بحيث ينتهى الأمر الى هزيمة الانسان وخضوعه الى هذا القانون العام الذى لايلتفت الى رغبات النفس البشرية ، وكل النفوس البشرية العاقلة تدرك هذا الخضوع . فكم من ثرى افتقر ، وكم من صحيح سقم ، وكم من عزيز قوم ذل وقد يتبدل الحال الى العكس بل ربما إلى ابعد من العكس.

على أن الناس جميعا يدركون هذا الأمر . عامهم والمثقف ، جاهلهم والمتعلم من كان فى قمة المعرفة الانسانية ومن كان من الهمج الرعاع ، وبحكم ثقافة كل واحد منهم وظروفه يعبر عن أماله المنكرة والامه التى يعانى منها وحده ، ويضطر الى اخفائها عن الاخرين ، خيفة الشماتة أو الاعلان عنها طلبا للشفقة .

أما القرآن الكريم فقد وضع لهذا المنهج أسسا قوية تلفت العقول الى أن هناك الها خالقا يحكم هذا الكون ، ويمسك مقاليده ، ويحفظ نظامه ، كمابين ان أفراد المجتمع الانسانى ليسوا على حالة واحدة من حيث التكوين النفسى ولا السلوكيات الصادرة عن هذا التكوين وأنهم ليسوا على درجة واحدة من حيث تصرف الارادات الانسانية ، ولنطبق ايات القرآن الكريم على هذا المنهج فحتما سنرى .

١- من الايات مايشير الى انه ليس كل مايتمناه الانسان يتحقق له .

قال تعالى:" ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ماتمنى فلله الأخرة والأولى[١] اى " علل سبحانه انتفاء أن يكون للانسان ماتمنى بقوله تعالى " فلله الأخرة والأولى " اى ليس للانسان مايشتهى لأن الملك كله لله تعالى يعطى من يشاء ، ويمنع من يشاء ، وأن أمور الاخرة والدنيا بأسرها لله عز وجل ، فليس لأحد معه أى أمر من الامور"[٢] وهكذا فإن المرء قد يريد شيئا ويريد الله غيره ولايتحقق الا ما يريده الله تعالى ، ويدرك هذا كل انسان من نفسه ز

٢- مايدل على ضعف ارادة الانسان وكمال ارادة الرحمن.

قال تعالى :" قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير"[٣]

---

(١) سورة النجم الايات ٢٣/٢٥

(٢) الدكتور / محمد سعيد محمد عزام تفسير سورتى الطور والنجم ص٧٩ مطبعة الطاووس

(٣) سورة آل عمران الآية ٢٦

قال صاحب مفاتيح الغيب" الملك هو القدرة ، والمالك هو القادر ، فقوله تعالى "مالك الملك " معناه القادر على القدرة ، والمعنى أن قدرة الخلق على كل مايقدرون عليه ليست الا باقدار الله تعالى فهو الذى يقدر كل قادر على مقدروه ، ويملك كل مالك مملوكه"[1] ومن ثم فان الارادات الانسانيه منحصرة فى الضعف الانسانى خاضعة لأرادة اعلى منها ،والارادة الأعلى لاتكون مثلها وانما لها من السمات ما يحول بينها وبين أية صورة من صور القصور ، وعدم النفاذ وهذا فى حد ذاته يكفى لبيان المنهج النفسى وضرورة التسليم باثبات وجود الله الخالق للكل جل علاه.

٣- مايدل على تحول الارادات الانسانية

قال تعالى " واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم أياته لعلكم تهتدون "[2] وقد بينت الآية الكريمة أن ارادة الانسان تتحول ، وان الذى يحولها اكبر منها بسلطانه وهيمنته عليها ، وهو الله رب العالمين .

ودفعت الآية الكريمة المؤمنين الى ان " يتذكروا نعمة الله التى أنعم بها عليهم حين كانوا أعداء ، يقتل بعضهم بعضا استجابة لعصبية الجاهلية فأنقذهم من هذا ونجاهم منه ، بان هداهم للاسلام ، وألّف بين قلوبهم ، فأصبحوا يتواصلون بالالفة واجتماع الكلمة ، وبهذا صاروا اخوانا متحابين ، وأعوانا

(١) مفاتيح الغيب المجلد ٤ ج٧ ص١٥٥

(٢) سورة آل عمران الأيه ١٠٣

متناصرين "[1] وليس تحويل الارادة الانسانية بلا عقاب أو مسئولية بحيث تُخلِي عنه أمورا. وتسقط عنه مسئوليات كلا، وانما تحول الارادة الانسانية قد يكون لصالح الانسان نفسه من غير عمل أوجبه .

٤ – مايدل على أن النفوس الانسانية تحكم تصرفاتها قوة أعلى منها.

قال تعالى " وان يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم [٢]

والبادى من الأية الكريمة هو ابراز هيمنة الخالق جل علاه ، وسيطرته على تصرفات النفوس ، مع علمه التام بما يجرى فيها من كافة نواحيها ثم هو سبحانه الذى يجعل القلوب البعيدة متقاربه ، والمتنافرة متآلفة ، بحيث تشعر هى فى ذاتها أن هنالك قوة أعلى منها جميعا ، وتتعرف فيها كلها . وهذا القوى القاهر هو الله رب العالمين.

يقول الامام الفخر:" احتج اصحابنا بهذه الآية على أن أحوال القلوب من العقائد وارادات الكرامات كلها من خلق الله تعالى ، وذلك لأن تلك الألفة والمودة والمحبة الشديدة انما حصلت بسبب الايمان ومتابعة الرسولﷺ : فلو كان الايمان فعلا للعبد لافعلا لله تعالى ، لكانت المحبة المترتبه عليه فعلا للعبد لافعلا لله تعالى ، وذلك على خلاف صريح الأية....

---

(١) التفسير الوسيط الجزء ٣ ص٦٣ ط مجمع البحوث الاسلامية

(٢) المصدر نفسه ص٦٣١

والبرهان العقلى مقو لظاهر هذه الايه ، وذلك لأن القلب يصح ان يصير موصوفا بالرغبة بدلا عن النفرة وبالعكس ، فرجحان أحد الطرفين على الآخر لابد له من مرجح ، فان كان ذلك المرجح هو العبد ، عاد التقسيم ، وان كان هو الله تعالى ، فهو المقصود .

كما دلت الأية على أن القوم لما أمنوا "بالله ورسوله واليوم الاخر زالت الخصومات ، وارتفعت الخشونات ، وحصلت المودة التامة والمحبة الشديدة "(١) ولعل ماذهبنا اليه يعضده قوله ﷺ ان قلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

وقوله ﷺ " اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك

وقوله ﷺ " اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك

على أنا اذا فرغنا من عرضنا للمنهج النفسى فى الاستدلال على اثبات وجود الله تعالى من خلال النقل المعصوم فاننا لانعدم القول بأن هذا المنهج النفسى يخالف المنهج الروحى لأن المنهج النفس يقوم على أساس الارادات النفسيه وأمالها والأحلام ، وعجزها عن انفاذ ما تريده لوجود قوة عليا لايستطيع أى مخلوق النفاذ من سلطانها.

أما المنهج الروحى فقا ئم على أثبات الغيبيات والتى منها الروح الانسانيه والروح الملائكيه ، والارواح الآخرى كأرواح الجن وغيرها ، ومن ثم يلزم الايمان بوجود خالق لهذه الارواح لايرى ولا يحس قياسا عليها ، ولكنه يؤثر فى

---

(١) مفاتيح الغيب المجلد ٧ ج١٤ ص٥٢٨/٥٢٩ ط دار الغد العربى

الكون وغيره بماله من صفات الجلال والكمال والجمال والاكـرام. هـذه ناحيـة وناحيه ثانيه هى أن المنهج النفسى يعطى تصـورا واضحـا بـأن حركـة الارادات الانسانيه ، والتحركات النفسيه تخضع فى كل ما تهدف الى حركة كبرى تقدر لها ما تريده ، وهو الله سبحانه وتعالى وماذلك الا أثر من اثـار الايمـان بـالغيب والتى تعتبر عقيدة الالوهيه أهم الاصول فى المسأله .

الرابع : البرهان الاخلاقى

ومؤداه أن العقل السليم يقرر ضرورة اثبات وجـود الله كفكـرة اخلاقيـة ترسخ فى النفوس العدل والحق والرحمة . ذلـك لأن الأعمـال التـى تصـدر عـن الانسان لها بواعث ومقاصد ومسـائل ، وفيهـا ماتعقبـه السـعادة والفضيلـه ، أو الشقاوة والرذيلة.

ومـن ثـم فـإن درجـات النعيـم والعـذاب تـوزع علـى حسـاب الأعمـال وبالتالى. فلا بد من وجود توازن يأتى من قوة عليا تخضع الطبيعة كلها لإرادتـه ، وتسيرهى على وفق قدره بينمـا يتصـرف هـو طبقـا لعدلـه وعطفـه ورحمتـه ، وماذلك الا الله خـالق كـل مـن الطبيعـة والانسـان ، وهـو الله تعـالى ، فثبـت بالمنهج الاخلاقى ضرورة اثبات وجود الله.

واذا حاولنا استنباط هذا المنهج من آيات القرآن الكريم نجد له الكثير مـن النصوص والوقائع ، بل والاحداث التى عرضت المسألة عرضا ممتاز من ذلك.

أ- سفينة المساكين.

قال تعالى ." اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا"[1] والبادى من السياق القرآنى أن عملية الاعابة للسفينة فيها النجاة من الملك الغاصب ، بينما البادى من تصور العقل وحده من غير مساعدة النقل المنزل أن الاعابة فى حد ذاتها ضرر ، فإذا تمت الموازنة بين مايبدو من القصص القرآنى وبين تصور العقل أمكن القول بأن فعل الاعابة كانت له بواعث منها باعث الانجاء من الغصب ، وباعث المحافظة على مال المساكين"، وهو منهج اخلاقى فى اعلى امكانياته .

" قيل كانت لعشرة اخوة ، خمسة منهم زَمْنَى ، وخمسة يعملون فى البحر"[2] ولعل النقل المعصوم قد كشف لنا عن وجهين فى مسألة واحدة وأن أحدهما كان ينظر الى الأمور من خلال تجارب الحياة وأمور الطبيعية بينما الثانى كانت تقوده أمور غيبية وتحكمه قوانيين عالية ، توازن بين متطلبات الحياة الطبيعية وبين قدر الله بحيث تخضع فى النهاية لأوامر عليا صادرة عن خالق حكيم .

وهو منهج اخلاقى حيث توضع الامور فى نصابها وهنا نلاحظ أن دره المفسدة ، وهو غصب الملك للسفينة ،وفيه اضاعة أموال المساكين مقدم على جلب المصلحة وهو صون السفينة عن عيب الخرق المؤقت ، ولاشك أن درء

---

(١) سورة الكهف الأيه ٧٩

(٢) الكشاف مجلد ٢ صـ ٧٤

المفسدة مقدم على جلب المصلحة كضرورة اخلاقية ويقاس عليه الامر فى مسألتين فى ذات السورة من نفس القصة القرآنية .

١-قتل الغلام .

٢-بناء الجدار .

ب- مسألة الغلام الوحيد

قال تعالى" حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا ذكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا "(١) قال صاحب مفاتيح الغيب:" ظاهر الآية يدل على أن موسى عليه السلام استبعد أن تقتل النفس الا لأجل

الخامس : البرهان الاجتماعي.

ومواده أن نظام القبائل والعشائر تتمثل فيه مظاهر خاصة كوحدة اللقب المشترك بين أفرادها وهذا اللقب المشترك ربما رسموه على مساكنهم ووشموا به أنفسهم وصار علما يتميزون به ، من ثم فانهم يعظمون اللقب المشترك كرمز ويعظمون – فى ذات الوقت مسماه ، حتى يصل بهم التعظيم الى رسم صورة له خاصة ذات اوصاف محددة.

بل ان هذا التقدير لذلك اللقب المشترك ربما وصل عندهم الى درجة التعظيم والتأكيد المؤقت وفى مواسم محددة بحيث تفقد الرؤس الكبرى امامه تقديرها الشخصي وتذوب كلها فى رحاب تعظيمه وتأليهه وتقديسه حين

---

(١) سورة الكهف الآية ٧٤

يدوبون فيه جميعا، ويكون هو الرمز الذى تذوب فيه الجماعة كلها ، ورغم انـه تصور منحرف الا انه يعطيك صورة دقيقـة للعقـل الجمعى ومـا يكـون عليـه ، ومثله عقيدة قبائل التوتم.

من ثم , فإن هذا المنهـج الاجتمـاعى يقودنـا الى رمـز عـال ، وقـوة عليـا سامية، نخضع لها جميعا, ونشـعر أمامهـا بالاحـترام بحيث تـذوب رغباتنـا أمـام أوامره جل علاه وتغل شهواتنا بقيد نواهيه، ولايكـون ذلـك الا للخـالق العليـم وبالتالى يصير أمر أثبات وجوده ضرورة اجتماعية:

وفى طبائع الناس رغبة طموح للاتجاه نحو الرمز ، والانقيـاد تحت الهـدف وانحسار الامانى الصغيرة فـى دائـرة الامـال الكبـار وهـم قـد الفـوا الرغبـة فـى الاحتياج لهذا القائد الاسمى ، ولمسوا من انفسهم اكثر من اتجاه نحوه ، بل انهـم صرفوا انفسهم عن توجيه ذواتهم واسلموها له ، تقليدا ، وانقيادا ، وخضوعا ، وربما ذلة واستكانة ، أو جلالا ومهابة ، وهذا يؤكد ضرورة الايمان بـا لله تعـالى على هذه الناحية .

بيد ان هذا الرمز ان لم يكن هو الاله الاعظم رب العالمين جـل عـلاه فربمـا انقاد الى ماتنطوى عليه نفسه من تنـاقض واختـلاف ، وقـاموا بتقليـده مـن غـير رجوع الى الحق ، او اتجاه نحو الصواب ، والخطأ أنـه لايصلـح للقيـادة السـليمة والتوجيه الاعلى ، ومع هذا خضعوا له وذلوا ، وقد عاب عليهم القـرآن الكريـم هذه الاتجاه .

قال تعالى :" أم آتيناهم كتابا من قبله فهم بـه مستمسـكون بـل قـالوا انـا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون وكذلك مـا أرسـلنا مـن قبلـك

فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا أباءنـا علـى أمـة وانـا علـى أثـارهم مقتدون"(١) .

من ثم فقد بان لنا أن البراهين العقلية دالة على وجود الله تعـالى ، وانـه ضرورة لاغنى عنها سواء كانت هذه الضرورة عقلية أو نفسـية أو اجتماعيـة او اخلاقية أو غيرها ، كما بان لنا ان الادلة على وجود الله تعالى لاتتوقف ، وانمـا قائمة متنوعة وتساير ظروف كل عصـر ، متى كـان الاصـل هـو النقـل المنزل والعقل السليم .

(١) سورة الزخرف - الأيات - ٢١/٢٢


الفصل السابع
أخطار التيارات الفكرية المعاصرة
على العقيدة والأخلاق

أثر التيارات الفكرية المعاصرة[1]

من المعلوم أن كل فكرة تترك خلفها أثرا يـدل عليهـا ، سـواء كـان الاثـر ممدوحا أو مقدوحا ، وكم طالعتنا أفكار تركـت أثـارا متنوعـة ، بعضهـا الـتزم الايجابية لصالح البشرية ، وبعض أخر أعقبتة أثار سلبية مدمرة تمثل عدوانا أكيـدا على الانسانية فى كافة مناحى الحياة .

وحيث كنا نتناول التيارات الفكرية المعاصرة فمما لاشك فيه أننـا سـوف نتناول أثر هذه التيارات الفكرية المعاصرة على كل من النواحى الآتية:

(١) أثرها على الانسانية بوجه عام .

(٢) أثرها على العالم الاسلامى .

(٣) أثرها على العقيدة الدينية .

(٤) أثرها على الاخلاق والسلوك .

ومن المعلوم أن هذه التيارات والاثار التى تركتهاكانت كثيرة ومتعـددة ، ولايمكن فى هذه العجالة أن نستوفى الحديث عنها فى كل من جوانبها الايجابيـة والسلبية معا ، لذلك سننهج منهجا يقوم على تقسيم تلـك الاثـار الى جزيئـات صغيرة ، واضعـين فـى الحسـبان الـتركيز علـى الاثـار السـلبية ، - المقدوحـة - بغرض معالجتها ووضع الحلـول المناسبة لمواجهتهـا فـى حـدود تعـاليم الشـرع الشريف ، والعقل الصحيح الذى يلى النقل المنزل ونبدأ بالاثر الاول:

---

(١) الآثـار: جمـع مفـرده : أثـر وهـو يطلـق علـى العلامـة ولمعـان السـف وبقيـة الشئ ومـا خلـف السابقون "المعجم الوجيز" صـ٥ .

الاثر الاول :

ظهور المزيد من التيارات الفكرية:

أجل لم تقف الاثار الفكرية عنـد حـد معين وانما تجاوزت كـل الحـدود وتخطت كافة الحواجز وتركت أثار ا بعيدة المدى. علـى المجتمـع الانسـانى كلـه وعلى الاسلامى بصفة خاصة . وكان لهذا الاثر من الخطورة ما جعل كـل تيـار سابق تخلفه تيارات لاحقة ويحاول التطوير فيه ، والاقتباس منـه ، والدخـول مع تيارات أخرى على النحو الذى تعلن عنه التيارات الفكريه **تمثلا :**

(١) التيار المادى:

رغم أنه تيار حصر الموجودات كلها فى المحسوس وحده الا أنه هذا التيـار تخلف عنه العديـد مـن التيـارات حيـث ظهـرت تيـارات اخرىاعتـبرت نفسـها الوارث الوحيد لهذا التيار المادى من هذه التيارات .

أ - الوجودية.

ب - الماركسية

ج - العلمانية.

د - الوضعية المنطقية.

هـ - الوضعية الطبيعية.

وتحت هذه التيارت خلايا صغيرة تمثل ثوابت تنطق بأن المادة وحدهـا هـى الفيصل وأنها الوحيدة الموجودة . ولهذا من الخطورة على المجتمـع الانسـانى مـا جعـل النـاس جميعـا أعـداء يـتربص كـل بـالآخر دون مراعـاة لحقـوق أو الـتزام

بواجبات.بل وجعل الناس يفقدون معه كل القيم والأعراف والفطر وتغليب الآنا على النحن ، واعيش بدل أن نعيش ، وكلها مخالفة لله بينة ومناهضة له .

والمعروف أن هذه التيارات ضد الدين سواء منها الوجودية أو الوضعية أو بينهما ، بل ان العلمانية تناصب الدين "العداء أعنى الاسلام الذى أنزلة الله نظاما شاملا للحياة كما أن الاسلام يناصبها العداء أيضا لانها تنازعه سلطانه الشرعى فى قيادة سفينة المجتمع وتوجيه دفتها وفقا لامر الله ونهيه والحكم بما انزل الله سقط - لامحالة - فى حكم الجاهلية...

ولذلك فان العلمانية بمعيار الدين دعوة مرفوضة لانها دعوة الى حكم الجاهلية، أى الى الحكم بما وضع الناس لابما أنزل الله" (١) وفرق كبير بين الامرين وماذلك الا أثر من أثار التيارات الفكرية الفاسدة.

٢- التيار الفكرى فى مجال الفن:

تعامل من يعرفون بطبقة الفنانين فى كل القضايا التى تعرض عليهم بنفس منطق الدراما والكوميديا احيانا أو التراجيديا

فى بعض الاحايين بغض النظر عن موضوع القضايا التى يتعرضون اليها ، المهم شباك التذاكر ، وحجم التوزيع ، وأولوية الوجود بالافشات والاعلانات التى ملأت واجهات العمارات وغيرت أوجه المحلات العامة وغيرها بجانب الاماكن المخصصة للدعاية والاعلان

---

(١) الدكتور يوسف القرضاوى - الاسلام والعلمانية وجها لوجه صـ٨٣ ط اولى دار الصحوة ١٩٨٧، ١٤٠٨هـ.

فمثلا نقلت احدى المجلات المصرية قولا عن أحد الفنانين فى مسألة التطبيع مع اسرائيل "منقولا من لقائه الاخير بجمهور معرض القاهرة الدولى للكتاب" ، وضمنه وجهة نظره فى مسألة التطبيع وسفر الفنانين الى اسرائيل فقال أننا نتعامل مع هذا الوضع بنوع من الشيزو فرينيا (٢) أوالاذ دواجية.. فرجال الحكم والسياسة يسافرون الى اسرائيل كل يوم ، وتبادل الزيارات يجرى على قدم وساق أما الفنانون فاذا جرؤ أحدهم وزار اسرائيل قامت الدنيا حوله و لم تقعد واتهم فى وطنيته، وعقدت له المحاكمات الصحفية تطالب برأسه ثم قال : أنه يتعين علينا أن نعيد النظر فى موقفنا من اسرائيل وفقا لما يمليه الصالح العام للوطن واضعين فى الاعتبار أن قضية السلام قد حسمت وأنه بلا شك قادم وسيفرض وجوده على الجميع.

ولست أدرى كيف سمح لنفسه اتهام الاخرين بالانفصام واذا كان الامر كذلك ألا يكون هو نفسه قد أصيب بهذا الانفصام؟

ثم ان هذا الاتهام قد نال القيادة السياسية والعسكرية وكافة القيادات التى زارت فلسطين لامرما . فهل بالامكان قبول مثل هذا

الاتهام أوتركه يمر دون حساب؟ لاشك أنك ستجد من يرد عليه ألف مرة كما أن هذا التيار الفكرى فى الفن هو الذى يجعل سوق الرواج فى اسرائيل رابحة ، انها بعيدة عن أن تنالها المقصلة

-لانها لاتخضع لضرائب معينة ولا تحكمها قوانين منضبطة وبالتالى

فما أيسر ان يتم تمثيل الفنانين أوبعضهم بمن يذهب الى قبرص

ويقوم ببطولة فيلم معين بالاشتراك مع فنانين من انجلترا أو ايطاليا

أو ألمانيا ، ثم تقوم الشركة المنتجة بعرض هذه الافلام فى اسرائيل

وهى تحمل أفكارا مصرية ، ويمثلها مصريون بالاشتراك مع اخرين وما فيلم المهاجر عن الانظار ببعيد وقس على ذلك كافة التيارات التى تترك لها أثرا تنشأ عنه المزيد من الاثار التى لا يعلم أحد متى تتوقف الا الله ولاعاصم من أمره الا هو سبحانه وتعالى.

الاثر الثانى :

ظهور مزيد من الجرأة على العقيدة والشريعة والاخلاق.

نعم : بدأت هذه التيارات الفكرية فى افراز تيارات وأفكار قد لاتقف أثارها عند محاولة هدم العقيدة وحدها ولا الى الشريعة وحدها ولا الى الشريعة وحدها وانما هدفت الى هدم العقيدة والشريعة والقيم النبيلة والاخلاق الفاضلة

-من ذلك وجدنا فى هذه التيارت من يطالب بالغاء السنة النبوية المطهرة بدعوى أن القرآن الكريم قد أغنى عنها ، أو أن السنة النبوية المطهرة فيها المقبول والمردود ، والصحيح والموضوع ،

والمدلس والمقطوع ، وهذه الزعومات فى حقيقتها وهم خالص وكذب بواح لآن سبحانه وتعالى - قيض لكتابه الكريم من يحفظه ، وقيض لسنة نبيه المطهرة من يدافع عنها ويحفظ أصالتها .

وكيف لا : وقد علمنا القران الكريم ان السنة النوية المطهرة ، توأم القرأن الكريم فى قوله تعالى " وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " وقوله ﷺ : " ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه " وقوله تعالى فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم " ، والمعروف أن الرسول - ﷺ / فى كل ما ينطق انما يحفظه له ربه ويصونه عن كيد الشيطان قال تعالى " وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى ".

أ ذا الذين يحاولون فصل القرآن الكريم عن السنة النبوية المطهرة وعدم الاعتدال بها فرغم انهم يتسمون بأسماء اسلامية كأحمد ، ومحمد ، وعبد النبى ، الا أنهم بهذه الآقوال المردودة التى تمثل خروجا على الكتاب الله ، وتمردا على سنة رسول الله - ﷺ - فهى انما تمثل نوعا من الجرأة على عقيدة المسلمين وجرأة على شريعة رب العالمين وخروجا على القيم الخلقية للمسلمين .

كذلك ظهور جماعة الاستحلال التى تنادى باستحلال ترك العبادات لعدم قيام الدولة المسلمة ، زعما منهم أن الدولة المسلمة لا توجد الا إذا كانوا هم الزعماء فيها والقيادة لها ، وبالتالى عطلوا العبادات من صلاة الجماعة وصلاة الجمعة والتعاون فيما بين المسلمين قيادة وشعبا ثم استحلوا أموال الدولة وحرموا العمل فيها انما يمثلون جرأة على عقيدة الاسلام التى تنادى بأن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص ، وأن الرجل متى اعتاد المساجد فقد شهد له بالاسلام وأن القاء السلام على المسلم مانع اياه من التعرض لغيره أو اتهامه بما ليس فيه قال تعالى " ولاتقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم فتبينوا"

كذلك طالعتنا التيارات التى تتحدث باسم الفن وتنادى بإباحة الاختلاط وممارسة العلاقات غير الطبيعية بدعوى الفن والتقدم ، أو تحت ستار العمل وهى فى ذات الوقت تقفز فوق شرع الله غير عابئة به أو ملتزمة وانما هى عابئة به أو ملتزمه وانما هى عابئة فيه لاترقب فى مؤمن الّا ولا ذمة وديدن هؤلاء اعتداء على شرع الله ، والاخلال بواجباتهم التى كلفهم الله - تعالى - بها .

ومن غرائب المصادفات أن يذهب هؤلاء إلى مواسم الحج بحجة أداء الفريضة يقودهم اليها لفيف من القواد الذين نـاموا تحت أشعة الثروة وعبدوا الدولار والدنيا فى محراب المال ، وبالتالى اخترعوا ما يسمى بالحج الفاخر أو الحج المميز ، وغرضهم الخبيث أن يبيعوا للفنانين توبة الرحمن فى هذا العام والذى يليه مقابل أربعة عشر ألفا من الجنيهات هى ثمن هذا الحج .

وحج هؤلاء وأمثالهم مردود عليهم ، بل كم رأينا من ...... ذهبت للحج ليلة عرفة ثم عادت صبيحة العيد لم تمارس من الحج شعيرة و لم تعرف له شريعة ، ذهبت ومعها أترابها والكواعب ليشترين وصفا عاما ولقبا يحاولن أن يسبقن به أسمائهن كالحاجة .... التى تعودت على الحج ثم تقوم بالرقص الشرقى على أوسع نطاق ، فكأنها تذهب للحج فى يومين أو ثلاثة تنفق فيها من الأموال القليل إذا قورن بما تكتسبه فى العام كله .

لقد هربن وهربوا من الزكاة المقررة عليهم شرعا ، وهربوا من الضرائب المفروضة عليهم عرفا ، فهم فى كل من الحالين فى حكم : " مطلوب القبض عليه " ، ومع هذا فلاهم عن غيهم رجعوا ولالشرع الله طبقوا ، ولا لقيم المسلمين التزموا ، ومثل هؤلاء عبئ على سطح الأرض وعبئ على العقيدة النبيلة ،

والشريعة الفاضلة ، والأخلاق الكريمه ، وأمثال هـؤلاء فى كـل مجتمـع يمثلـون سقطات يجب التخلص منهـا ، وعورات يجب سترها ، وسوأت يجب على الجهاز القائم اخفاؤها .

الاثر الثالث : ظهور تيارات تخريبية :

هذا يمثل قفزات الفريق على اكتاف الآخرين ، فإن لم يحمل عليهـا طـالب بالحمل على غيرها ، انهم يمثلـون أفـرادا لديهـم انفصـام فـى الشـخصية ، واذد واجبة فى الفكر مع سطحية وعدم تعمق ، وأبرز مظاهر هذا الفريق ما يلى :

أ) محاولة تجميع الـثروة فـى أيديهـم ولـو كـانت مـن تجـارة المخـدرات أو الجنس أو اللحم الحرام أو تجارة الغش واللحوم الفاسدة .

ب) تجارة الفن الأبيض والشقق المفروشة وتبوير الأرض الصالحـة للزراعـة مع التحايل على القانون من خلال العصابة معدومـى الضمـير الذيـن يـرون فـى اعمار بلادهم نورا يفضح أسرارهم ويكشف عوراتهم ويعلن أمـام الجميـع سـو نواياهم وخبث طواياهم .

وأمثال هؤلاء لايعوزهم التجسس على وطنهم لصالح الآخرين ، ولايثنيهم عن تدمير أوطانهم أنهم مـن أبنـاء المصريـين ، انهـم يقـرون المبـدأ القـائل " أمـا وسيلتهم فهم يتقلبون معها من موقف إلى موقف وموقع لموقع ، انهـم مـع اهـل الرقص يرقصون ، ومع تجار السموم البيضاء يتاجرون وفى سوق الرقيق الابيـض يتاجرون ، بل ربما وجدت بعضهم يقفون على أسوار المساجد وأبـواب المعـاهد بكتب الدين الوهوبة بأعلى الأسعار ويبيعون ، رغم أن أغلفة الكتب تفضحهـم ، إذ مدون عليها من الخارج والداخل عبارة : "هبة الله لاتباع ولا تشترى

أوعبارة : " طبع على نفقة أحد المحسنين" .

وغير خاف على أحد أن أمثال هؤلاء يلبسون لكل واقعة ثوبها فهم مع الخنافس يلبثون الجينز ويطلقون شعورهم ، ويلبسون السلاسل الذهبية على صدورهم ويضعونها فى معاصمهم ضاربين عرض الحائط

بكل مافيه نهى شرعى عن هذه وتلك .

وهم مع اهل الفن عازفون ، للخمر شاربون ، للشقق الفاخرة يداعرون ، وهم مع الغفلة من أهل الصلاح للحاهم يطلقون ، ولرؤوسهم وملابس بيضاء ، بل ربما كان لدى الواحد منهم اكسسوار متعدد الأغراض ، فعند هذا باروكة رأس ، ولحية ذقن ، وجلباب أبيض واسع ، وملابس لاتصلح الا للحريم الذين خرجن من دائرة الحياء .

وفى تقديرى أن هؤلاء وأولئك ليسوا على طريق الصواب يسيرون ، ولافى أعمال الخير ينطلقون وانما قد أحاطهم الله بقوله تعالى " قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بأيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا أياتى ورسلى هزوا " .

وبعد / ....

فها أنت عزيزى القارئ قد بلغ بك الطريق ثلثه ، وما يزال الثلثان ، فهل ترى فى جوانحك رغبة طموحا لتستكمل طريقا بدأناه ؟ أم ترى فى نفسك قناعة بأن ما قطعناه كان فيه الكفاية ؟

أمل أن تقرأ هذه السطور داعيا الرب الغفور أن يستر عوراتنا ، ويبارك خطونا ، ويعيننا على استكمال مسيرتنا واصلاح أمرنا فمازلت أردد قول الله تعالى : "ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ".

الفهرس